كتاب

الصحبة و الصحابة

المؤلف

حسن بن فرحان المالكي

يقع الكتاب في ٣٤٠ صفحه تم التحميل عبر

www.al-maliky.com

الصحبة والصحابة

بين الإطلاق اللغوي و التخصيص الشرعي

طبعة مزيدة ومنقحة ومضمنة عدة أبحاث جديدة

حسن بن فرحان المالكي

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الطبقة الخامسة: طبقة حمزة وعمر بن الخطاب .

الطبقة السادسة: طبقة فترة المقاطعة والحصار في الشعب.

الطبقة السابعة: طبقة فترة الإسراء. وهذه الثلاث يمكن دمجها..

الطبقة الثامنة: طبقة المهاجرين الأولين إلى المدينة.

الطبقة التاسعة: طبقة أصحاب بدر (السابقون من المهاجرين والأنصار).

الطبقة العاشرة: طبقة أصحاب أحد .

الطبقة الحادية عشرة: طبقة أصحاب الخندق .

الطبقة الثانية عشرة: طبقة أصحاب الحديبية.

صحابة لم يحسنوا الصحبة (فيخرجون بردة أو سوء سيرة أو تبدل)

المبحث الثاني: طبقات التابعين من الصحابة! (الإطلاق اللغوي صحابة وحقيقتهم الشرعية تابعون)

أولاً: هؤلاء التابعون من حيث حسن الأتباع ثلاثة أصناف.

- تابعون بإحسان
- متوقف في حسن اتباعهم.
- تابعون بغير إحسان.

ثانياً: التابعون من حيث قدم الإسلام : طبقات على النحو التالي:

الطبقة الأولى: أبناء المهاجرين والأنصار .

الطبقة الثانية: طبقة الخيبريين (وهم أوائل التابعين من حيث الإطلاق الشرعي)

الطبقة الثالثة: طبقة مسلمي عمرة القضاء.

الطبقة الرابعة: طبقة خالد بن الوليد (بين خيبر وفتح مكة).

الطبقة الخامسة: الطلقاء وهم ثلاث فئات:

الفئة الأولى من الطلقاء : (كانوا مسلمين قبل الفتح و لم يهاجروا كالنحام)

الفئة الثانية من الطلقاء : لم يتم تألفهم بالمال..

الفئة الثالثة من الطلقاء : المؤلفة قلوبهم وهم شر الطلقاء.

الطبقة السادسة: طبقة عتقاء ثقيف.

الطبقة السابعة: طبقة أهل حنين.

الطبقة الثامنة: طبقة التبوكيين .

الطبقة التاسعة: طبقة الوفود .

الطبقة العاشرة: أصحاب حجة الوداع .

الطبقة الحادية عشرة: أطفال طبقات التابعين.

الطبقة الثانية عشرة: المعاصرون من المسلمين.

استطراد : تحديد الطبقات وإدخال السابقين قسراً..الخ.

هذه الطبقات لن يتم الالتزام الحرفي بها، فقد نذكر الصحابي من طبقة متقدمة ونلحق به أقرباءه وذريته من باب التيسير على طالب العلم ليثبت هذا الشخص في الذاكرة، ثم هناك صعوبات في تحديد طبقة كثير من الصحابة، فعندما يقول المترجمون عن أحد الصحابة (أسلم قديماً) فإن هذه العبارة ضبابية ولا نستطيع إلا التخمين في تحديد طبقته، ثم عند التحقيق سنجد أن كل صحابي يحتاج إلى تحقيق خاص في زمن إسلامه وحسن إسلامه وفضائله ومثالبه وهل تغير أم بقي على الاستقامة، ..الخ – وهذا ما سنفعله في كتاب: معجم الصحابة إن شاء الله– فلو بحثنا بتحقيق عن زمن إسلام هذا الصحابي أو ذاك – فضلاً عن بقية الأمور الأخرى– لجرّنا هذا البحث إلى تراجم مطولة وإعادة قراءة وتحقيق للسيرة وأحداثها وأزمنتها وهذا متعذر، وإنما نريد الإشارة فقط إلى هذه الطبقات معتمدين على المشهور، وما كل مشهور صحيح، إلا أننا قد نتوسع في القليل من تلك التراجم المظلومة لإدخاله قسراً في الذاكرة السلفية الفارغة من أكثر السابقين والمتخمة بأكثر المتأخرين، فهذا الكتاب موجه إليهم بالدرجة الأولى لعل الله يهديهم بهذا الكتاب ويصرفهم عن ذلك الغلو في الظالمين ويعيدهم لمعرفة السابقين وحسن اتباعهم، وهذا الهجر للسابقين والمنافحة عن المتأخرين لن يتعب الباحث في معرفة منشئه ومبتداه، فهو نتيجة للتأثر بهؤلاء المتأخرين الظالمين من دولة الطلقاء وأبنائهم التي كانت على عداوة مع السابقين وعملت على إخمال ذكرهم وهجرهم وذمهم بل ولعنهم وقتلهم وتشويه سيرهم، ثم الاستبدال بهم بمجموعة ممن جرى عليهم (اسم الصحبة) وكانوا من أبعد

الناس عن اتباع سيرة السابقين والصالحين، فهذا التضليل الأموي تبعه كثير من مغفلي الصالحين، نتيجة تأثرهم بالسلطة الطويلة والمبكرة والقاسية لبني أمية، والسلطة ذكية أيضاً ومعها علماء السوء، وفي أغلب العامة حمق وغفلة وحسن نية، فاستطاعت السلطة القوية والماكرة أن تجرفهم عامة الناس إلى حيث تريد هي، وليس إلى حيث يريد الله ورسوله، فألقت بين المسلمين العداوة والبغضاء في التخاصم على الصغائر ونسيان السلطة لتبلع العظائم، ونصرت الحمقى على العقلاء (لأن العقلاء إرهاق لها) ولأن الحمقى لا برهان عندهم إلا ما يسمعونه كثيراً، بينما العقلاء لهم معاييرهم التي لا تحبها السلطة، فضربت السلطة أكثر من ثور وحش بسوط واحد يميت الثور جارياً وواقفاً! فحرضت الأكثرية الحمقاء على الأقليات العاقلة (من أصحاب الأفكار) أو الأقليات الروحية (من أصحاب الضمائر) أو الأقليات الجامعة بين هاتين الخصلتين (من أصحاب الإصلاح والأمر بالمعروف القرآني والنهي عن المنكر القرآني) ففازت ببحبوحة الدنيا في زمنها وتركتنا في ضنك العقل والروح بعدها، وأبلغ الضنك هو التعبد إلى الله بالثناء على الظالم وذم العادل، فهذا ضنك ما بعده ضنك، لأنه حرص يهدف إلى تأخير العدل فقط، ولتحقيق هذا الهدف يقوم هؤلاء بمقدمتين أساسيتين في تثبيت هذا التأخير، وهما: تدمير العقل وإماتة الضمير، فإذا تحطم العقل ومات الضمير في الإنسان تحول إلى فرد من هؤلاء الغوغاء الذين إذا اجتمعوا ضروا وإذا تفرقوا لم يعرفوا، وأنيطت بهم مهمة تشييد السلطان وجمع الأعوان ومزاحمة القرآن وزخرفة الزور والبهتان، وهذا أعلى ما يتمناه كل ظالم. (والسلطة مفهوم عام يدخل فيه السياسي والمذهبي)[1].

الخاتمة.. تعريفات البحث

١- الصحبة الشرعية

٢- الصحبة العامة

٣- الهجرة الشرعية

٤- الهجرة العامة

[1] وهؤلاء الفضلاء من مغفلي الصالحين هم مادة السلطان في تبديل الشريعة وتشريع المظالم عبر التاريخ، لذلك كثرت عندهم طاعة الظالمين وذم الصالحين، وهم الغطاء المذهبي (المتشرعن) لكل هذه الانتهاكات لحقوق الإنسان، فهم يصغرون ما يعظمه الله من الفرائض كالعدل والعقل والحرية، كما أنهم يضخون في الصغائر منعاً للجمهور من طرق المسائل ذات الصلة بيقظة العقل والضمير من هذا السبات التاريخي الطويل، فيستعملهم السلطان في محاربة العقل والمختلف ثم تعليم القراءة المنهجة الساذجة للدين بما يعطله عن الفرد والمجتمع والحياة الثقافية، وبما يشغل المسلمين بعداوات بعضهم والتقرب من السلطان، وبالتالي أصبح الدين عند كثير من الناس مرادفاً للظلم والطغيان بسبب هؤلاء الذين يدافعون عن الدين من الصالحين فتكون النتيجة أن يدفعوا الناس للطعن في الدين الذي يظنونه مذهب أولئك، فكان لا بد من تفكيك هذا الفكر الشيطاني بإعادة الشباب والأجيال إلى قراءة أخرى للقرآن والتاريخ والرجال والعقائد والقيم والأخلاق.

المقدمة *

مبحث (الصحابة) من المباحث والموضوعات ذات الأهمية البالغة في التراث والفكر الإسلامي قديماً وحديثاً؛ لما يترتب عليه من قضايا فقهية وحديثية وإيمانية، وجوانب أخرى تتصل بالجوانب الفقهية والسياسية والشوروية والاقتصادية في الفكر الإسلامي، إضافة لقضايا أخرى ذات صلة وثيقة بهذا الموضوع (موضوع الصحابة) كتدبر القرآن وفهم التاريخ وأثره على الدين السائد اليوم.

ومن خلال اهتمامي بالتاريخ الإسلامي والعلوم الشرعية من حديث وفقه وعقيدة (أو مسائل الإيمان)، رأيت أن موضوع (الصحبة والصحابة) من أكبر الموضوعات أهمية، وأشدها حرجاً، عند كثير من مفكري وعلماء المسلمين، بل عند سائر المهتمين بالإسلام ودراسته من غير المسلمين، بل هو مفترق طرق بين أكثر المذاهب جمهوراً وهم السنة والشيعة، نتيجة تمسك كل طرف بمفهوم غير علمي، بين الغلو في الصحابة أو الغلو ضدهم، والأمر يحتاج إلى تفصيل، ولو التزمت الأطراف المذهبية بالإنصاف والتفصيل لزال أكثر الخلاف المذموم، وبقي الاختلاف المحمود، لأن بعض القضايا تحتاج إلى توقف واحتمال وترجيح وليس إلى قطع وجزم.

وقد استعرض علماء المسلمين الأوائل كثيراً من سير الصحابة وأخبارهم وفضائلهم، مع نقد من ارتد منهم أو نجم عنه نفاق أو ظلم أو ارتكب أحد المحظورات الشرعية الكبرى (كبائر الذنوب).

ولعل أول من أفرد (الصحابة) بمؤلف هو الإمام البخاري، صاحب الصحيح (٢٥٦هـ) في كتابه تاريخ الصحابة (لعله التاريخ المطبوع باسم التاريخ الأوسط وقد طبع باسم التاريخ الصغير أيضاً)، وإن كان قد سبقه مصنفون تحدثوا عن الصحابة ضمن تواريخهم وكتبهم التي وضعوها في التراجم كابن سعد (ت٢٣٠هـ) في الطبقات الكبرى والإمام علي بن المديني (٢٣٤هـ) في كتابه (تسمية من نزل من الصحابة في سائر البلدان – مفقود)، وأبوخيثمة زهير بن حرب(٢٣٤هـ) في تاريخه، وخليفة بن خياط شيخ البخاري (٢٤٠هـ) في تاريخه المسمى (تاريخ خليفة بن خياط)، وغيرهم ممن أدخل تراجم الصحابة في تراجم غيرهم من التابعين فمن بعدهم، لكن أول من ألف فيهم خاصة كان البخاري.

---

* هذا هو (التعديل النهائي) لهذا المبحث وكل التعديلات السابقة غير معتمدة.

وتبع الإمامَ البخاريَّ في إفراد الصحابة بالتأليف جماعةٌ من علماء الحديث والتراجم، فصنف فيهم الحافظ البرقي (٢٧٠هـ)، ثم ألف الإمام الترمذي (٢٧٩هـ) كتاب (تسمية أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم) وهو مطبوع، ثم ألف أبو بكر بن أبي خيثمة (٢٧٩هـ) كتاباً بعنوان (تاريخ الصحابة)، ثم عبدان المروزي (٢٩٣هـ) في كتابه (تاريخ الصحابة)، ثم محمد بن عبد الله الحضرمي المعروف بمطيَّن (ت ٢٩٧هـ) في كتابه (الصحابة وهو مفقود)، ثم الإمام أبو منصور الباوردي (٣١٠هـ) في كتابه (تاريخ الصحابة)، ثم أبو بكر بن أبي داود (٣١٦هـ)، ثم عبد الله بن محمد البغوي (٣١٧هـ) في كتابه (معجم الصحابة)، ثم العقيلي (٣٢٢هـ) في كتابه (الصحابة)، ثم خيثمة بن سليمان (٣٤٣هـ) في كتابه (فضائل الصحابة)، ثم ابن قانع (٣٥١هـ) في كتابه (معجم الصحابة - مطبوع-)، ثم الإمام ابن السكن (٣٥٣هـ) في كتابه (أسماء الصحابة)، ثم الإمام ابن حبان — صاحب الصحيح- (٣٥٤هـ) في كتابه (أسماء الصحابة)، ثم ابن القطان (٣٦٠هـ) في كتابه (أسماء الصحابة) أيضاً، وللطبراني (٣٦٠هـ) (المعجم الكبير في أحاديث الصحابة - مطبوع)، ولابن عدي (٣٦٥هـ) كتاب (أسماء الصحابة) أيضاً، ثم ابن مندة (٣٩٠هـ) في كتابه (معرفة الصحابة)، ثم ألف الإسماعيلي (٣٩٦هـ) (معجم الصحابة)، وكذلك فعل أحمد الهمداني (٣٩٨هـ)، ثم أبو نعيم الأصبهاني (٤٣٠هـ) في كتاب (معرفة الصحابة - مطبوع-)، ولابن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ) كتاب مختصر في (أسماء الصحابة)، ثم جاء الإمام ابن عبد البر (٤٦٣هـ) في كتابه (الاستيعاب في أسماء الأصحاب - مطبوع أكثر من طبعة-) فجمع ما تشتت عند غيره[٢]، ثم جاء بعد ابن عبد البر؛ الحافظ ابن عساكر (٥٧١هـ) فصنف (معجم الصحابة)، ثم جاء الحافظ عز الدين ابن الأثير (٦٣٠هـ) ليؤلف كتاباً جامعاً أسماه (أسد الغابة في معرفة الصحابة)، استدرك فيه بعض التراجم على من سبقه وأدخل فيه استدراكات ابن فتحون (٥٢٠هـ) على ابن عبد البر، واستدراكات أبي موسى المديني (٥٨١هـ) على ابن مندة، والكتاب مطبوع مشهور.

ثم جاء الذهبي (٧٤٨هـ) في كتابه (تجريد أسماء الصحابة)، ثم كان آخر المشهورين من المؤلفين في تراجم الصحابة هو الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) في كتابه المشهور (الإصابة في تمييز الصحابة) الذي جمع فيه ما لم يجمعه غيره بفضل اطلاعه على مؤلفات من سبقه وإفادته منها، ودفعه حب الاستدراك

---

[٢] وكتابه من أشهر وأفضل الكتب المؤلفة في تاريخ الصحابة وأخبارهم، وله ميزة أخرى في صراحته والتزامه منهجا إسلاميا رائعا في نقد بعض من وصف بالصحبة إذا صدرت منه مخالفة شرعية من ظلم أو فسق وما إلى ذلك، فابن عبد البر يجعل الشرع فوق الصحابي، فلذلك نجد بعض المتحفظين من الناس ينتقد كتاب ابن عبد البر لوضوحه في هذا الجانب، ولا ريب أن ابن عبد البر أقرب للمنهج الإسلامي من كل من نقده، لأن هؤلاء الناقدين يجعلون تاريخ الصحابة سابقهم ولاحقهم تاريخاً مقدساً، بينما ابن عبد البر يجعل القداسة للإسلام نفسه، وعلى هذا فلا يجوز تحميل الإسلام أخطاء بعض الصحابة أو غيرهم.

لتوسيع تعريف الصحبة فأصبح تعريفه للصحبة أشهر التعريفات عند التيار السلفي خاصة، وألزموا به السابق واللاحق، المجتهد والمقلد، ووقعوا في عنت شديد، في أبحاثهم ومع غيرهم.

هذه المؤلفات كانت في التراجم فقط:

كانت المؤلفات التي ذكرناها سابقا هي أبرز المؤلفات التي أفردت في تراجم الصحابة جملة، وعلى هذا فلم أذكر المؤلفات في تراجم أفراد من الصحابة ولا المؤلفات في فضائل الصحابة، ولا المؤلفات في تراجم الخلفاء الأربعة، أو تراجم العشرة، أو تراجم زوجات النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، ولا المؤلفات في مجتهدي الصحابة وفقهائهم، ونحو ذلك مما يطول بنا ذكره.

المطبوع من المؤلفات في الصحابة:

و لم يطبع من الكتب المتقدم ذكرها إلا القليل، لعل أشهرها (الاستيعاب) لابن عبد البر، و(أسد الغابة) لابن الأثير، و(الإصابة) لابن حجر، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٤٣٠هـ)، ومعجم الصحابة لابن قانع (٣٥١هـ) ولا يكاد الباحثون يرجعون عند ترجمة الصحابي إلا إلى الكتب الثلاثة الأولى، وقد يقتصر بعضهم على الإصابة لابن حجر؛ لاكتنازه بالمعلومات وإحاطته واستدراكاته على من سبقه، والتزامه الصارم بالعقيدة المحدثة في الغلو في عدالة الصحابة[٣].

وقد طبع حديثاً بعض هذه المؤلفات ككتاب ابن قانع وأبي نعيم ولذلك قل من يشير إلى هذين الكتابين مع أهميتهما، ليس في ترجمة الصحابي فقط وإنما في الأحاديث التي اشتهر بها وأبرز الرواة عنه، وهذان الكتابان يشبهان المعجم الكبير للطبراني إلا أن الطبراني يستوعب أكثر أحاديث الصحابي بخلافهما.

أهمية موضوع الصحابة:

---

[٣] وقد سردت بعض الملحوظات على كتاب الإصابة في مقدمة كتابي (معجم الصحابة – لم يكتمل)، من حيث توسعه في الاستدراك، وتوسيعه تعريف الصحبة أتى من هذا الباب، إضافة إلى غلبة المذهبية على مؤلفه في دفاعه عن بعض من ساءت سيرته حتى أن الألباني اضطر اضطراراً أن يرد عليه في دعواه اجتهاد أبي الغادية الجهني في قتله عمار بن ياسر، وأنه مغفور له! (راجع حديث: قاتل عمار وسالبه في النار) في صحيحة الألباني ، الجزء الخامس رقم الحديث ٢٠٠٨، ورد عليه ابن الوزير والأمير الصنعاني وغيرهم في موضوعات تتعلق بهذا الموضوع.

وموضوع الصحابة كما تقدم من الموضوعات ذات الأهمية القصوى عند المسلمين في القديم والحديث؛ لأن الصحابة تم عن طريقهم نقل الدين الإسلامي، وللاختلاف الكبير فيهم سواء على مستوى العدالة أو التعريف أو الفضل، وما يترتب على ذلك من رؤى ونظريات وأحكام شرعية.. الخ، وكان لهذا الاختلاف الدور الأساس في نشوء التيارات الفكرية الإسلامية الأولى، وظهور الفرق الإسلامية من القرن الأول، ثم استمرار الاختلاف بينها إلى يومنا هذا، فقضية (الصحابة) قضية كبرى على المستوى الفكري والسياسي والمذهبي والشرعي أيضاً.

السياسة والصحابة:

وكانت السياسة تلعب أيضاً الدور الأكبر في توسيع الفجوة بين علماء المسلمين، وبين مذاهبهم وعوامهم، وكانت للسلطة مصالح في تأييد هذه الجماعة أو تلك، وربما بعض ذلك عن قناعة وتمذهب، ولكن يظهر أن أكثر هذا الاهتمام كان لشد عصب التأييد للحاكم كإظهار هذا الحاكم في مظهر الحريص على سلامة العقيدة والحامي لها ضد أهل البدعة والضلالة!

فلذلك شكَّل مغفلو الصالحين والعوام الساعد الأيمن لكل سلطة تستغل هذه القضية على مر التاريخ، سواءً كان هؤلاء من السنة أو الشيعة أو المعتزلة أو النواصب أو الخوارج ؛ ولعل الخوارج أخف هؤلاء استغلالاً للسلطة، كما أن جماعتنا – أهل السنة – أكثر الفرق استغلالاً لقضية الصحابة.

وقضية (الصحابة) إلى اليوم من القضايا المستثمرة في تصفية الخصوم، أو كبتهم، أو التضييق عليهم، أو التشكيك في عقائدهم، وتنفير الناس عنهم، وعن علمهم، دون النظر إلى حججهم وأدلتهم.

ولذلك نجد أنها تكفي عبارة (فلان يطعن في الصحابة) للقضاء على كل إبداع بحثي عند أهل السنة، مثلما تكفي عبارة (فلان يطعن في أهل البيت) للقضاء على الإبداع نفسه عند الشيعة، مع أن دول الشيعة أتت متأخرة وكانت أكثر تسامحاً بكثير من دول أهل السنة المتقدمة كالأموية والعباسية، وفرق المعارضة كالشيعة والمعتزلة والإباضية والزيدية أقل فتكاً بالفرق المخالفة من أهل السنة، وهم أقل أثراً على الفكر الإسلامي العام ولذلك بقي الرأي العام الساذج هو المسيطر على العقائد الإسلامية، ولعل الجانب الحقوقي المرتفع نسبياً عند فرق المعارضة لعل هذه الحقوق أتت نتيجة كونهم في شق المعارضة من قديم وذاقوا من المظالم ما ذاقوا فتشبعوا بالكثير من حقوق الإنسان بحكم التجربة الطويلة ، و في الغالب نجد المعارضة

تستشعر بشاعة الظلم أكثر من السلطة وعلمائها، فلذلك تكون نفسياتهم أقدر على تجرع ما يستفزهم من الملتصقين بالسلطة (وليس هنا موضع تفصيل في هذا الموضوع).

والسنة والشيعة إلى اليوم خلافهم في الصحابة من أكبر أسباب تفرقهم نتيجة تشنج الحوار بين الطائفتين، وتركيز كل مذهب على جانب مع التناقض داخل المذهب الواحد، إلا أن كل مذهب يعض بالنواجذ على أشد ما قاله سلفهم ولو كان غير علمي، والبديل هو الحوار العلمي الهادئ والخضوع للأدلة وترك مساحات للاختلاف والاجتهاد، ثم هناك تيارات داخل كل مذهب قد تقترب من معتدلي المذهب الآخر، فمعتدلو الشيعة قريبون من معتدلي السنة، ومعتدلو السنة قريبون من معتدلي الشيعة، ومن قرأ تراجم القرون الثلاثة الأولى عرف هذا تماماً، وإنما كانت سياسة الخليفة المتوكل هي القاصمة في الفصل التام بين المذهبين، بإعلائه من شأن أهل الحديث (وحصر اسم السنة فيهم) واضطهاده للشيعة والمعتزلة (ووصمهم بالبدعة والزندقة)، فتباعدت المذاهب بتأثير سياسي وظهرت وكأنها أديان مختلفة لا مشتركات بينها، فضعف البحث العلمي وقل الاجتهاد وكثر التقليد والعصبية والاستعداءات والتكفير والتبديع وأصبح الاصطفاف المذهبي أكثر حدة وجهلاً وصلابة، ومازلنا إلى اليوم ندفع أثمان تلك المرحلة، فلا يرى المتخاصمون آية ولا برهاناً مادام هذه الآية أو البرهان يخالف ما قرره المتخاصمون في تلك المرحلة، ووصل التعصب ذروته وضاع العقل والتدبر والبحث وسط غبار العداوات والفتاوى والعقائد والكراهية ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإنما نقول هذا لأن السنة والشيعة اليوم يشكلان أهم فرقتين إسلاميتين من حيث الانتشار، وكثرة الإنتاج الفكري، مع تقدم زمانهما وبداياتهما الهادئة من أيام الخلافة الراشدة، بل إن جذورهما الأولى تمتد منذ عهد النبوة، وما أحوج الفريقين إلى دراسات جادة وهادئة لا تلقي بالاً لما كتبه متعصبة الأسلاف، وإنما يهتمون بالبرهان والدليل، لا سيما والقرآن الكريم بين أدينا، وكذلك جملة وافرة من السنة المتفق على الاحتجاج بها وجملة أوفر من التاريخ المتفق عليه، ولو تقدم كل مذهب خطوة نحو الإنصاف والعقل والبرهان فسيكون له أثره على المذهب الآخر فيحسن الأتباع الظن عندما يحسن شيوخهم ذلك الظن، ويعرفون أن الخلاف ليس على أساس حب فريق للجنة وحب آخر للسعير، وإنما هو اختلاف طبيعي نتيجة الافتراق القديم، وهذا الافتراق لم يكن برغبة من الناس الطيبين من علماء المذهبين وعوامهم، وإنما كان للسلطات الظالمة الدور الأكبر في شق صفوف المسلمين وإشغالهم بأنفسهم على أساس مذهبي وقبلي وبلداني وعائلي..الخ، وكان الأساس المذهبي أسوأ تلك الأسس التي استغلتها السلطات، لأن البلدانيين والقبليين والمناطقيين يصطلحون إذا تعارفوا وتزاوروا، أما المتمذهبون فهم أطول الناس عداوة وأبلغهم أثراً وأعمقهم حمقاً وأطوعهم لتحقيق

أهداف السلطات الظالمة، ويزيد في المأساة أنهم أكثر أتباعاً وأوسع جمهوراً من غيرهم، إذ أن عامة أتباعهم من الغوغاء الذين لا منطق عندهم ولا عقل ولا تفريق بين الفقهاء والأنبياء، هؤلاء الغوغاء الذين قال عنهم الإمام علي:(إذا اجتمعوا ضروا وإذا تفرقوا لم يعرفوا)! هؤلاء هم مادة السلطان ولسان المفتي وسوط الجلاد وبهم تسجن الحقيقة ويضعف الإبداع وتنشغل الأمة بتوافه الأمور وأضرها؛ حتى أن المسلم الطيب العادي يرى أن أخاه المسلم – المختلف معه في بعض التفاصيل – من أشد أعداء الله ! وأنه يجب بغضه وكراهيته والعمل على إيذائه.. الخ، وأصبحت هذه الجرائم في حق نفس المسلم وعقله وضميره من أسس العقيدة التي نعلمها الطلاب في مدارسنا، ونجبرهم على تجرع بغض المسلم والشك فيه عبر حشد أدلة من أمراض الأسلاف العقلية والنفسية، فمن هنا تأتي أهمية تنبيه هؤلاء الطيبين على أن بعض ما يظنونه ديناً إنما هو جريمة في حق أنفسهم وعقولهم وليس عليها دليل من كتاب ولا سنة، وأن البحث والعلم وتدبر الكتاب وما صح من السنة والتاريخ بدون عصبية كفيل بأن يوضح لهؤلاء الطيبين بأن الأمر تم تهويله أكثر مما ينبغي، ولا يجوز التمذهب على أمر مختلف فيه داخل كل مذهب، وتحوطه الاحتمالات والمشتركات من كل الجوانب، فلماذا نخدع الناس بأفكار وعقائد ما أنزل الله بها من سلطان، وندفعهم للتخاصم في أمور لا يدل عليها دليل صحيح، كمسألة عدالة الصحابة مثلاً، التي ملأنا بها كتب العقائد وليس لها أصل لا في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا الواقع التاريخي، بل الأدلة على خلاف ذلك من التفصيل في كل صحابي وليس هذا التعميم الذي يتضاد مع الأدلة الصريحة من القرآن والسنة والتاريخ.

حاجة موضوع الصحابة للباحثين المنصفين:

ولهذا كله رأيت أن موضوع (الصحابة) يحتاج من وقت لآخر لجهود الباحثين المنصفين سواءً من السنة بتياراتها أو من الشيعة بطوائفها أومن المعتزلة أو الإباضية، أوحتى النواصب (ولهم وجود قوي داخل أهل السنة للأسف)، أو الباحثين غير المنتمين لمذهب من مذاهب المسلمين، وهذه الفرق بطوائفها المختلفة هي تقريباً الفرق التي تصنف على أنها ممثلة للإسلام في هذا العصر، ولعل أهم ما في هذا الموضوع أن يكتشف المسلمون أن بعض التشريعات البشرية الصحابية قد دخلت في الشريعة والعقيدة والأخلاق والسلوك، وبعض تلك التشريعات تتنافى مع تشريعات الإسلام، وهذا موضوع كبير يحتاج لبحث مفصل، إلا أنه يكفي هنا أن نشير إلى أن كل صحابي لا يجوز أن يكون فعله شرعاً وإنما هو محكوم بالشرع، وأن الغلو في الصحابة قد أدى إلى خلل في التشريع بزيادة فيه أو نقصان أو تأويل أو إهمال.

وعلى هذا فالجميع من باحثين أحرار أو متمذهبين بحاجة إلى حوار، وبحث طويل المدى، بعيد عن كل مصادرة للآراء الأخرى؛ ما دام أن تلك الآراء تدعي الانتماء للإسلام والالتزام بالمنهج العلمي.

لا تقليد!!

وهذا البحث المنصف المطلوب من هؤلاء لا بد فيه من ترك التقليد جانباً، والتحلي بالاجتهاد؛ لأن التقليد من أكبر أسباب تفرق المسلمين، ولا أقصد بترك التقليد هنا الانتقال من شيخ لشيخ داخل المذهب، وإنما إن اكتشف الباحث أن مذهبه برمته على خطأ في مسألة فعليها أن يتركها ويتبع الدليل، أما الانتقال من تقليد ابن تيمية إلى تقليد ابن حجر، أو من تقليد أحمد إلى تقليد مالك.. فهذا ليس خروجاً من التقليد وإنما انتقاء من تقليد إلى تقليد، أما الاجتهاد فينبع من دراسة الفكرة واتباع ما دل عليه الدليل والبرهان الذي تقتنع به النفس، وكل نفس مسئولة عما تقتنع به وليست مسئولة عما لا تقتنع به، وليس صحيحاً أن باب الاجتهاد قد أقفل، فالاجتهاد يتجزأ، فقد تجتهد فيما تقدر عليه بعد البحث، وتبقى مقلداً فيما لا تقدر على بحثه، وهذا البحث وأمثاله ليس موجهاً للعامة، بل هو للخاصة من باحثي التاريخ والحديث والتفسير والعقائد.. وفي هذه العلوم كلها الحق والباطل، الغث والسمين، وموضوع الصحابة من تلك الموضوعات التي كثر فيها التقليد وقلّ الاجتهاد أو عدم، وهو من الموضوعات التي تحتاج لدراسات جادة لأن آثار هذا الموضوع كبيرة على العقائد والنظريات السياسية والاتجاهات الفكرية التي عاقت العقل المسلم وكبتت البحث في الدراسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية عند المسلمين وعند أهل السنة منهم خاصة، وهذا العصر يتطلب الخروج من هذا التخندق المعرفي إلى الانفتاح على دلائل الكتاب والسنة وإخراجها من تحت عباءات المتخاصمين.

وهذه الدعوة هي دعوة للأخوة الشيعة أيضاً، ولا يظنون أنفسهم بمفازة من تأثير التقوقع والمعارضة المستدامة، التي عزلت بعضهم عن العقل والتدبر في القرآن والتاريخ ومسيرته، وتركيزي على نقد التقليد عند أهل السنة لأني من أبناء الدار وأعرف التراث السني والنفسيات السنية والرموز السنية، وأرى من واجبي قول كلمة الحق والشهادة لله على النفس والأقربين (والأقربون أولى بكل معروف ونصيحة وصرخة) وإلا فإن اطلاعي على بعض المدونات الشيعية أجد فيها في الشق الآخر عزلة عن كل تجديد وغبطة بالخرافات وأهوال الأخبار الضعيفة والموضوعة، ولكن لا يحق لي التحدث بعموم عن الشيعة لأني أجهل أكثر تراثه ومعالمه وتطوراته، فهو قصة أخرى لها أبناؤها ومجددوها وناقدوها، وكذلك المذهب الإباضي والزيدي فإن اطلاعي على القليل من تراثهم يجعلني في القلق نفسه، فالزيدية المتأخرة مثلاً كزيدية

الشوكاني والأمير وابن الوزير — إن صح كونهم زيدية– أضاعت كثيراً من المنطلقات الزيدية التي أجدها في مؤلفات الأقدمين منهم كالإمام زيد والهادي والأطروش وغيرهم (والحركة الفكرية الحوثية في اليمن أقرب إلى الزيدية المتقدمة وأقرب للقرآن الكريم من الزيدية المختلطة المتأثرة بأهل الحديث)، ولعل الإباضية من أكثر المذاهب انفتاحاً اليوم، وكذلك المعتزلة إلا أنهم اليوم أفراد لا يتسمون باسم مذهبهم، لأن الاعتزال اتجاه عقلاني عام، وكل ذي عقل فيه شوب من اعتزال.

وعلى هذا كله فالدعوة عامة للبحث والتدبر والتجديد إلا أنه لا يمكنني أن أنصح المذاهب الأخرى بأكثر مما أنصح به أتباع مذهبي الذي نشأت عليه وتعلمت منه الكثير وهو المذهب السني؛ لأن المذهب السني هو الأوسع انتشاراً وفيه من التنوع والثراء ما يوجب على أتباعه إنصافه بإخراج العقول السنية من قبضة ابن تيمية وغلاة السلفية الذين شوهوا هذا المذهب العظيم بتعصبهم لكل ظالم من عالم وحاكم، وقضوا على التنوع وبدّعوا وضللوا وخبطوها عشواء مظلمة، حتى أن أكثر المبدعين في سائر العلوم عبر التاريخ لا تكاد تجد فيهم سنياً، وإذا وجد لحقته الاتهامات والتصفيات المعنوية أو الجسدية، ولا يستطيع العالم الإسلامي أن يتقدم إن لم يكن أهل السنة في المقدمة بحثاً وإنتاجاً وخروجاً على السائد غير العلمي إلى النادر العلمي، ولا يمكن لأي حوار أو بحث أن يؤتي ثمرته؛ ما دام التقليد راسخاً وعبادة المذهب قائمة، وهذا التقليد كما أسلفت هو عند هذه الطوائف كافة إلا أن التجديد السني سيكون له أثره على المسلمين أكثر من غيره للأسباب التي سبق ذكرها من سعة الانتشار والتنوع المظلوم والثراء المجهول من أبناء السنة أنفسهم.

وليعلم أبناء مذهبنا من أهل السنة إن التعصب للمذهب لا يمكن أبداً، لأنه ليس لأهل السنة مذهب واحد لا في الصحابة ولا غيرهم، وإنما هناك اختطاف من بعض المحسوبين على أهل السنة لهذا المذهب وتاريخه ورموزه، فاختطفوه ونقلوه إلى كهوف مظلمة ضيقة قاحلة خالية من الهواء، وليس بالضرورة أن نتبع ابن تيمية أو محمد بن عبد الوهاب أو حتى أحمد بن حنبل في تلك الكهوف، مادام أن زاد الشرع متاح تحت ظل الأشجار الوارفة، ثم أولئك العلماء من أصحاب الاختطاف كانوا ينهوننا عن التقليد، فإذا كانوا ينهوننا صادقين فلماذا لا نلتزم بنصيحتهم؟ وإذا كانوا ينهوننا كاذبين فلماذا نتخذهم قدوة؟ ثم السنة إذا أريد بها سنة النبي (ص) فهي متاحة للجميع وأهلاً ومرحباً، أما أن يريد بعض الناس توسيع السنة لتشمل آراء وتعصبات العلماء أو حصر السنة في تلك التعصبات والأهواء فهذا ليس سنة وإن سماها الناس كلهم سنة، لأن السنة ما وافق الدليل وليس ما وافق الأهواء، وهذا الموضع هو موضع الصراع السني السني هذه الأيام،

وقد بدأ بعض أحرار أهل السنة يكتشفون بعض الخلل، كما اكتشف علماء سنة كبار من قبل[٤]، فعملوا على النقد الذاتي الذي أغضب الكثرة المتواطئة على الكتمان والتحريف والمكابرة، فأرادت هذه الكثرة – الذين كانوا قلة في الماضي– الاستبداد بلقب السنة وإخراج مخالفيهم من الباحثين من دائرة السنة إلى دائرة البدعة! وكأن السنة لا تتم إلا بالتنكر للنصوص والمكابرة في الاعتراف بالحقائق والغلو في الدفاع عن الظلمة من الطلقاء وأمثالهم، فهذه السنة التي تحتج بالكثرة لا بالبرهان هي ليست على الجادة، والأكثر منهم مقلد في شبح فقيه، ودعوتي لأحرار السنة ألا تهمهم الألقاب والاتهامات، وليستمروا في خدمة الحقيقة والمعلومة المبرهنة، وليعلموا أن القلة والكثرة ليست من البراهين على صحة الفكرة أو بطلانها، بل لعل القلة من قرائن صحة الفكرة، لأن الكثرة مذمومة في القرآن الكريم، كما أن القلة ممدوحة في القرآن الكريم، وقليل عاقل خير من كثير جاهل، ولا يستسلموا لحكم الكثرة الجاهلة، فأشقى الناس عالم يجري عليه حكم جاهل.

على أية حال ؛ كنت ولا زلت من المهتمين بالتاريخ الإسلامي في صدره الأول (السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين والدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية) وهذا الاهتمام دفعني للتعرف على المصطلحات التي لها علاقة مباشرة ومؤثرة بتلك الفترة من حيث النشأة والاستخدام ثم كان لها الأثر الأقوى فيما بعد، ومن أبرز المصطلحات ذات التأثير على الفكر الإسلامي والتاريخ الإسلامي وتفسيره مصطلح (الصحبة والصحابة).

المصطلح الشائع:

والمصطلح الشائع عند كثير من علماء المسلمين وخاصة أهل الحديث منهم وخاصة من بعد القرن التاسع الهجري في تعريف الصحابي أنه (كل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أو لقيه من المسلمين)[٥] وهو

---

[٤] كابن عبد البر والنسائي وعبد الرزاق الصنعاني ومنصور بن المعتمر والحكم بن عتيبة ومسعر بن كدام وابن عقدة والحاكم وعبيد الله بن موسى وابن الجعد وعبد الغفار بن القاسم وغيرهم كثير ، بل من الصحابة سبعون بدرياً على الأقل وقد تم تضعيف بعضهم وإهمال البعض الآخر هذا وهم صحابة فكيف بغيرهم؟!.

[٥] والمتأخرون يرددون تعريف ابن حجر العسقلاني (كل من لقي النبي (ص) مؤمناً ومات على الإسلام)، وكأن هذا التعريف يلزم المتقدمين والمتأخرين، وهذا غير صحيح، فقد كانوا يطلقون الصحابي على المؤمن والمنافق، البر والفاجر، ومن ذلك الحديث المشهور (حتى لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) والحديث الآخر في صحيح مسلم (في أصحابي اثنا عشر منافقاً)، والحديث الآخر (لرجلين مقفيين من أصحابه)..الخ، وقول عمر في قصة الحجاب (فإن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر)، وهؤلاء الداخلون كلهم من الصحابة أبراراً كانوا أو فجاراً، وهكذا.. وستأتي تفصيلاً، فاستخدام كلمة (صحابي) لها مستويات، فقد يكون استخداماً شرعياً وقد يكون استخداماً لغوياً أو عرفياً، وهذا سيأتي تفصيله، إلا أن الشيء المؤكد أن (الصحبة) من حيث الإطلاق العام لم تكن عاصمة من النفاق والردة فضلاً عما دون ذلك من الفسق والظلم، وهذه القداسة لمصطلح (الصحابة) لم يكن موجوداً عند الصحابة أنفسهم، وإنما أتى من باب وضع شرعية مقابلة للشرعية التي وضعها الشيعة في حق أهل البيت، فمثلما وضع الشيعة شرعية (أهل البيت) أتى أهل السنة ووضعوا

مصطلح فيه من التجوز الشيء الكثير، وهذا التجوز كان له أثر سيئ على قراءة المسلمين لتاريخ السيرة النبوية وتاريخ القرن الأول وما شاع من أحاديث وأحكام وعقائد، لا سيما وأن الصحابي أصبح من مصادر التشريع (أي من السنة النبوية) عند كثير من المسلمين، وتم إخضاع الإسلام الإلهي للرؤية والاجتهادات البشرية المتغلبة بفعل السلطة التي كان هذا الفكر البشري يتيح لها من المصالح والصلاحيات ما لا يتيح لها الإسلام الإلهي.

إذن فهذه القراءة السيئة للتاريخ ورجاله كان لها أثر على الجانب الفقهي والحديثي والأخلاقي والسياسي عند المسلمين، فاختلطت أمور كثيرة في هذه الجوانب نتيجة تعميم مصطلح (الصحبة) على البر والفاجر، مع التباين الكبير بين مصطلح الصحبة التي أثنى عليها القرآن الكريم والسنة النبوية، وبين الصحبة العامة التي ليس فيها ثناء ولا مديح وإنما كان إطلاقها لغوياً على مجرد الصحبة ولو كانت صحبة شكلية لا تأثر فيها بالنبي (ص) ولا أثر في تثبت الدين ونصرة الإسلام.

الصحبة الشرعية الخاصة:

الصحبة الشرعية لا يصح إطلاقها إلا في المهاجرين والأنصار (من حيث الأغلب أيضاً باستثناء من أخرجته النصوص أو سوء السيرة) ويدخل في المهاجرين والأنصار من في حكمهم من مواليهم وحلفائهم والمستضعفين ونحو ذلك ومهاجرة الحبشة وهكذا من توفي في مكة قبل الهجرة من المسلمين، أما الأعراب والطلقاء (مسلمو فتح مكة) والوفود وغيرهم، فليسوا صحابة من الناحية الشرعية وإن كانوا صحابة صحبة عامة من الناحية اللغوية والعامة والشكلية – وهذا لا يعني الحكم عليهم حكماً واحداً كما أنه لا يجوز الحكم على المهاجرين والأنصار حكماً واحداً– وعلى هذا فلم ترد في حقهم (أعني أصحاب الصحبة العامة) تلك الآيات الكريمة والأحاديث النبوية التي أتت بكثير من الثناء على من كانوا مع النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أو على المهاجرين والأنصار ومن في حكمهم كما سيأتي.

حقاً إن تعميم فضل الصحبة ومنـــزلتها على كل من لقي النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" من المسلمين أدى إلى أضرار فكرية وعقدية وسلوكية وسياسية، وأدت إلى اختلاف كبير بين كثير من الفرق الإسلامية

شرعية (الصحابة)، فإذا قال الشيعة أن أهل البيت يرون كذا .. قابلهم أهل السنة بالقول (إن الصحابة يرون كذا)، وتصارعت الشرعيتان وضاع الكتاب، مع الفارق في كون أهل البيت قلة قليلة صالحة تستطيع فهم من يقلدها – إن سلمت الراويات– أما الصحابة فهم عشرات الألوف ، المرتدون منهم والظالمون والطلقاء والأعراب والأجلاف أكثر من أهل بدر والرضوان والصالحين، فالاحتجاج هنا بالصحابة على ما جرى بينهم من اختلاف وتغالب وتنافس ومحاربة وتفسيق متبادل أمر غريب ودليل على الحرج الشديد من احتجاج الشيعة بزمرة قليلة من الفضلاء، فالاحتجاج والتقليد هنا ليس فيه ذلك الحرج والعنت.

ولا زال الاختلاف بينها إلى يومنا هذا، إذ أدى هذا التعميم في المديح إلى تعميم فرق أخرى كبعض الشيعة لنصوص أخرى في الذم وأصبح الناجون عندهم أفراداً قلائل.

أهمية التفريق بين صحبتين:

ولتحديد مفهوم الصحبة التي هي محل الثناء والفضل يجب علينا أن نفرق بين من صحب وانتفع به الإسلام ونبيه الأكرم، ومن صحب لينتفع هو بالدخول في كنف الدولة، هناك فرق كبير بين من استقام ومن بدّل وغير، ..الخ ولذا يجب التفريق أيضاً بين المصطلحات الشرعية والمصطلحات العرفية والمصطلحات اللغوية، حتى لا يحتمي الفساق والظلمة – بهذا المصطلح – من محاكمة التاريخ والدين والأجيال، وحتى لا نسيء إلى رسول الله (ص) بأن نضيف إلى صحبته الفسقة والظلمة والمنافقين، ولأن بعض من وصف بالصحبة ترك آثاراً سيئة على الدين والفكر والعقائد فإذا لم نحاكمه بالشرع فإنه يستطيع هو وأشياعه أن يحاكمونا بالمذهب! كما هو حاصل اليوم! وأخطر من ذلك أنهم يستطيعون تبديل الدين والإدغال في الشريعة بما يضادها، ويحارب الحق والعدل باسم الدين، فيظهر للناس أن إسلامنا يأمر بالسوء والفحشاء وأن نقول على الله ما لا تعلم، لأن الظلمة وأهل المكر الكبار هم أعوان إبليس وأدواته في حرف الشريعة عن جادتها، هم حماة الظلم وأنصار الأثرة وأقلام الزور عبر التاريخ، و الغريب أن الواحد من هؤلاء يبقى محمياً من أي نقد، كما تبقى نظرياته وسياساته وتشريعاته محمية ومصونة من أي نقد، وهذا خلل أدى إلى استيلاء الإسلام البشري على الإسلام الشرعي، و هذا اللعب بالشرعي عبر التاريخ أدى إلى تشويه الإسلام فيبدو للمسلم والكافر وكأنه – أعني الإسلام- خادم صغير من خدمة الظالمين، وهذا ضرر كبير على الدين يؤدي إلى التشكيك فيه والصدوف عنه، وتقليل فرص الدفاع الشرعي عن الشرعي، لأن هذا الدفاع لا يجد حرية في نقد من بدل السنة والدين ومن شرّع المظالم والأثرة وانتهاك الحقوق، بل إن بعض المسلمين أصبح يظن أن الدين يدعو للكبت والكراهية وهضم الحقوق، وهذا الظن أتى من كون أتباع أؤلئك الظلمة كانوا على مر التاريخ نشطين في حماية هذه المظالم وأصحابها وحمايتهم من نقد كل مخلص، وهذا أدى مع الزمن إلى استيلاء هذا التيار العلمي الظالم على الدين والدنيا، وأحكم قبضته وفكره على حرية التعبير والتفكير والنقد والإبداع، فكانت النتيجة أن انهزمت الحضارة الإسلامية فكرياً وسياسياً وعسكرياً كما ترون، وعلى هذا لا بد من المراجعة الجادة القوية والواسعة على أن تكون في مستوى التحدي الحضاري، ولن يتم هذا إلا بمراجعة لأسباب وصولنا إلى هذا الحد من السفول الحضاري بمستوياته السياسية والفكرية والاقتصادية .

وعلى هذا نعود إلى مصطلح (الصحبة) ونقول : إن اللغة أوسع دائرة نظراً لدخول المجاز والمشترك اللفظي فيها ثم تأتي دائرة العرف إذ يشترط فيه إلى جانب الحقيقة اللغوية أن يضاف إليه عرف الناس فما تعارف الناس عليه من قولهم: فلان صاحب فلان أو من أصحابه فهو صاحبٌ عرفاً والعرف يتضمن الحقيقة اللغوية لا الشرعية، ثم أخص الدوائر هي الحقيقة الشرعية؛ لأنها هي الحجة عند الكلام في دائرة الشرع، ولأنها أكثر تخصيصاً، ولذلك فالشرع يحكم على العرف واللغة، والعرف لا يحكم إلا على اللغة، واللغة لا تحكم على الشرع ولا على العرف وإنما فيها الحقيقة والمجاز، ولذا سنحاول استعراض مفهوم الصحبة في القرآن الكريم والسنة النبوية وعند العلماء المتقدمين، ثم في العرف واللغة، لنخرج بالنتيجة التي نريد أن نعلمها من مفهوم (الصحبة).

مع أن الموضوع يحتاج إلى دراسة أخرى عن تأثير هذا المصطلح على الفكر الإسلامي أو ما يسمى العقائد والبحث في بدايات تحول مفهوم الصحبة وتبدله عبر العصور وما لهذا التحول من الأثر في تعميق الاختلاف بين المسلمين، لكن هذا الموضوع قد يطول ويكفينا أن نبحث بعض الحقول، كالحقل الشرعي والفقهي لتقودنا في المستقبل إلى استيفاء بقية الحقول، كالحقل التاريخي الذي هو أبرز المراقبين لتبدل المصطلحات وتغيرها من زمن لزمن، ومن فقيه لآخر، بل من سياق لسياق.

معجم الصحابة:

وسيتبع هذا العمل النظري أو النظرية التي بسطناها في هذا المجلد عمل تطبيقي في مجلد لاحق بعنوان (معجم الصحابة) نثبت فيه تراجم كل الصحابة أصحاب الصحبة الشرعية من المهاجرين والأنصار ومن في حكمهم، وحتى يظهر ذلك المجلد أقول للقاريء الكريم : كل صحابي لا تجد إسلامه إلا بعد الحديبية فليس من أصحاب الصحبة الشرعية، وكل صحابي ساءت سيرته فليس منهم ولو شهد بدراً، وهذا من حيث الواقع السني معروف، إلا أنهم يكابرون في النظرية من باب الخصومة والمذهبية فقط، وإلا فهم يجمعون على أن معتب بن قشير الأنصاري (بدري)[6] وهم أنفسهم يجمعون على أنه (منافق)[7]، وهذا يبطل كل المزايدات التي يزايدونها في الدفاع عن الطلقاء، فلو كانوا جادين في الدفاع عن الصحابة لدافعوا عن أهل بدر

---

[6] ذكره في أهل بدر كل من ترجمه من أصحاب المغازي والسير والتراجم (وقد أفردته بترجمة).

[7] قال ابن تيمية هو معدود في المنافقين (انظر الصارم المسلول ص ٢٣٨) وكذا الاتهام موجود في كتب الوهابية العقدية مثل تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ص ٥٠٨)، مع أن أتباع ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب هم من أشد المدافعين عن ظلمة الطلقاء والمبدّعين للمسلمين بسبب الطلقاء بحجة أنهم صحابة، فليبرئوا البدريين أولاً حتى نقتنع بأن دفاعهم عن الطلقاء إنما هو محبة لرسول الله!

وبرؤوهم من النفاق بدلاً من أن يعاندوا النصوص المتواترة في تبرئة معاوية من البغي والدعوة إلى النار وتبديل السنن، فهذه الجرائم إذا صدرت من أحد الطلقاء كمعاوية فليست أفحش من صدور النفاق عن أحد البدريين، ونحن هنا لا نبريء معتب بن قشير ولا نتهمه، وإنما نقول إن هؤلاء المتحمسين أجمعوا على صحبته ونفاقه! بل على بدريته ونفاقه! وعلى هذا التناقض الفج – حسب نظريتهم- فلا يجوز لهم التبرع بالدفاع عن معاوية وأمثاله من صنّاع العقائد والسياسة، بل لا يحق لهم الزمجرة في الدفاع عن أبي بكر وعمر مادام أنهم قد أبطلوا نظريتهم باتهام بعض أهل بدر بالنفاق! وضاع ذلك الحديث الذي يرددون، وبطل ذلك التعميم الذي كفروا به الأمم وشمخوا به عن كل تحقيق.

وأخيراً: أشكر كل الأخوة الذين أبلغوني ببعض الإضافات والملحوظات وشاركوا في إثراء هذا البحث حتى صدوره في هذا الكتاب[٨] كما أن الرجاء موصول لكل الأخوة أن يقرأوا هذا البحث قراءة منصفة بعيدة عن المجاملة أو التحامل قريبة من فهم المضمون مع إثراء الفكرة بالنقد والإضافة وإرسال الإضافات والملحوظات على العنوان المبين آخر الكتاب.

كما أحب أن أشير إلى أن بعض الكتب صدرت في الرد على هذا الكتاب من ذلك التيار الذي لا يبصر دليلاً ولا يتدبر حجة، كالشيخ عبد المحسن بن العباد وابنه الدكتور عبد الرزاق، وقد نشط التيار الأموي في نشر ماكتباه وتوزيعه بالمجان! وكان لهم الفضل في نشر كتبي داخل المجتمع السعودي بعد منعها من وزارة الإعلام بتحريض من هؤلاء أيضاً! فهم يمنعون من جانب وينشرون من جانب! ثم يردون على ما ينشرون، فيعلق ما ينشرونه في عقول الأذكياء، وتبقى أقوالهم مفترشة ألسنة الأغبياء، ولم يزد هو ولا ابنه ولا مقلدوه على أن نشروا آراءهم المتلبسة بالجهل العلمي! من النصب والمنافحة عن ظلمة الطلقاء وإلقاء الشتائم على المخالف كالعادة، وقد توسعت في الرد عليه وعلى غيره في كتابين الأول: (الشلل السلفي – لم يكتمل) والآخر: (دجاجلة الحنابلة – لم يكتمل أيضاً)[٩]، ومع أني لا أريد أن أشغل نفسي بالردود على

---

[٨] كنت قد خصصت في الطبعة الأولى بعض الأسماء، منهم زميلي الأستاذ ماجد الحجيلان (إضافات وتصحيحات لغوية) والدكتور عبد الله الحامد والشيخ عبد الرحمن الحكمي والأخ عبد الله بن بجاد العتيبي، والسيد عبد الله محمد إسماعيل وغيرهم .. أما في هذه الطبعة فهم كثير، لذلك أكتفي بالدعاء لهم بكل خير، وأزجي لهم كل شكر، لأن سرد أسمائهم يطول، وأبقي الشكر لأصحاب الدراسات المعاصرة الذين استفدت من أبحاثهم في هذا الموضوع كالدكتورة حياة عمامو في رسالتها عن (أصحاب محمد) والدكتور عبد الكريم النملة في كتابه (مخالفة الصحابي) والدكتور عمر الأشقر (في تحقيقه لكتاب العلائي : منيف الرتبة) وغيرهم.

[٩] وهذا مخصص في بعض الحنابلة الدجاجلة وليس كل الحنابلة، وهذا الوصف القاسي إنما هو رد للسيئة بمثلها، فهؤلاء الدجاجلة كالشيخ عبد المحسن العباد البدر (الشيخ العجوز) وعبد العزيز الراجحي (المزور أصله) وسليمان الخراشي (الأحمق المطاع) وناصر الفهد (ولي كتاب في الرد عليه ما أخر طباعته إلا

هؤلاء، إلا أن الرد عليه وبيان جهله وتعصبه ونصبه فيه إصلاح لقلوب من شاء الله لهم الهداية ممن اغتر بمناصبه وظنها دليلاً على العلم! مع أن التخلص من عبادة الرأي السائد من أصعب الأمور، فلا أتوقع أن يهتدي الكثير، لأنه لا يهتدي إلا من وظّف عقله في الفهم، أما الصم البكم العمي- وهم الكثرة – فلن يهتدوا حتى لو زارهم الأنبياء في بيوتهم، وحتى لو جاءت الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآَيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٨١) [النمل])/ والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله وآله الطيبين ورضي الله عن المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان.

كتب:

حسن بن فرحان المالكي

الرياض، ٧/١٠/١٤٢٠هـ / ١٣/ ١/ ٢٠٠٠م

وتم تحديث البحث :

في شهري ٤-٥ من عام ١٤٣١هـ / والشهر الخامس من عام ٢٠١٠م (حي طويق – الرياض)

لكون الفهد في السجن بتهمة الحرابة)! وسليمان العلوان (المغرور على لا شيء، وقد طبع) وسليمان العودة (الواعظ الكاذب، وهو غير سلمان العودة)، وربيع مدخلي (وهذا باحث في الحديث أحترمه رغم غلوه) والشيخ ناصر العقل (وهو أكثرهم تهذيباً وعقلاً ولولا طاعته للتيار لما ردّ عليّ)، وصالح الفوزان (الخصم اللدود) وتلك الشلة وأضعافها من الغلاة الدجالين – باستثناء الشيخ ناصر العقل- لم يبقوا شتيمة ولا تهمة إلا وقالوها في حقي وحق غيري ممن لهم عقول وضمائر ولا يعبدون المذهب، وعلى هذا فلا بأس من رد سيئاتهم الكاذبة بسيئة صادقة! وإن كان الأولى العفو والإصلاح، قال تعالى: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ [الشورى/٤٠]) وهؤلاء الدجاجلة المعاصرون لهم من سبقهم إلى هذا الدجل في حق الله فضلاً عن عباد الله، حتى زعم بعض سلفهم من الدجالين : أن الله على هيئة شاب أمرد جعد قطط، وزعم بعضهم أن الله مخلوق من عرق الخيل، وزعم آخرون أن الله يحب الظالمين ويرضى عن الفاسقين، فهذا وأضعافه من دجلهم في حق الله فكيف بحق رسوله وحق الصالحين من الأمة، أما نحن فلا نرى أنفسنا في منزلة الصالحين حتى نقول إننا ابتلينا بهؤلاء كابتلاء الصالحين بهم، وإنما نقول إنما أصابنا بعض ذنوبنا، وكل ما يجري لنا من اضطهاد أو تشنيع أو تضافر من الغوغاء ؛ فإنما هو ابتلاء يسير نسأل الله أن يعظم لنا فيه الأجر، ويقبل منا هذا اليسير من الصبر والثبات وتقديم الله ورسوله على ما سواهما.

الفصل الأول:

مفهوم الصحبة

المبحث الأول:

مفهوم الصحبة في اللغة والعرف والاصطلاح

أولاً: مفهوم الصحبة في اللغة-*

الأصل أن الصحبة لغةً تعني الملازمة والمخالطة والمعاشرة، ولكن قد تطلق الصحبة من حيث اللغة مجازاً على من لم يلازم، بل إنها تطلق على العدو والمقاتل والشاتم ونحو ذلك، وكل هذا جائز لغوياً، إما على سبيل المجاز أو للتشابه في صفة ما أو للاشتراك في شيء ما.

مفهوم الصحبة في اللغة على مستويات كثيرة أوسعها مجرد الاشتراك في صفة ما أو حالة ما أو ما يطلق عليه في التعبير الرياضي (مجال العلاقة) ولو كانت العلاقة عداوة أو خصومة ولا ريب أن ألصق معاني الصحبة من حيث اللغة هي الملازمة والمخالطة.

إذن فالأصل في اللغة أنه عندما تقول إن فلاناً صاحبَ فلاناً؛ يعني أنه لازمه، أو خالطه، أو عاشره، أو ماشاه أو نحو هذا، ولو كان قدراً قليلاً من الصحبة، بخلاف العرف كما سيأتي، إذ العرف لا يطلق الصحبة إلا على طول الملازمة، بحيث يصح أن يقال فلان صاحب لفلان، فالعرف أخص من اللغة، ولا يدخل فيه المجاز.

فاللغة تجيز اشتقاق (صاحب) من (صحب) ولو كانت الصحبة قليلة، كما تجيز أيضاً إطلاق (صاحب) على من لم يصاحب مجازاً، ومن ذلك قوله "صلى الله عليه وآله وسلم" لزوجاته: (أنتن صواحب يوسف)[١٠]، ويجوز لغة إطلاق الصاحب على من لا يتفق اعتقاداً، (أو ملة) مع المصحوب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ [١١]، فالخطاب هنا موجه للكفار، وقد جعل اللهُ النبيَّ "صلى الله عليه وآله وسلم" صاحبهم، بالمعنى اللغوي المجازي فقط.

ويجوز لغة إطلاق صحبة الحي للميت كقوله تعالى: ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة﴾[١٢]، كذلك قوله تعالى: ﴿..أصحاب الرس﴾ [١٣]، ﴿أصحاب الأيكة..﴾ [١٤] كل هذا تحتمله اللغة.

* قدمت مفهوم الصحبة في اللغة والعرف والاصطلاح جرياً على العادة وإلا فالأولى أن نقدم مفهوم الصحبة في النصوص الشرعية ثم نذكر أهل اللغة والاصطلاح، لكن التقدم كان للسبب السابق إضافة إلى أنني أريد مناقشة تلك الاستدلالات اللغوية والاصطلاحية حتى نخلص للأدلة الشرعية ونحن على يقين أن اللغة والاصطلاح فيهما من الخصوص والعموم ما لا يمنع من تحديد الصحبة الشرعية وفصلها عن الصحبة العامة.

[١٠] صحيح البخاري– كتاب الأذان.

[١١] سورة التكوير:٢٢.

[١٢] سورة العنكبوت:١٥.

[١٣] سورة الفرقان:٣٨.

كما يجوز لغة إطلاق صحبة الكافر للمؤمن والعكس كقوله تعالى: ﴿إذ قال لصاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً..﴾ [١٥] فهنا إضافة صحبة المؤمن إلى كافر، وعلى هذا فلا تفيد كلمة (صاحب) مدحاً دائماً كما يظن كثير من الناس كما لا تفيد ذما فهي من الناحية اللغوية كلمة محايدة وقد تكون الصحبة صحبة حسنة فقد تكون صحبة سيئة.

فيجوز لغة أن تقول فلان حسن الصحبة، وفلان سيئ الصحبة، فليست الصحبة مقصورة على المدح ؛ كما في قوله تعالى: ﴿... فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً ﴾[١٦]،

ويجوز لغة إطلاق الصاحب على العدو اللدود، كقوله: "صلى الله عليه وآله وسلم": (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار)، فلما سألوه: هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: (إنه كان حريصا على قتل صاحبه)[١٧].

فنلحظ أنه سمى المتقاتلين أصحاباً مع وصول الخلاف إلى السيف والقتال، لكن اللغة تحتمل هذا للاشتراك في أمر ما، وعلى هذا فلا حجة لمن اعتمد على مطلق اللغة في إثبات شرعية صحبة من لم يكن صاحبا صحبة شرعية كما سيأتي.

ويجوز لغة إطلاق الصاحب على من لم يعرفه صاحبه، كقوله في الحديث: (..إذا وجد أحدكم عصا صاحبه فليرددها عليه) [١٨].

ويجوز لغة القول بصحبة المنافقين للنبي "صلى الله عليه وآله وسلم"؛ كما في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) "في أصحابي اثني عشر منافقاً.." وكما جاء التصريح بذلك أيضاً في قصة المنافق عبد الله بن أبي عندما طلب بعض الصحابة من النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أن يقتل عبد الله بن أبي، فلم يقبل النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، وذكر لهم السبب وهو: (حتى لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه) [١٩].

فعبد الله بن أبي من أصحاب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، لكن صحبته ليست صحبة شرعية، وإنما صحبة مرجعها مطلق اللغة للاشتراك في مجرد التصاحب، حتى لو لم يكن هناك إيمان واتباع، وهكذا

---

[١٤] سورة ق: ١٤.

[١٥] سورة الكهف:٣٧.

[١٦] سورة الكهف: ٣٤.

[١٧] صحيح البخاري- كتاب الإيمان.

[١٨] مسند أحمد- حديث رقم- ١٧٢٦١.

[١٩] صحيح البخاري- كتاب تفسير القرآن، أما الحديث الأول فهو في صحيح مسلم وسيأتي.

فالصحبة من حيث اللغة واسعة جداً، مع أن اللغة عمدة من أثبت صحبة (كل من لقي النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أو رآه من المسلمين).

ولكنهم تناقضوا فأخرجوا المنافقين والكفار من الصحبة بالشرع لا باللغة فتأمل!؛ مع أن اللغة لا تخرجهم لأنه يجوز لغة أن أقول صحبت فلاناً الكافر من بلدة كذا إلى بلدة كذا، وصحبت فلاناً المنافق وصحبت فلاناً اليهودي وهكذا، ولكن هؤلاء أخرجوا صحبة الكافر والمنافق واليهودي من صحبة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"؛ لأنهم يريدون الصحبة المستحقة للمدح (الصحبة الشرعية)،

وإذا كان الشرع لا اللغة هو الذي يحدد معنى الصحبة فلماذا ننكر على جمهور الأصوليين (الفقهاء) إخراجهم صحبة بعض من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" المسلمين بالشرع أيضاً؟ خصوصاً أن أدلة هؤلاء الأصوليين أقوى وأصرح.

فإن كان المتوسعون في الصحبة محتجين باللغة فاللغة أيضاً تدخل الكفار والمنافقين وغير المعاصرين في الصحبة، وإن كانوا محتجين بالشرع في إخراج هؤلاء فغيرهم يحتج بالشرع في إخراج أناس آخرين أيضاً، فتبين أن احتجاجهم باللغة فقط قد أوقعهم في حرج شديد كما سبق من إدخال غير المسلمين في الصحبة فضلاً عن المتسمين بالإسلام، فاللغة تحتمل كل هذا فيلزمهم –من حيث اللغة– إدخال هؤلاء في صحابة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، وهذا ما لا يقرون به.

وإن قالوا: لكننا نخرج المنافقين والكفار بالشرع.

قيل لهم: النصوص الشرعية أيضاً تخرج الذين أسلموا بعد الحديبية من الصحبة على الراجح وتخرج المسلمين بعد فتح مكة بأدلة أوضح وأصرح، فإما أن تحتجوا باللغة مطلقاً في التعريف، أو تتركوا الاحتجاج بها عند معارضتها للنصوص الشرعية، إذن فالمتوسعون في إطلاق الصحبة على كل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ليسوا معذورين في التعلق بمطلق اللغة، لكن لا عذر لنا في ترك الاحتجاج بالنصوص الشرعية.

ولو احتججنا باللغة دون الشرع لما وجبت علينا أركان الإسلام بعد الشهادتين؛ لأنه بقليل من الدعاء يمكننا أن نقول إننا قد صلينا؛ لأن الصلاة في اللغة تعني الدعاء ؛ وهكذا الإيمان فإنه بقليل من التصديق نستطيع أن نقول: إننا مؤمنون؛ لأن الإيمان لغة يعني التصديق.

والغريب أن الأخوة من غلاة السلفيين والحنابلة ينكرون على الحنفية تعريفهم للإيمان بأنه التصديق؛ لأنهم –في نظرهم– أهملوا بهذا التعريف النصوص الشرعية في بيان الإيمان ومعرفة حده، بينما يقعون هنا في الخطأ نفسه عندما يعتمدون على مطلق اللغة في تعريف الصحبة ويغفلون الأدلة الشرعية المخصصة للصحبة.

إذن فالنصوص هي التي تحدد معنى الصحبة الشرعية، وليس اللغة؛ لما سبق من المحاذير والإشكالات والإلزامات المحرجة ومن أبرزها دخول الكفار والمنافقين في جملة الصحابة إن اعتمدنا على اللغة وحدها في تعريف الصحابي والصحبة.

إضافة إلى أنه من الناحية اللغوية نجد ألفاظ الاتفاق والانقياد والحب والاحتذاء والاقتداء ونحوها أفضل دلالة من لفظ الصحبة لوضوح دلالتها وتحديده بعكس لفظ (الصحبة) واسع المعنى، أو القابل لتعدد المعاني واختلافها.

ثانياً: مفهوم الصحبة في العرف-*

مفهوم الصحبة في العرف –وهو ما تعارف الناس عليه– أضيق من المفهوم اللغوي الواسع للصحبة.

ولو توجهت لأي فرد من العوام – فضلاً عن الخاصة– وسألناه: من هم أصحابك؟

فلن يسمي لنا كل من لقيه أو رآه ولكن سيذكر لنا بعض الناس ممن يختص بمخالطته وصداقته ونحو ذلك، إذن فهذا هو المفهوم (العرفي) للصحبة، فإذا كانت اللغة تجيز اشتقاق اسم الفاعل (عادل) من الفعل (عدل) فإن العرف لا يطلق كلمة (عادل) إلا على من غلب عليه العدل على أقل تقدير فالعرف يضيق ما قد توسعه اللغة أو تحتمله.

ولعل أكثر الأصوليين (الفقهاء) في تعريفهم للصحابي والصحبة قد راعوا الجانب العرفي في تحديد هذا المفهوم بعكس كثير من أهل الحديث الذين توسعوا في المصطلح استئناساً باللغة؛ ولأن وظيفتهم في نقل الأحاديث والأخبار – من اتصال الأسانيد– حددت مصطلحهم في تعريف الصحابي.

وعلى هذا فلا يجوز عرفاً أن تقول: (فلان صاحب النبي صلى الله عليه وسلم) أو فلان (من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) إلا إذا كان ذلك الصاحب معروفاً بملازمة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ومخالطته مدة يصح بعدها هذا الإطلاق.

والعرف لا يعتبر الصحبة المجردة عن الملازمة والمخالطة المستلزمة لصحة الإطلاق.

وبما أن العرف يقضي على اللغة (أي يحكم عليها) فإن حجة أهل الحديث تكون أضعف من حجة الأصوليين.

وقد ذكر ابن تيمية (٧٢٨هـــ): (أن القياس في مذهب أحمد بن حنبل وأصوله أن ما لم يقدره الشارع (القرآن الكريم أو السنة) فإنه يرجع فيه إلى العرف)، والألفاظ التي يستخدمها المسلمون منها ما حدده العرف كالبيع والنكاح ومنها ما حددته اللغة كالشمس والقمر ومنها ما حدده الشرع كالصلاة والزكاة والإيمان...الخ، والعرف المعتبر هو ما اتفق مع النصوص وليس ما صادمها.

---

* يبتعد كثير من الباحثين عن طرق موضوع العرف لصعوبته ولعدم وجود معايير واضحة لضبط العرف وهذا الابتعاد ليس لضعف دليل العرف وإنما للجوء الناس إلى الراحة والدعة وخشيتهم من مصاعب الأمور، وهذا (الهروب) كان له أثر في انتشار التقليد واختيار الأسهل دائماً فإذا حاول الفرد أن يجدد يجد الهمم ضعيفة، ولذلك تميل الجماهير ممن يسمون (طلبة العلم) مع من يعطيهم الحلول التقليدية السهلة عليهم، كما سيأتي عند ذكرنا أسباب انتشار تعريف أهل الحديث المتأخرين للصحبة.

إذن فالخلاصة هنا: أن العرف لا يجيز لنا أن نطلق الصحبة على من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أو لقيه من المسلمين فقولنا: (فلان صاحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم) يستلزم (عرفاً) طول ملازمة ومخالطة، ومن أطلق هذا على من لم يُطِل المصاحبة فقد خالف العرف وإن جاز هذا لغة.

ثالثاً: مفهوم الصحبة في الاصطلاح

المقصود بالاصطلاح هنا ما اصطلح عليه علماء المسلمين سواءً كانوا محدثين أو فقهاء (أصوليين)...الخ.

فنحن هنا نتساءل هل اتفق العلماء المتقدمون على تعريف محدد للصحبة أم أنهم اختلفوا؟! وإذا اختلفوا فما درجة هذا الاختلاف وما طبيعته؟ وما الحق فيه؟ رغم أننا لا نبحث هنا إلا في المذهب السني فقط، مع أن الأكمل هو بحث المصطلح في جميع المذاهب الإسلامية إلا أن الثراء داخل المذهب السني قد يغني عن كثير من البحث والتفتيش في المذاهب الأخرى، ولكن البلاء في المنتسبين الذين يضيقون واسعاً فيختارون قولاً واحداً لبعض المذاهب السنية وربما لبعض العلماء ثم يحاولون أن يأطروا الناس عليه بالتبديع والتضليل والتشكيك، وهذا جهل، لكن هذا الجهل يسير على أربع كالجنازة بسبب الدعم السياسي والتعليمي والمالي من السلطات لهذا الفكر، فلذلك تسبق هذه الجنازة كل السائرين.

المذاهب الاصطلاحية:

من حيث الاصطلاح هناك سبعة مذاهب سنية في تعريف الصاحب والصحابي، وليس هناك مذهب واحد كما يريد هؤلاء أن يشيعوا بين العامة، ولعل أفضل دراسة استعرضتها هي دراسة الدكتور عبد الكريم النملة في كتابه (مخالفة الصحابي) وقد مال إلى تعريف الأصوليين (الفقهاء) الذين لا يكتفون بمجرد اللقيا والسماع، وهم ستة مذاهب من السبعة!

ويمكن رد وإرجاع هذه المذاهب إلى مذهبين رئيسين:

المذهب الأول في تعريف الصحبة :

هذا المذهب لا يرى أصحابه الرؤية ولا اللقيا كافيتين لإثبات صحبة الصحابي (وهذا المذهب فيه عدة مذاهب في بيان حد الصحبة).

المذهب الثاني في تعريف الصحبة: يكتفي بمجرد الرؤية أو اللقيا في إثبات صحبة الصحابي[٢٠].

(انظر تفصيل أقوال المذهبين في الملاحق)

الخلاصة في الاصطلاح:

إذن فالعلماء من محدّثين وفقهاء مختلفون في تحديد التعريف الجامع المانع للصحابي وإن كان أكثرهم لا يعتبر الرؤية واللقيا دليلاً على الصحبة الشرعية وإن اعتبرها كثير منهم دليلاً على ثبوت الصحبة التي يصح بها نقل الأحاديث عن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ، كما أن أكثرهم يستثني من ساءت سيرته ويخرجه من الصحبة بالمعنى الشرعي.

والذي توصلت إليه في هذا الأمر بعد بحث مفهوم الصحبة في القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار الصحابة والتابعين: أن الصحبة الشرعية خاصة بالمهاجرين والأنصار ومن في حكمهم كما سيأتي مفصلاً.

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أننا لا ننكر تعريف المحدّثين إذا كان الهدف منه اصطلاحاً خاصاً وظيفته معرفة اتصال الإسناد من عدمه، فنحن عندما ندرس الأسانيد يجوز لنا أن نقول: فلان صحابي، ولو لم يكن من الصحابة صحبة شرعية، بشرط أن يعلم القارئ أن هذا اصطلاح خاص، له وظيفته المحددة، ولعل أكثر المحدّثين على هذا، فهم لم يريدوا من تعريفهم الصحابي إلا معرفة هذا وإلا فهم الذين نفوا صحبة من أثبتوا لقياه ورؤيته للنبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وهم الذين ذموا مظالم أمثال الوليد بن عقبة وبسر والحكم وأمثالهم ورووها لنا.

فالمحدثون هنا محقون في تعريف الصحابي حسب وظيفتهم الدائرة حول الرؤية واللقيا، والأصوليون محقون في تعريفهم المتفق مع وظيفتهم الدائرة حول العلم والفضل والاختصاص.

ولكن المجانبين للصواب والمجانين في الاعتقاد هم الذين أخذوا التعريف الأول بخصائص التعريف الثاني وأنـــزلوه على كل فرد رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" من أهل القبلة ليمنعوا به الباحثين من نقد السلبيات في سيرة بعض هؤلاء وأثرها السلبي على التاريخ الفكري والسياسي عند المسلمين.

---

[٢٠] وهؤلاء حدهم في تعريف الصحبة واضح ويسير فمن ثبتت رؤيته أو لقياه النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وهو مسلم فهو صحابي، وهذا الوضوح والسهولة والسطحية كان من الأسباب المباشرة في انتشار هذا المذهب فالناس يلجئون للأسهل والأيسر ويبتعدون عن الأمور التي يصعب حسمها أو تحديدها وإن كانت أكثر علمية فانتشار الأسهل لا يعني صحته، وإنما يعني ضمور البحث العلمي وتطبيقاته عند المسلمين، هذا الضمور هو الذي سبب إشكالات علمية في العصور المتأخرة، وأدى إلى تعميق الاختلاف والنـــزاع بين طوائف المسلمين.

وهذه الأقوال والمذاهب إنما هي في تعريف الصحابي، أما المذاهب في عدالة الصحابة وهل العدالة للمجموع أم لأغلب الأفراد؟ أم لكل فرد؟ وما حد العدالة؟ فليس هنا محل ذكرها واستقصائها، وسيكون للعدالة تفصيل آخر يتبع، أما هذا المبحث فهو في بيان حد الصحابي وليس في بيان حد العدالة[٢١].

وأخيراً:

فما سبق كان عرضاً لمفهوم الصحبة في اللغة والعرف والاصطلاح ويبقى البحث الأهم والحاكم بين تلك الاختلافات هو مفهوم الصحبة في النصوص الشرعية من قرآن وسنة، فهذا المفهوم هو الفيصل الذي يجب أن يتحاكم إليه المختلفون عند التنازع من باب قوله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾.

---

(٢١) الأقوال في حد العدالة ستأتي في مبحث العدالة.

المبحث الثاني:

مفهوم الصحبة في النصوص الشرعية

تمهيد

النصوص الشرعية عندنا ليست إلا نصوص القرآن الكريم وما صح من نصوص السنة النبوية — مع تباين في وجهات النظر في ثبوت كثير من الأحاديث بين متشدد ومتساهل- وسنذكر بعض أقوال الصحابة وكبار التابعين من باب القرائن المصاحبة للأدلة الشرعية ومن باب الاستئناس أيضاً.

واقتصار التعريف الشرعي لمصطلح الصحبة على المهاجرين والأنصار ومن في حكمهم —كما سيأتي- له فوائد لعل من أبرزها أن هؤلاء (الصحابة) هم أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حقاً الذين قام عليهم الدين وهم الذين كانوا أقرب الناس تطبيقاً لتعاليم الإسلام وهم الذين يصح أن يطلق عليهم (مدرسة النبوة).

وهذه الصحبة الشرعية هي الصحبة التي يذهب إليها العلماء المتقدمون تقريباً يدل على ذلك قول ابن عبد البر عندما نفى عاصم الأحول صحبة عبد الله بن سرجس فقال ابن عبد البر (٤٦٣هـ): (لا يختلفون في ذكر عبد الله بن سرجس في الصحابة ويقولون: له صحبة على مذهبهم في اللقيا والرؤية والسماع وأما عاصم الأحول فأحسبه أراد الصحبة التي يذهب إليها العلماء وأولئك قليل)[٢٢].

أقول: وهذا اعتراف من الحافظ ابن عبد البر بأن العلماء ـــ في الماضي ـــ لم يكونوا يعتبرون حصول اللقيا والرؤية والسماع كافياً لإثبات الصحبة وإنما كانوا يذهبون إلى معنى الصحبة الشرعية الخاصة وهي التي كان (يذهب إليها العلماء) فتأمل!! وكأن العلم تناقص حتى أصبح الناس يطلقون الصحبة على من لم يصحب و لم تطل منه الملازمة وعلى من لم يعرف عنه الجهاد والإنفاق وحسن السيرة، ولا ريب أن هؤلاء —الصحابة صحبة شرعية- قليل كما ذكر ابن عبدالبر فالمهاجرون والأنصار قلة نسبة إلى عشرات الألوف من غيرهم.

إذن فأصحاب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" —الصحبة الشرعية- ليسوا إلا المهاجرين والأنصار ومن يدخل في حكمهم؛ ممن أسلم قديماً في العهد المكي ثم عاد إلى بلاده بإذن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، أو استشهد، أو هاجر إلى الحبشة و لم يعد إلا بعد الحديبية، كما يدخل فيهم من جعل النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" له الهجرة في دياره كوفد مزينة وكذا قبيلة أسلم من أسلم منهم قبل الرضوان و لم يهاجر،

---

[٢٢] انظر ترجمة عبد الله بن سرجس في الاستيعاب ٩١٦/٣ طبعة البجاوي.

لثبوت هذا بأدلة خاصة، كما يدخل في حكمهم نساء المهاجرين اللاتي هاجرن معهم، وكذلك مواليهم المسلمين الذين شاركوهم في الإسلام والهجرة... وأمثال هؤلاء وكذلك يدخل نساء الأنصار ومواليهم وحلفاؤهم المسلمون بالبوادي القريبة منهم — وقد يخرج بعض هؤلاء من الصحبة الشرعية بدليل خاص- .

فهذا أسلم تعريف لأصحاب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" حتى لا يساء لمقام النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بإضافة من ليس على منهجه إليه ممن أساء السيرة من الظلمة والفساق والمضطربين في السيرة، إضافة إلى أن هذه الصحبة الشرعية هي التي كان فيها النصرة والتمكين في أيام الضعف والذلة، وهي الصحبة الممدوحة في القرآن الكريم والسنة النبوية، بمعنى أن كل آيات الثناء في موضوع الصحبة كان الثناء فيها منصباً على المهاجرين والأنصار فقط، وليس هناك مدح عام لمن كان مع النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" إلا وهو منصرف لهؤلاء لا لغيرهم، وذلك للأدلة الآتي ذكرها مع أن من جاء بعدهم يوجد فيهم فضلاء مثلما يوجد فضلاء على مر الأزمان والعصور، لكن الثناء في القرآن الكريم والسنة النبوية ليس منصرفاً إلا للمهاجرين والأنصار، يعرف ذلك بمعرفة وقت نـــزول الآيات وألفاظها ويعرف ذلك بمناسبات الأحاديث وزمنها وتفسير بعضها بعضاً.

وعلى هذا فلا يدخل في الصحابة خالد بن الوليد رضي الله عنه وطبقته كعمرو بن العاص وعثمان بن أبي طلحة ولا يدخل من بعدهم كالعباس بن عبد المطلب وأبي سفيان بن الحارث رضي الله عنهما، ومن باب أولى ألا يدخل من أسلم بعد هؤلاء كالطلقاء من قريش، والعتقاء من ثقيف، والأعراب، والوفود، ولا أبناء الصحابة الصغار الذين رأوا النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أطفالاً و لم يشهدوا شيئاً من الأحداث، وقد يفضل بعضهم على بعض الصحابة بدليل خاص.

ولكن هؤلاء كلهم (الطلقاء والأعراب والوفود والأطفال...) ليسوا من الصحابة بالمعنى الشرعي، وإن جاز دخولهم في الصحبة العامة في الجملة على الاعتبار اللغوي، أما من حيث الشرع فيطلق عليهم التابعون، ولا يطلق عليهم صحابة، كما في قوله تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه...)[٢٣] فتأمل!!.

وسنسرد نصوصاً شرعية (قرآنية وحديثية)، ثم نلحق بها آثاراً عن الصحابة والتابعين توضح المقصود بالصحبة الشرعية، وهذه الأدلة تتفاوت من حيث صراحة الدلالة وصحة الثبوت وهي تفيد قصر الصحبة

---

[٢٣] بل حتى في الآية اقتصار على السابقين من المهاجرين والسابقين من الأنصار وهذا أخص من عموم المهاجرين والأنصار، ولكننا أدخلنا بقية المهاجرين والأنصار في الصحبة لأدلة أخرى ولاحتمال كون (من) في الآية بيانية لا تبعيضية وإن كان صفوة الصحابة هم السابقون فقط من هؤلاء وهؤلاء.

بالمعنى الخاص أو الشرعي على المهاجرين والأنصار، كما هو واضح في الآيات الكريمة وفي السنة النبوية ثم في بعض أقوال الصحابة والتابعين، وعند الاختلاف سنلجأ للدليل الأقوى فالأقوى[٢٤] كما سيأتي.

وسنقسم النصوص الشرعية في بيان حد الصحبة إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: النصوص القرآنية في الصحبة.

القسم الثاني: النصوص الحديثية في الصحبة.

ونلحق بهما قسماً ثالثاً لا يصح أن يقال فيه بالشرعية وهو:

(آثار الصحابة والتابعين) في الصحبة.

فهذا القسم الثالث نستأنس به في تفسير وتدعيم النصوص الشرعية، لكن لا يصلح دليلاً مستقلاً.

[٢٤] الغريب أن بعض الناس يبالغ في الاستدلال بأدلة ضعيفة الثبوت أو الدلالة بينما يرد دلالة آيات كريمة، مع أنه ليس من مهمتنا أن نرد على كل الشبه الضعيفة التي تعرض للبعض وإذا كان هذا واجباً فيجب على الطرف الآخر أيضاً أن يرد على دلالات الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة أما أن يلزم هؤلاء الطرف المخالف لهم بالنظر في أدلتهم على ضعفها بينما هم لا ينظرون في أدلة مخالفيهم على قوتها فهذا خلاف المنهج العلمي الذي يعرض كل الأدلة ثم يقدم الأقوى فالأقوى.

فأصحاب الرأي الآخر -في تعريف الصحبة- يركزون على المدلول اللغوي لكلمة (صحب) وعلى تعريف بعض المحدّثين وعلى أقوال لبعض التابعين ونحو ذلك، ويتركون الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة بلا إجابة على دلالالتها التي تقصر الصحابة على المهاجرين والأنصار ومن في حكمهم.

أولاً: مفهوم الصحبة في القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو كتاب هداية لمن يتدبره، وكتاب إضلال للمتكبرين والمتعصبين والظالمين (والعصبية فرع من فروع الكبر وكذلك الظلم، فالكبر أول المعاصي ومنه تتفرع الذنوب)، قال تعالى متحدثاً عن القرآن الكريم: ((وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآَنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) [الإسراء/٨٢]) فالظالم والمتكبر والمتعصب لا يستفيد من القرآن إلا مزيداً من البعد عنه والخسران في التعسف في الاستدلال به دون تدبر ولا احترام، وهؤلاء الذين يعتسفون الأدلة القرآنية والحديثية في نصرة مذهب من المذاهب أو رأي من الآراء لا يحترمون القرآن الكريم، ولا يرون فيه إلا نصيراً للظلمة وظهيراً للفجرة وإلزاماً لرب العزة بالعفو عن المنافقين والدفاع عن الظالمين والرضا عن الفاسقين، هذه إهانة لكتاب الله، وهذا من الخسران المبين.

القرآن الكريم يحتاج منا إلى أدب تعلم وتدبر قبل تلاوته والاستدلال به.. وأن يأتي إليه المؤمن متعلماً لا معلماً، وهؤلاء الغلاة الذين يستدلون بالقرآن الكريم – بتعسف – على أن الله قد شمل الظالمين بالوعد بالحسنى، وشمل الفاسقين بالرضا التام، هؤلاء يهينون القرآن الكريم بجعله خادماً للظالمين، ولا يحترمون القرآن الكريم، ولا يتلونه حق تلاوته، وقد دلنا القرآن على آداب تلاوته وأن الواجب قبل قراءته أن يستعيذ القاريء من الشيطان الرجيم وأن يقرأه على مكث ولا يعجل بقراءته وأن يحذر مجاملة المجرمين ...الخ، وهذه بعض الآيات التي تعلمنا كيف نقرأ القرآن الكريم أضعها بين يدي القاريء الكريم لعل الله يرشده بها إلى الاستفادة من الآيات الكريمة التي سنعرضها لاحقاً، فلا يستدل بها في الثناء على ظالم ولا يسحبها من الدلالة على فضل تقي، وهذه نماذج من الآيات التي ترشدنا إلى كيفية التعامل مع القرآن الكريم، وبعضها يحذرنا من أن ننهج نهج من ضلوا عن السبيل بانتقاء بعض الآيات وترك البعض الآخر والتلاعب بآيات الله لأجل نصرة الآراء والمذاهب والأهواء، يقول تعالى:

١ –قال تعالى : (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآَنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ [النحل)، ولا ريب أن الشيطان يحب من المؤمنين أن يخلطوا الأمور، فيستدلون بالقرآن على فضل المجرمين (كما يفعل بعض هؤلاء) ويستدل بالقرآن الكريم على حرمان المتقين (كما يفعل آخرون)

والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، كما أن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يحب الظالمين ولا دعاة النار؛ ولا أهل البغي والعدوان، هذه الأسس لابد أن تكون في ذهن المسلم قبل أن يقرأ القرآن الكريم، ولا بد أن يستعيذ من الشيطان الذي سيحرص على تلبيس الأمر على المسلم حتى لا يهتدي والشيطان عدو مبين، قد أخبرنا الله عنه إن كان لنا سمع.

٢ -وقال تعالى (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) [المائدة] وأهل الغلو والتعصب يفعلون الفعل نفسه فإذا كان الله قد حذر رسوله (ص) فالتحذير لنا من باب أولى.

٣ -وقال تعالى : (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١) [الفرقان] وفي الآيتين إشارة إلى أن للمجرمين دور في هجر تدبر القرآن الكريم، ومكائد في صرف أتباعهم عن التدبر والتحكيم والعمل بكتاب الله، والهجر الضار هو هجر التدبر.

٤ -وقال تعالى : (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩) [الأعراف] وما أكثر ما يقول هؤلاء على الله الكذب وهم يعلمون.

٥ -وقال تعالى (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآَخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٨٦) [البقرة]، قلت: وما فعله أهل الكتاب فعلته هذه الأمة إلا من رحم ربك.. ولتفسير هذه الآية يحسن أن نتذكر حديث: لتتبعن سنن من كان قبلكم.

٦ -وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠) [البقرة] ومن أبين ما أظهره الله في القرآن الكريم أنه لا يرضى عن

الفاسقين، ولن يكون ظهيراً للمجرمين، وأنه لا يضيع أجر المحسنين..الخ، وكل وضميره والله حسيب الجميع وهو أعلم بمن اتقى.

٧ -قال تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ [البقرة] ... يضاف إلى تفسير هذه الآية حديث: لتتبعن سنن من كان قبلكم..!

٨ -وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (١٧٦) [البقرة] هذه الآيات إنذار للمسترزقين، وما أكثرهم اليوم! وبعضهم يسترزق عبر صوته أو قناته الفضائية (المستغلة) لغرائز المذاهب، ويبيع نفسه وكتاب الله من أجل حطام قليل، ولا يأخذ من القرآن الكريم إلا ما اتفق مع مصلحته، وأصبحت بعض الآيات محرمة التلاوة في قناته، وجمهور القناة (السلفيين) من سوقة وإمام، يوافقونه على استبعاد ما يرونه (غير حضاري) من آيات الله! ولو تدبر القرآن وأتقى ربه لكفاه الله هم الدنيا والآخرة ، فلعلهم إن قرءوا هذه الآيات تزجرهم إن أراد الله لهم خيراً، والله لا يعرض الهداية في كل وقت! فإن الله يضل من يشاء أيضاً! والذين يضلهم الله تكون بداية الضلالة منهم لا منه؛ وعن تعمد وتحزب وكبر ومصالح، فإذا طلبوها بألسنتهم لا بقلوبهم فلن يهتدوا إذن أبداً.

٩ -وقال تعالى : (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) [البقرة] / هذا فعل بعض أهل الكتاب، وقد سعى المسلمون سعيهم تماماً، حتى أنهم لو دخلوا جحر ضب لدخله المسلمون، ومثلما أحال أهل الكتاب أديانهم إلى كنائس لمصلحة الأحبار والرهبان فقد فعل المسلمون ما هو أبشع من ذلك، إذ جعلوا دينهم خادماً ومنافحاً عن الظالمين والمنافقين.

١٠ - (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ

لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) [المائدة/٤١] هذه فينا وفي أهل الكتاب، فالمسلمون لولا أن أصابهم داء أهل الكتاب ما كانوا أذل الأمم وأظلمها وأبعدها عن العقل والبرهان.

والآيات كثيرة جداً في هذا الباب وهي تحذير من الشيطان وأوليائه، وشفاء وحياة للقلوب التي تطلب الهداية بصدق، وأما تلك القلوب التي تظن أنها قد اهتدت وأنها ليست في حاجة إلى هداية الله، ولا إلى تدبر القرآن؛ فهذه قلوب عمياء، أعمتها النشأة والمحيط والمصالح المعنوية والمادية عن مراجعة الذات والطب الجاد للهداية، ونسأل الله ألا نكون وجميع القراء من هؤلاء.

إنني أعجب عندما أرى بعض الشيوخ يرددون (اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه) ووجوههم وأحوالهم لا تدل على صدقهم في الدعاء، وكأن هؤلاء يستهزئون بالله أو يضللون العامة، فنحن نعرف هؤلاء وإعراضهم عن الأدلة وعبادتهم الشيوخ والمصالح، ولو نزلت الملائكة صافين حولهم طالبين منهم أن يراجعوا فكرة أو يتراجعوا عن موقف فلن يفعلوا إذن أبداً، وحالهم تقول (نار مع ما ألفينا عليه آباءنا ولا جنة مع محمد)! فكيف يدعون علناً الله أن يريهم الحق وهم لا يريدونه سراً؟ وكيف يدعون الله أن يرزقهم اتباع الحق وهم يعاندونه جهراً؟ هذا اعتداء في الدعاء وغفلة كبيرة واستحكام للضلالة.

الصحابة في القرآن الكريم!:

أولاً هذا العنوان لا نؤمن به وإن ذكرناه فإننا نريد به المهاجرين والأنصار، لإن لفظ (الصحابة) لم ترد في القرآن الكريم مطلقاً، لا ذماً ولا مدحاً، مع كثرة ما نسمع من قولهم (إن الله أثنى على الصحابة في كتابه الكريم) فهذا كذب على الله، فلم يثن الله إلا على صفات كالمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان والصادقين والمجاهدين والمنفقين لأموالهم في سبيل الله ...وهكذا، وليس هناك ذكر للصحابة بالمعنى العام الذي يريدون، وإنما على أصناف لهم صفات محددة وأعمال مبينة، وعلى هذا فإذا سمعتم من يقول (إن الله أثنى على الصحابة) فاعلموا أنه إما كاذب أو جاهل إذا كان يريد كل من وصف بالصحبة، ومع ذلك فسنورد تلك الآيات التي ذكروا أنها نزلت في (الثناء على الصحابة) وننظر معناها، وهل تدل – كما يزعمون – على أن الله وعد الصحابة كلهم بالجنة؛ البر منهم والفاجر، المحسن منهم والمسيء، العادل منهم والظالم، من أحسن السيرة ومن اساءها، أم أن القرآن فصّل في هذه المسائل ولم يجعل المتقين كالفجار ولا المسلمين كالمجرمين، ومع أن هذه من البدهيات إلا أنك عندما تناقش الغلو تحتاج إلى الصبر وطول البال والبيان بعد البيان لأن التعصبات والتمذهب شكلت أكنة على القلوب، فلا ترى تلك القلوب التقييدات في

آيات الثناء، ولا الذم في آيات المقت الكبير، ولا تتأمل في السياقات ولا أزمان النزول ولا المراد من هذه الآية أو تلك، ولا حتى المعنى الظاهر للألفاظ.. ولو كان المسلمون بهذا التدبر الهادئ والإنصاف في فهم الآيات الكريمة لما افترقوا عشرات الفرق يذم بعضهم بعضاً ويكفر بعضهم بعضاً..

وقبل استعراض الآيات، نحب أن نبين أن الجذر اللغوي (صحب) في القرآن الكريم لا يستلزم المتابعة أصلاً، نعم يفهم من السياق مسألة المتابعة والاقتداء أو ضدها، وعلى هذا فالصحبة في القرآن الكريم بغض النظر عن كل مشتقات الجذر اللغوي (صحب) لها استعمالان أو مفهومان:

– مفهوم عام: لا يقتضي مدحاً ولا ذماً إلا من خلال السياق (صحبة عامة حقيقة أو مجازية).

– مفهوم خاص: يقتضي الثناء والمدح ويعرف ذلك من الألفاظ ودلالاتها وهذه هي (الصحبة الخاصة أو الشرعية) ولكن لم ترد عبر الجذر اللغوي ٠صحب) وإنما بألفاظ آخرى كالمهاجرين والأنصار والمجاهدين والمنفقين والصابرين والصادقين والذين آمنوا ..الخ، .

أما المفهوم العام للصحبة فمثال ذلك قوله تعالى: ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ فهذا لا يقتضي مدح الكفار ولا إثبات صحبتهم للنبي (ص) من الناحية الشرعية وإنما من الناحية المجازية اللغوية الواسعة، فرغم إثبات الصحبة لهم هنا لكنها صحبة اشتراك وليست صحبة امتثال واتباع.

وكذلك قوله تعالى: ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب... ﴾ | سورة الكهف، ٣٧ | ، فهذه صحبة عامة لا صحبة اتفاق، وهذه الصحبة ليست مقصودة بالمدح والثناء ولا تفيد التطابق في الملة فضلاً عن صلاح السيرة، وعلى هذا فهي عامة لا يجوز الاحتجاج بها على إثبات مدح أو ذم إلا بقرائن.

أما المفهوم الخاص للصحبة في القرآن الكريم : ومن باب التنزل بأن الآيات التي أوردوها في معنى (الصحبة) فهي تلك الصحبة التي تثني عليها الآيات الكريمة وتقيدها بصفات وعلامات وقرائن تدل على شرعيتها فمثلاً نجد القرآن الكريم يتكرر فيه الثناء على مدح الصابرين في العهد المكي الثابتين على الإسلام وتكرر الثناء في العهد المدني على المهاجرين والأنصار، وما بذلوه من إنفاق وجهاد وهجرة ونصرة وحسن اتباع وما لقوه من محن ومصاعب.

وهذا يعني أنهم هم وحدهم الصحابة المستحقون لهذا اللقب من الناحية الشرعية، بل هناك أدلة واضحة تخرج من سواهم من الصحبة وهذه النصوص نستفيد منها التحديد الدقيق للصحبة من الناحية الشرعية، ولعل أبرز النصوص الشرعية من القرآن الكريم التي تحدد مفهوم الصحبة هي:

النص الأول: من النصوص القرآنية:

وهذا النص الآتي له ميزة كونه من آخر ما نــزل في موضوع الصحابة الذين كانوا مع النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وهو قوله تعالى: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [التوبة/١١٧]).

وهذه الآية يستدل بها الغلاة في الصحابة على أن الله قد رضي عن جميع الصحابة! وهذه عجلة، قبل أن يضبطوا معنى (التوبة) ومعنى (المهاجرين) ومعنى (الأنصار) ومعنى (الإتباع) والسياق والزمن والآيات الأخرى المفسرة، والايات الأخرى في سورة التوبة التي تتحدث عن أناس ارتدوا وكانوا في جيش العسرة، ..الخ.

فالتوبة مثلاً لها عدة معان، فقد يكون معناها غفران الذنوب، وقد يكون معناها فسح المجال لمن أراد أنه يتوب كما في قوله تعالى: (ثم تاب عليهم ليتوبوا) فإن كانت التوبة بمعنى غفران الذنوب السابقة فهذه توبة منفصلة عن الذنوب اللاحقة ولا تعصم من العودة إلى الذنب كما في قوله تعالى (وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٧١) [المائدة/٧١])

وقد يكون المراد ما قاله الألوسي في تفسيره – (ج ٧ / ص ٤١٥) إذ قال: قوله تعالى (لَقَدْ تَابَ الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فِى سَاعَةِ العسرة } [التوبة : ١١٧] لا يخفى أن توبة الله سبحانه على كل من النبي عليه الصلاة والسلام ومن معه بحسب مقامه ، وذكر بعضهم أن التوبة إذا نسبت إلى العبد كانت بمعنى الرجوع من الزلات إلى الطاعات وإذا نسبت إلى الله سبحانه كانت بمعنى رجوعه إلى العباد بنعت الوصال وفتح الباب ورفع الحجاب) اهـــ

قلت: وهذا يدل عليه قوله تعالى في حق الثلاثة الذين خلفوا (ثم تاب عليهم ليتوبوا) وقد ذكر أهل التفسير كالألوسي والقرطبي أقوالاً كهذا القول منها : أي فسح لهم و لم يعجل عقابهم ليتوبوا) ذكره القرطبي في تفسيره..وقيل (تاب عليهم ليستقيموا على التوبة) ذكره البغوي في تفسيره..

ثم سورة التوبة فيها أيضاً كشف قصة الذين استهزئوا بالنبي (ص) وكانوا معه في جيش العسرة وأنزل الله فيهم (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا

<u>تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ</u> إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦)) [التوبة/٦٥-٦٧]

إذن فهؤلاء صحابة كانوا مؤمنين بنص القرآن، وكفروا بنص القرآن بعد ذلك الإيمان، وكانوا في جيش العسرة، وأنهم كانوا مجرمين، مما يدل على أن التوبة لا تشملهم، فالآية لا تشمل كل صحابي شهد تبوك هذا أمر.

أيضاً فتوبة الله على النبي (ص) تختلف عن توبته على المهاجرين والأنصار، فذكر النبي (ص) معهم إنما هو للتشريف كقوله تعالى (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول..) أو للعفو في الأذن لبعض المتخلفين (عفا الله عنك لم أذنت لهم)، بينما التوبة على المهاجرين والأنصار لها أحد المعنيين:

إما بمعنى فسح المجال إليهم ليتوبوا، أو أن التوبة بمعناها الآخر وهو المغفرة لذنوب اقترفوها في الماضي كتوليهم يوم حنين وقولهم ما لا يفعلون ونحو ذلك مما ورد في الآيات الكريمة، وعلى أي معنى من هذه المعاني، لا تشمل التوبة هذه الطلقاء ولا الأعراب لأنهم ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار كما سيأتي.

الأمر الثاني: أن هذه الآية حجة على الفريق الذي يعمم الثناء على كل الصحابة، بل هي من أصرح الآيات على أن الثناء ليس على كل الصحابة، ووجه الدلالة هنا ظاهر، فالثناء على المهاجرين والأنصار (وهم أقلية داخل مجتمع الصحابة في ذلك الوقت، إذ لا تتجاوز نسبتهم ١٥% من مجموع جيش العسرة) أي أن غزوة تبوك كانت في السنة التاسعة من الهجرة بعد العودة من حصار الطائف وكان عدد جيش المسلمين فيها ثلاثين ألفاً على أرجح الروايات، كان المهاجرون والأنصار فيهم قلة لا يتجاوز الخمسة آلاف على أبعد تقدير، فالطلقاء والأعراب ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار بالإجماع إلا من استقر بالمدينة قبل الحديبية، فلا هجرة بعد الفتح ولا يسمى المهاجر بعد الفتح مهاجراً اللهم إلا من باب اللغة، ولذلك جهد معاوية وأهل الشام على رواية أن الهجرة لا تنقطع ما قوتل الكفار! ومع ذلك لم يأت الثناء إلا على المهاجرين والأنصار كما هو واضح في الآية الكريمة من سورة التوبة التي هي آخر سور القرآن الكريم نـــزولاً[٢٥].

والسؤال: لماذا لم يخبرنا الله عز وجل أنه قد تاب على كل جيش النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" يوم تبوك؟!

[٢٥] فقد نـــزلت عام تبوك، وتبوك بعد فتح مكة، فليس صحيحاً ما يظنه بعض الناس من أن سورة النصر آخر السور نـــزولاً، وإنما كانت آخر السور التي نـــزلت دفعة واحدة (سيأتي ذلك في الأدلة الحديثية).

الجواب يبدو واضحاً أن تخصيص الله عز وجل لـــ(المهاجرين والأنصار) بالتوبة يتفق مع ما ذهبنا إليه من أنهم هم الصحابة الصحبة الشرعية؛ التي نـــزلت فيها آيات الثناء، وأنهم لم يستحقوا التوبة بغزوة تبوك فقط وإنما بأعمال سابقة تم تتويجها باتباع النبي (ص) في غزوة تبوك وهي آخر غزواتهم، فكأن هذه التوبة جائزة الجهاد الطويل من بدر إلى تبوك، ولذلك لم يخبر الله أنه تاب على بقية الجيش من الطلقاء والأعراب والقبائل الأخرى ونسبتهم تزيد على الـــــ (٨٥ %) من الجيش، وعلى هذا فالمهاجرون والأنصار هم الذين نجزم بأن الله راضٍ عنهم وتاب عليهم في ذلك الوقت – وقد يخرج منهم أفراد بأدلة خاصة كما سيأتي – أما غيرهم ممن أتى بعدهم (بعد صلح الحديبية)، فلا نستطيع الجزم بالتوبة عليهم اتباعاً للآية الكريمة فهي من آخر الآيات نـــزولاً في موضوع الصحابة، وإنما غاية ما نقول أننا نرجو لهم التوبة بحسن الاتباع، وأما من اضطربت سيرته من هؤلاء فخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فنتوقف ونترحم عليه ونستغفر له، أو نسكت عنهم كما سكت الله عنهم، وأما من ظهر فسقه فالله لا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا بد أن يكون رضانا وسخطنا تبعاً رضا الله وسخطه، ولا يدفعنا المذهب والسلطة والرأي السائد لمعاندة الله في رضاه وسخطه، فهذه من أعمال إبليس، وأما من ظهر صلاحه وإن لم يكن من المهاجرين ولا الأنصار ولا الصحابة فهذا ظاهر بأننا نرجو له ونحبه ونترضى عنه ونثني عليه في أي زمن كان.

إذن فلا دلالة في الآية على الرضا على كل الصحابة، نعم فيها حجة على فضل المهاجرين والأنصار من حيث الجملة لا كل فرد، لأن بعض من تبع النبي (ص) يوم تبوك كانوا منافقين ولهم مواقف ذكرتها سورة التوبة من استهزائهم بالله وكتابه ورسله وهمهم بما لم ينالوا من محاولة اغتياله (ص) فهؤلاء وإن كانوا من المهاجرين أو الأنصار يجب أن يخرجوا من هذا الثناء العام بذم خاص ذكره القرآن الكريم أيضاً وقال في حقهم (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) فلا بد من الإيمان بالآيات الكريمة كلها مع حسن تفسير وتدبر دون انتقاء ولا اعتساف لأجل خاطر معاوية وأبي سفيان، لا يجوز أن نلعب بكتاب الله من أجل معاوية فهذه كبيرة في حق القرآن والرسالة.. لا سيما وأن هؤلاء الظلمة والمرتابين أساءوا قبل نزول الآية وبعدها، بل الراجح أن معاوية وأباه ممن حاولوا اغتيال النبي (ص) يوم تبوك وهذا موضوع آخر له تفصيل في غير هذا المكان.

إذن فلعل سبب الآية اقتصار الثناء على المهاجرين والأنصار كان لسببين، جهادهم الطويل الذي استحق هذه الجائزة الإلهية بالتوبة عليهم لكونها آخر غزواتهم، والسبب الثاني إشعار مَنْ سواهم بالسبب الذي من أجله تاب الله على المهاجرين والأنصار، وأن الواجب عليهم أن أرادوا أن يتوب الله عليهم أن يتأسوا بصبر

أولئك وجهادهم وإنفاقهم في سبيل الله وأن على من سواهم أن يكثروا من التأسي بهم، حتى يتوب الله عليهم كما تاب على المهاجرين والأنصار.

والغريب أن كثيراً من المتحمسين يخلطون الأمور ويستدلون بالآية السابقة على أن الله تاب على (جميع الصحابة)، ويقصدون بالصحابة هؤلاء الذين على تعريف ابن حجر والبخاري وابن الصلاح بأنهم (كل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أو لقيه من المسلمين)، وكأن الله يلزمه هذا التعريف! وكأنهم يقولون إما أن يقبل الله تعريفنا للصحابة وإلا...! ثم لعلهم يقولون هذا وقلوبهم على الطلقاء! مع أن الله عز وجل لو أراد أن يقول ذلك لقاله، ولعمم التوبة على كل المؤمنين يومئذ، ولقال مثلاً: (لقد تاب الله على النبي والذين اتبعوه في ساعة العسرة)، مع أن معاوية وأمثاله سيخرجون من هذا بدليل خاص أيضاً، ولكن القرآن قصر التوبة على المهاجرين والأنصار لتكون أكثر دلالة لمن كان له سمع وعقل، وليتساءل الطلقاء والأعراب والمتأخرون لماذا لم يذكر الله التوبة علينا؟ وليتساءل الصالحون لماذا لم يذكر الله هؤلاء؟ وليكونوا منهم على حذر، فهذا كان لحكمة و لم يكن عبثاً، إلا أن أكثر الناس لا يعقلون، وإلا فليس هناك لفظة في القرآن الكريم إلا ولها هدايتها، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه من ضل فعليها.

استطراد: ما سبب هذا التعسف في الاستدلال؟

وهذا تعسف في الاستدلال سببه الهوى وذاك المذهب الذي أنشأه بنو أمية وعلماؤهم النابتون في سلطتهم، المتلفعون بدنياهم، ومن الصعب مراقبة الأثر السياسي إلا في مثل هذه المواضع، لأن السياسة لا تدون أعمالها الشريرة وإنما تنطق بها على ألسنة الخطباء والعلماء والوعاظ، من الولاة الماكرين وعلماء السوء ومغفلي الصالحين! بهذا الثلاثي بدلوا دين الإسلام وهجروا القرآن وزاحموه بالأحاديث الموضوعة والمبتورة والمزيدة، والروايات العاضدة والمعاندة ، فخصصوا ما يريدون، وعمموا ما يريدون، ونسخوا وطبخوا، وأطلقوا وقيدوا، وعزلوا ونصّبوا، وفتحوا وأغلقوا، وقتلوا وأغدقوا، وولجوا وخرجوا، واستولوا على الدين والدنيا، فلا ينتج من أرض السلطات الظالمة إلا دين أعوج، لا ينتج دين مستقيم بأرض سلطة ظالمة أبداً، ولذلك يجب على الباحثين إدراك هذا الأمر، وليكتشفوا ذلك عبر مشاهداتهم في العصر الحديث، فهل يمكن في عهد صدام حسين أن يخرج كتاب في نقد (البعث) مثلاً؟ وهل يمكن عندنا في المملكة أن يخرج كتاب في نقد (الوهابية) أو ابن تيمية؟ إذن فبنو أمية كانوا أمكر وأظلم وأبعد عن الله وأكثر حسداً وأشد خوفاً من تغير الأحوال وأطول أملاً في البقاء وأكثر سيطرة على الرواة والقصاص والمذكرين والخطباء وأهل الحديث

والعساكر والقبائل والشعراء.. فاعتبروا يا أولي الأبصار، فقد لا تجدون من ينبهكم إلى هذه الأمور، والذكرى لا تنفع إلا المؤمنين.

استطراد في مواقف بني أمية و السنة والشيعة من الصحابة:

ولذلك فإن حكومة الطلقاء (دولة بني أمية) لم تجد لها منفذاً في القرآن الكريم لكثرة القيود في الآيات الكريمة، فلجأت إلى الحديث والوضع فيه وإلى علماء السلاطين في (تعميم الصحبة) على كل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ، حتى يدخل فيهم طلقاء بني أمية كآل أبي سفيان وغيرهم من بني أمية أو غيرهم مثل الحكم والوليد وبسر وأمثالهم، وكان لهذا التعميم غرض سياسي لمنافسة خصومهم من المهاجرين والأنصار في صحبة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" ليكون لهم صحبة مثلما صحبة خصومهم[٢٦]، وساعد على هذا التعميم ردة الفعل السنية على غلو الشيعة والخوارج في ذم بعض هؤلاء، وبما أن الشيعة المغالين خلطوا في ذم البر والفاجر فلابد لأهل السنة المتحمسين أن يثنوا على البر والفاجر أيضاً! ومن هنا افترق المذهبان ولن يجتمعا إلا بالعودة للإنصاف، والتفريق بين المسلمين والمجرمين، وإنني أستغرب الشيء نفسه في الشيعة كيف أجد بعضهم يعمم السوء والردة والنفاق على أغلب المهاجرين والأنصار ولا يستثنون إلا أفراداً فهذا أيضاً ظلم وهوى، والتفصيل هو الإنصاف، فأين تراجم سبعين بدرياً قاتلوا مع الإمام علي في صفين؟ وقتل منهم نحو خمسة وعشرين بدرياً؟ وأين أهل بيعة الرضوان الذين قاتل بقيتهم مع الإمام علي وصحبوه ونصروه وهلك كثير منهم في حروب الإمام علي الشرعية ضد البغاة ؟ إنني لا أجد هؤلاء البدريين في كتب الشيعة إلا في السطر والسطرين، لماذا نجد ترجمة الرواة مفصلة بينما تراجم أهل بدر والرضوان الذين أجمعوا على نصرة الإمام علي شبه مجهولين؟ التقيد بالقرآن الكريم وتعظيم ما عظمه وتهوين ما هونه هو الوسط، أنا لا أقول للشيعة أن يثنوا على أبي بكر وعمر وعثمان كما لا أقول للسنة أن يثبتوا صحبة أبي طالب وإيمانه، فنحن نعرف مواقف الشيعة والسنة من هؤلاء الصحابة وأنهم يخرجونهم بأدلة خاصة من الصحابة، ويرونها أولى من التعميم، ولكن نقول للأخوة الشيعة ما ذنب بقية أهل بدر الذين قاتلوا مع الإمام علي ونصروه؟ لا نكاد نجد لهم ذكراً إلا المشهورين منهم كعمار بن ياسر، ولولا

---

[٢٦] وقد بقي من دلائل ذلك بعض النصوص في كتب العقائد كقولهم (من سب أحداً من أصحاب رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" فهو رافضي!) ويسكتون عن النواصب، الذين كانوا أسبق في سب الإمام علي على منابرهم، وأكثر فحشاً وفتكاً حتى أنهم يقتلون كل من تسمى باسم (علي) وخاصة في الشام (وراجعوا إن شئتم ترجمة علي بن رباح)، إذن فلو قال قائل: (من سب أحداً من أصحاب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" فهو مرتكب لمحظور شرعي) هكذا بالتعميم على النواصب والروافض والخوارج لكان أفضل، وإن كان لا بد من التصنيف العقدي فليقل (...فهو رافضي أو ناصبي أو خارجي) فهذا أفضل حتى يعظم الناس سب الإمام علي أو انتقاصه كما يعظمون لعن معاوية وأمثاله، هذا أقل الواجب، وهو طلب يسير جداً إلا أن المذهب يأبى حتى هذه القسمة الضيزى، فالمذهب أعمى .

أن هذا الكتاب مخصص في النقد الداخلي السني لذكرت من تناقض الشيعة في موضوع الصحابة الشيء الكثير، وكذلك في العصمة والرجعة والبداء والتكلف في التفسير والتأويل وكثرة الروايات المولّدة والأحاديث المصنوعة بهدأة ليل؛ ما أرجو به أن أكون شاهداً لله لا لمذهب من المذاهب، ولكن الكتاب يخاطب أصحاب الغلو في الصحابة إضافة إلى أن الشيعة مذاهب أيضاً ولا يجوز التعميم كما لم نعمم في أهل السنة، ونقد أي مذهب يحتاج للإحاطة بأكثر مصادره المدونة وهذا غير متحقق، إلا أن الشيعة من حيث الجملة أكثر تواضعاً وأقوى تديناً وأبعد عن الدنيا وأرضى بالقليل وأصبر على البلاء، وأظن هذا كان من بركة أهل البيت عليهم، ومن قرأ سيرة الإمام علي وأقواله ومواقفه اقترب من فهم القرآن والسيرة النبوية، وأما من قرأ الكتب الحديثية (مدونات السنة كالصحيحين وغيرهما، فلا يجد تلك الهداية القرآنية ولا العلوية، مما يدل على أن السنة النبوية الحقة قد قامت السلطات على تشويهها وقصقصتها وبلبلتها، فلا تكاد تجد النبي (ص) إلا في القليل من الأحاديث التي عليها نور النبوة، أما نصف الأحاديث فوسط، وأما معاني القرآن الكبرى فشبه غائبة، وأما العبادات فأفسدوها بكثرة التفصيل والاختلاف، وأما العقوبات فتم توسيعها، مع إيماننا بأن النبي (ص) هو شارح ومبين للقرآن يدور مع القرآن حيث دار، فما عظمه القرآن عظمه الرسول (ص) ولا بد أن يكون النبي (ص) قد كثف كلامه عن الموضوعات المكثفة في القرآن كالعقل مثلاً؛ ولكن لماذا لا نجد حديثاً واحداً في فضل العقل؟ وما بال ابن القيم يقول : كل حديث في فضل العقل فهو موضوع؟! إذن فهي السياسة التي قضمت أكثر الأحاديث التي تحيي الأمة، وبهرجت النصف الآخر بزيادة أونقصان أو تحريف، وقد ينجو القليل من العتيق الأول فيبقى على نور النبوة، وأما عند الشيعة فالموضوع أظنه قريباً من هذا، فالكم الروائي عندهم ضخم جداً، وآثار الصنعة ظاهرة على كثير من ذلك حسب المعايير والذائقة التي يكتسبها الباحث من كثرة القراءة في هذه الموضوعات، والشيعة أيضاً قليلو الاهتمام بحفظ القرآن مع تدبر جيد في مسائل دون أخرى كما يظهر لي، كما أن السنة قليلو الاهتمام بالتدبر مع حفظ واسع، والفريقان هاجران للقرآن الكريم في الجملة، من حيث التدبر الشامل والدراسات والأبحاث التي تخدم المعاني الكبرى للقرآن الكريم كالابتلاء والشهادة لله والخلق وابلغ ذلك معرفة الله عز وجل فهي الزاد الأكبر والمعرفة به وبأفعاله لا تتناهى، والجميع مفرط فيها، هذا كان استطراداً لخواص طلبة العلم للبحث والنظر والنقد).

تلخيص:

إذن كان آخر ما أخبرنا الله عز وجل في موضوع الصحابة أنه تاب على المهاجرين والأنصار و لم يخبرنا أنه تاب على غيرهم إلا الثلاثة الذين خلفوا (وهم مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي وكعب بن

مالك الأنصاري) وهم من كبار الصحابة، شهد اثنان منهم بدراً وما بعدها وثالثهم كعب بن مالك شهد أحداً وما بعدها.

وعلى هذا فهؤلاء هم أهل المعية الشرعية (الذين مع النبي صلى الله عليه وسلم) وهم المقصودون بقوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه... الآية﴾ وهم الممدوحون والمثنى عليهم في كل القرآن الكريم لأن سورة التوبة كانت آخر ما نـــزل من القرآن الكريم والقرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً، فالثناء المطلق في القرآن الكريم على من كان مع النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ينبغي أن يخصص بما خصصه القرآن الكريم في آيات أخرى مثل هذه الآيات لا سيما وأنها آخر آية نـــزلت في الثناء على أصحاب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم".

النص الثاني: من النصوص القرآنية:

وهذا النص أيضاً من آخر ما نـــزل من القرآن الكريم في موضوع الصحابة وهو قول الله عز وجل (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) [التوبة/١٠٠])

فهنا أخبر الله عز وجل بثلاث طوائف كانت كلها في عهد النبي "صلى الله عليه وآله وسلم":

الطائفة الأولى في الآية: وهم السابقون من المهاجرين

السابقون من المهاجرين الهجرة الشرعية المقصودة بالثناء، وهذا يحتمل معنيين نظراً لدلالة (من) في الآية الكريمة، فإن كانت بيانية فالسابقون الأولون هم المهاجرون والأنصار وهذا يتفق مع ما قررناه.

ويصبح المعنى: فالسابقون الذين هم (الأولون) الذين هم (المهاجرون والأنصار).. فهي تقوم مقام الاسم الموصول، وهذا أحد المعاني الراجحة للآية.

ومعنى آخر بأن السابقين من المهاجرين هم الذين هاجروا أيام هجرة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أو بعدها بقليل إلى قبيل بدر مثلاً، لأنه إن كانت (من) تبعيضية فهذا قيد يخرج المتأخرين من المهاجرين بعد الخندق وقبل الحديبية مثلاً لأن المتأخرين من المهاجرين قسمان تقريباً:

قسم هاجر بعد بدر إلى بيعة الرضوان، وهم المهاجرون في فترة الضعف النسبي، بينما كان المهاجرون الأولون في فترة الضعف التام والفرار بالدين والفقر في المال.

وأما القسم الآخر من المتأخرين: فهم كل من هاجر من بعد الحديبية إلى فتح مكة، فهؤلاء مهاجرون لغة أو عرفاً لا شرعاً لانقطاع الهجرة بفتح الحديبية على الراجح، هذا إذا سلمنا بأن (من) تبعيضية وقسمنا المهاجرين إلى قسمين ثم قسمنا القسم الأخير إلى قسمين.

لكننا سنجعل من هاجر قبل الرضوان من أصحاب الصحبة الشرعية لأدلة أخرى لا تتناقض مع هذه الآية.

وفي الوقت نفسه لا نشك أن السابقين من هؤلاء وهؤلاء أفضل من اللاحقين في هذه الحيثية (الهجرة)، فكل من تقدم يوماً يكون أفضل من هذه الحيثية في الجملة (وإنما نقول في الجملة لأن الظروف تختلف من مهاجر لآخر، فبعضهم قد يمنعه قومه، وآخرون قد لا تبلغهم الحجة إلا متأخرة، وبعضهم كان مستضعفاً فقوي..الخ).

أما المهاجرون – لغة أو عرفاً – الخارجون عن المعنى الشرعي الخاص للهجرة إلى المعنى العرفي أو اللغوي العام فهم أصحاب الهجرة العامة كخالد بن الوليد وطبقته، وكذا العباس وطبقته، وكذا من وفد بعد الحديبية واستقر بالمدينة كأبي هريرة وطبقته –إن لم يصح إسلامه قبل ذلك مع الطفيل بن عمرو–.

أما من هاجر بعد فتح مكة من الوفود فخروجهم من الهجرة الشرعية أوضح، ولا يدخل في الهجرة الشرعية أبناء المهاجرين أيضاً[٢٧]، ولا ورجع إلى بلاده حتى ولو هاجر قبل الرضوان ؛ فهؤلاء كلهم لا يدخلون في أصحاب الهجرة الشرعية، بل من أسلم قبل الحديبية وشهد الحديبية ولكنه لم يبق في المدينة لا يعتبر من المهاجرين أصحاب الهجرة الشرعية إلا إذا وجد دليل خاص لحالة خاصة من إذن النبي (ص) لهم مثلاً أو أمرهم بالعودة إلى ديارهم والدعوة للإسلام كحال أبي ذر فهؤلاء يدخلون بدليل خاص.

إذن فـــــــ (الهجرة الشرعية) تختص بالسابقين من المهاجرين بالدرجة الأولى كما في الآية، ولعل هذه الآية مخصصة لمطلق المهاجرين، أما الهجرة العرفية أو العامة فيدخل فيها المتأخرون من المهاجرين ولكن الهجرة الشرعية انقطعت بالفتح (فلا هجرة بعد الفتح) والفتح هنا فتح الحديبية لا فتح مكة على الراجح من الجمع بين الأدلة كما سيأتي بيانه قريباً عند بحثنا (الصحبة الشرعية في الأحاديث).

والفرق بين الهجرتين أن الهجرة الشرعية كانت أيام الضعف والحاجة بعكس الأخيرة كانت أيام العزة والرخاء وكانت الدواعي للهجرة أيام الرخاء مختلطة بالدنيا في الغالب، أما أيام الضعف فيغلب داعي

---

[٢٧] يرى بعضهم أن وصية النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بالمهاجرين وأبنائهم ووصيته بالأنصار وأبنائهم يُدخل الأبناء في حكم الآباء بهذه الأدلة الخاصة، وهذا أمر يحتمل ولا نتحمس لنفيه بشرط حسن سيرة هؤلاء الأبناء وصحبتهم العرفية للنبي "صلى الله عليه وآله وسلم" فالحسن والحسين مثلاً الذين يجدهم النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" كل يوم ليسا كمن جيء به إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ورآه مرة أو مرتين.

الإيمان، وعلى هذا يمكن أن نقول أن كل ثناء على المهاجرين مقيد بالسبق المذكور في هذه الآية والقرآن يفسر بعضه بعضاً[٢٨].

والحد الفاصل بين السابقين الأولين من المهاجرين والمتأخرين منهم مختلف فيه، وليس هنا مجال القطع بقول من الأقوال، فمنهم من يجعل الحد بيعة الرضوان على أبعد تقدير ومنهم من حدد المهاجرين الأولين بمن صلى القبلتين أو شهد بدراً[(٢٩)] ويمكن مراجعة التفاسير واختلاف العلماء في تحديد السابقين من المهاجرين.

وأما الطائفة الثانية في الآية: وهم الأنصار..

فالسابقون من الأنصار —على التفصيل في دلالة (من)- ولا يدخل فيهم أبناء الأنصار (الأطفال) الذين لم يشاركوا في النصرة الشرعية؛ من الإنفاق والجهاد والإيواء، ولكن يدخل في الأنصار حلفاؤهم المسلمون الساكنين في المدينة من بلي وجهينة فهم أنصار في الحكم وإن لم يكونوا من الأوس ولا الخزرج، وكذلك موالي الأنصار ونساؤهم، وكذلك أهل البوادي القريبة من المدينة، فهم مهاجرون من جهة وأنصار من جهة أخرى، فهم يجاهدون عند طلب النصرة منهم، وهم أهل مواشٍ وديار يشبهون الأنصار في الدعم المادي عند الضرورة، والأقربون للمدينة أقرب للنصرة.

وأما الحد بين السابقين من الأنصار واللاحقين منهم فلم أجد إلى الآن من وضع حداً لذلك، وأرى أن من أسلم قبل غزوة بدر من الأنصار فهو من السابقين؛ لأنه بعد انتصار المسلمين ببدر عز الإسلام وأسلم كثير من الأوس والخزرج خوفاً أو طمعاً كعبد الله بن أبي بن سلول وبعضهم أسلم بعد بدر وحسن إسلامه كأبي الدرداء[٣٠].

---

[٢٨] مع أن المهاجرين السابقين إنما الثناء فيهم على الأغلب أيضاً، وقد يخرج بعض الأفراد من هذا العموم كما في حديث الصحيحين المشهور (.. ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) وهذا الحديث يدل أن بعض المهاجرين السابقين قد يخرج من الهجرة الشرعية أيضاً، ولا بد أن نكرر في كل وقت أن العموم لا يمنع من خروج بعض الأفراد، فلكل قاعدة استثناء، فإذا وجدنا مهاجرياً أو أنصارياً اساء السيرة أو ارتد أو نافق فلا تشمله النصوص العامة ولا تعصمه قدم الهجرة ولا وفرة النصرة، فالأمر يدور على الاستقامة وليس على الدخول في العموم، لأن الدخول في العموم ظني الأجر والعقوبة، بينما صلاح المرء أو فساده قطعي الأجر والعقوبة، وإذا لم تعصم الصحبة من الردة فكيف تعصم مما دونها؟ هكذا الشرع والعقل والواقع ينطقون، ولكن المذهب يأبى هذا كله في صحابة ويقبله في آخرين، وهذه غاية التعصب.

[(٢٩)] (راجع ذلك في مقدمة الاستيعاب لابن عبد البر).

[٣٠] وردت أخبار في تأخر إسلام أبي الدرداء، ففي مسند أحمد بن حنبل – (ج ٥ / ص ١٤٧): بإسناده عن قنبر حاجب معاوية قال : كان أبو ذر يغلظ لمعاوية قال فشكاه إلى عبادة بن الصامت والى أبي الدرداء والى عمرو بن العاص والى أم حرام فقال إنكم قد صحبتم كما صحب ورأيتم كما رأى فان رأيتم أن تكلموه!.. وفيه: (وأما أنت يا أبا الدرداء فان كادت وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم أن تفوتك ثم أسلمت فكنت من صالحي المسلمين ..) إهـــ قال الهيثمي في مجمع الزوائد – (ج ٧ / ص ٤٠٢) رواه أحمد وفيه قنبر حاجب معاوية ذكره ابن أبي حاتم و لم يوثقه و لم يجرحه، وبقية رجاله ثقات اهـــ/

الطائفة الثالثة في الآية الكريمة:

الذين اتبعوهم بإحسان، (الذين اتبعوا السابقين من المهاجرين والأنصار) وهؤلاء المتبعون هم اللاحقون، وهم – عند من يجعل بدراً الحد بين السابقين واللاحقين- المسلمون بعد بدر إلى بيعة الرضوان أو إلى فتح مكة على رأي من يرى أن الهجرة امتدت إلى فتح مكة – وهو قول مرجوح-

أما من يجعل الحد بين السابقين واللاحقين هو بيعة الحديبية فيكون اللاحقون من المهاجرين والأنصار هم من كان بعد الحديبية، كالمسلمين بعد الحديبية وقبل فتح مكة حتى وإن وفدوا وبقوا في المدينة (الهجرة العامة)، أو كالوافدين من العرب وغيرهم بعد الحديبية إلى وفاة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ممن ثبت على الإسلام أيام الردة، وسبق أن ذكرنا أنّ الهجرة إذا أطلقت بعد الحديبية فالمقصود منها الهجرة العامة لا الشرعية –جمعاً بين النصوص-.

ومن التابعين بإحسان أيضاً من حسنت سيرته من أبناء المهاجرين، وأبناء الأنصار، فهؤلاء الأبناء وإن لم يشاركوا في الأحداث لكنهم تضرروا وعانوا وكابدوا.. فهذا الصبي يفقد أباه في المعارك فيصيبه اليتم، وهذا تضيق أحواله المادية لكون والده ممن أنفق أمواله في سبيل الله و لم يبق لأهله وأبنائه إلا القليل، فأبناء المهاجرين والأنصار المولودون على عهد النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" قد لحقهم بعض الأذى بنسب مختلفة، وشاركوا في شيء من الهجرة والنصرة ولو كانوا داخل بيوتهم، فهم من أفضل التابعين بإحسان، ثم يدخل في التابعين بإحسان ولكن بدرجة أقل مَنْ حسن إسلامه من طلقاء قريش، وعتقاء ثقيف والوفود والمعاصرون ممن أدركوا عصر النبوة فآمنوا و لم يفدوا إلى النبي (ص) وغير هؤلاء.

وحسن الإسلام يعني اجتناب كبائر الذنوب وصلاح السيرة ولا يشترط أن يشك الرجل في الإسلام حتى يقال أنه لم يحسن إسلامه[٣١]، والإحسان في هذه الآية مجمل سيأتي شرحه وبيانه في الآية اللاحقة في الدليل الثالث.

إذن فالمهاجرون والأنصار لم يشترط الله فيهم (الإحسان)؛ لأن الهجرة والنصرة اللتين تقتضيان الإنفاق والجهاد في أيام الضعف هما من أفضل الأعمال – إذا استمرت الاستقامة- ولا يحتاج هذا لقيد الإحسان؛

قلت: صوابه : قتير لا قنبر، والحديث في تاريخ ابن عساكر في ترجمة قتير حاجب معاوية، ويدل على تأخر إسلام أبي الدرداء ما ورد في ترجمته من تأخر إسلامه بعد بدر إجماعاً، بل ورد عند ابن عساكر في ترجمة أبي الدرداء أنه من آخر الأنصار إسلاماً.

[٣١] أعني أن من الخطأ أن بعض الناس لا يقر بأن فلاناً لم يحسن إسلامه إلا إذا كان من المنافقين أو المرتدين، فحسن الإسلام عندهم مرادف للبقاء على التسمي بالإسلام ولو أساء السيرة وهذا خطأ، وهم لا يطردون في هذا الأمر فإنهم يحكمون على الثوار على عثمان بالفسق والأعرابية والظلم والسوء ... رغم أن فيهم بدريون ورضوانيون، فهؤلاء لا يغضبون إلا إذا تعلق الذم بأحد الأمويين أو أنصارهم.

لأن الرجل إن قام بالهجرة التي تقتضي ترك الأوطان والأولاد من أجل الدين فهجرته غاية الإحسان، كما أن النصرة (التي أجلبت على الأنصار قبائل العرب) مع تحملهم مهمة حماية الإسلام في أيامه الأولى لا تحتاج لقيد الإحسان؛ لأنها في الذروة منه[٣٢].

أما بعد قوة الإسلام والمسلمين، فأصبحت الهجرة إلى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" تعود على نفس المهاجر بالمصلحة أكثر مما تعود على الإسلام والنبي (ص) والمؤمنين، بينما كانت قبل ذلك تعود على النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" والإسلام والمؤمنين بالمصلحة، وزاد ت هذه المصلحة بعد فتح مكة إذ أصبح الالتحاق بالمسلمين يعني الغنيمة والسلامة؛ لكثرة المال والأمن من الأعداء.

ولهذا كله نعرف السر في قصر الله عز وجل الثناء على المهاجرين والأنصار فقط، فقد بيّن أنهم السابقون أو أنه قيّد المهاجرين والأنصار بالسابقين منهم أيضاً، على الاختلاف الوارد في دلالة (من) في الآية الكريمة، وقد اختلف في حد السبق كما سبق، لكن أوسع مدى وصل إليه المفسرون انتهى إلى صلح الحديبية وهؤلاء المهاجرون (الهجرة الشرعية)، والناصرون (النصرة الشرعية) أيام الذل والحاجة والضعف وليس أيام القوة والرخاء وتتضاءل أهمية الهجرة والنصرة كلما استغنى عنها النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وأصحابه، فالمهاجر قبل بدر ليس كالمهاجر بعدها والأنصاري قبل بدر ليس كالأنصاري بعدها.

والفرق بين هؤلاء وهؤلاء ليس يسيراً، يعرف ذلك من قرأ السيرة النبوية والنصوص التي نـــزلت في ذلك، علماً بأن الطلقاء، ومن بعدهم لا يدخلون في هؤلاء ولا في هؤلاء.

---

[٣٢] ومن أساء السيرة خرج من مسمى الهجرة والنصرة، وهؤلاء أفراد قلائل، وقد سبق حديث (ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى كا هاجر إليه) وهو في الصحيحين، وهؤلاء الأمويون الناطقون باسم محمد لا يبالون إن لحق الذم أحد أهل بدر كما فعلوا مع معتب بن قشير وهو بدري إجماعاً وهو عندهم منافق إجماعاً! ولكن اتهام أحد الطلقاء بالنفاق مع توفر الأدلة يعدونه بدعة وضلالة، فالعبون مفتوحة على من يذم الظالمين وليس من ضعف بعض أهل بدر أو ذمهم، وقد جمعت العشرات من الصحابة السابقين ممن ذمهم هؤلاء أو وصفوهم بالنفاق أو ضعفوا رواياتهم، وعلى سبيل المثال لا الحصر خذوا مسعود بن ربيعة (أو الربيع) القاريء، فهذا الرجل بدري بل أسلم قبل دخول النبي (ص) دار الأرقم بن أبي الأرقم فهو من سابقي السابقين، ومع ذلك قال عنه أبو حاتم (أعرابي مجهول)! وأوردوه في الضعفاء، ففي الجرح والتعديل – (ج ٨ / ص ٢٨٢): مسعود بن الربيع القارئ حليف بنى زهرة بن كلاب يكنى ابا عمير مات سنة ثلاثين سمعت ابى يقول ذلك ويقول: <u>هو اعرابي مجهول</u>)! وبقي هذا الإهمال لهذا البدري ستة قرون ففي ميزان الاعتدال للذهبي – (ج ٤ / ص ١٠٠): مسعود بن الربيع، أبو عمر القارى، قال أبو حاتم: أعرابي مجهول.) ثم جاء التصحيح في القرن التاسع الهجري! ففي (لسان الميزان – (ج ٣ / ص ١٦): (مسعود بن الربيع بن عمرو القاري: قال أبو حاتم: أعرابي مجهول انتهى. وقد ذكره ابن حبان في الصحابة وقال مات سنة ثلاثين وفي خلافة عثمان وكذا ذكر بن سعد وقد ذكره في البدريين ابن سعد وشيخه وابن إسحاق والمعتمر بن سليمان <u>وذكره كل من صنف في الصحابة فيهم</u> والله أعلم) إذن فالرجل بدري إجماعاً ولكن لأن العين السلفية لا تهتم بأهل بدر وإنما بالطلقاء فقد أهمله أهل الجرح والتعديل سبعة قرون وبقي في كتب الضعفاء طيلة هذه المدة ثم انتبهوا أن الرجل بدري! ولو كان من الطلقاء ما جهل وثاقته أحد، ولا تجرأ على تضعيفه أحد! ولا تأخر التصحيح طيلة ستة أو سبعة قرون !

ولكنني في هذه الطبعة: أرجح أن (من) في الآية الكريمة بيانية وليست تبعيضية لسياق الآيات، لأن الآية السابقة لها هي (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٩) ثم قال (والسابقون الأولون.. الآية) فالسياق فيه دلالة على أنه أثنى على بعض الأعراب ووعدهم بالجنة ثم قال (والسابقون الأولون) يعني الذين سبقوا الأعراب من مهاجرين وأنصار وتابعين لهم قبل إسلام الأعراب.. والتابعون هؤلاء أسلموا قبل الحديبية، لأنهم سبقوا الأعراب، والأعراب حول المدينة أسلموا قبل الحديبية لكنهم تباطؤوا عن اتباع النبي (ص) في الحديبية، فمعظم الأعراب إسلامهم مدخول وهم مع من غلب، ولكن الثناء في الآية على الصالحين من الأعراب ووعدهم بالجنة ثم أضاف السابقين من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم والتحق بهم قبل الرضوان وقبل إسلام هؤلاء الأعراب الصالحين، والله أعلم.

النص الثالث.. من النصوص القرآنية:

وهو مفسر للدليل السابق وهو قول الله عز وجل:

(لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠) [الحشر]

في هذه الآيات أوضح الدلالات في قصر الله عز وجل الثناء على المهاجرين والأنصار، بل على الفقراء من المهاجرين، فلو تمسكنا بظاهر النص لخرج من الثناء تجار المهاجرين كأبي بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف، ولكن قلنا أن الخطاب هنا جرى مجرى الغالب لأن أكثر المهاجرين ضعفاء، والظاهر أن المراد به كل المهاجرين، إذن فالله عز وجل في هذه الآيات لم ثن على جميع الصحابة وإنما حدد المجموعات المرضي عنها ثم لم يكتف بهذا بل أخبرنا بعلاماتهم وصفاتهم وأعمالهم، ثم اشترط (الإحسان) فيمن بعدهم وبيّن بأنه -إضافة لصالح الأعمال- من علامات الإحسان الكبرى الدعاء للسابقين من المهاجرين والأنصار، وعدم التعرض لهم ببغض أو سب؛ وهذا (الإحسان) لم يفعله بعض المتأخرين ممن أسلم بعد بيعة الرضوان مثل كثير من الطلقاء والأعراب، فمعاوية بن أبي سفيان، وأعوانه مثل بسر بن أبي أرطأة العامري القرشي، وأبي الأعور السلمي، وأبي الغادية الجهني قاتل عمار وعمرو بن العاص السهمي وابنيه محمد وعبد الله — لكنه

عبد الله تاب بسند صحيح- وحبيب بن مسلمة الفهري ومعاوية بن حديج السكوني، وسفيان بن عوف الغامدي وسعيد بن العاص الأموي والحكم بن أبي العاص وأبنائه مروان والحارث، وعبد الله بن عامر العبشمي وعبد الله بن أبي السرح القرشي والأشعث بن قيس الكندي والأسود بن أبي البختري القرشي، والوليد بن عقبة الأموي، وحابس بن سعد الطائي، وحجر بن يزيد الكندي (حجر الشر) والخريت بن راشد الناجي، وخالد بن عرفطة العذري وربيعة بن يزيد السلمي الدمشقي (وهو من رواة مناقب معاوية!) والضحاك بن قيس الفهري، وعبد الله بن مسعدة الفزاري ، ويزيد بن شجرة الرهاوي، وكعب بن مرة البهزي وثمامة بن عدي ووائل بن حجر الحضرمي ويزيد بن أسد القسري وغيرهم كثير جداً ممن رأى النبي (ص) أو صحبه صحبة يسيرة أو صحبة لمصلحة دنيوية يراها، فمثل هؤلاء كانوا من الذين خالفوا الشرط وحاربوا السابقين أو أبغضوهم ولعنوهم وآذوهم، وكذلك بعض الصحابة من الخوارج كحرقوص بن زهير السعدي وزيد بن حصين الطائي أساءوا الصحبة ولهم صحبة بل هم أسبق صحبة من الطلقاء.

فمعاوية وأمثاله من الشاميين حاربوا علياً وعماراً وعشرات البدريين ومئات الرضوانيين الذين كانوا مع علي في خلافته وشتموهم، وهؤلاء وأمثالهم - ممن أساء للسابقين- يخرجون من (حسن الصحبة) على افتراض الصحبة المتأخرة، ومن (حسن الإتباع) حتى وإن كانوا من التابعين لكنهم من التابعين بغير إحسان، فلا يدخلون في فضائل القرون الثلاثة على افتراض ثبوت الحديث، بل إن حرقوص بن زهير وزيد بن حصين الطائي ذكرهما بعضهم في أصحاب الحديبية وهي منـــزلة أعلى من منـــزلة المذكورين قبله، فإن صح فيكون استثناءً من أهل الحديبية، كما استثنينا منهم عبد الله بن أبي فقد كان من أصحاب الحديبية أيضاً.

ولذلك قال بعض المحققين في هذه المسألة: أن من سبَّ الصحابة السابقين من المسمّين بـــ(الصحابة المتأخرين) كبعض أهل مصر في سبهم عثمان وأكثر أهل الشام في سبهم علياً قد خرجوا من الطوائف الثلاث: فهم لم يدخلوا في المهاجرين والأنصار قطعاً كما لم يدخلوا في التابعين بإحسان لمخالفتهم الأمر بالاستغفار للسابقين وعدم التعرض لهم بل حاربوهم وآذوهم.

أقول: وهذا في أهل الشام أولى منهم في أهل مصر والكوفة، لأن أهل الشام لم يكن سبهم أو لعنهم للإمام علي عرضياً كما فعل أهل مصر والكوفة، بل كان عن سبق إصرار وإعلان على منابر المساجد وليس لأن علياً عندهم كان ظالماً أو أنه أتاح لولاته أن يظلموا الرعية و لم يحاسبهم كما يرى أهل مصر في عثمان، فأهل الشام أبعد عذراً من الخوارج وقتلة عثمان.

وأما قوله: (والذين سبقونا بالإيمان) ليس المقصود منهم في الآية إلا المهاجرين والأنصار فقط، نعم الدعاء لكل من سبقنا بالإيمان والصلاح أمر مرغوب فيه من حيث الجملة، لكن لا يجوز الدعاء لمن سبقونا بالظلم والعصيان وإلا اختلت الأمور، وإذا جاز الدعاء لمن ظلموا علياً وأهل بدر فإنه من باب الأولى أن يجوز الدعاء للثوار على عثمان وقتلته لأنهم سبقونا بالإيمان أيضاً! والدعاء للخوارج لأنهم سبقونا بالإيمان، وكذلك الدعاء لمانعي الزكاة لأنهم سبقونا بالإيمان و لم ينكروا وجوب الزكاة وإنما امتنعوا عن أدائها لبيت مال الخلافة، وهؤلاء المجموعات (مانعو الزكاة والثوار على عثمان والخوارج) فيهم صحابة أسبق إسلاماً من الطلقاء، وهم أكثر تديناً منهم وأصدق مع أنفسهم وضمائرهم من أصحاب الدنيا، فمن عمم الآية في كل من صحب النبي (ص) فعليه ألا ينسى الصحابة من قتلة عثمان ولا من الخوارج ومانعي الزكاة، وإن منع هؤلاء من الدعاء لهم فمعاوية وأصحابه أولى بالمنع حتى وإن تولوا السلطة لأن تولي السلطة ليس من المزايا التي تستوجب على الناس الدعاء لهم، ثم قد تولى السلطة الثوار على عثمان بمصر قهراً وعزلوا والي عثمان وكان المستولي على مصر صحابي على تعريفهم وهو محمد بن أبي حذيفة، فلماذا ينسونه وقد تولى السلطة؟ وكذلك المختار له صحبة – على تعريفهم- وقد تولى العراق سنتين فلماذا لا يدعون له؟ إذن فإننا مهما أجلنا الأفكار والأنظار في حجج هؤلاء فلن نجد إلا النصب فقط، أو التأثر بالمنهج الأموي وتشويه السنة والصحابة وتعاليم الإسلام.

وأضيف بأن هذه الآية ونحوها لا حجة فيها للذين يستدلون بهذه الآيات على وجوب السكوت عن دراسة التاريخ الإسلامي و السكوت ذم بعض الظلمة ممن وصف بالصحبة كبسر ومعاوية والوليد – بحجة أنهم صحابة فقد رأيناهم يذمون من هو أفضل منهم واسبق إسلاماً وأطول صحبة وأسلم هدفاً، وإنما الانتقاء له علاقة بالأثر السياسي الأموي، فهو من جعل الأعين عمياء عن كل تنقص للصحابة إلا إذا تعلق الأمر بالطلقاء، حتى دفاعهم عن بعض السابقين إنما هو للتشويش واستحلاب العواطف.

كما لا يجوز ترك دراسة تاريخ المسلمين وتقييم رجاله بحجة الإمساك عما شجر بين الصحابة- فإنها قاعدة غير صحيحة[٣٣] ومنشؤها أموي، والأدلة النقلية والعقلية على الحث على دراسة الظالمين ووصف ظلمهم وإعلانه لتستتبين سبيل المجرمين، والسبيل هنا مذهبهم وطرقهم في الإجرام، ومن أبلغ الإجرام نطقهم باسم الدين حتى وصل الزعم بالمتأثرين بهم إلى القول بأن الله ورسوله يرضون عن الفاسقين

---

[٣٣] ستصدر دراسة تناقش دعوى وجوب الإمساك عما شجر بين الصحابة وتبطلها شرعاً وعقلاً وتطبيقاً؛ فالكلام فيما شجر بين الصحابة كالكلام فيما شجر بين غيرهم يشترط فيه العدل وتحري الصدق فقط ولهذا لم يكن لهذه القاعدة دليل لا من الكتاب ولا السنة ولا تطبيقات الصحابة والتابعين بل النصوص الشرعية فضلاً عن الآثار ضد هذه الدعوى الشامية المنشأ والانتشار.

ويحبون الظالمين ودعاة النار! فلا بد من ذكر الظالمين بظلمهم والعادلين بعدلهم حتى يعرف الناس موطن القدوة والتأسي من السلف، وتستبين سبيل المجرمين وصراط الصالحين، ولذلك يقول البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾ (يعني التابعين وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة..)[٣٤].

فهذا إقرار وتفسير صحيح من البغوي رحمه الله بأن من بعد المهاجرين والأنصار يسمون (التابعين) يعني أن الناس من خالد بن الوليد وعمرو بن العاص[٣٥] مروراً بمعاوية والوليد وانتهاء بنا في هذا العصر ومن يأتي بعدنا من التابعين مأمورون بحب المهاجرين والأنصار الذين قام عليهم الإسلام حتى استوى، ومأمورون بالدعاء لهم والاستغفار لهم؛ لأنهم السبب بعد الله ورسوله في قيام دين الإسلام وظهوره، بل من أسلم بعد الحديبية إلى فتح مكة مأمورون بهذا ابتداء، ومن بعدهم من باب الأولى.

النص الرابع.. من النصوص القرآنية:

قوله تعالى:

(وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) [الحديد])

قلت: يستدل بعض المؤلفين بهذه الآية على أن كل الصحابة -حسب مفهومهم للصحبة- في الجنة؛ لأن الله قد وعد المتقدمين منهم والمتأخرين بها، ووعده حق لن يخلفه، وهذا تسرع في القول يسوقه الغلو في الطلقاء وللجواب على هذا نقول:

أولاً: الوعد للمجموع وليس للأفراد فقد يشذ أفراد عن القاعدة بالفسق والظلم كما شذ بعضهم بالردة، وكما شذ المستهزئون يوم تبوك من عموم التوبة على المهاجرين والأنصار، وكان بعض المستهزئين من

---

[٣٤] تفسير البغوي- سورة الحشر.

[٣٥] الذين أسلموا وهاجروا بين صلح الحديبية وفتح مكة تتجاذبهم الأدلة بين أدلة مدخلة لهم في الصحبة الشرعية وهي قليلة ويمكن الجواب عليها وبين أدلة مخرجة لهم من الصحبة الشرعية وهي أكثر وأصرح ومع ذلك فتلك الفترة (من بعد الحديبية إلى فتح مكة) كانت فترة (برزخ) بين فترة الصحبة الشرعية الواضحة المتفق عليها التي كانت قبل ذلك على اختلاف في الحد الفاصل بين السابقين واللاحقين من الصحابة وفترة التابعين الواضحة (بعد فتح مكة) من طلقاء وعتقاء ووفود.. وأقصد هنا في ضوء النصوص الشرعية فقط وليس من الناحية الاصطلاحية أو العرفية أو اللغوية.

هؤلاء، وكما ذم هؤلاء معتب بن قشير وهو بدري فاتهموه بالنفاق، وكما اتهموا بالنفاق عبد الله بن أبي وهو رضواني، وهكذا.. فهؤلاء المتعجلون في جلب الفضائل لمعاوية نتيجة التأثر بالنواصب نراهم يتأنون في الحكم بالجنة لمعتب بن قشير أو عبد الله بن أبي أو حرقوص بن زهير وثلاثتهم أفضل من معاوية وأسبق إسلاماً وأقل أثراً على الدين الإسلامي بالتشويه والتغيير ، فتبين أن هؤلاء المتحمسين غير جادين في الثناء العام على الصحابة، وإنما هذا ستار لمنع أي ذم لسيرة معاوية وأثره على المسلمين في معظم الجوانب المؤثرة في فكرهم وسلوكهم وعقائدهم.

ثانياً: لا يتناول الوعد إلا لمن ثبت على حسن السيرة لا من تغير أو ارتد أو كان منافقاً أونحو ذلك من ارتكابه الكبائر مما يوجب زوال الشرط الذي به يحصل على الأجر والفوز بالجنة، بمعنى أن يكون الوعد بناءً على واقع الحال إن استمر.

ثالثاً: المراد بالفتح المذكور في الآية فتح الحديبية لا فتح مكة[٣٦] لأن السورة نـــزلت قبل فتح مكة، وعلى افتراض أن الفتح هنا غير محدد وأننا لا نعرف هل هو فتح الحديبية أو فتح مكة، فإنه إذا كان المراد فتح الحديبية فستكون هذه الآية شاملة المهاجرين والأنصار (من أنفق من قبل الفتح وقاتل)، وفي تفضيلهم على من جاء بعدهم إلى فتح مكة فقط، فلا يدخل في المتفاضلين الطلقاء، ولا العتقاء، ولا الأعراب ولا غيرهم ممن لم يقاتل و لم ينفق لا قبل الفتح ولا بعده، أي في هذه الفترة (في فترة ما بين الفتحين)؛ لأن سورة الحديد نـــزلت قبل فتح مكة، وعلى هذا فالمسلمون بعد فتح مكة خارج دائرة المفاضلة فلا يشملهم هذا التفاضل، إذ هي مقيدة بزمن نـــزولها.

رابعاً: وهو الأهم أن الآية قيدت الوعد بقيود، من الإنفاق والقتال؛ ولا بد أن يكون الإنفاق خالصاً لله، وكذا الجهاد، ولا نعلم الطلقاء إلا أنهم أخذوا الأموال و لم يرد أنهم ينفقوا درهماً، كما أنهم لم يجاهدوا و لم يقتلوا عدواً، بل شهدوا حنين مع المسلمين متمنين هزيمة المسلمين، وشهدوا الطائف للغنائم وتبوك لاغتيال النبي (ص) وهذه الأمور ليست جهاداً في سبيل الله، وتفصيلها وإثباتها في كتابي عن (معاوية)، فمن أنفق رياءً لا يدخل في هذه الآية ولو كان من السابقين فكيف بمن لم ينفق أصلاً و لم يكن من السابقين؟! وكذلك

---

[٣٦] ولذلك يقول البراء بن عازب رضي الله عنه في تفسير الفتح المراد في الآية: (تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن –يعني الصحابة– نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية) صحيح البخاري مع الفتح (٤٤١/٧) وهذا إخبار من البراء بن عازب –وهو صحابي– بأن المفاهيم تغيرت مبكراً عند التابعين فكيف لو أدرك البراء زماننا؟! ولا ننكر أنه يطلق الفتح على فتح مكة وعلى فتح خيبر في مرويات أخرى، لكن الفتح الأعظم المبين هو فتح الحديبية.

القتال يجب ألا يكون للحمية ولا ليقال كذا وكذا ..وأغلب الطلقاء إنما حضروا حنين وتبوك الاغتيال النبي (ص)، واغتيال النبي (ص) لا يوجب الأجر ولا الثواب.

خامساً: هذه الآيات لا تتناول من أسلم بعد الفتحين، ولبيان ذلك نقول : هذه الآيات تحتمل أحد أمرين، إما أن يكون الثناء على المهاجرين والأنصار لا يشملنا؛ حتى وأن أنفقنا وقاتلنا في سبيل الله؛ لأن نـــزول القرآن فيهم لا فينا- وإنما لنا مطلق الأجر في الإنفاق والجهاد خارج هذه الآيات إن فعلنا وبشروطهما- فكذلك الثناء على المسلمين من بعد الحديبية إلى فتح مكة لا يشمل من أسلم عام فتح مكة أو بعد ذلك لنـــزول القرآن فيمن قبلهم.

وأما أن تكون الآية شاملة لهؤلاء المسلمين بعد الفتح فهي شاملة أيضاً لمن بعدهم إلى يوم القيامة؛ ولا دليل على التخصيص بالطلقاء، بدليل قوله تعالى: ﴿من بعد وقاتلوا﴾ فإذا كان هذا بالإطلاق دون تقييد فإنه يشملنا، وإن كان مقيداً بالفتح المبين فلا يشمل الطلقاء، لأن الفتح المبين هو فتح الحديبية لا فتح مكة، وهذا القول في شمول الإطلاق لمن بعد الفتح إلى يوم القيامة لا يقول به هؤلاء ولا يبشرون الجميع بالجنة، وإنما يقصرون ذلك على من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بلا دليل ويركزون على تبشير بني أمية دون الثوار على عثمان ودون الخوارج مُ أن في الجميع صحابة – على تعريفهم- ، إذن فهذا كله تحكُّم لأجل معاوية فقط، وعندئذٍ حتى لو تنزلنا مع تحكمهم هذا فإن الآية لا تشمل المسيء الصحبة ولا الفجار والمنافقين لأنه يبقى شرط (الإحسان) الذي سبق اشتراطه في الآيات الأخرى السابقة، بمعنى أن الله وعد بالجنة المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، أما المتبعون بغير الإحسان فلا يقال فيهم هذا.

وضابط الإحسان هو صلاح السيرة والاستقامة، وبهذا يخرج من التفاضل والوعد بالجنة من لم يحسن السيرة فهذا تفصيل يزيل الخلط في هذه المسائل، والخلط في هذه الأمور هو الذي سبب لنا الخلل الكبير والرؤية التعميمية التي خلطنا بها الطلقاء والأعراب مع السابقين، ومن نتائج هذا الخلط أو التعميم أن من تكلم في الوليد بن عقبة أو أبي الأعور السلمي أو الأشعث بن قيس أو معاوية بن أبي سفيان أو أبي الغادية ونحوهم، جاءه بعض الناس محتجاً بهذه الآيات التي لم تنـــزل فيهم فينـــزلونها في غير ما أنـــزلت فيه، وهذا من سوء تفسير كلام الله تعالى وتحريف الكلم عن مواضعه [٣٧].

---

[٣٧] وبسبب هذا الخلط بُدِّع كثير من علماء المسلمين الذين كانوا يذمون بعض أعمال من وصفوا بالصحبة وليسوا صحابة على الحقيقة كالوليد ومعاوية وبسر والحكم وغيرهم فأولئك المبدَّعين كانوا مظلومين بسبب قلة تدبر خصومهم لآيات القرآن الكريم أو بسبب تعصب خصومهم المذهبي.، ومثلما نجيز لأنفسنا أن نجعل من علامات الشيعي أن يطلق على أهل السنة (النبوية) نواصب، فمن العدل أن نقرر أن من علامات الناصبي أيضاً أن يطلق على السنة (النبوية) روافض أو شيعة، فلا بد من بحث المصطلحات جيداً قبل إطلاقها حتى لا نظلم أحداً ولا يظلمنا أحد، والتصنيف علم دقيق يجب الإحاطة بأكثر معاييره على الأقل.

وقوله تعالى: ﴿من بعد﴾ مثل قوله تعالى في الآية السابقة ﴿من بعدهم﴾ فالبعدية في الآيتين واحدة، ولكن أهل التحكم يفرقون بينهما، فيعدون بها الطلقاء بالجنة وإن قتلوا السابقين ولعنوهم وغيروا دين الإسلام، ويوعدون بها الثوار على عثمان والخوارج ومانعي الزكاة! ثم يوعدون بها كل عاقل لا يريد أن يتناقض، فيهددونه بالنار إن لم يحب الدعاة إلى النار! وهذا من التحكم والجهل بالتاريخ والدين.

إذن يجب ألا نتناقض في هذه الآيات ولا أن نفرق في تفسير (البعدية) في الآيتين فالبعدية في الآيتين إما:

١. أن يكون المراد بــــــــ(المسلمين بعد الفتح) من أسلم بعد فتح الرضوان إلى فتح مكة لتقدم السورة على فتح الحديبية الذي هو الفتح المطلق وخاصة عند الصحابة وقبله في القرآن الكريم، (وهذا لا يدخل فيه الطلقاء ولا الوفود..).

٢. أو أن يكون المراد من أسلم بعد الرضوان إلى وفاة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" (وهذا مرجوح وإن صح فيدخل فيه الطلقاء والأعراب والوفود ولكن إن توفرت القيود (الإنفاق والقتال)، وهذا لم يحصل منهم.

٣. أو أن يكون المراد من أسلم بعد فتح مكة إلى وفاة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" (وهذا يدخل فيه الطلقاء والوفود..). بالقيود السابقة.

٤. أو أن يكون المراد من أسلم بعد الرضوان إلى يوم القيامة (وهذا يدخل فيه الطلقاء والوفود والتابعون وتابعيهم إلى اليوم وما بعد اليوم) بالقيود السابقة..

إذن فالبعدية في الآيتين إما أن تكونا محدودتين جميعاً بزمن معين في المستقبل، أو غير محدودتين بزمن في المستقبل، وكثير ممن كتب في الموضوع يجعل قوله تعالى ﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾ فينا فيوجب علينا الاستغفار للسابقين (ويدخلون فيهم الطلقاء) ولا يوجبها على الطلقاء – مع أنهم من أوائل المخاطبين وأوائل المخالفين– ثم يجعل قوله تعالى ﴿وكلاً وعد الله الحسنى﴾ تشمل الطلقاء ولا تشملنا! – مع أننا أقل جرماً في حق ظلمة الطلقاء منهم في حق كبار السابقين– ، وهذا تناقض في أمور متشابهة، بل الحجة عليهم في هذه الآيات أكثر منها لهم لو أنهم تدبروا القرآن الكريم واستشعروا وجوب تكريمه من أن يثني على ظالم أو يأمر بمحبة فاسق.

النص الخامس.. من النصوص القرآنية:

قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [الأنفال/٧٢])

هذه الآية فيها فوائد في موضوع الصحبة من أهمها:

١. إثبات ولاية المهاجرين مع الأنصار فقط، وهذا ما يفسره الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة) رواه أحمد بسند صحيح[٣٨].

وهذه الآية – مع هذا الحديث- فيه إخراج للطلقاء من الصحبة صحبة المهاجرين والأنصار، الذين هم أصحاب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" فقط، كما في حديث آخر: (أنا وأصحابي حيز والناس حيز)، قالها النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" يوم الفتح كما سيأتي، وكلمة (أصحابي) في هذا الحديث الأخير كلمة مطلقة، فسرها الحديث المتقدم، بل والآيات الكريمة أيضاً، وتبين أن المراد بالأصحاب هم المهاجرون والأنصار، فتأمل لهذا التوافق والترابط.

٢. أن الذين أسلموا و لم يهاجروا لا يستحقون من المسلمين في عهد النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" الولاية، التي تعني النصرة والولاء، فإذا كان المسلمون قبل فتح مكة – من أيام بدر إلى نـــزول الأنفال يوم بدر- لا يستحقون النصرة ولا الولاء حتى يهاجروا؛ فكيف بمن حارب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وأصحابه طيلة هذه المدة وقبلها وبعدها ثم انتظر وتربص، حتى قال النبي "صلى الله عليه وآله وسلم": (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية)، فخضعوا وعملوا في السر واستدبروا العلن، إلا من حسنت صحبته منهم وهم قلة في ظاهر التوايخ والأخبار، إذن فهؤلاء الذين استدبروا الكفر واستقبلوا النفاق وختم لهم بالدعوة إلى النار لا يدركون فضل من لا يستحق النصرة ولا الولاية، فضلاً عن إدراكهم لفضل السابقين من المهاجرين والأنصار، ومن هنا ندرك أن الصحبة المقصودة بالثناء هي صحبة السابقين من المهاجرين والأنصار.

٣. أن المسلمين الذين لم يهاجروا لا يجوز أن ينصرهم المسلمون على الكفار المعاهدين (الذين معهم ميثاق مع المهاجرين والأنصار)، وهذا الحكم يبين الفرق الواسع بين من هاجر ومن بقي مؤمناً في دياره، فكيف

---

[٣٨] مسند أحمد/ مسند الكوفيين- مسند جرير بن عبد الله. وسيأتي دليلاً مستقلاً.

بمن لم يؤمن وإنما أسلم مستسلماً بعد أن وصلت الخيل كداء وقيل اذهبوا فأنتم الطلقاء؟ ثم إلغاء الهجرة الشرعية تم يومئذ في مكة[٣٩]، وأغلب الأمر أن يكون أسلم أكثر هؤلاء رغبة في الدنيا ورهبة من السيف[٤٠]، حتى وإن حسن إسلامه فيما بعد، إلا إنه لا يساوى بمن آمن ونصر وجاهد.

النص السادس.. من النصوص القرآنية:

قوله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٠) [النساء/٩٧-١٠٠])

التعليق:

هذه الآية أيضاً من أكبر الأدلة على الوعيد لبعض الصحابة (إذا سلمنا بالتعريف المشهور عند المحدّثين الذين لم يهاجروا، وعلى هذا فهم لم ينصروا الرسول (بالقتال والمال)، فلا يستحقون اسم (الصحبة الشرعية)؛ رغم أنهم كانوا مسلمين بمكة قبل أن يهاجروا، لكن الإسلام لم يستفد منهم ولا النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وصحابته، و لم ينجحوا في الابتلاء والتمحيص، و لم يكابدوا مع النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" المتاعب ولا الأخطار، فهم يأخذون من الدين ما قارب الدنيا، ولذلك لم ينفقوا و لم يقاتلوا أيام الحاجة إليهم، ولهذا فقد أنذرهم الله بعذاب جهنم، و لم يستثن منهم إلا المعذور من ضعفاء الرجال ومن النساء والولدان، الذين لا يستطيعون الهجرة.

---

[٣٩] كان للهجرة أهمية قصوى لحاجة الإسلام وأهله للاجتماع ضد الكفر وأهله، وتجنب الوقوع في الافتتان عن الدين.

[٤٠] ويل على ذلك سورة الكافرون كلها وأول عشر آيات من سورة يس وأول سبع آيات من سورة البقرة وأكثر آيات سورة التوبة، والآيات (٣٤- ٣٩) من سورة الأنفال، والآيات (١٧٨، ١٩٦، ١٩٧) من سورة آل عمران، والآيات (١٦٧- ١٦٩) من سورة الأحزاب، فراجعوها وتذكروها جيداً إذا تذكرتم مثل أبي سفيان ومعاوية وأمثالهم فإنهم كانوا رؤوس من أنزل الله فيهم: (.. فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) [الأعراف)، ونحن نؤمن بأن الله يعلم الغيب، ولا يتوقع فقط كما قد يظن بعض الناس!.

وهذه الآيات فيها دليل واضح على أن (الصحبة الشرعية) تقتضي النصرة أو الهجرة[٤١] أيام الضعف والحاجة إليهم، وليس أيام الاستغناء عنهم، ليعلم الله من ينصره ومن ينصر نفسه، فالصحبة الشرعية هجرة وجهاد وإيواء وإنفاق وخوف ورجاء، وليست بالتمني ولا بالتحلي (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون؟).

النص السابع.. من النصوص القرآنية:

قوله عز وجل:

(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧) [الحجرات/١٤-١٧]).

في الآيات السابقة نفي الصحبة الشرعية عن الأعراب الذين أسلموا قبل الطلقاء والوفود ونحوهم مع إثبات الإسلام في حقهم، ونحن نعلم أن الصحابي صحبة شرعية هو في المحل الأكمل من (الإيمان) المفسر في الآية السابقة بـــ (الإيمان بالله والرسول وعدم الشك في ذلك والجهاد بالمال والنفس في سبيل الله)، فهذا هو الإيمان المقتضي للصحبة الشرعية، وهذا المعنى منفي عن الأعراب الذين أسلموا قبل طلقاء مكة؛ صحيح أن سورة الحجرات نـــزلت بعد فتح مكة بمدة يسيرة (سنة تقريباً) إلا أن الأعراب أسلموا قبل الطلقاء.

---

[٤١] نعني الهجرة التي تستلزم الجهاد بالمال والنفس والالتفاف حول النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وتكوين نواة الإسلام الأولى، وقول النبي (ص) : (لا هجرة بعد الفتح) كأنه دعوة من النبي (ص) للطلقاء أن يبقوا في مكة ولا يهاجروا فيؤثروا على المعادلة المدنية، لكنهم أبوا هذه المرة إلا الهجرة هذه المرة! ربما ليطلعوا عن كثب! على الأمور، ويتلسموا الفرص، ويعيدوا التحالفات القديمة مع منافقي الأوس وبقايا اليهود، ويتقربوا من الحاضنة الغسانية والرومية، ومن حلفائهم الأعراب كبني سليم، ويظاهروا على النبي (ص) بالتخطيط مع منافقي المدينة في مسجد الضرار ونحوه، وقد كان لقدوم الطلقاء إلى المدنية أكبر الضرر على الدين والنبي (ص)، إذ أن المصاعب والأذى التي لحقت بالنبي (ص) بعد تظاهرهم بالإسلام كانت أبلغ وأخفى من تلك المصاعب التي واجهها في الحرب، وكثر التمرد على النبي (ص) ومعارضته بعد وصول الطلقاء، وكان للطلقاء أثرهم على بقية قريش إلا من عصم الله، وكان منهم من حاول اغتيال النبي (ص) في حنين وتبوك، وكان منهم من استهزأ بالنبي (ص) وتجسس عليه (كالحكم بن أبي العاص) وكان منهم من حرض على قلب كثير من الأمور، ومن أراد معرفة ذلك فليقرأ سورة التوبة (وهي آخر سورة نزلت من القرآن الكريم) ولينظر أثر هجرة هؤلاء إلى المدينة، وكيف أن الناس بعد مقدمهم أصبحوا أكثر عصياناً وتفلتاً واعتراضاً وتشويشاً وشكاً واهتزازاً، وقد استطاعوا أن يؤثروا في كثير من الأفكار والسياسات، وهذا له تفصيل آخر.

النص الثامن.. من النصوص القرآنية:

قوله تعالى:

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)) – سورة الفتح-

البيان:

لولا أن بعض الناس يورد هذه الآية للدلالة على فضل المتأخرين من المسلمين في عهد النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" كالطلقاء والأعراب والوفود وأمثالهم لما أوردها هنا، فالآية هي آخر آية من سورة الفتح، وسورة الفتح نــزلت بعد فتح الحديبية مباشرة بعد الانصراف من الحديبية، وقبل فتح مكة بسنتين، وعلى هذا فالثناء الذي فيها على (الذين مع النبي صلى الله عليه وسلم) ينــزل على المؤمنين يومئذ من المهاجرين والأنصار، ولا ينــزل على من بعدهم، إضافة إلى أن (المعية) هنا تقتضي النصرة والتمكين أيام الحاجة والذل والضعف فمثلما هناك صحبة شرعية وصلاة شرعية، فهناك معية شرعية أيضاً و لم تتحقق هذه (المعية الشرعية) في كثير من المسلمين المتأخرين ممن ذكروا في الصحابة ممن كانوا أشداء على المؤمنين؟ وأغلب الطلقاء لم يكونوا مع النبي (ص) وإنما كانوا مع أنفسهم ومصالحهم، واستمروا هكذا .. ثم رأينا معاوية – عجل النواصب - في عهد الإمام علي يدفع الجزية للروم ويحارب علياً، فأين (أشداء على الكفار رحماء بينهم)؟!، فالقضية عند معاوية هنا معكوسة؛ يقاتل السابقين، ويدفع العطاء للروم، وكذلك بسر بن أبي أرطأة ومسرف بن عقبة – ولهما صحبة على منهج القوم- فقد أذلا أهل المدينة المنورة ومن فيهم من المهاجرين والأنصار إذلالاً كبيراً في غزوتين من غزوات أهل الشام للمدينة، الأولى سنة ٣٩هـ في عهد معاوية، والثانية سنة ٦٣ه في عهد ابنه يزيد.

النص التاسع.. من النصوص القرآنية:

قوله تعالى:

(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) [الفتح)

التعليق:

هذا الثناء هو على المهاجرين والأنصار فقط، الذين بايعوا تحت الشجرة يوم الحديبية، ولولا أن بعض الناس يورد هذه الآية في الثناء على الطلقاء لما أوردها هنا؛ لأن دلالتها على المناسبة (يوم الحديبية) دلالة واضحة لمن تدبر وتأمل، وربما يكون السبب في تعميم فضل المهاجرين والأنصار على من سواهم ردة فعل لطعن بعض الشيعة والخوارج في الصحابة؛ لكن الطعن السيئ والجرح بالباطل لا يبرر ردة الفعل الباطلة أيضاً فالباطل يرد بالحق لا بباطل أنكر منه، مع أن الآية لا تفيد الرضا عن كل من بايع تحت الشجرة وإنما عن (عن المؤمنين منهم) وقد شهد بيعة الشجرة عبد الله بن أبي بن سلول والمغيرة بن شعبة وأمثالهم، وهؤلاء المتحمسون المتأثرون بالنواصب يخرجون عبد الله بن أبي من هذا العموم ولكنهم لا ينكرون على من يخرج المغيرة بن شعبة، وهذا تحكُّم أيضاً، فإما أن يدخلوا كل المبايعين ويجعلوهم مؤمنين وإما أن يبيحوا لغيرهم ما يبيحونه لأنفسهم، وعندما نقول يجب إخراج عبد الله بن أبي والمغيرة بن شعبة لا يعني هذا أننا نحكم عليهم بالنار، فأمرهم إلى الله، والله بصير بالعباد، وإنما نعني ألا يأتي أحد ليحتج على فضلهما بهذه الآية إذا ثبتت سوء سيرتهما، فالعموم لا يعني عصمة كل فرد من التغير والتبديل والمعاصي وربما النفاق الاعتقادي أو العملي، نعم يجوز الاحتجاج بهذه الآية كقرينة من قرائن إيمان الشخص أو دليلاً ظني الدلالة لا دليلاً قطعي الدلالة على براءة فلان أو فلان، لأن الله قال أيضاً في قصة بيعة الرضوان: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠) [الفتح]) إذن فاحتمال نكث بعضهم وارد، وإن كان الأغلب في هؤلاء صحة النية والرضا من الله، والقرآن يفسر بعضه بعضاً.

النص العاشر.. من النصوص القرآنية:

الواقع أنها ثلاثة نصوص لكنها تفيد معنىً واحداً:

الأولى:

قوله تعالى: ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾- آل عمران / ١٥٢.

والثانية قوله تعالى:

﴿إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم﴾ - آل عمران / ١٥٥-.

نجد هاتين الآيتين نـــزلتا في حق المسلمين من المهاجرين والأنصار يوم أحد، فأخبر الله عز وجل أنه قد عفا عنهم عصيانهم وتنازعهم وانهزامهم أمام الكفار و لم يقيد هذا العفو بالمشيئة وهذا يدل على تحقق العفو[٤٢]، وكان المنهزمون يوم أحد كلهم من المهاجرين والأنصار، ومن هؤلاء المنهزمين صحابة كبار مثل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد اشتهر هذا الأمر وصححه أهل السنة، بل ثبت أن منهم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ولكن أبا بكر فاء بعد الهزيمة أثناء المعركة[٤٣]، وأما عمر فصعد الجبل هارباً ثم فاء بعد انتهاء المعركة، وأما عثمان فغاب ثلاثة أيام وكان قد وصل الأعوص جنوب المدينة في ديار بني عمرو بن عوف.

فحفظ الله لهم سابقتهم وأخبر بالعفو عنهم من غير تقييد بالمشيئة أما يوم حنين فقد كان جيش المسلمين خليطاً من المهاجرين والأنصار والطلقاء وسائر من لحق من الأعراب والمتنطعين كذي الخويصرة، فلذلك لما

---

[٤٢] مع أن العفو هنا قد فسره بعض السلف تفسيراً آخر، بمعنى عفا عنكم وأي لم يعاقبكم أو لم يستأصلكم (انظر تفسير الطبري فقد توسع في هذه الروايات، عن مجموعة من السلف كالحسن البصري وابن جريج وابن إسحاق وغيرهم، وهذا ما اختاره الطبري بقوله (تفسير الطبري - (ج ٧ / ص ٢٩٨): يعني بقوله جل ثناؤه:"ولقد عفا عنكم"، ولقد عفا الله = أيها المخالفون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتاركون طاعته فيما تقدم به إليكم من لزوم الموضع الذي أمركم بلزومه = عنكم، فصفح لكم من عقوبة ذنبكم الذي أتيتموه، عما هو أعظم مما عاقبكم به من هزيمة أعدائكم إياكم، وصرفِ وجوهكم عنهم، إذ لم يستأصل جمعكم)، اهــ إذن فهذا لا علاقة له بالعفو عن الذنب وإنما عن العقوبة الدنيوية، وهذا معنى محتمل، ويشهد لهذا أن بعض الصحابة كعبد الرحمن بن عوف بقي يعيّر عثمان بن عفان بأنه فر يوم أحد، وهذا يدل على أن فهم عبد الرحمن بن عوف وغيره ممن كان يعيّر عثمان بن عفان بالفرار أنهم لم يكونوا يرون معنى العفو هنا ذلك المعنى المتبادر، ومن تلك الروايات التي تدل على معنى العفو الدنيوي عن العقوبة العاجلة؛ ما رواه الطبري عن الحسن البصري في تفسير هذه الآية، ففي تفسير الطبري - (ج ٧ / ص ٢٩٨): حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن مبارك، عن الحسن، في قوله:"ولقد عفا عنكم"، قال: قال الحسن، وصفَّق بيديه: وكيف عفا عنهم، وقد قتل منهم سبعون، وقُتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكسرت رباعيته، وشج في وجهه؟ قال: ثم يقول: قال الله عز وجل:"قد عفوت عنكم إذ عصيتموني، أن لا أكون استأصلتكم". قال: ثم يقول الحسن: هؤلاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي سبيل الله غضابٌ لله، يقاتلون أعداء الله، نهوا عن شيء فصنعوه، فوالله ما تركوا حتى غُمُّوا بهذا الغم، فأفسق الفاسقين اليوم يَتَجَرْثَمُ كل كبيرة، ويركب كل داهية، ويسحب عليها ثيابه، ويزعم أن لا بأس عليه!! فسوف يعلم اهــ وكأن الحسن يقول إن مخالفتهم تسبب في مقتل سبعين من الصحابة وشج النبي(ص) وقتل حمزة، فكيف يعفو عن الذين تسببوا في هذه الأضرار؟ وأن الواجب معاقبتهم ثم عفا الله عن عقوبتهم، فالمعنى عفا عنكم أن لم يستأصلكم أو يقتلكم أو يعاقبكم بسبب هذه المخالفة، فهذا رأي الحسن البصري وهو محتمل لا سيما وأنه مستعمل في اللغة أيضاً (ففي كتاب العين للخليل - (ج ١ / ص ١٤٠): العفو: تركُكَ إنساناً استوجَبَ عُقوبةً فعفوتَ عنه تعفُو،..) وفي جمهرة اللغة (العفو ضد العقوبة) وعلى هذا قد يكون المراد كما قال بعض السلف أن العفو متعلق بعقوبة الدنيا، أما الآخرة فهذه المخالفة معصية تستوجب التوبة وللتوبة دلائلها.

[٤٣] رواه الطيالسي وابن سعد والطبراني والدارقطني والحاكم والبيهقي والضياء المقدسي وغيرهم وسنده صحيح وصححه الحاكم وغيره ولفظه من حديث عائشة عن أبي بكر قال: (كنت أول من فاء يوم أحد فرأيت رجلا يقاتل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دونه وأراه قال يحميه فقلت كن طلحة... الحديث)

انهزموا لم يخبر الله بالعفو عن الجميع، وإنما قال: ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾، كما في قوله تعالى في الآية وهي الآية الثالثة هنا:

﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين، ثم أنــزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين[٤٤] وأنــزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم﴾[٤٥].

ومن هذه الآية نعلم حكمة تعليق العفو بالمشيئة، بخلاف الآيات في حق المسلمين المنهزمين يوم أحد إذ كانت جازمة بالعفو عنهم، وهذا يتفق أيضاً مع قول الله عز وجل يوم تبوك ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة..﴾، مع أن جيش المسلمين كان فيه غير هؤلاء كثير من الطلقاء والأعراب والعتقاء ونحوهم، ممن لم يخبرنا الله بالتوبة عليهم، كما لم يخبرنا بالسخط عليهم، فيتوقف فيهم، إلا من أظهر منهم الصلاح والصدق وحسن الإسلام، فيحب ويوالى لهذا، ومن ساءت سيرته وكثر ظلمه فيبغض لظلمه، ويبرأ منه المؤمنون، والنفوس المؤمنة مجبولة على بغض الظلم والبراءة منه ومن أهله، وأما من كان بين ذلك فخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فيحب فيه الحق والعدل، ويبغض فيه الباطل والظلم[٤٦]، ويتم التوازن فيه فلا نبغضه بغضنا للظالمين ولا نحبه حبنا للصالحين.

فرجل مثل الوليد بن عقبة، أو بسر بن أبي أرطأة، أو مسرف بن عقبة وأمثالهم كيف لا يبغض وتذم سيرته؟ كيف والشرع يأمرنا بحب الطاعات وأهلها، وببغض المعاصي والمظالم وأهلها؟ خاصة إذا كانت غالبة على سيرهم، بينما نحن ننادي بالولاء والبراء ليل نهار، ومن زعم أن هناك فرقاً في الولاء والبراء بين ظلمة القرن الأول فيوالَون، وظلمة سائر العصور فيعادَون، فعليه الدليل والبرهان.

---

[٤٤] لا يدخل الطلقاء والشكاكون والمتنطعون في مسمى (المؤمنين) إذا أريد بذلك صلاح السيرة هنا مثلما لا يدخل الأعراب في مسمى (الإيمان) وقد كانوا هم والطلقاء في جيش النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" يومئذٍ وكان فيهم ذو الخويصرة وأمثاله وكان فيهم من خرج مع النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ولا زالت الأزلام معه كما ورد ذلك في حق أبي سفيان بن حرب في روايات أهل السير، ثم لو شمل هذا المسمى أولئك فهو من باب التغليب وهناك نظائر كثيرة لهذا في القرآن الكريم فقد يطلق (يا أيها الذين آمنوا...) ويدخل المنافقون والذين في قلوبهم مرض والأعراب تحت هذا من باب الإطلاق على كل من تسمى بالإسلام وإن لم يدخلوا عند التحقيق بأدلة أخرى تخرجهم من اسم الإيمان. (التفصيل في كتابنا: معاوية بن أبي سفيان قراءة في المناقب والمثالب).

[٤٥] التوبة: ٢٥-٢٧.

[٤٦] يجب علينا موالاة من أخبرنا الله بالتوبة عليهم كالمهاجرين والأنصار ويجب البراءة ممن أخبرنا الله بالسخط عليهم كالمنافقين ومن يلحق بهم ويجب التوقف فيمن لم يتضح لنا هل هو على منهج هؤلاء أم أولئك أو كان مضطربا بين السيرتين. إلا إذا ثبت بالبحث أن خيره غالب فيحب ويوالى وإن ثبت العكس فعكس ذلك أي إن أثبت بالبحث أن بعض هؤلاء كالحكم بن أبي العاص مثلاً هو أقرب للنفاق والظلم منه إلى الإيمان والعدل فيبغض ويتبرأ من أفعاله وذنوبه.

النص الحادي عشر.. من النصوص القرآنية:

قوله عز وجل:

(إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم﴾ | البقرة، ٢١٨ | .

هذه الآية نـــزلت في المهاجرين فقط ولولا أن بعض المعاصرين يعممها في جميع الصحابة لما أوردتها هنا.

ومن ظن أن هذه الآية نـــزلت في فضل الأنصار —فضلاً عن الطلقاء والأعراب–، فقد أخطأ لأن سورة البقرة كانت من أول ما نـــزل بالمدينة إضافة لصراحة الآية في الاقتصار على المهاجرين، وفي الآية رد على غلاة الشيعة والنواصب والخوارج الذين كانوا يبغضون بعض المهاجرين الأولين ويلعنونهم ويؤذونهم.

النص الثاني عشر.. من النصوص القرآنية:

قوله تعالى:

(فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾ | آل عمران — ١٩٥ | .

الآية واضحة في اقتصارها المهاجرين فقط وليس صواباً ما يفعله بعض الدارسين من إنـــزالها في كل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" فالآية تبين معنى (الهجرة الشرعية) التي كانت تعني التعرض للإخراج من الديار والإيذاء والتعرض للقتل في سبيل الله أيام الحاجة والضعف، فسورة آل عمران أيضاً من أوائل ما نـــزل بالمدينة من القرآن الكريم، وهذه الآية أيضاً رد على من تعرض للمهاجرين باللعن والذمّ أو الإيذاء أو القتال.

النص الثالث عشر: من النصوص القرآنية

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آَمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آَخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ

أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) [المائدة/٤١]

والآيات في هذا المعنى كثيرة، أعني الآيات التي تدين أطيافاً وجماعات ممن صحبوا، ولكننا فضلنا استقصاء تلك الآيات الكريمة المظلومة التي يستدل بها هؤلاء الغلاة على أن الله يرضى عن كل من صحب ولو كان ظالماً فاجراً، فهذا هو المؤلم، وهو جريمة في حق القرآن الكريم، ولأجل ماذا؟ للأسف لأجل الظالمين ونصرة منهجهم.

النص الرابع عشر : من النصوص القرآنية..

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) [الحجرات/٦-٩]

هذه الآيات تخبر بقصور الصحابة وميلهم نحو العنت والمشقة، وأن كثيراً من الأمور التي يشيرون بها على رسول الله ففيها مشقة، وبعد موت النبي (ص) لا بد أن يحصل العنت ويتوسع مع الزمن، واليوم العنت على أشده من تحبيب الانحراف عن الصالحين والجفاف مع رسول الله في الوقت الذي يتم فيه تشريع الغلو في غيرهم، فالوضع العام السلفي اليوم مع الغلو في الظالمين والمبالغة في إنكار الغلو في الصالحين، ولو أنهم تعاونوا معنا على إنكار الغلو في الظالمين أولاً ثم يأتي بعد ذلك إنكار الغلو في الصالحين لقلنا هم الناس.

والآيات كثيرة لو استعرضناها..

كلمة ختامية في الصحابة في القرآن الكريم:

رأيتم أنه بعد أن استعرضنا الآيات التي يستدل بها غلاة الصحابة على فضل جميع الصحابة أن تلك الآيات ضد استدلالهم، إذ أن في تلك الآيات القيود والتخصيصات والتفصيلات والربط بصفات محددة وأعمال ومعينة وحسن سيرة ..الخ وليست ثناء على البر والفاجر، ولا المؤمن والمنافق، ولا العادل والظالم، ولا المستقيم والمتبدل،.. فإذا كان أكبر ما يستدلون به لا يفيد الثناء على جميع الصحابة وإنما على القليل منهم (إذ أن المهاجرين والأنصار لا يمثلون إلا ٥% من مجموع الصحابة البالغ عددهم فوق المئة ألف حسب تعريف القوم وتوسعهم، فكيف لو استعرضنا الآيات التي فيها الذم والعتاب على كثير من الصحابة – وفق تعريفهم- ؟ نحن لن نذكر تلك الآيات حتى لا يفهم منا غير ما قررناه من تخطئة

طريقة التعسف في الاستدلال على فضائل الظالمين، وامتحان المؤمنين في كل مناسبة بالرضا عن الفاسقين ومحبتهم وموالاتهم، ولو اقتصر دفاع هؤلاء عن أهل بدر والرضوان والمهاجرين والأنصار – حتى من اتهم منهم بالنفاق كعبد الله بن أبي وذي الخويصرة ومعتب بن قشير– لقلنا لهم عذرهم، أما أن يشغلونا بمعاوية وأمثاله ممن عبث بدين الله وغيّر السنن وارتكب العظائم فهذا أمر مستفز، فكان لا بد لهؤلاء من وقفة علمية تضع من بأوهم المستطير واستطالتهم على عباد الله بآراء متعصبة لا يدرون أين نبتت وأين أينعت، لكنهم يريدون إلقامنا السحت، وتعليمنا البهت، فكانت هذه الوقفة، وإلا لو أردت مجاراة التعصب بتعصب لقلنا على طريقتهم : إن الله قد مقت الصحابة مقتاً كبيراً و لم يستن أحداً كما قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) [الصف/٢، ٣])، ولسردنا من هذه الآيات ما لا يستطيعون دفعه، لأن منهجهم أعمى، ولو استخدمنا هذا المنهج الأعمى ما بقي من الصحابة أحد إلا استحق العقوبة، فنعوذ بالله من اعتساف الأدلة، ونشافة الأذهان، وتركة الظالمين.

سرد أشهر الآيات التي خاطبت الصحابة:

خاطب الله في كتابه الكريم مجتمع الصحابة (أو المجتمع في عهد النبوة) ووجهه وأثنى عليه في مواضع وذمه في مواضع وتحدث عنه في كثير من الآيات، ولا يمكن استعراض كل تلك الآيات، ولكننا لو أخذنا نموذجاً وهو كل خطاب فيه : (يا أيها الذين آمنوا) لاكتشفنا بشكل عام، أن مجتمع الصحابة خليط من جميع الأطياف، وأنه ليس كما يصور أهل السنة ولا الشيعة، وقد رأيت أن أورد أشهر ما ورد تحت خطاب (يا أيها الذين آمنوا) كشريحة من الخطاب القرآني للمجتمع الصحابي، وقد وردت (٨٩) تسعاً وثمانين مرة، وكلها خطاب للصحابة، البر منهم والفاجر، كما سنرى من السياقات، وتنقسم هذه الآيات إلى قسمين، قسم فيه أوامر، وقسم فيه نواهٍ، والنواهي هنا لا بد أن تكون مسبوقة بما يناقضها غالباً، فلا يخاطبهم الله بالنهي عن الشرك قبل وقوعه ولا عن الربا قبل وقوعه، ولا عن التناجي بمعصية الله ورسوله قبل وقوعها وهكذا، ولكن قد يبتدئهم بالأمر بالصلاة والصوم والزكاة وسائر الأوامر قبل علمهم بها، ومن خلال استعراض الآيات الكريمة قد يكتشف القاريء الفرق بين الثقافة القرآنية عن (مجتمع الصحابة الخليط) والثقافة المذهبية السنية (عن مجتمع الصحابة الملائكي)، والثقافة المذهبية الشيعية (عن مجتمع الصحابة الشرير)، فليحاول القاريء الكريم أنه يسمع هذه الآيات أيام النبي (ص) وأنه جزء من هؤلاء المخاطبين بـــــ (يا أيها الذين آمنوا)، وليتجرد من الثقافة المذهبية سواء كانت سنية أو شيعية، وسيرى ذلك المجتمع عن كثب، بخيره وشره، بصالحيه ومنافقيه، بالثابتين والمفتونين، بالصابرين

والمتغيرين، بأصحاب المباديء وأصحاب المصالح، بالصريحين والمذبذبين، بالمستيقنين والمترددين... الخ، وهذا الفهم الطبيعي والواقعي لمجتمع الصحابة وللصحابة أنفسهم سيفتح لنا فهم القرآن الكريم وتدبره وفهم التاريخ كله بما حوى من أحاديث وروايات وأحكام وعقائد وأخلاق ومحاسن وأضداد، فتدبروا هذه الشريحة من خطاب الله لذلك المجتمع الصحابي في العهد النبوي، وسترون ن تلك الأطياف ثابتة من حيث الجملة، بمعنى أن الطاعات والمخالفات استمرت من ول النبوة إلى آخرها، بل كانت المخالفات في آخر النبوة أكثر منها في ذلك المجتمع في أولها، مما يعني أن النفاق والتفلت كثر في آخر العهد النبوي، وهذا يدل على أن طبائع بعض الصحابة ثبتت و لم تتغير بطول العهد، بل طال على بعضهم الأمد فقست قلوبهم، كما أن كثرة الداخلين من أصحاب الخضوع للأمر الواقع الذين كانت لهم أهدافهم الخاصة في التسمي باسم الإسلام قد زاد من تعقيد الأمور وكثرة العصيان والتأثير على بعض الصالحين من قبل، وهذا ما نراه جلياً في آخر السور نزولاً من القرآن الكريم.

مزيد من الآيات الواصفة لمجتمع الصحابة وأطيافه مع شيء من التعليقات: (انظر الملحق).

ثانياً: مفهوم الصحبة في الأحاديث النبوية

تسير نصوص السنة النبوية هنا في سياق متوافق مع التحديد القرآني لمفهوم الصحبة الشرعية، وتقصره على المهاجرين والأنصار فيما يظهر من النصوص النبوية، وعندما نقول المهاجرين والأنصار فلا نقصد كل أنصاري ولا كل مهاجري، فمن بدّل فقد يحبط الله عمله – كما رأينا في الآيات وتهديد الله للصحابة بإبطال الأعمال- ولكن من حيث الجملة نقول إن الثناء على المهاجرين والأنصار الذين جاهدوا ونصروا بأموالهم وأنفسهم وهجرتهم هم المرادون بالثناء العام، أما الثناء التفصيلي لكل فرد منهم فيبحث بحسبه، فإن كان ممن أساء السيرة أو ظلم وتغيّر فلا تنفعه الهجرة ولا النصرة، ومن استمر على الاستقامة فهذا يتناوله العموم، ولعل من أبرز الأحاديث النبوية التي تسير في هذا المفهوم ما يلي:

النص الأول.. من النصوص الحديثية، (أنا وأصحابي حيّز)

وهو من حديث أبي سعيد الخدري قال: (لما نــزلت هذه السورة ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس﴾[٤٧] قال: قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها، وقال: الناس حيز وأنا وأصحابي حيز، وقال: لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية)، فقال مروان – أي لأبي سعيد-: كذبت، وكان عنده (عند مروان) رافع بن خديج وزيد بن ثابت وهما قاعدان معه على السرير، فقال أبو سعيد: لو شاء هذان لحدثاك، ولكن هذا يخاف أن تنــزعه عن عرافة قومه، وهذا يخشى أن تنــزعه عن الصدقة فسكتا، فرفع مروان عليه الدرة ليضربه، فلما رأيا ذلك قالا: صدق[٤٨]. (وقد أخرجه أحمد بسند صحيح).

لن نذكر فوائد هذا الحديث فيما يتعلق بمقدمة الحديث والجلوس مع السرير والعرافة والصدقة..الخ، وكيف أن بعض الصحابة قد يضعف أم السلطة الأموية والمال، بل بعضهم كأنس بن مالك وأبي هريرة رحمهم الله

---

[٤٧] سيأتي استطرد في زمن نزول سورة النصر، وأن الراجح أنها نزلت قبل الحديبية، وأن المراد بالفتح في سورة النصر (الفتح المبين) وهو فتح الحديبية، وأن سورة النصر نزلت قبل فتح الحديبية.

.

[٤٨] مسند الإمام أحمد (٤٥/٤) دار الفكر. والحديث رواه الإمام أحمد عن محمد بن جعفر – وهو غندر- ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري الطائي عن أبي سعيد الخدري، وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين فالإمام أحمد وشيخه غندر وشعبة من كبار أئمة الحديث الثقات الأثبات وعمرو بن مرة شيخ شعبة ثقة عابد من رجال الجماعة وأبو البختري اسمه سعيد بن فيروز وهو ثقة ثبت من رجال الجماعة وهو يرسل وقد أخرج الشيخان عنعنته في صحيحيهما، فالإسناد من أصح الأسانيد ورجاله كلهم رجال الجماعة إلا أحمد بن حنبل وهو ثقة إمام..وهذا الإسناد قد أخرج به البخاري ومسلم عدة أحاديث كما أخرج به أحمد وأصحاب السنن عدة وافرة من الأحاديث الصحيحة.

وغفر لهم كانوا يضعفون أبلغ من هذا الضعف، فهذا يكتم نصف الحديث خشية على قطع البلعوم، وذاك لا يجرؤ على نصرة يزيد بن نعامة الضبي في ذكر مواقيت الصلوات، وغير ذلك فهذا موضوع آخر، فهؤلاء الصحابة وإن لم يكونوا من الطلقاء ولا الأعراب إلا أن الضعف أمام السلطان والدنيا قد يلحق ببعض الفضلاء مع صحة إسلامهم، وهنا لا يجوز مساواة أبي سعيد الخدري الصادع بالحق مع زيد بن ثابت ورافع بن خديج اللذين تأخرا في الشهادة لأبي سعيد وجالسا مروان على السرير وركنا قليلاً إلى الذين ظلموا، وكذا ركن بعض الصحابة كأبي هريرة، وركن أنس في أول الأمر وكان ركونه بالغاً كابي هريرة ثم تاب وأنكر أموراً كان يسكت عنها على ما يظهر من تتبع سيرته، وهذا التفصيل في سير الصحابة أفضل من التعميم إما بظلم أو ثناء (ومثل هذه الفوائد هي لخواص طلبة العلم ولن يعقلها الحمقى).

وعلى كل حال: في ظاهر هذا الحديث إخراج محتمل لمن أسلم بعد الرضوان من الصحابة وإخراج صريح لمن أسلم بعد فتح مكة كالطلقاء والعتقاء.. بأكثر من دلالة:

الدلالة الأولى: تلاوته "صلى الله عليه وآله وسلم" لسورة النصر التي فيها ذكر (الناس) الذين يدخلون في دين الله أفواجاً، تلاها "صلى الله عليه وآله وسلم" يوم نـــزلت قبل إسلام الطلقاء بل قبل الحديبية – لتقدم نـــزولها على الأرجح – وأبرز هؤلاء الناس الداخلين في دين الله أفواجاً الأعراب من القبائل المجاورة ثم الطلقاء والوفود، وهذه من علامات النبوة، إذ هو من باب إخبار القرآن بالغيب، والدخول في دين الله يعني الخضوع لدين الله والتسمي به، سواء كان هذا الداخل صادق الإسلام أو فاسد السريرة، وهذا نظير الآيات التي تحدثت عن (الذين آمنوا) و (المؤمنين) فإنها من ألفاظ العموم .

ثم أخبرنا النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بأن (الناس حيز)، وهو وأصحابه حيز آخر، فماذا يعني هذا؟ يعني أن هؤلاء (الناس) لا يدخلون في (الأصحاب) الذين فازوا بتلك (الصحبة الشرعية)، التي تستحق الثناء، وتتنـــزل فيها كل الثناءات على الصحابة، وهذا له شواهد بأن المقصودين بذلك المهاجرون والأنصار (كما سيأتي).

فإذا سمعنا حديثاً نبوياً يثني على (أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم)، أو أثراً من الصحابة خاصة يثني على (أصحاب النبي)، فلا تُنـــزل تلك الأحاديث والآثار إلا على هؤلاء (الأصحاب) الذين فَصَلهم النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" عن (سائر الناس)، وأوضحُ الناس دخولاً في هؤلاء (الناس) الطلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة لارتباط الفتحين بهم سواءً فتح الحديبية أو فتح مكة؛ لأنه إن كان المقصود فتح مكة ففيه نص على تسميتهم (الناس) وإن كان الفتح هو فتح الحديبية فخروجهم من الصحبة من باب

أولى لأن المسلمين بعد الحديبية يدخلون في الناس لا في الصحابة إلى الناس[٤٩] ولا يجوز أن نجمع بين (حيزين) قد فرق بينهما النبي "صلى الله عليه وآله وسلم". ومن تأكد له هذا ثم أراد أن يجعل (الحيّزين) حيزاً واحداً فقد عارض صريح الحديث، خاصة وأن الآثار قد جاءت بأن (الناس) الذين دخلوا في دين الله أفواجاً سيخرجون من الدين أفواجاً[٥٠]! وهذا الخروج إما ردة أو نكوص عن حسن الإسلام، وكله قد حدث.

الدلالة الثانية: غضب مروان بن الحكم الذي أراد أن يضرب أبا سعيد الخدري على رواية هذا الحديث؛ لأن هذا الحديث يعني إخراج مروان، ووالده، ومعاوية (الذي يعمل له مروان)، وإخراج معظم قريش أقرباء مروان من (الصحابة) إلى (الناس) الذين ليس لهم ميزة عن سائر الناس.

الدلالة الثالثة: ما فهمه رافع بن خديج، وزيد بن ثابت، وأبو سعيد الخدري، رضي الله عنهم، فالثلاثة عرفوا أن هذا سيغضب مروان، ولكنهم صدعوا بكلمة الحق، بعد أن كاد يخفيها زيد ورافع؛ خوفاً على مصالحهما من الضرر الذي سيلحقهما من مروان بن الحكم والي معاوية على المدينة، ويشهد لهذا قول النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" يوم الحديبية: (إلا أن هذا فصل ما بيننا وبين الناس) ثم تلا الآية الكريمة ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل...﴾[٥١]. فـــ (الناس) هنا و (الناس) في الحديث السابق بينهما تطابق واضح في اللفظ والمعنى، وعلى هذا -إن كان الفتح المراد في السورة فتح الحديبية كما هو الراجح-

---

[٤٩] ويدخل في (الناس) الطلقاء ومن بعدهم جزماً ولا يدخلون في (الأصحاب) وإنما هناك طوائف أخرى محل بحث هل تدخل في (الأصحاب) أو (الناس) مثل المسلمين قبل الحديبية الذين لم يستقروا في المدينة، وبعض الناس ممن تلبسوا بالنصب عن جهل وحسن نية! لا يهمهم هؤلاء ممن أسلم قبل فتح مكة! ولا حتى أهل الرضوان كابن عديس ولا أهل بدر كمعتب بن قشير، وإنما يعز عليهم خروج (الطلقاء) من الصحبة الشرعية ولذلك لا تجدهم يدافعون عن المسلمين في العهد المكي الذين لم يهاجروا ولا يبرؤونهم لا من ردة ولا نفاق ولا ذم، وقد يكون بعضهم متهماً بالنفاق في رواية ضعيفة، ومع ذلك لا يجتهدون في دراسة هذا الإسناد وتبرئة ذلك البدري، ولكنهم يجهدون أنفسهم لرد مدلولات الأحاديث الصحيحة في ذم بعض الطلقاء، فإن لم يستطيعوا تضعيف الأسانيد قلبوا المثالب إلى مناقب، ضاربين بمراد النبي (ص) عرض الحوائط الأربعة! هل هؤلاء أهل سنة؟ هذا يبين لنا بوضوح أن بعض الأفكار عندنا تشكلت بداياتها في ظل السلطة الأموية وبتوجيه خاص أو عام أو كليهما من السياسة العامة والرأي السائد المتأثر بالسلطة؛ وهناك شواهد في عصرنا لا تحصى، لذا كانت هذه الأفكار تحمل بصمات السياسة الأموية، وهناك بعض المعتقدات من وضع السياسة الأموية أو تشجيعها أو توفيرها للجو المساعد على شيوع تلك المعتقدات، ومنها مسألة (الإمساك عما شجر بين الصحابة) و (عدالة كل الصحابة) و زيادة تشريع (عقوبة ساب الصحابي) و أنها يجب أن تكون أشد من عقوبة ساب الله عز وجل! -لأن بعض هؤلاء الغلاة يجعلون لساب الله توبة أما ساب الصحابي فلا يجعلون له توبة!- ونحو هذا من المعتقدات التي لا يدافعون بها عن أهل بدر كعلي وعمار ضد من سبهم من بني أمية وأشياعهم من النواصب وإنما يدافعون بها عن معاوية والوليد وبسر والحكم ونحوهم ضد من سبهم أو ذمَّ سيرتهم من بعض الصحابة أو التابعين من الشيعة أو من أهل السنة مثل كثير من أهل بدر وعلماء التابعين وبعض أهل الحديث كعبيد الله بن موسى وابن عبد البر وعبد الرزاق الصنعاني وغيرهم من كبار علماء أهل السنة بل جاءت النصوص الشرعية بذم بعضهم ببغيهم أو فسقهم أو ظلمهم.

[٥٠] بعض هذه الأحاديث أخرجها الحاكم -وصححها- وابن مردويه عن أبي هريرة وجابر بن عبد الله وهذه الأحاديث تحتاج لتحقيق (راجع الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي- آخر تفسير سورة النصر).

[٥١] سيأتي الحديث دليلاً مستقلاً.

يصبح قوله "صلى الله عليه وآله وسلم" (لا هجرة بعد الفتح) من دلائل النبوة لأنه إخبار بالغيب، وقد حصل هذا من الناحية العملية إذ أصبح النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بعد صلح الحديبية يرد من هاجر إليه من مكة، ولا يقبل بقاءهم في المدينة حسب الاتفاق مع كفار قريش كما في بنود صلح الحديبية، وعلى هذا أيضاً فقوله "صلى الله عليه وآله وسلم" يوم الفتح إنما هو تأكيد وتكرار لما سبق أن تقرر من أنه لا هجرة بعد فتح الحديبية نظراً لتقدم نـــزول سورة النصر على سورة الفتح كما سبق بيانه.

استطراد في زمن نزول سورة النصر:

الصحيح في نـــزول سورة النصر أنها نـــزلت بالمدينة قبل صلح الحديبية وهذا هو الأصح والأقوى وتتفق رواية ابن الضريس ورواية أبي عمرو الداني على أن سورة النصر نـــزلت قبل سورة الفتح، وسورة الفتح نـــزلت بعد صلح الحديبية مباشرة، وعلى هذا تكون السورة نـــزلت بالمدينة قبل صلح الحديبية مباشرةً والمعنى بالفتح في السورة فتح الحديبية لا فتح مكة كما جاء في روايات أخرى؛ فإن صح أن نزولها كان يوم فتح مكة فإنه هنا يحمل على تعدد النـــزول، وكان (الفتح) إذا أطلق عند الصحابة يعنون به فتح الحديبية لا فتح مكة (كما أخبر بذلك البراء بن عازب، وهذا الرأي السلفي الحقيقي الذي جهلته السلفية الأموية المصنّعة) ، وقوله (أنا وأصحابي حيز والناس حيز) يتفق مع القول بأن الصحابة هنا هم المسلمون قبل صلح الحديبية، وأما من بعدهم فحيز آخر، ويطلق عليهم (الناس) لا (الصحابة ولا الأصحاب)، ويدل عليه الحديث الآتي (دع عني أصحابي يا خالد!!) وقد كان خالد من المسلمين بعد الحديبية، أما حجة الذين جعلوا سورة (النصر) آخر ما نـــزل من سور القرآن فهي ما أخرجه الإمام مسلم في كتاب التفسير من قول ابن عباس لعبيد الله بن عتبة: (تعلم آخر سورة من القرآن نـــزلت جميعاً؟ قلت: نعم، "إذا جاء نصر الله والفتح" قال: صدقت)، وليس المقصود هنا أن السورة آخر ما نزل مطلقاً وإنما المقصود آخر سورة نـــزلت كلها دفعة واحدة، فسورة التوبة بعد فتح مكة إجماعاً، لكنها لم تنزل دفعة واحدة، وقد وهم في هذا من وهم فعّد هذه السورة سورة النصر آخر السور نـــزولاً؛ وبعضهم يستدل بروايات عن بعض التابعين أو العلماء في ذكرهم السور المدنية مجملة لا يقصدون ترتيبها وإنما يذكرونها حسب ترتيب المصحف، ولا يقصدون حسب النـــزول ولذلك يذكرون سورة التوبة بعد البقرة وآل عمران كترتيبها في المصحف، ومن المعلوم أن سورة التوبة آخر السور المدنية نـــزولاً -بعد غزوة تبوك-

وأنها بعد سورة النصر بالإجماع إلا في آيات يسيرة نبه عليها أهل التفسير والمهتمون بعلوم القرآن، كما أن بعضهم يستدل على أن سورة (النصر) آخر ما نـــزل بكونها إيذاناً بدنو أجل النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وهذا —إن صح– يكون مرتبطاً بالشرط (إذا جاء نصر الله والفتح) فإذا جاء الفتح فقد اقترب أجل النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" سواءً كان فتح الحديبية أو فتح مكة وهذا لا يعني نـــزول السورة يوم فتح مكة أو بعد حنين أو يوم منى ونحو ذلك؛ رغم ورود ذلك في روايات ضعيفة أخرج معظمها السيوطي في الدرر المنثور.

ومما يدل على قدم نـــزول هذه السورة أعني سورة النصر ما رواه البيهقي بإسناد صحيح (دلائل النبوة ١٤٢/٧) عن عكرمة والحسن البصري بشأن ترتيب سور القرآن من حيث النـــزول فقد ذكرا السور ترتيباً حسب النـــزول كالتالي: (إذا جاء نصر الله، والنور، والحج، والمنافقون، والمجادلة، والحجرات، والتحريم، والصف، والجمعة، والتغابن، والفتح، وبراءة)، وهذا الأثر صححه البيهقي في الدلائل (١٤٤/٧) وذكر له شاهداً من طريق خصيف عن مجاهد عن ابن عباس (١٤٤/٧) وقال: ولهذا الحديث شاهد في تفسير مقاتل وغيره من أهل التفسير، وله شاهد بسند حسن (راجع المكي والمدني للدكتور عبد الرزاق بن أحمد ٢٧٣/١)، من رواية أبي عمرو الداني بإسناده عن جابر بن زيد (أحد التابعين) وقد ذكر جابر نـــزول سورة (النصر) قبل النور والحج والمنافقون والمجادلة والحجرات والتحريم والجمعة والتغابن والصف والفتح وبراءة، وتتفق هذه الروايات مع رواية الزهري أيضاً في كتابه: (تنـــزيل القرآن ص٤٢- مطبوع، مع الناسخ والمنسوخ للزهري تحقيق الدكتور حاتم الضامن) وقد ذكرها الزهري أيضاً قبل الحج والمنافقون والمجادلة والصف والفتح والمائدة ثم التوبة.

وتتفق مع هذه الروايات أيضاً رواية ابن الضريس المشهورة بإسناده عن ابن عباس وهي رواية ضعيفة (المكي والمدني – رسالة دكتوراه للدكتور عبد الرزاق حسين أحمد ٢٦٣/١)، وتتفق في المتن مع ما سبق في ذكر سورة (النصر) قبل سورة النور والحج والمنافقون والمجادلة والحجرات والتحريم والجمعة والتغابن والصف والفتح والمائدة والتوبة (انظر نص روايته عند ابن النديم في الفهرست ص٤١ طبعة دار الكتب العلمية، وانظر المكي والمدني للدكتور محمد الشايع ص٧٩).

إذن فقد اتفقت روايات عكرمة والحسن البصري وابن عباس ومقاتل وابن الضريس والزهري وأبي عمرو الداني على تقدم نـــزول سورة النصر قبل فتح الحديبية على أقل تقدير، وكل ما قد يستدل به على تأخر سورة النصر إلى فتح مكة أو بعدها فيه نظر إما من حيث الإسناد أو من حيث الدلالة، أما كون النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" قرأها يوم فتح مكة فلا يدل على أنها لم تنـــزل إلا ذلك اليوم فقد ثبت أيضاً

في صحيح البخاري أن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" كان يقرأ سورة الفتح (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) يوم فتح مكة أيضاً (انظر البخاري مع الفتح ٨/٥٨٣) فتلاوته للسورتين يدل على نزولهما قبل، بل سورة الفتح نزلت قبل فتح مكة قطعاً.

لكن قد يراد بالفتح في سورة النصر فتح مكة فقد جاء في أحد الروايتين عن ابن عباس في صحيح البخاري صرح به في كتاب المغازي وأهمله في كتاب التفسير فلعل ذكر الفتح في (المغازي من الصحيح) من باب الرواية بالمعنى، غير أن له شاهداً عن عائشة في مسلم، لكن هذا كله لا يمنع من نـــزول السورة قبل الحديبية ولا يمنع كذلك من تعدد النـــزول.

النص الثاني.. من النصوص الحديثية: (ألا أن هذا فصل بيننا وبين الناس):

من حديث أبي سعيد الخدري أيضاً قال: (قال لنا رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" عام الحديبية: يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم، قلنا: من هم يا رسول الله أقريش هم؟! قال: لا ولكن أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوباً، فقلنا: هم خير منا يا رسول الله؟! فقال: لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ما أدرك مُدَّ أحدكم ولا نصيفه ألا إن هذا فصل ما بيننا وبين الناس ﴿ لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى﴾... إلى قوله ﴿ والله بما تعملون خبير﴾[٥٢] رواه الطبري في تفسيره بسند صحيح.

ودلالة الحديث واضحة في فصل من أتى بالجهاد والإنفاق بعد الرضوان عمن كان قبلها، والفتح هنا المراد به فتح الحديبية في شوال من السنة السادسة من الهجرة[٥٣]، وهذا الحديث يتطابق في الدلالة مع حديث خالد (لا تسبوا أصحابي)، ومع (أنا وأصحابي حيّز والناس حيّز)، ومع حديث (المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض إلى يوم القيامة..)، وفي الحديث بيان للصحبة الشرعية التي فاز بها المهاجرون والأنصار، ولن يدركها من أتى بعدهم، حتى لو فعلوا ما فعلوا، دلالةُ ذلك في قوله: (هذا فصل ما بيننا وبين الناس)، وفي

---

[٥٢] الطبري في تفسيره (١٢٧/٢٧) قال: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري وهذا الإسناد صحيح على شرط مسلم، ورواه بإسناد آخر قال حدثني ابن البرقي ثنا ابن أبي مريم ثنا محمد بن جعفر أخبرني زيد بن أسلم عن أبي سعيد فالإسنادان قويان والحديث بهما صحيح لكن سقط من الإسناد الأخير اسم عطاء بن يسار.

[٥٣] بعض المفسرين فسر الفتح في الآية السابقة بأن المراد به فتح مكة لكن الصواب أنه فتح الحديبية لكون سورة الحديد نـــزلت قبل فتح مكة وإلى هذا ذهب الطبري بقوله: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال معنى ذلك لا يستوي منكم أيها الناس من أنفق في سبيل الله من قبل فتح الحديبية للذي ذكرنا من الخبر عن رسول الله الذي رويناه عن أبي سعيد الخدري وقاتل المشركين بمن أنفق بعد ذلك وقاتل..) تفسير الطبري ١٢٧/٢٧.

هذه الطبعة زدت في تأكيد أنه ليس الثناء على كل المهاجرين وكل الأنصار، فبعضهم تغيّر، وليس من العلمية في شيء أن تعطي حكماً ليس له أصل في الشرع والعقل، ولا وجود له في عهد الصحابة أنفسهم، ولكن نقول أغلب المهاجرين والأنصار مرضي عنهم، وأغلب الطلقاء مسخوط عليهم، وقد يشذ صحابي بالتغيّر والفساد، كما أنه قد يشذ طليق بالصلاح، ولكن أكثر الطلقاء (وهم أساس المشكلة التاريخية كلها) لم يكونوا مؤمنين، إنما مسلمون ظاهراً لأدلة قرآنية كثيرة جداً.

في مسألة الطلقاء: القرآن في مكان وغلاة السلفية في مكان آخر!

أنا أركز على (الطلقاء) لأنهم سبب كل بلاء، هم من حرف الدين وفرق المسلمين وارتكبوا العظائم، وأكبر ما اقترفوه هو حرب الإسلام باسم الإسلام، ولو عرفهم أهل السنة لم ينخدعوا بهم ولما كان في أهل السنة نواصب، فحزب الطلقاء هو العقبة الأولى في منع تدبر القرآن الكريم ورؤية التاريخ وتحكيم نصوص الشريعة في العقائد والسياسة والأحكام والحقوق (انظر : الطلقاء في القرآن الكريم، في الملحق).

النص الثالث.. من النصوص الحديثية : (ويكون من التابعين بإحسان):

روى الإمام أحمد بسند صحيح عن مجاشع بن مسعود أنه أتى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بابن أخ له يبايعه على الهجرة، فقال رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم": (لا بل يبايع على الإسلام، فإنه لا هجرة بعد الفتح، ويكون من التابعين بإحسان)[٥٤] أهـــ. قلت: والقصة حصلت يوم فتح مكة.

في هذا الحديث – وسنده صحيح - دليل صريح على أن مسلمة الفتح (فتح الحديبية وفتح مكة من باب أولى) فمن بعدهم من الناحية الشرعية يدخلون في التابعين، ولا يدخلون تحت مسمى الصحابة (صحبة شرعية)، وإلا لوافق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على مبايعته على الصحبة يوم فتح مكة، وهذا الحديث يسهم في تفسير قوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان﴾[٥٥].

فالذي ليس مهاجرياً، ولا أنصارياً، لا يكون إلا تابعياً، سواء كان اتباعه بإحسان أو بغير إحسان، وقوله: (ذهب أهل الهجرة بما فيها) أي بما فيها من فضل وتسمية، وغير ذلك مما هو من خصائص المهاجرين وفضائلهم، وفي قوله (لا هجرة بعد الفتح) كأن فيه نكتة لم ينتبه لها الناس، وهي : كأن النبي (ص) يعلم أن الطلقاء سيكون لهم أثرهم وإفسادهم في المدينة إذا هاجروا، وإحيائهم لأحلاف وعصبيات وأدها الإسلام فكأن النبي (ص) يقول لهم (إبقوا هنا ولا تهاجروا) لكنهم هذه المرة كان إيمانهم كبيراً! فهاجروا وتركوا مكة ومسجدها وحنينها ثم كانت لهم آثار على بعض السابقين، ثم كانت لهم الولايات والأحلاف والعصبيات والإفساد وجاء فيهم (فساد أمتي على أيدي سفهاء من قريش).

---

[٥٤] مسند أحمد- ١٥٢٨٦، طبعة الأرناؤوط، رواه الإمام أحمد عن أبي النضر حدثنا أبو معاوية عن يحيى بن أبي كثير عن يحيى بن إسحاق عن مجاشع وهذا سند صحيح وقد صححه المحقق شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لمسند أحمد (١٧٦/٢٥) قال: إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين غير يحيى بن إسحاق وهو ثقة، ورواه البخاري عن مجاشع مختصراً بلفظ (أتيت النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بأخي بعد الفتح فقلت: يا رسول الله جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة، قال: ذهب أهل الهجرة بما فيها، فقلت: على أي شيء تبايعه، قال: أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد، فلقيت معبداً بعد وكان أكبرهما فسألته، فقال: صدق مجاشع)، وهذا فيه دلالة واضحة على أن الفتح قطع شرعية الهجرة إلى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وقطع التسمي بها وهذه القصة وإن حصلت بعد فتح مكة لكن المراد – فيما أرجح-بـــ(لا هجرة بعد الفتح) أي فتح الحديبية وعلى تقدير أن المراد بالفتح في الحديث فتح مكة فهذا مخرج للطلقاء أيضاً ومن بعدهم من الصحبة إلى الإتباع، ولا يحصل مسلمو الفتح على اسم الهجرة ولا فضلها حتى لو وفدوا إلى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وعلى هذا فلا يسمون صحابة وإنما هم من سائر (الناس) كما في حديث (أنا وأصحابي حيّز والناس حيّز) أو يسمون الطلقاء أو نحو ذلك.

[٥٥] سورة التوبة: ١٠٠.

النص الرابع.. من النصوص الحديثية (لا تسبوا أصحابي...):

حديث أبي سعيد الخدري في تخاصم خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وهو قول النبي "صلى الله عليه وآله وسلم": (لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه)[٥٦]، والحديث مشهور بلفظ (لا تسبوا أصحابي..)، وهو يخاطب خالد بن الوليد عندما تخاصم مع عبد الرحمن بن عوف، في قضية بني جذيمة (بعد فتح مكة)، وهذا دليل واضح على إخراج النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" لخالد بن الوليد وطبقته من الصحبة الشرعية فضلاً عن من بعدهم لأكثر من دلالة:

الدلالة الأولى والأقوى والمهملة من قبل المخالفين: أن تكملة الحديث فيها بيان للصحبة الشرعية التي كتبنا في بيانها هذا البحث، وأنها لا تدرك لقوله "صلى الله عليه وآله وسلم": (فلو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه) فهذه هي الصحبة الشرعية تماماً[٥٧]، وهي التي لم يدركها خالد بن الوليد- على فضله وشجاعته- كما لم تدركها طبقته كعمرو بن العاص وغيره، فمن باب أولى ألا يدركها طلقاء مكة، ولا عتقاء ثقيف، ولا معظم الأعراب، ولا الوفود المتأخرون ونحوهم.

---

[٥٦] مسلم- كتاب فضائل الصحابة.

[٥٧] وهذا الحديث يختلف عن حديث (هل أنتم تاركو لي صاحبي) فهذا الحديث الأخير – رغم نكارة متنه وشامية مصدره- إلا أنه على افتراض صحته فإنما يقصد النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" به عمر بن الخطاب من باب (ما بال أقوام) في قصة تغاضب أبي بكر وعمر، والواضح خلوه من بيان للصحبة الشرعية فليس فيه نفيٌ لصحبة عمر، وإنما فيه البيان أن الصحبة الخاصة نفسها مراتب فالنبي "صلى الله عليه وآله وسلم" لم يقل لعمر (لو أنفقت مثل جبل أحد لن تبلغ مُدَّ أبي بكر ولا نصيفه) فالدلالة في هذه الجزئية (الشطر الثاني) من حديث خالد وعبد الرحمن بن عوف أقوى من شطر الحديث الأول (أعني قوله: لا تسبوا أصحابي) ، وعلى هذا فحديث اختصام أبي بكر وعمر - على افتراض صحته وقد انفرد بروايته قاضي معاوية وعبد الملك وهو أبو إدريس الخولاني- ليست فيه هذه الزيادة التي تفيد الصحبة الشرعية، وإنما أخبر النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" عمر بلغة العموم، بأنه كان من المكذبين للنبي يوم بعث وصدق به أبو بكر وواساه بنفسه وماله، وهذا صحيح، بل لم يسلم عمر إلا في السنة السادسة أو السابعة من البعثة؛ ومن هنا جاء غضب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" على عمر، لأنه لم يعرف قدر أبي بكر، فكيف لو شاهد معاوية وما فعله في حق علي؟ إذن فهذا خطاب عام يراد به الخاص؛ والمتن فيه رائحة شامية، لأن أبا بكر ليس أول من أسلم على الصحيح، إلا قياساً بقريش من غير أهل البيت، فقد أسلم على المشهور بعد إسلام خديجة وعلي وزيد بن حارثة وسائر أهل بيت النبي (ص)، وهؤلاء الناس أسلموا قبل أبي بكر خاصة خديجة وعلي، فلا يتجه الحكم بأن الناس كلهم كذبوا النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" إلا إذا أطلق على سبيل التغليب فصحيح أن أغلب الناس ومنهم عمر كانوا في بداية البعثة من أشد خصوم النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ثم هدى الله عمر، وقبله حمزة بن عبد المطلب للإسلام، وقد قيل أن الله أعز الإسلام بهما وعبد المسلمون الله جهراً؛ وهذا لا يتفق تاريخياً مع حصار الشعب بعد إسلام عمر مباشرة، بل اشتد المشركون في تعذيب المستضعفين بعد إسلام عمر، لكن كان لأبى بكر فضيلة السبق وقوة المواساة وهذا لا يعنى نفى الصحبة الشرعية عن المهاجرين والأنصار لأنها ثابتة بالنصوص القرآنية فضلاً عن النصوص النبوية، فيجب التفريق بين مدلول الحديثين.

الدلالة الثانية: أن خالداً أقر بهذا و لم يقل (يا رسول الله: أولست من أصحابك؟) لأن خالداً يعرف الفرق بين الصحبة الشرعية التي قام عليها الإسلام وبين الصحبة العامة أو اللاحقة التي يطلق على أصحابها (التابعين) من الناحية الشرعية.

الدلالة الثالثة: أن قصة الحديث وقعت بعد فتح مكة، وبعد أن صحب خالد بن الوليد النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" مدة من الزمن (ثمانية أشهر تقريباً) ، لكن لم تشفع له في الحصول على فضيلة (الصحبة الشرعية)، فكيف بمن بعده؟ إذن فالمسلمون بعد فتح الحديبية لا يدخلون في الصحبة الشرعية وإنما يدخلون في الصحبة العامة التي هي الاتباع ويطلق على أصحابها من الناحية الشرعية (تابعون) وإن جاز تسميتهم (صحابة) لكن صحبة عامة لا شرعية.

شبهة مشهورة:

يقول البعض: إذا كان الفرق بين عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد كبيراً إلى هذا الحد (وهذه المسألة الأولى) فمن باب أولى أن يكون الفرق بين من صحب ولو صحبة يسيرة وبين من لم يصحب! (وهذه المسألة الثانية).

ونقول: المسألة الأولى جاء الدليل عليها لكن ما دليل المسألة الثانية؟ أعني أين الدليل المفضل للطلقاء أمثال الوليد بن عقبة ومعاوية بن أبي سفيان والحكم بن أبي العاص وقاتل عمار على التابعين أمثال سعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وعمر بن عبد العزيز ونحوهم؟! أين الدليل على هذا من كتاب الله أو سنة رسوله "صلى الله عليه وآله وسلم"؟! بعيداً عن القواعد العاطفية التي وضعها بعض مغفلي الصالحين، كقول بعضهم: (تراب في أنف معاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز..!) فهذا القول باطل لا دليل عليه من نقل ولا عقل، وهو دليل على الغلو في معاوية وتسرب الآراء الشامية إلى كتب أهل السنة والجماعة وإلا فالتراب لا فضل فيه والإنسان خير من التراب فقد كرم الله بني آدم على كثير ممن خلق وسخر لهم الأرض وما فيها من تراب وحديد وغير ذلك.

النص الخامس.. من النصوص الحديثية (المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض..):

قول النبي "صلى الله عليه وآله وسلم": (المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة)، سنده صحيح[٥٨] وهذا الحديث صريح في أن طلقاء قريش وعتقاء ثقيف ليسوا من المهاجرين ولا من الأنصار، ومساواة السابقين باللاحقين وضعٌ من منــزلة السابقين وإساءة إليهم، فالواحد منا يغضب إذا قرنه أحد بمن هو أقل منه –بكثير– عملاً وفضلاً، خاصة إذا كان المقارِن لا يرى كبير فرق!، بل قد لا يرى إشكالية لو لم تحدث مقارنة!، فالمقارنة الباردة فيها هدر لحقوق الفاضل، ومكانته، وعدم تقدير لسوابقه، فكذلك ما فضل الله به بعض الناس على بعض، لا يجوز أن نتجاوزه إلى مساواة غير عادلة!

النص السادس.. من النصوص الحديثية (الله الله في أصحابي..):

روى الترمذي وابن حبان قول النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبّهم فبحبّي أحبّهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه). والحديث محل نظر لكن قد صححه بعضهم.

فهذا الحديث –مع تحفظي على صحته– يستدل به بعض الناس على الوصية لكل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" من المسلمين، مع أنه من أكبر الأدلة على إخراج أكثر هؤلاء من هذه الوصية مع قصرها في حق المهاجرين والأنصار من أصحاب الصحبة الشرعية.

ثم أقول في هذا: يا ترى –إن صح الحديث– فمن هم المخاطبون المرادون في قوله (لا تتخذوهم) بهذا الحديث؟ أليس المخاطبون بذلك صحابة حسب تعريفنا الشائع؟! لأن الصحابي عندنا –نحن المتأخرين– كل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" مؤمناً، وعلى هذا فالنبي "صلى الله عليه وآله وسلم" يوصي الصحابة بالصحابة! إذن فالنبي "صلى الله عليه وآله وسلم" في هذا الحديث يخاطب جمهرة من رآه ولقيه من

---

[٥٨] مسند أحمد (٦٧/٧)، والحديث مروي بإسنادين عن جرير بن عبد الله البجلي: الإسناد الأول: أحمد حدثنا وكيع عن شريك عن عاصم عن أبي وائل عن جرير/ والإسناد الثاني: أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن الأعمش عن موسى بن عبد الله بن هلال العبسى عن جرير ولفظه (الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة والمهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة)، فالإسناد الثاني: كلهم رجال الجماعة إلا موسى بن عبد الله بن هلال العبسي وهذا اسم وقع محرفاً وأصله اسمين كما قال العراقى: موسى بن عبد الله بن يزيد الأنصاري عن عبد الرحمن بن هلال العبسى (الإكمال للحسينى ١٤٩/٢)، والثاني من رجال مسلم أيضاً (كتبه في التقريب: عبد الرحمن بن أبى هلال العبسى وأشار المحقق محمد عوامة إلى الاختلاف في الهامش) فالإسناد صحيح لذاته ويشهد له الإسناد الأول. وقد رواه ابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن جرير.

الصحابة المتأخرين (أصحاب الصحبة العامة) كالأعراب والطلقاء والوفود ونحوهم وهم أكثر من بقي بالمدينة بعد فتح مكة[٥٩] وهؤلاء ليسوا من الصحابة، فهذا دليل على الصحبة الشرعية لأن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" كان يخاطب موجودين ولا يخاطب معدوماً وهذا شبيه بحديث خالد وعبد الرحمن بن عوف.

يتضح هذا من تطابق المعنى في قوله: (لا تسبّوا أصحابي) في حديث خالد و (لا تتخذوهم غرضاً بعدي) في هذا الحديث، فالمخاطبون في الحديثين موجودون ساعة الخطاب لكن ليسوا صحابة، (يجب التذكير بأنني عندما أقول: ليسوا صحابة، أقصد نفي الصحبة الشرعية فقط لا الصحبة العامة التي يدخل فيها المنافقون).

استطراد في أعداد الصحابة قبل الحديبية وبعدها:

ارتفع عدد من ذكر في الصحابة من نحو ألفين عام الحديبية –العام السادس– (منهم ١٥٠٠ بايعوا بيعة الرضوان)[٦٠] إلى عشرة آلاف في العام الثامن في فتح مكة بعد عامين فقط إلى اثني عشر ألفاً في حنين بعد أيام فقط! (كان الألفان الزيادة من الطلقاء) إلى ثلاثين ألفاً في العام التاسع في غزوة تبوك بعد عام فقط! إلى مائة وأربعة عشر ألفاً (١١٤٠٠٠) في حجة الوداع سنة عشر أي بعد عام فقط! إلى نحو مئة وعشرين ألفاً عند وفاته "صلى الله عليه وآله وسلم"، فقد بقي النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" نبياً ثلاثاً وعشرين سنة، منها عشرون سنة (ثلاث عشرة سنة بمكة وسبع سنوات بالمدينة إلى عام خيبر) لم يبلغ مجموع أتباع النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" إلا نحو الألفين إلى ثلاثة آلاف على أكبر تقدير، ثم في أربع سنوات فقط من بعد فتح خيبر وفتح مكة وكثرة الغنائم زاد عدد المسلمين بسرعة مطردة إذ بلغ عددهم أكثر من مائة ألف مسلم!!، وهذا يفسر لنا ثناء الله ورسوله على صحابة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" من المهاجرين والأنصار فقط الذين قام عليهم الدين وصبروا أيام الضعف والذلة وهم الذين خصهم الله ورسوله بالثناء ونهى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" عن سبهم، وعلمنا أن تسميته لهم بـــ (الأصحاب) تسمية شرعية لأدلة كثيرة سقناها ولا زلنا نسوقها، كما أن هذا يفسر لنا كثرة المرتدين من القبائل بعد النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"! الذين كانوا – حسب التعريف الخاطئ– صحابة فالمائة ألف الذين حجوا مع النبي "صلى الله عليه وآله

---

[٥٩] انظر الاستطراد التالي بعد الحديث مباشرة.

[٦٠] وقد اختلف في عدد الصحابة يوم الحديبية، فالأشهر أنهم ١٤٠٠ صحابي) وبعضهم يقول : كانوا سبعمائة فقط، وأن الإحصاء تم بأمر النبي (ص) يومئذ فبلغوا (١٥٠٠ نسمة) كما في حديث حذيفة، ولكن على أبعد تقدير نقول (كان مجموع المسلمين من رجال ونساء نحو الثلاثة آلاف) على أوسط التقادير، وهو عدد يسير جداً قياساً بالزمن (١٩ سنة) بينما قفز هذا الرقم أيام الصحبة غير الشرعية (من بعد الحديبية إلى حجة الوداع إلى (١١٤,٠٠٠) صحابي! أي في أربع سنوات فقط، يعني أن الصحابة من أصحاب الصحبة العامة كانوا أكثر من (١١٠,٠٠٠) بينما أصحاب الصحبة الخاصة كانوا فقط (٣٠٠٠ ثلاثة آلاف في أكبر تقدير) مع أنه يمكن ألا يزيد عددهم على الألف إذا أخذنا حديث حذيفة في الاعتبار .

وسلم" ارتد كثير منهم بدلالة أن الخليفة أبا بكر الصديق لم يستطع أن يجيش إلا جيوشاً صغيرة لا يبلغ مجموعها نصف هؤلاء فأين ذهب المئة والعشرون ألفاً ممن أطلق عليهم خطأً وصف الصحبة؟! أكثرهم ارتدوا أو تشككوا أو منعوا الزكاة ومن لم يرتد أساء السيرة كأهل البغي وبعض الخوارج، ولا ريب أن الثناء على هذه الألوف ليس مقصوداً في النصوص الشرعية المثنية على صحابة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" وإنما المقصود في تلك الآيات والأحاديث أولئك الصحابة الذين كانت هجرتهم لله ونصرتهم لله مع مفارقة الأوطان والخلان والتعرض للبلاء والقتل والمحن ومواجهة المكائد والتحالفات من المشركين واليهود على حد سواء، فهؤلاء هم صحابة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" الذين نـــزلت في الثناء عليهم الآيات الكريمة وجاءت بالنهي عن سبهم والتعرض لهم الأحاديث الشريفة.

النص السابع.. من النصوص الحديثية (يكون لأصحابي زلة..):

حديث حذيفة بن اليمان مرفوعاً إلى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" قال: (يكون لأصحابي من بعدي زلة يغفرها الله لهم لسابقتهم معي يعمل بها قوم من بعدهم يكبهم الله في النار على مناخرهم)[٦١]، وهذا الحديث إن صحَّ الحديث –وسنده ضعيف لوجود ابن لهيعة- فهو يدل على ما قررناه لأن في الحديث سبب غفران الزلة للصحابة والسبب هو (السابقة) وهذه السابقة لا تتوفر إلا في المهاجرين والأنصار كما في قوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار... ﴾ الآية، وتلك الزلة إن صحت الحديث فيحتمل أنها وقعت يوم السقيفة أو يوم الجمل أو كليهما، فهاتان الحادثتان هي التي كان رؤوسها أصحاب الصحبة الشرعية، كأبي بكر وعمر وطلحة والزبير فتغفر لهم هذه الزلة لسابقتهم، فيقلدهم معاوية وأمثاله فيكبهم الله على مناخرهم في النار (هذا إن صح الحديث فهذا أقرب معانيه، وهناك ارتباط كبير بين معاوية والنار في الكتاب والسنة – راجع بحث: الطلقاء في القرآن الكريم).

النص الثامن.. من النصوص الحديثية (في معنى الهجرة):

حديث أبي سعيد الخدري المتفق على صحته: أن أعرابياً سأل رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" عن الهجرة، فقال: (ويحك إن شأنها شديد فهل لك من أبل تؤدي صدقتها؟ قال: نعم: قال: فاعمل من وراء البحار "أي المدن والقرى" فإن الله لن يَترِك من عملك شيئاً)[٦٢]، في هذا الحديث خشي النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" على هذا الرجل ألا يقوى على الهجرة، وأخبره أن أمرها شديد، فهي تقتضي ملازمة النبي

[٦١] المطالب العالية لابن حجر (١٤٧/٤) وفي إسناده ابن لهيعة وقد ضعف البوصيري الإسناد لوجود ابن لهيعة.

[٦٢] متفق عليه.

"صلى الله عليه وآله وسلم" في المدينة، ونصرته بالمال، والجهاد، والتعرض للأخطار، فلذلك أمره بما يعرف من حاله، وبما يرى أنه يستطيع فعله من الأعمال[٦٣].

النص التاسع.. من النصوص الحديثية (الوصية بالسابقين الأولين):

حديث عبد الرحمن بن عوف قال: لما حضرت النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" الوفاة قالوا: يا رسول الله أوصنا قال: (أوصيكم بالسابقين الأولين من المهاجرين وبأبنائهم من بعدهم إلا تفعلوه لا يقبل منكم صرف ولا عدل)[٦٤]. وفي لفظ (أوصيكم بالسابقين الأولين وبأبنائهم من بعدهم).

قال الدكتور ناصر الشيخ في كتابه (عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام): "فالذي لم يحفظ وصية النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" في أصحابه المهاجرين باعتقاد ما يجب لهم من المحبة، والاحترام، والاعتراف بفضلهم، وسابقتهم، فإنه على حالة خطيرة، ويكون مآله إلى شر، والعياذ بالله..".

أقول: خذوا كلام الدكتور وانظروا ماذا فعل بنو أمية في السابقين وأبنائهم!![٦٥]، ومن ذلك ما فعله معاوية مع أبي ذر وعلي وعبادة.. ونحوهم من السابقين، وما فعله يزيد بن معاوية وجيوشه في كربلاء والحرة من انتهاك حرمات أبناء المهاجرين والأنصار وانتهاك حرمة المدينة ومكة، كل هذا في روايات صحيحة ليس هنا مجال استقصائها.

النص العاشر.. من النصوص الحديثية (عشرة آلاف من أصحابه والطلقاء)!:

روى البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: (لما كان يوم حنين التقى هوازن ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف والطلقاء فأدبروا قال: يا معشر الأنصار، قالوا: لبيك يا رسول الله وسعديك لبيك نحن بين يديك، فنـــزل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أنا عبد الله ورسوله، فانهزم المشركون فأعطى الطلقاء والمهاجرين و لم يعط الأنصار شيئاً، فقالوا: فدعاهم فأدخلهم في قبة، فقال: أما ترضون أن يذهب

---

[٦٣] فمثل هذا الرجل لم يستحق اسم الهجرة الشرعية مع أنه قد هاجر الهجرة العامة وهى السفر إلى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" في المدينة لكن الهجرة الشرعية لها معنى زائد من ملازمة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" في المدينة بما سبق من شروط، وكانت أيام الضعف والذلة لوصف النبي (ص) لها بالشدة والصعوبة، ولو كانت أيام الرخاء لما أمره بالعودة إلى وطنه، فهذا الحديث يشبه حديث عمرو بن عبسة الآتي.

[٦٤] مجمع الزوائد (١٠/١٧) وقال: رجاله ثقات.

[٦٥] إذا كان النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" قد أنكر على عمر رضى الله عنه إنكارا شديدا إغضابه لأبى بكر رضى الله عنه مع قرب ما بينهما في المنــزلة فكيف لو رأى ما فعله الطلقاء من محاربة علي رضى الله عنه ولعنه مع ما بين علي ومعاوية من فرق كبير! وكذلك ما فعله يزيد بن معاوية بذرية النبي (ص) نفسه، لا سيما وأن قرابة النبي (ص) كانت من الصالحين و لم تكن القرابة فقط هي التي يجب مراعاتها في هذا الموضوع.

الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لاخترت شعب الأنصار"[٦٦].

أقول: في هذا الحديث دلالة على إخراج الطلقاء من الصحابة، بدلالة قول أنس: (عشرة آلاف- يعني من أصحابه- والطلقاء)، و لم يقل (اثنا عشر ألفاً)؛ لأن الطلقاء ليسوا من أصحاب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، وفي الحديث أيضاً بيان أن الطلقاء ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار، كما في قوله: (فأعطى الطلقاء والمهاجرين و لم يعط الأنصار شيئاً).

---

[٦٦] (البخاري مع الفتح ٥٣/٨).

النص الحادي عشر.. من النصوص الحديثية (حديث نعيم النحام العدوي):

في ترجمة نعيم بن عبد الله المعروف بالنحام، ذكروا أنه كان من السابقين الأولين إلى الإسلام فقد أسلم قبل عمر، ولكنه لم يهاجر إلا قبيل فتح مكة وكان ينفق على أرامل بني عدي وأيتامهم في مكة وكان أهل مكة قد تركوه يدين بما شاء، وكان نعيم هذا يعترف أنه ليس من المهاجرين مع أنه هاجر قبيل فتح مكة وذلك أن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" سأله (يا نعيم إن قومك كانوا خيراً لك من قومي، قال: بل قومك يا رسول الله، قال الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم": إن قومي أخرجوني وإن قومك أقروك فقال نعيم: يا رسول الله: إن قومك أخرجوك إلى الهجرة وإن قومي حبسوني عنها).

أقول: إن صح الحديث ففيه إقرار من النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بأن نعيماً قد فاتته الهجرة الشرعية رغم أنه هاجر قبل فتح مكة هذا ما يدل عليه ظاهر الحديث[٦٧]، مع أن قومه تركوا له حرية العبادة بشرط أن يعول أرامل وأيتام بني عدي، فلم يكن قومه يحولون بينه وبين العبادة لكن نصرة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، كانت واجبة على كل المسلمين وخاصة مسلمي قريش وأن من فاتته فقد فاته أجر عظيم وميزة كبيرة، ولذلك تأسّف نعيم هذا على فوات الهجرة رغم أنه من السابقين إلى الإسلام (أما من مات قبل الهجرة أو كان من المستضعفين فهو من المهاجرين حكماً مثلما أن المعذورين في شهود بدر معدودون في البدريين).

النص الثاني عشر.. من النصوص الحديثية (حديث عمرو بن عبسة):

روى الإمام أحمد من طريق شداد أبي عمار قال: قال أبو أمامة: يا عمرو بن عبسة بأي شيء تدعي أنك رابع الإسلام؟، فذكر الحديث وفيه (فقلت: إني متبعك، قال: إنك لا تستطيع فارجع إلى قومك فإذا سمعت بي ظهرت فالحق بي، قال: فرجعت إلى أهلي وقد أسلمت ..) الحديث[٦٨].

---

[٦٧] قد يقول بعضهم إن مراد نعيم بذلك السبق إلى الهجرة فقط، لكن ظاهر الحديث لا يدل عليه.

[٦٨] راجع الإصابة لا بن حجر ترجمة عمرو بن عبسة، والإسناد صحيح.

الحديث سنده صحيح وأصله في مسلم وهنا فائدة عظيمة وهي بيان (الاتباع الشرعي) وأنه لا يكفي مجرد الإسلام فهناك (خاصة أتباع) و(عامة أتباع)، ولو كان الإسلام كافياً في تحقيق معنى الاتباع الخاص للنبي "صلى الله عليه وآله وسلم" لما قال النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" لعمرو بن عبسة: (إنك لا تستطيع).

إضافة إلى أن أمره "صلى الله عليه وآله وسلم" لعمرو بن عبسة بالعودة إلى بلاده دليل على أن الهجرة لم تكن واجبة بمكة لتعرض المهاجرين لتعذيب وأذية كفار قريش، فأمره النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بما هو أصلح له من الإسلام وهو العودة إلى بلاده، و لم يكن قد أُذن للرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" في الجهاد. وفي الحديث دلالة على وجوب الهجرة الشرعية عند الظهور، وقد تمَّ ظهوره "صلى الله عليه وآله وسلم" بالهجرة إلى المدينة وتكوين دولة الإسلام الأولى، لكن عمرو بن عبسة تأخر في الهجرة و لم يهاجر إلا قبيل فتح مكة فلعله فهم من الظهور، ذلك الظهور العام للنبي "صلى الله عليه وآله وسلم" على قريش بينما الآيات الكريمة حثت على الهجرة قبل ذلك فلعله لم يعلم. ومثل هذا الرجل هل يلحق بالصحابة المهاجرين أو يكون له حكم الهجرة أو يكون له مطلق الصحبة؟ الأمر محل بحث.

النص الثالث عشر.. من النصوص الحديثية (حديث بريدة بن الحصيب في الهجرة):

روى الإمام مسلم في صحيحه والإمام الترمذي والإمام أحمد في مسند بريدة والقاسم بن سلام بسند صحيح[٦٩] –واللفظ له– عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: (كان رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" إذا أمّر أميراً على جيش أو سريّة أوصاه...) فذكر الحديث وفيه قول النبي "صلى الله عليه وآله وسلم": (وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال فأيتهن ما أجابوك إليها فأقبل منهم وكف عنهم: ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فإن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المسلمين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين...) الحديث.

وهذا الحديث فيه بيان شرط رئيس من شروط الهجرة الشرعية وهو التحول من ديار الشرك إلى ديار الإسلام، فقدوم الرجل على النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ثم عودته إلى بلاده لا تجعله من المهاجرين،

---

(٦٩) كتاب الأموال ص٣٢.

والهجرة تستلزم الجهاد أيضاً للقادر فالجهاد من شروط (الهجرة الشرعية) لأن من هاجر وبقي كلاً على المسلمين لا تتحقق فيه الهجرة الشرعية إضافة إلى أن الحديث فيه بيان الأعراب ومن في حكمهم وهم المسلمون الذين أسلموا و لم يهاجروا سواءً منهم من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" من الوافدين أو لم يره و لم يكونوا يرون فضلاً لمن رأى على من لم ير فبقيت الطائفتان في مسمى (الأعراب) أما من تأخر إسلامه إلى فتح مكة كالطلقاء ومنهم معاوية وأبوه، وصفوان بن أمية، ونحوهم، فالأعراب المسلمون قبل ذلك أفضل منهم لتقدم إسلامهم، وقد ذكر أبو عبيد[٧٠] أن هذا الحديث نُسخ بحديث (لا هجرة بعد الفتح) في العطاء فأصبح لمن هاجر ولمن لم يهاجر حق في الفيء والميراث..، وهذا دليل على أن الحديث السابق كان في الهجرة الشرعية وأن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بعد فتح الحديبية لم يعد يطالب الناس بالهجرة لأنه (لا هجرة بعد الفتح) ولذلك أذن لخزاعة وأسلم أن تبقيا في ديارهما، ولا يدخل مسلمو بادية المدينة في الأعراب وإنما هم داخلون في مهاجري البادية لا مهاجري الحاضرة لحديث (الهجرة هجرتان: هجرة البادي وهجرة الحاضر، فأما هجرة البادي فعليه أن يجيب إذا دُعي وأن يطيع إذا أُمر وأما هجرة الحاضر فهي أشدهما بلية وأعظمهما أجراً)[٧١]، وللحديث شاهد عند أبي عبيد[٧٢] من حديث عائشة عن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" –في الأعراب– وفيه قوله "صلى الله عليه وآله وسلم": (إذا دعوا فأجابوا فليسوا بأعراب) يعني ولكنهم مهاجرون، والهجرة مرتبتان كما تقدم، فهجرة الحاضرة أفضل من هجرة البادية، ثم هجرة البادية خاصة بالقبائل القريبة من المدينة فهي تشكل درعاً حامياً للمدينة، لكنهم أقل منـــزلة لتأخر إسلامهم ولأن المدينة هي المستهدفة الأولى من القبائل المعادية، لكنه يشترط في مهاجرة البادية الإجابة إذا دعاهم النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" كما سبق، وفي هذا المعنى الأحاديث التي فيها (أنتم مهاجرون حيثما كنتم) فقد كان يقولها رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" لبعض أهل البادية القريبين من المدينة حيث قالها لوفد مزينة ولقبيلة أسلم كما في حديث سلمة بن الأكوع[٧٣].

النص الرابع عشر.. من النصوص الحديثية (مالك ولرجل من المهاجرين؟):

---

[٧٠] الأموال، ص٢٧٨.

[٧١] رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً، ورواه أبو عبيد في كتاب الأموال ص٢٨٠ بسند قوي.

[٧٢] كتاب الأموال ص٢٨٠.

[٧٣] انظر كتاب الأموال لأبي عبيد ص٢٨١، وانظر تعليل أبي عبيد لتفضيل أهل الحاضرة على أهل البادية في كتابه ص٢٩١ فإنه مهم.

روى الإمام أحمد[٧٤] عن محمد بن عبيد عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال (شكا عبد الرحمن بن عوف خالد بن الوليد إلى رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" فقال رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم": (يا خالد مالك ولرجل من المهاجرين، لو أنفقت مثل أحد ذهباً لم تدرك عمله).

والإسناد صحيح إلى الشعبي لكنه مرسل فالشعبي تابعي ومرسلاته فيها قوة، وأصل الحديث ما أخرجه مسلم عن أبي سعيد بلفظ (لا تسبوا أصحابي...) تقدم، لكن هذا الحديث –حديث الشعبي- فيه إخراج خالد من الهجرة الشرعية فقوله: (مالك ولرجل من المهاجرين) دليل على أن خالد ليس منهم مع أنه قد هاجر قبل فتح مكة؛ لكن هذه الهجرة ليست الهجرة الشرعية وإن كانت الهجرة يومئذٍ لا تزال مشروعة للإسلام نفسه ولشيء من النصرة مع أن النصرة يومئذٍ قد تمت، فمع الحاجة إلى النصرة والجهاد تزداد أهمية الهجرة أما عند الاستغناء بالموجودين عن الغائبين فإن أهمية الهجرة تقل وقد انخفضت أهميتها بعد صلح الحديبية، وأصبح النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" يرد من هاجر إليه من قريش حسب شروط صلح الحديبية ولا يطلبهم، ولذلك كان القادر على الهجرة قبل الحديبية ثم لم يهاجر إلا بعدها خارجاً من الهجرة الشرعية الواجبة إلى الهجرة العامة التي تدخل في عموم الهجرة المشروعة، أو عموم الاستحباب، لهذا نفى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" –إن صح الحديث- الهجرة الشرعية عن خالد بن الوليد، ولهذا النفي شواهد في حديث اختلاف أبي عبيدة مع عمرو بن العاص الآتي وغيره.

النص الخامس عشر .. من النصوص الحديثية (لن أؤمر عليكم بعدها إلا منكم):

روى الزهري قصة غزوة ذات السلاسل واختلاف أبي عبيدة بن الجراح مع عمرو بن العاص على الإمارة وفيها شكوى عمر للنبي "صلى الله عليه وآله وسلم" من عمرو بن العاص فقال رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم": (لن أؤمر عليكم بعدها إلا منكم) يريد المهاجرين[٧٥].

الإسناد ضعيف فهو من مرسلات الزهري وفي إسناده ابن لهيعة وفيه كلام، لكن إن صحَّ المتن فهو دليل على إخراج عمرو بن العاص من المهاجرين مع أنه قد هاجر (هجرة عامة) قبل فتح مكة، لكنه لم يدرك الهجرة الشرعية التي نـــزلت النصوص في الثناء عليها لعدم الحاجة له يومئذٍ، ويدل على ذلك رواية

[٧٤] في فضائل الصحابة ١/٥٥.

[٧٥] تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/٢٥٩ قال ابن عساكر: قال ابن عائذ أخبرني الوليد بن مسلم حدثنا عبد الله بن لهيعة عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب الزهري مرسلاً.

أخرى عن عروة بن الزبير في ذكر القصة نفسها وفيها قوله: (قال المهاجرون: أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين)[٧٦]. وهذا السند ضعيف فيه ابن لهيعة، وهو مرسل، إضافة لتدليس الوليد بن مسلم لكنه يصلح شاهداً في المغازي، ونلمح فيه شاهداً للمتن السابق لأن المتن الأخير يشير —ولا يدل دلالة واضحة– إلى إخراج عمرو بن العاص من المهاجرين فيشهد للأثر السابق، ومن دلائل إخراج عمرو بن العاص —مع هجرته العامة– من الهجرة الشرعية رواية الشعبي التي فيها (بعث رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" جيش ذات السلاسل فاستعمل أبا عبيدة على المهاجرين واستعمل عمرو بن العاص على الأعراب...) والسند صحيح إلى الشعبي لكنه يبقى مرسلاً وفيه شاهد للمعنى المتقدم من إخراج عمرو بن العاص من الهجرة الشرعية، فلا يخلو الأثر من دلالة.

النص السادس عشر.. من النصوص الحديثية (حديث واثلة بن الأسقع):

حديث واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم": (لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحبني)[٧٧].

إن صحَّ الحديث —وعندي تحفظ على صحته– فهو حجة لنا لا علينا إذ إن الحديث لا يكتفي بمجرد الرؤية وإنما المصاحبة أيضاً والمصاحبة هنا لن يكون المراد منها إلا الصحبة الشرعية لا صحبة الرؤية ولا صحبة الطلقاء والأعراب والمنافقين، والحديث شامي، والأحاديث الشامية فيها الكثير من دعاوى الصحبة وتضخيمها، وكثير من الشاميين يكذبون في هذا الأمر.

النص السابع عشر.. من النصوص الحديثية (تسلم ثم تهاجر):

روى البغوي وإبراهيم الحربي من طريق عبد الله بن حاجب وكان قد أدرك النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أن الحباب بن عبد أتى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" فقال: ما تأمرني؟ قال: (تسلم ثم تهاجر) ففعل ورجع إلى أهله وماله فغدا بهم مهاجراً إلى رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"[٧٨].

فهذا دليل على وجوب الهجرة على كل مسلم في عهده "صلى الله عليه وآله وسلم" وخاصة قبل حديث – لا هجرة بعد الفتح – وليس على مسلمي قريش وحدهم، إضافة إلى أن في الحديث دلالة على أن المهاجر إليه "صلى الله عليه وآله وسلم" لا يسمى مهاجراً هجرة شرعية ولا يستحقها إلا بعد القدوم

---

[٧٦] تاريخ دمشق (٢/٢٤-٢٦).

[٧٧] الحديث قال عنه الهيثمي (٢٠/١) رجال الطبراني رجال الصحيح ورمز الحافظ ابن حجر لصحته في المطالب العالية (١٤٧/٤).

[٧٨] الإصابة لابن حجر (٨/٢) ترجمة الحباب بن عبد الفزاري و لم ينقل الإسناد كما لم ينقده.

عليه والاستقرار في المدينة ولو كان كل من قدم مسلماً يسمى مهاجراً لما قال النبي "صلى الله عليه وآله وسلم": (تسلم ثم تهاجر) لأن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" يكون قد أمره بشيء قد حصل! إضافة إلى أن فعل ذلك الصحابي أكَّد معنى الهجرة الشرعية فقد عاد إلى موطنه وهاجر بأهله وماله إلى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم".

النص الثامن عشر.. من النصوص الحديثية (حديث شداد بن أسيد):

روى البزار والبغوي والبخاري في التاريخ والطبراني وابن قانع من طريق عمرو بن قيظي بن عامر بن شداد بن أسيد السلمي حدثني أبي عن جده شداد أنه قدم على رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" فاشتكى، فقال له رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم": (ما لك يا شداد؟ قال: اشتكيت ولو شربت من ماء بطحاء لبرئت، قال: فما يمنعك؟ قال: هجرتي، قال: فأذهب فأنت مهاجر حيثما كنت)[٧٩]، وهذا دليل على أن الهجرة الشرعية لا تثبت إلا بالبقاء في المدينة فلذلك ظنَّ هذا الصحابي أن عودته إلى بلاده للشرب من ماء بطحاء سيبطل الهجرة ويدخله في عموم المسلمين ولا يريد أن يفوته هذا الفضل، فأذن له النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وأدخله في المهاجرين بدليل خاص لكونه معذوراً بالمرض، ولو لم يكن للهجرة الشرعية شروط من البقاء في المدينة لنصرة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" لما جاء هذا الصحابي يشتكي بأن الهجرة منعته من العودة للتداوي من ماء بطحاء.

النص التاسع عشر.. من النصوص الحديثية، حديث سلمة بن الأكوع:

روى الإمام مسلم في صحيحه[٨٠] عن سلمة بن الأكوع قال: (عدنا مع رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" رجلاً موعوكاً، قال فوضعت يدي عليه فقلت: والله ما رأيت كاليوم رجلاً أشد حراً، فقال نبي الله "صلى الله عليه وآله وسلم": ألا أخبركم بأشد حراً منه يوم القيامة؟! هذين الرجلين الراكبين المقفين! لرجلين حينئذٍ من أصحابه)!.

---

[٧٩] الإصابة لابن حجر (٢٥٧/٣) ترجمة شداد بن أسيد.

[٨٠] صحيح مسلم (٢١٤٦/٣) وأخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين، وقال الذهبي في تلخيص المستدرك (على شرط مسلم) وأخرجه الطبراني في الكبير وغيرهم بالإسناد نفسه.

والحديث فيه أن هذين الرجلين المعذبين هم من أصحابه فهذا قول سلمة بن الأكوع وهو صحابي من أصحاب الصحبة الشرعية، وهذا يدل على أن الصحبة ليست عاصمة من دخول النار لمن يستحقها، وعلى هذا ففي الصحبة خصوص وعموم، وأن هؤلاء المعذبين من صحابة الصحبة العامة لا الخاصة، وقد يكونان منافقين، وأظنهما معاوية وعمرو بن العاص، فقد ورد فيهما حديث أبي برزة السلمي وغيره مرفوعاً: (اللهم اركسهما في الفتنة ركساً ودعهما إلى النار دعاً)[٨١]، وقد ذكر الشيعة أنهما أبو بكر وعمر، واستدلوا على ذلك بأمور من مخالفتهم النص وأنهم أول من فتح باب الفتنة ..الخ، وهذا قول لا مستند له، ويبقى هذا القول أسهل ممن يقول إن الله يرضى عن الفاسقين ويحب الظالمين.

النص العشرون.. من النصوص الحديثية؛ حديث جابر بن عبد الله وغيره:

ما رواه الإمام مسلم[٨٢] من حديث جابر بن عبد الله في قصة ذي الخويصرة يوم حنين وفيه (فقال عمر بن الخطاب: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق؟ فقال: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي..) الحديث، وهذا فيه تجويز إطلاق الصحابي بالمعنى العام لا الشرعي على المسيء.

---

[٨١] وقد روي عن أبي برزة وابن عباس وصالح شقران مولى النبي (ص)، وكان معاوية وعمرو بن العاص يتغنيان بشعر في هجاء حمزة رضي الله عنه والتشفي بقتله (انظر : كتاب أحاديث الشعر لعبد الغني المقدسي) وقد تفنن الغلاة في معاوية في المبالغة في ردة وتكذيبه! معللين الحديث بيزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم وداعية الإمام زيد بن علي وصاحب عبد الرحمن بن أبي ليلى(وهو محدث أوثق من أكثر من يوثقونهم من النواصب، ولكنها السياسة، والرجل أقل أحواله أن يقال : صدوق ، وهو من رجال مسلم، وضعفه بعضهم للمذهب لأنه كان يكثر من فضائل علي وقد روى عنه الكبار كشعبة والثوري، ولأجل هذا ولمثالب رواها في ذم معاوية مثل هذا الحديث ضعفه المتعصبون، مع أن أبا داود صاحب السنن قال: لا أعلم أحداً تركه، وقد روي هذا الحديث من غير طريقه)، وارتباط معاوية بالنار جاء في أحاديث كثيرة، أشهرها الحديث المتواتر حديث عمار، وحديث يموت على غير ملتي (فهو يستلزم النار)، وحديث أول من يغير سنتي (صححه الألباني وهو في معاوية) وحديث لكع بن لكع لا يؤمن بالله ورسوله (وهو أحدهما، ومن لا يؤمن بالله ورسوله فهو في النار) وحديث في أصحابي إثنا عشر منافقاً لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط (وهو في صحيح مسلم ولم يسمهم وعندي بحث أن معاوية ووالده من أؤلئك أصحاب العقبة التبوكية) وهو حديث الدبيلة، وحديث قاتل عمار وسالبه في النار (والآمر كالقاتل) وحديث القاسطين وهو راسهم (وأما القاسطون فكانوا لجنهم حطباً) وحديث عبادة (معاوية من أمراء السوء) له حكم الرفع، وحديث :(تشخ رؤوسهما بالصخر) في رؤيا علي للنبي (ص)، وحديث التابوت، وحديث الملك العضوض (الظالم) وحديث إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه... (قوي الأسانيد)، وحديث لا أشبع الله بطنه (حديث ابن عباس عند مسلم)، وأحاديث اللعن: لعن الله الراكب والقائد والسائق .. اللهم عليك بصاحب الأستاه..نلعن الله القائد والمقود... وحديث الثالث ملعون.. وحديث الخوارج (أولى الطائفتين)... خير فرقة من أمتي..وحديث فرعون هذه الأمة، و حديث العمالقة.. (وهم القوم الجبارين، وكان رأسهم جالوت الذي قتله داوود، وهم الذين سبوا التابوت!) وحديث عمرو بن الحمق (آية النار) وغيرها كثير من الأحاديث التي تربط معاوية بالنار، وفيها المتواتر و الصحيح والضعيف، ومن علامات صنائع معاوية انحرافهم عن النبي (ص) وعن الصالحين من أهل بيته ومعاندة النصوص والاهتمام بالصغائر وإهمال الكبائر والتشريع لهضم الحقوق، والمعارض منهم للسلطة إنما يعارض ليظلم لا ليعدل في الغالب، ولا أعلم ناصبياً عادلاً، مع كثرة العادلين من الشيعة المعتدلة والسلفية المعتدلة والمعتزلة والإباضية بل والعلمانيين والكفار.

[٨٢] صحيح مسلم (١/٧٤٠).

النص الحادي والعشرون.. من النصوص الحديثية؛ حديث لا تدري ما أحدثوا بعدك:

ما أخرجه البخاري في صحيحه (١١٠/٤) من حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفيه (.. وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي! فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم..)، أقول: وهذه الردة إما أن تكون ردة كلية كأصحاب مسيلمة أو ردة صغرى بمعنى سوء السيرة وارتكاب المظالم كما يظن ذلك في أناس أفضل من معاوية وبسر بن أبي أرطأة ومسرف بن عقبة والحكم بن أبي العاص ونحوهم، لأن النبي (ص) كان حريصاً على هؤلاء الذين أُخِذَ بهم ذات الشمال، وهذا يدل على أنهم كانوا صالحين في حياته بعكس أولئك الذين كان يتنبأ بدعوتهم إلى النار.

وقد روي في هذا المعنى أحاديث كثيرة يتعلق بها غلاة الشيعة في الحكم على معظم الصحابة بالردة، وهذا تطرف، ويقصرها غلاة السلفية على المرتدين فقط وهذا تطرف آخر، والصواب لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، نعم يدخل في هؤلاء المرتدون وسائر من رجحت سيئاته على حسناته من الصحابة.

النص الثاني والعشرون.. من النصوص الحديثية، حديث : اثنا عشر منافقاً من الصحابة:

أخرج مسلم (٢١٤٣/٣) من حديث قيس بن عباد عن عمار بن ياسر عن حذيفة بن اليمان قوله (في أصحابي اثنا عشر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط..) الحديث.

والحديث فيه دليل على جواز إطلاق الصحبة بالمعنى العام لا الشرعي على المنافقين، وهؤلاء المنافقون ليسوا كل المنافقين في عهد النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" لأن بعضهم لا يعلمه حتى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" نفسه كما صرح بذلك القرآن الكريم، وإنما هؤلاء الاثنا عشر هم الذين حاولوا اغتيال النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بعد عودته من غزوة تبوك في عقبة بين تبوك والمدينة، وهذا هو السر الذي لا يعلمه غير حذيفة بن اليمان أما بقية المنافقين المشهورين فيعلمهم معظم الصحابة[٨٣].

النص الثالث والعشرون.. من النصوص الحديثية، حديث ابن مسعود:

روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن ابن مسعود أن رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" قال: (إنه لم يكن نبي قط إلا وله من أصحابه حواري وأصحاب يتبعون أثره ويقتدون بهديه ثم يأتي من بعد ذلك

---

[٨٣] ونحن بصدد استكمال بحث حول هؤلاء الاثني عشر رجلاً، وقد توصلنا أن منهم أبا سفيان ومعاوية وآخرين، وأنه لا يصح زعم من زعم أنهم من الأنصار، نعم قد يكون من الأنصار الواحد والاثنان، ولكن الأغلبية من قريش وحلفائهم، فهم الذين لهم ثارات ومصالح من اغتيال النبي (ص) وقد حاولوا في بعد فتح مكة أكثر من مرة، وهذه منها وهم الذين قال الله فيهم (وهموا بما لم ينالوا) .

خوالف أمراء يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون)[٨٤]/ قلت: وهذا الأثر دلالته ظنية وفيها تبيان ضابط الصحبة الشرعية في اتباع الأثر والاقتداء بالهدي والسنة، وهذا ما كان عليه المهاجرون والأنصار، أما الطلقاء فكان أمراؤهم من خوالف الأمراء المشار إليهم في الحديث، وأما الحواري فمنهم الزبير بن العوام، كما جاء في أحاديث أخرى، وإذا توفر ضابط الصحبة الشرعية في من بعد هؤلاء فلا يسمون أصحاباً إلا من باب المجاز، مثل المقتدي بالنبي "صلى الله عليه وآله وسلم" اليوم فهو من أصحاب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" مجازاً لا حقيقة، وكذلك من اقتدى به "صلى الله عليه وآله وسلم" بعد الحديبية.

النص الرابع والعشرون.. من النصوص الحديثية (حديث ابن مسعود):

روى أبو داود بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر)[٨٥].

قلت: هل في الحديث دلالة على أنه لم يكن يكلم النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بالأمور إلا أصحابه الشرعيون، ثم نهاهم النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"؟، وكأن غير هؤلاء لا يتجرؤون أصلاً أن يكلموا رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" في أمر فلان وفلان، ولذلك نجد خالد بن الوليد لما أراد الوشاية بعلي عند بعثهما لليمن بعث أحد الرضوانيين لتصديقه في قصة حديث: (لا تبغضه وإن كنت تحبه فازدد له حباً)، ولماذا لم يقل النبي "صلى الله عليه وآله وسلم": لا يبلغني أحد عن أحد شيئاً وإنما قال: (أحد من أصحابي عن أحد –يعني من الناس– شيئاً...)، فالظاهر أن هذا فيه دليل على ما سبق ولو احتمالاً فالدلالة ظنية احتمالية.

النص الخامس والعشرون.. من النصوص الحديثية (حديث السائب الأنصاري):

---

[٨٤] مسند أحمد- ٤١٧٠.

[٨٥] أبو داود- الأدب- ٤٢١٨.

روى أبو داود في سننه عن خلاد بن السائب الأنصاري عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أتاني جبريل صلى الله عليه وسلم فأمرني أن آمر أصحابي ومن معي أن يرفعوا أصواهم بالإهلال أو قال بالتلبية يريد أحدهما)[٨٦].

إن صح اللفظ، فيجوز أن نفهم أن فيه دليلاً على أن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" يفرق بين هؤلاء وهؤلاء، وكأن (أصحابي) هنا الصحبة الشرعية من المهاجرين والأنصار، والذين معه بقية الناس، وهي غير المعية الشرعية المقتضية للمؤازرة والمناصرة، وإنما المعية العامة، ولو كانت المعية الخاصة لكان الكلام مكرراً لأن الصحبة الشرعية والمعية الشرعية متطابقان وعلى هذا يكون الكلام لغواً ينـــزه عنه رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" أفصح الناس وأبلغهم؛ وهذا من الأدلة الظنية الدلالة أيضاً.

النص السادس والعشرون من النصوص الحديثية حديث أبي رهم الغفاري

ففي صحيح ابن حبان – (ج ١٦ / ص ٢٤٦) أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا ابن أبي السري حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري أخبرني ابن أخي أبي رهم قال : سمعت أبا رهم الغفاري يقول : ــ وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم الذين بايعوا تحت الشجرة ــ : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوكا .. فذكر الحديث وفي آخره قول النبي (ص) : (فما يمنع أولئك حين تخلف أحدهم أن يحمل على بعض إبله امرءا نشيطا في سبيل الله إن أعز أهلي علي أن يتخلف عني المهاجرون والأنصار وأسلم وغفار) اهــ

التعليق: وقد عقد ابن حبان لهذا الحديث باباً بعنوان : (ذكر الخبر الدال على أن أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم في الصحبة كان المهاجرون والأنصار ثم أسلم وغفار)، إذن فالنبي (ص) لا يبالي كثيراً إذا تخلف الطلقاء أو الأعراب لأنهم لن يزيدوا المسلمين إلا خبالاً، وإنما يأسف إذا تخلف المهاجرون أو الأنصار ثم أسلم وغفار، وهذا يدل على أنهم هم أصحاب الصحبة الشرعية التي ينتفع بها الإسلام، وهم الذين يخشى النبي (ص) عليهم الفتنة لسابقتهم وصدقهم، أما غيرهم فلا يسأل عنهم، ولا يبالي أتخلفوا أو لم يتخلفوا.

النص السابع والعشرون من النصوص الحديثية : (يجب أن يليه المهاجرون والأنصار)

---

[٨٦] رواه أبو داود قال: حدثنا القعنبي عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام..

في صحيح ابن حبان – (ج ١٦ / ص ٢٤٨) أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي عون حدثنا أبو بشر بكر بن خلف حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يحب أن يليه المهاجرون والأنصار ليحفظوا عنه اهـــ

التعليق: وهذا طبيعي فالنبي (ص) كأنه يخشى أن يقوم غيرهم بتحريف الدين ووضع الحديث وتأويله وإفساد العلم فكان يريد أن يستودع المهاجرين والأنصار هذا العلم وهذا الدين، ولو كان يثق في من أتى بعدهم لتمنى أن يلوه هم حتى يتعلموا ما فاتهم من العلم والحديث والدين.

الخلاصة في النصوص الحديثية:

أن هذه النصوص التي سقناها تبين لنا بوضوح أن هناك صحابة خاصة وصحابة عامة، فالصحابة الخاصة هم، المهاجرون والأنصار أهل الجهاد والأيواء والانفاق أيام الحاجة والضعف، أما صحابة العامة فيدخل فيهم الأعراب والطلقاء والمنافقون وأوائل الخوارج، وهذه القاعدة قد يشذ عنها من يشذ، فالقاعدة الصحيحة هي في قوله تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة) وقوله (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) فالله يبعث الصحابة أفراداً كغيرهم، ولا ينفع الرجل منهم هذا اللقب ولا ذاك الزمن، وإنما ينفعه عمله، كسائر الناس، وكما أن المحسن منهم قد يفضل على غيره، فالمسيء منهم ينقص عن غيره، لأن الحجة على الصحابي أبلغ من الحجة على غيره، لأنه يستطيع أن يرفع شبهاته وأن يسأل عما يجهله وليس له عذر في التقصير لتأويل أو جهل بالمقصر في حقه، فلذلك تكون عقوبة المسيء من الصحابة أبلغ من عقوبة غيره، وهذا له أصل قرآني يمكن أن يقاس عليه كما في قوله تعالى (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) [الأحزاب)، ولكن من حيث الجملة فالصحابة من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان هم الذين أثنى الله عليهم في كتابه الكريم، وهم الذين أثنى عليهم النبي (ص) في الأحاديث النبوية.

ج- مفهوم الصحبة في آثار الصحابة والتابعين:

تحدثنا عن تحديد مفهوم الصحبة في القرآن الكريم ثم مفهوم الصحبة في نصوص السنة النبوية وذكرنا أن تلك النصوص لا تطلق الصحبة إلا على المهاجرين والأنصار ومن في حكمهم ولا تدخل من سواهم من الأعراب والطلقاء ونحوهم.

سنعرض الآن مفهوم الصحبة عند بعض الصحابة والتابعين ممن وجدنا لهم أقوالاً في هذا الموضوع، وسنرى أن الصحبة عند الصحابة أنفسهم وكثير من التابعين لا يكاد يخرج عن التحديد الشرعي للصحبة من نصوص القرآن والسنة، ولكن مع تقادم الزمان، وتكريس التقليد، وظهور موجات الزهد المصاحب للغفلة والتعميم؛ ذبلت المفاهيم الشرعية وأقوال من قال بها، حتى اختار الناس تعريفات متأخرة؛ تمدح المسيئين بفعل المحسنين وتبالغ في الرؤية بلا دليل شرعي حتى أصبحت الرؤية أفضل الأعمال! ونحو ذلك من الاعتقادات التي ما أنـــزل الله بها من سلطان وهي أقرب للبدعة منها إلى السنة.

مثل هذه الآثار التي نقول عندها (فيما يبدو –هذا احتمال- فيه نوع من دليل...) نضعها مع كون دلالتها ليست قاطعة لكنها محتملة ويشهد لها ما صح من الأحاديث والآثار التي فيها دلالة واضحة على ما كررناه في هذا الكتاب، فالأدلة في هذا منها ما هو قطعي الدلالة ومنها ما هو ظني الدلالة.
وفي أقوال الصحابة سنقدم أصحاب الصحبة الشرعية ثم أصحاب الصحبة العامة ثم التابعين.

ولعل من أبرز تلك الآثار الصحابية في تحديد مفهوم الصحبة عند الصحابة ما يلي:

١ عبد الله بن عمر:

حديث عبد الله بن عمر: أنه سمع رجلاً وهو يتناول بعض المهاجرين فقرأ عليه ﴿للفقراء المهاجرين﴾ الآية ثم قال: هؤلاء المهاجرون فمنهم أنت؟ قال: لا، ثم قرأ عليه: ﴿والذين تبوؤا الدار والإيمان﴾ الآية ثم قال: هؤلاء

الأنصار أفأنت منهم؟ قال: لا، ثم قرأ عليه: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾ الآية ثم قال: أفمن هؤلاء أنت؟ قال: أرجو، قال: لا ليس من هؤلاء من يسب هؤلاء[٨٧].

هذا الأثر —إن صحَّ– فله دلالته صريحه في قصر الصحبة على المهاجرين والأنصار فإنه جعل من سواهم في مرتبة واحدة و لم يسأله ما إذا كان له صحبة أم لا؟، ثم فيه فائدة أخرى وهي أن هذا الأثر مثلما يصح في الرد على من سب أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فهو يصح أيضاً في الذين كانوا يلعنون علياً، من أهل الشام وأتباعهم[٨٨]، حتى وإن كانوا ممن رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ما دام أنهم ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار وعلى هذا فليسوا من التابعين بإحسان أيضاً.

وكل آثار الصحابة المنقولة عن سعد بن أبي وقاص وعائشة وابن عمر وسعيد بن زيد وغيرهم في النهي عن سب أصحاب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" إنما تنـــزل على من سب المهاجرين والأنصار، فإن ابن عمر هنا يعرف الصحبة الشرعية تماماً، ونحن أخذنا نصوصهم في النهي عن سب المهاجرين والأنصار وجعلناها في النهي عن سب الطلقاء!، صحيح أن السب واللعن مذموم في حق من لا يستحقه، سواءً من القرن الأول أو الثاني إلى يوم القيامة، لكن سب الأنبياء أعظم من سب الصحابة وسب الصحابة أعظم من سب من صلح من الطلقاء والأعراب، وسب الصالحين أعظم من سب المتوسطين في الصلاح، وهكذا.. فيجب أن نضع تلك الأدلة في موضعها الصحيح، وأن لا ننـــزلها على أقوام لم يقصدهم ابن عمر ولا غيره من الصحابة والتابعين، ممن روينا عنهم تلك الآثار.

كما أن البراءة من ظلم فلان لا تعني سبه؛ ولكن يجب على المسلم البراءة من الفحشاء والمنكر والبغي؛ لأن هذه البراءة تعين على معرفة الحق ومواطن التأسي، أما إذا لم نتبرأ من كبائر الذنوب، و لم نفصلها عن الحسنات، فكيف نستطيع أن نعرف ديننا؟

٢ – سعد بن أبي وقاص:

---

[٨٧] الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١٣٣/٨) للإمام السيوطي و لم يذكر إسناده، لكن قد روي معناه من وجوه أخرى عن سعد بن أبي وقاص وغيره.

[٨٨] ولا يجوز أن نقول —كما يقول غلاة السلفية– أن أهل الشام مأجورون على لعن علي أجراً واحداً فقط! فهذا قول باطل من رواسب النواصب المستقرة في أذهان بعض غلاة السلفية، بينما لا يقولون هذا القول الفاسد في الذين سبوا أبا بكر وعمر وعثمان مع أن الأربعة كلهم هم الخلفاء الراشدون المهديون ولهم الحقوق نفسها وأول من فرق بين حقوقهم هم النواصب الذين فصلوا علياً عن الثلاثة فتبعهم منا طائفة؛ ثم القول بالأجر لمن سب أحد هؤلاء لم يقله النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" لخالد بن الوليد لما سب عبد الرحمن بن عوف مع أنه لم يصدر هذا السب من خالد إلا مرة واحد لخصومة آنية بعكس الذي سنه معاوية فقد استمر طيلة حكم بني أمية وعلى كل منبر من منابر الإسلام وفي كل خطبة جمعة! فلو سئل النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" هل سيقول إن هؤلاء مأجورون أجراً واحداً؟! أم سيقول (من سب علياً فقد سبني)؟!

أخرج الحاكم من بسند صحيح[٨٩] عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال الناس على ثلاث منازل فمضت منهم اثنتان وبقيت واحدة فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنـــزلة التي بقيت ثم ﴿قرأ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾ الآية ثم قال هؤلاء المهاجرون وهذه منـــزلة وقد مضت ثم قرأ ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم﴾ الآية ثم قال هؤلاء الأنصار وهذه منـــزلة وقد مضت ثم قرأ ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ الآية قال فقد مضت هاتان المنـــزلتان وبقيت هذه المنـــزلة فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنـــزلة التي بقيت. أهـــ.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

قلت: وواضح من قول سعد أن من سوى المهاجرين والأنصار بمنـــزلة واحدة لا يفرق بينهم سواءً رأوا النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أو لم يروه، فمن ليس مهاجرياً ولا أنصارياً فهو من التابعين ﴿الذين جاؤوا من بعدهم﴾؛ أما الصحبة الشرعية بهجرتها ونصرتها فقد سبقت.

٣ المقداد بن عمرو:

عن عبد الرحمن بن ميسرة قال: مر بالمقداد بن الأسود رجل فقال: لقد أفلحت هاتان العينان رأتا رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" فاجتمع المقداد غضباً وقال: يا أيها الناس لا تتمنوا أمراً قد غيبه الله، فكم ممن قد رآه و لم ينتفع برؤيته) أهـــ.

قلت: من اللطائف هنا أن القصة كانت بالشام فكان إنكار المقداد على أهل الشام الذين ربما أشاع فيهم الطلقاء أن الرؤية لا يعدلها عمل!! فوصلت من نواصب الشاميين إلى غلاة السلفية، ومعظم العقائد الفاسدة كالإرجاء والجبر والنصب والطاعة العمياء وغفلة الصالحين بداياتها شامية.

٤ أنس بن مالك:

سبق قول أنس بن مالك (ت نحو ٩٢هـــ): خادم النبي "صلى الله عليه وآله وسلم": عندما سئل هل بقي من أصحاب رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" أحد غيرك؟ قال: (بقي ناس من الأعراب قد رأوه فأما

---

[٨٩] حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار حدثنا أحمد بن يونس الضبي حدثنا أبو بدر شجاع بن الوليد حدثنا عبد الله بن زبيد عن طلحة بن مصرف عن مصعب بن سعد عن أبيه.. (انظر: المستدرك ٢/٥٢٦).

من صحبه فلا) [٩٠]، أقول: وقول أنس بن مالك هذا يتفق مع الصحبة الشرعية المثنى عليها في القرآن الكريم والسنة النبوية، ودلالته صريحة وقد سبق.

٥ جابر بن عبد الله:

أخرج الإمام أحمد في المسند[٩١] عن عمر بن عبد الرحمن بن جرهد قال: سمعت رجلاً يقول لجابر بن عبد الله: من بقي معك من أصحاب رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" ؟ قال: بقي معي أنس بن مالك وسلمة بن الأكوع، فقال رجل: أما سلمة فقد ارتد عن هجرته فقال جابر: لا تقل ذلك فإني سمعت رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" يقول لأسلم: (ابدوا يا أسلم[٩٢]، قالوا: يا رسول الله وإنا نخاف أن نرتد بعد هجرتنا فقال: إنكم مهاجرون حيث كنتم)[٩٣].

والحديث سنده صحيح لشواهده، وفيه دلالة صريحة على إخراج من ليس من المهاجرين والأنصار من عداد الصحابة؛ لأن سلمة الأكوع مات عام ٧٤هـ فلم يبق في تلك السنة من الصحابة إلا ثلاثة —على قول جابر– وهم سلمة بن الأكوع وأنس بن مالك شهد بيعة الرضوان أما أنس وجابر فمن السابقين من الأنصار فالثلاثة من الصحابة (أصحاب الصحبة الشرعية)، وعلى هذا فكل من ترجم له في الصحابة وتوفي بعد عام ٧٤هـ فليس من الصحابة أصحاب الصحبة الشرعية الخاصة، وقول جابر هذا يشهد له قول أنس بن مالك وهو آخر الثلاثة موتاً عندما سئل: هل بقي أحد غيرك ممن صحب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" فقال: أما من صحب فلا ولكن بقي ناس من الأعراب قد رأوه، وقد تقدم هذا الدليل.

وعندما بحثنا في تراجم المذكورين في كتب الصحابة ممن توفوا بعد عام ٧٤هـ وجدنا أغلبهم ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار ولا في حكمهم بل لم نستدرك عليه رضي الله عنه إلا اثنين تقريباً وهما أبو أمامة الباهلي وعبد الله بن أبي أوفى فهما من الصحابة وماتا بعد الثمانين، وقد يوجد غير هذين الواحد والاثنان ممن يغيب عن ذاكرة الصحابي جابر بن عبد الله لكن لو كان جابر بن عبد الله يرى أن الصحابة هم كل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" لما قال أنه لم يبق إلا فلان وفلان، ولقال: (بقي ناس

---

[٩٠] قال ابن الصلاح: إسناده جيد، حدث به مسلم بحضرة أبي زرعة انظر: مقدمة ابن الصلاح ص٤٨٩، ذكر الإسناد المزي في ترجمة أنس وكذلك ابن عساكر (٣٧٩/١٥).

[٩١] (١٦٩/٢٣)، طبعة الأرناؤوط.

[٩٢] ابدوا: فعل أمر من البدو، وهو السكن في البادية.

[٩٣] حسن الحافظ إسناده في الفتح (٤١/١٣).

كثير) لأن كل من لقي النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" كانوا يومئذٍ بالمئات إن لم يبلغوا الآلاف، لكن لأن جابراً رضي الله عنه يعلم معنى الصحبة الشرعية لم يثبت إلا صحابة اثنين ممن يعلمهم أحياء يومئذٍ.

وعلى هذا يخرج من الصحابة من مات بعد عام ٧٤هـ ممن ذكر في تراجم الصحابة مثل أبي ثعلبة الخشني، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعتبة بن الندر الأسلمي، وواثلة بن الأسقع، وعبد الله بن الحارث الزبيدي، والمقدام بن معد يكرب الزبيدي، وعبد الله بن بسر المازني، وسفيان بن وهب الخولاني، وطارق بن شهاب، وعبد الله بن ربيعة بن فرقد الأسلمي، وعبد الله بن سرجس، وعبد الله بن ثعلبة، وعبيد الله بن العباس، وعتبة بن عبد السلمي، وعمرو بن حريث المخزمي، وقدامة بن عبد الكلابي، وكثير بن العباس، والهرماس بن زياد، وسهل بن سعد، وأبو عنبة الخولاني، والسائب بن خلاد، وأبو أمامة بن سهل بن حنيف، وأبو الطفيل عامر بن واثلة، ويوسف بن عبد الله بن سلام، ونحوهم ممن ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار وعلى هذا فليسوا من الصحابة عند الصحابي جابر بن عبد الله، وقد سبق القول أن جابر بن عبد الله قد يَجهل الواحد والاثنين هل شهد الرضوان أم لا؟ لكنه بالتأكيد لن يجهل كل هؤلاء، لا سيما وأن بعضهم كان من الأنصار وهؤلاء لا ريب أنهم فضلاء صالحون عدا أفراد لا مجال لذكرهم هنا، إذن فالصحابة لم يكونوا يرون الصحبة لكل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أو لقيه أو صحبه صحبة يسيرة، كما أن خروج هؤلاء من الصحبة الشرعية لا يعني خروجهم من الصحبة العامة ولا من الفضل والصلاح كل بحسب عمله لأن هذا الفضل ليس مقيداً بالصحبة وإنما بفعل الطاعات وترك المحرمات، أما الاسم الشرعي لهؤلاء فهو (التابعون).

٦ أم المؤمنين عائشة:

١ الأثر المتفق عليه بين أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والأسود بن يزيد النخعي، قال الأسود: قلت لعائشة: ألا تعجبين لرجل من الطلقاء- يقصد معاوية- ينازع أصحاب محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" في الخلافة؟ قالت: وما تعجب من ذلك؟ هو سلطان الله يؤتيه البر والفاجر، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمائة سنة[٩٤] أهـ.

---

[٩٤] الأثر رواه ابن عساكر في تاريخه من طريق أبي داود الطيالسي حدثنا أيوب بن جابر عن أبي إسحاق عن الأسود بن يزيد، وهذا الإسناد رجاله ثقات إلا أيوب بن جابر مختلف فيه وقد قوى أمره أحمد بن حنبل وعمرو بن على الفلاس وابن عدي والذهبي والبخاري وضعفه ابن معين والنسائي وابن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة ويعقوب بن سفيان وتوسط فيه الذهبي: مشهور صالح الحديث ضعفه بعضهم. فالإسناد حسن.

الأثر سنده حسن، ودلالته صريحة وفيه إخراج أم المؤمنين عائشة لمعاوية من أصحاب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، وفيه أيضاً أن بعض التابعين على الأقل لم يكونوا يرون الطلقاء من أصحاب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، كما نرى من اتفاق رأي عائشة مع رأي التابعي الأسود بن يزيد النخعي (وهو متهم بالنصب عند الشيعة).

٢ -أم المؤمنين عائشة أيضاً: قول أم المؤمنين رضي الله عنها: (أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" فسبوهم)[٩٥] رواه مسلم في صحيحه.، وكانت أم المؤمنين تلمح لما يفعله أهل الشام من لعن علي، وبعض أهل العراق في لعن عثمان رضي الله عنهما، وقول عائشة هذا يفهم منه أن هؤلاء السبابين ليسوا من أصحاب محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" – عند عائشة–، ومثله قول ابن عمر: (لا تسبوا أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحكم عمره)[٩٦]، فهذا القول، وقول عائشة، وأقوال لسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وغيرهم، إنما انتشرت في تحريم ما حصل من جرأة الصحابة المتأخرين (الذين هم من التابعين) في لعن الصحابة المتقدمين أو السابقين وخاصة علياً وعثمان، وهما من أصحاب محمد "صلى الله عليه وآله وسلم"، فالدلالة شبه صريحة، وقد كان يسبهما بعض أصحاب الصحبة العامة ومن قلدهم، فلما طال علينا الأمد، وانقطع سب علي، وعثمان، وطلحة، والزبير، وأمثالهم، وبقي سب معاوية وعمرو وأمثالهما أخذنا هذه النصوص والآثار لنواجه بها الشاتمين الجدد، ومع الإقرار بأن الشتم والسب محرم إذا كان ضد غير المستحق سواءً كان ضد الصحابي أو التابعي أو المسلم مطلقاً، لكن المشتومين من الطلقاء ليسوا مثل المشتومين من السابقين، بل إن الطلقاء ليسوا من الصحابة أصلاً وسبهم مثل سب سائر المسلمين من غير الصحابة وسب الصالح غير سب الظالم، لكنهم أُدخلوا في الصحبة الشرعية وأحكامها بسبب الدفاعات التي تستلهم معها مثل هذه الآثار.

وهذا لا يعني إباحة لعن المسلم الصالح، فلعنه محرم، ولو كان في عصرنا هذا أو بعده، لكن في الوقت نفسه لا يجوز إنـــزال النصوص والآثار المانعة السابقة في غير أصحابها من المهاجرين والأنصار، أما غيرهم فيمكن الاستشهاد بنصوص عامة في تحريم شتم المسلم أو قتاله.. وقد خاطب ابنُ عمر وابنُ عباس وغيرهم بالآثار السابقة الذين يلعنون عثمان وعلياً، وخاطب به سعيدُ بن زيد المغيرةَ بن شعبة،

---

[٩٥] (مسلم ٢٣١/٤)، وفي أثر أم المؤمنين عائشة هذا إشارة واضحة للآية الكريمة (والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان..).

[٩٦] فضائل الصحابة لأحمد ٥٧/١، ٩٧/٢.

وخاطبت عائشةُ من يسب السابقين، وخاطب سعدُ بن أبي وقاص من يسب علياً، وهكذا بل قد روي عن ابن عباس أنه لعن معاوية بسبب قطعه التلبية يوم عرفة[٩٧]، فابن عباس قد روى بعض النصوص في تحريم سب الصحابة ومع ذلك يرى جواز لعن معاوية بسبب قطعه للتلبية يوم عرفة – إن صحَّ الأثر– ولو كان معاوية صحابياً صحبة شرعية عند ابن عباس لاحتمل له هذه الزلة لكون الصحابة غالباً لا يفعلون أمرا إلا باجتهاد، أما قطع معاوية للتلبية فقد صرَّح ابن عباس أن معاوية فعلها بغضاً لعلي فقط؛ لأن مذهب علي التلبية يوم عرفة وهو ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، وقد كان ابن عباس يخالف عثمان وعلياً في بعض الآراء ولا يستجيز سبهم؛ أما لعنه لمعاوية فقد فعله لسببين لأنه يعرف أن معاوية ليس من الصحابة ولا من التابعين بإحسان، ولأنه رأى تغييراً متعمداً لسنة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" و لم يغيرها إلا أهل الشام بغضاً لعلي؛ لأنه كان يلبي يوم عرفه اقتداء بالنبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، ولذلك قال ابن عباس: (قد تركوا السنة من بغض علي)[٩٨].

وكذلك سبت أم المؤمنين عائشة عمرو بن العاص ولعنته[٩٩] مع نهيهما عن سب الصحابة.

٧ عمر بن الخطاب:

١ قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (يا أصحاب رسول الله تناصحوا فإنكم إن لا تفعلوا غلبكم عليها –يعني الخلافة– مثل عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان)، والأثر مرسل، فإن صحَّ المتن عن عمر، فدلالته واضحة في إخراج الطلقاء –بل إخراج من أسلم بعد الحديبية– من الصحابة[١٠٠]، وكان عمر يتهم الطلقاء بأنهم ممن أسلم كرهاً! كما سيأتي في تعليل سياسته في العطاء.

٢ –عمر بن الخطاب أيضاً: روى ابن أبي شيبة من طريق ابن سيرين عن كثير بن أفلح أن عمر كان يقسم حللاً فوقعت حلة حسنة، فقيل: أعطها ابن عمر، فقال: إنما هاجر به أبوه، ولكن أُعطيها

---

[٩٧] (المسند ٣/٢٦٤ تحقيق أحمد شاكر).

[٩٨] صحيح سنن النسائي (٢/٦٣١).

[٩٩] سب عائشة لعمرو بن العاص في مستدرك الحاكم (١٤/٤ مناقب عائشة) بسند صحيح على شرط الشيخين، ونحن لا نرى لعن عمرو بن العاص ولا المغيرة بن شعبة ولا غيرهما ممن أساء الصحبة أو الاتباع، لكننا أوردنا سب الصحابة لهم مع نهي هؤلاء الصحابة عن سب الصحابة فهذا فيه نوع من دليل على أنهم عندهم ليسوا صحابة.

[١٠٠] الأثر رواه نعيم بن حماد في الفتن (١٢٨/١) ورجاله ثقات لكنه مرسل فقد رواه عن محمد بن منيب عن السري بن يحيى عن عبد الكريم بن رشيد، وهذا وإن كان تابعياً لكن لم تذكر له رواية عن عمر وإنما يروي عن أنس بن مالك وأنس من آخر الصحابة وفاة (مات بعد ٩٠هـــ).

للمهاجر بن المهاجر سعيد بن عتاب أو سليط بن سليط[١٠١]، وقال الزبير بن بكار: كانت عند عمر حلة زائدة عما كسا أصحاب رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" فقال: دلوني على فتى هاجر هو وأبوه، فقالوا: ابن عمر، فقال: ابن عمر هُوجر به ولكن سليط بن سليط فكساه إياها[١٠٢] أهـــ.

قال الحافظ: وهذه القصة رواها عمر بن شبة وغيره من طريق ابن سيرين عن كثير بن أفلح أن عمر كان يقسم حللاً، فوقعت له حلة حسنة فقيل له: أعطها ابن عمر، فقال: إنما هاجر به أبوه، سأعطيها للمهاجر بن المهاجر سليط بن سليط أو سعيد بن عتاب[١٠٣].

يستفاد من هذا أن عمر يفرق في الهجرة الشرعية بين من هاجر بنفسه ومن هوجر به، فابن عمر له حكم المهاجرين هجرة شرعية لكونه كان مميزاً قبل بيعة الرضوان فهو من أبناء المهاجرين وله حكم المهاجرين للسبب السابق وهو بلوغ سن التمييز مع الاشتراك في معركة الخندق، وهذه الرواية تفيدنا عند التفاضل بين الصحابة فإن وجدنا اثنين متساويين في الخصائص لكن أحدهما هاجر بنفسه والآخر هاجر به ذووه تكون الأفضلية لمن هاجر بنفسه من هذه الحيثية.

٣ -عمر أيضاً: لبيان أهمية الهجرة الشرعية حديث عمر الذي قسم المهاجرين إلى قسمين قسم هاجر وترك أمواله ودياره وقسم أسلم كرهاً في قصة مساواة أبي بكر بين الناس في العطاء حين قال له عمر: (لا تجعل من ترك دياره وأمواله مهاجراً إلى الله ورسوله كمن دخل في الإسلام كرهاً)[١٠٤].

من دخل في الإسلام كرهاً كأكثر الطلقاء والعتقاء.. فهو داخل في (الصحبة الكافة أو العامة) ولا يدخل في الصحبة الشرعية، والتفريق بين الطائفتين عند البحث العلمي أولى حتى لا يختلط من أسلم كرهاً مع من أسلم وهاجر طائعاً، بل التفريق في العطاء من أسباب الفتنة، وهي من أخطاء عمر الاقتصادية التي أوجدت طبقية في المجتمع، بينما عدم التفريق من الناحية العلمية يؤدي للفتنة من جانب آخر.

---

[١٠١] الإصابة لابن حجر (٣٥٧/٤) ترجمة عتاب والد سعيد، والإسناد حسن.

[١٠٢] الإصابة لابن حجر (١٣٥/٣).

[١٠٣] المصدر السابق.

[١٠٤] راجع الخراج لأبي يوسف، والمستصفى للغزالي.

٤ عن عمر بن الخطاب: أخرج عبد الرزاق[١٠٥] ومن طريقه الطحاوي[١٠٦] عن عمر بن الخطاب قال: جمع أناساً من المسلمين فقال إني أريد أن أضع هذا الفيء موضعه فليغد كل رجل منكم علي برأيه فلما أصبح قال إني وجدت آية من كتاب الله تعالى أو قال آيات لم يترك الله أحداً من المسلمين له في هذا المال شيء إلا قد سماه قال الله ﴿واعلموا إن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول﴾ حتى بلغ ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ الآية ثم قرأ ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم إلى أولئك هم الصادقون﴾ فهذه للمهاجرين ثم قرأ ﴿والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم﴾ حتى بلغ ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ ثم قال هذه للأنصار ثم قرأ ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ حتى بلغ ﴿رؤوف رحيم﴾ ثم قال فليس في الأرض مسلم إلا له في هذا المال حق أعطيه أو أحرمه.

وقول عمر واضح في التسوية بين التابعين سواءً من صحب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" منهم أو من لم يصحبه، فالقسم الثالث تناول كل المسلمين على وجه الأرض من غير المهاجرين والأنصار.

٨ عمار بن ياسر:

قول عمار بن ياسر: (والله لأنتم أشد حباً لرسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" ممن رآه أو من عامة من رآه) رواه الطبراني والبزار[١٠٧]، وقال الهيثمي[١٠٨] رواه البزار والطبراني وفيه عبد الله بن داود الحراني و لم أعرفه وبقية إسناد البزار حديثهم حسن.

قلت: عبد الله بن داود الحراني لم أجد له ترجمة لكن ذكر الخطيب البغدادي أن عبد الله هذا وُلد بحرّان وكان له بها ثروة مع أخيه عبد العزيز، ولا أعلم فيه جرحاً ولا تعديلاً والرجل مجهول العدالة والإسناد ضعيف لكن إن صحَّ فإنه يصلح دليلاً على أن عمار يريد أن التابعين الذين لم يروا النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أفضل من أكثر من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" من الطلقاء والأعراب ورجالات الوفود وهؤلاء أغلبية وأما المهاجرون والأنصار فهم قلة فلذلك أرجح اللفظة الأخيرة (عامة من رآه)

---

[١٠٥] في المصنف (١٥٢/٤).

[١٠٦] في شرح معاني الآثار (٢٤٨/٣)

[١٠٧] قال البزار (٢٦٠/٤) حدثنا إبراهيم بن سعيد قال نا عبد الله بن داود الحراني أخو عبد الغفار نا عبد الله بن لهيعة عن أبي عشانة قال سمعت أبا اليقظان عمار بن ياسر يقول فذكره..

[١٠٨] في المجمع (٦٩/١٠).

وكلمة (عامة) هنا بمعنى أكثر، فالدلالة صريحة/ ثم وجدت متابعاً لعبد الله بن داود الحراني عند ابن سعد[١٠٩] وهو الحسن بن موسى فقد روى عن ابن لهيعة عن أبي عشانة عن أبي اليقظان الحديث نفسه، لكن يبقى مدار الحديث على ابن لهيعة وقد حسن له الهيثمي، لكن لي وقفة مع أحاديث ابن لهيعة لاختلاف أهل الحديث فيه بين مصحح ومحسِّن ومضعف لأحاديثه ومروياته وأمره يحتاج إلى بحث، مع الاتفاق على جواز الأخذ بمروياته في الشواهد والمتابعات، وهذه منها[١١٠].

٩ عبد الله بن مسعود:

روى الإمام أحمد[١١١] بسند قوي عن عبد الله بن مسعود قال: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئ. أهـــ.

قلت: هذا رأي ابن مسعود والدلالة شبه صريحة ولولا أن بعض الناس يورد هذا الأثر في الصحبة العامة لما أوردته هنا، فقول ابن مسعود واضح أنه في الصحبة الشرعية فقط، بدليل قوله: (فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه)، فهذه الصفة لا تتفق إلا مع صحبة المهاجرين والأنصار، فهم الذين قاتلوا على الدين حتى استقام أمر الإسلام، وهم وزراء النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" والوزراء لا بد أن يكونوا قلة نسبة لبقية الناس، أما من يجعل كل رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وزراء فقد غالط! وهذا الأثر لا يجوز أن يفهم بما يخالف الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة، وإنما بما يتفق معها، وإلا فهي أولى بالتقديم.

١٠ - عبادة بن الصامت:

روى الإمام أحمد بإسناد قوي عن عبادة بن الصامت أنه قال: "يا أبا هريرة إنك لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنا بايعناه على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في اليسر والعسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله تبارك وتعالى ولا نخاف لومة لائم فيه، وعلى أن ننصر النبي صلى الله عليه وسلم إذا قدم علينا يثرب فنمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا

---

[١٠٩] الطبقات الكبرى (٧/٥٠٣).

[١١٠] ثم وجدت متابعة عند ابن عبد البر في عن شيخ ابن لهيعة في الإستيعاب في معرفة الأصحاب – (٢ / ٧٣): ومن حديث ابن وهب عن عمرو بن الحارث وابن لهيعة عن أبي عشانة أنه سمع أبا اليقظان صاحب النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أبشروا فوالله لأنتم أشد حباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم و لم تروه من عامة من رآه اهـــ

[١١١] المسند رقم الحديث ٣٤١٨، حدثنا أبو بكر حدثنا عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود.

ولنا الجنة، فهذه بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي بايعنا عليها، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما بايع رسول الله وفىّ الله تبارك وتعالى بما بايع عليه نبيه صلى الله عليه وسلم" فكتب معاوية إلى عثمان بن عفان: أن عبادة بن الصامت قد أفسد عليَّ الشام وأهله! فإما تكنّ إليك عبادة وإما أخلي بينه وبين الشام، فكتب إليه أن رحّل عبادة حتى ترجعه إلى داره من المدينة، فبعث بعبادة حتى قدم المدينة فدخل على عثمان في الدار وليس في الدار غير رجل من السابقين أو من التابعين قد أدرك القوم فلم يفجأ عثمان إلا وهو قاعد في جنب الدار فالتفت إليه فقال: يا عبادة بن الصامت ما لنا ولك، فقام عبادة بين ظهري الناس فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا القاسم محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" يقول: (إنه سيلي أموركم بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون فلا طاعة لمن عصى الله تبارك وتعالى فلا تعتلوا بربكم)[١١٢]، وفي لفظ (فلا تضلوا بربكم) وهذا لفظ الشاشي. أهـــ.

وهذا الأثر دلالته ظنية ليست بصريحة في قوله: (وليس في الدار غير رجل من السابقين أو من التابعين قد أدرك القوم) قد تكون فيه دلالة على أن من بعد السابقين من المهاجرين والأنصار يسمون (التابعين)، وهذا أيضاً يفسر قوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان﴾، أما الأمراء المذمومون في حديث عبادة فقد صرح أن معاوية من هؤلاء[١١٣]، ولم يُرِدْ عثمان بن عفان، مع أن بعض الصحابة نقدوا سياسة عثمان في تسامحه مع معاوية وغيره من الولاة، وفي تقديري أن عثمان أراد غلق باب الاختلاف، ولا ينطبق عليه الحديث فهو من الراشدين، لكن البلاء والفتنة جاء من بعض ولاته وأقربائه، مثل معاوية، والوليد، وابن أبي السرح، وأمثالهم، أو مستشاريه، مثل مروان بن الحكم الذي جرت على رأسه فتنة عثمان وهذا ما أقرَّ به الذهبي وابن كثير رغم شاميتهما.

والخلاصة هنا أن الحديث فيه دليل على أن الناس إما سابقون، أو تابعون، فالسابقون هم المهاجرون والأنصار، ومن بعدهم يسمون (التابعين)، وينقسم التابعون إلى قسمين: التابعون بإحسان، وهؤلاء يمثلون مع المهاجرين والأنصار السلف الصالح، والتابعون بغير إحسان، وهؤلاء هم الظالمون أو الفاسقون والمغيرون لسنة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" في العدالة والتقوى، ومعرفة التابع بإحسان، والتابع بغير إحسان،

---

[١١٢] مسند أحمد- ٢١٧٠٦.

[١١٣] وجدت ذلك صريحاً فقد أخرج هذا الشاشي في مسنده (١٧٢/٣) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥٦/٢٦) وفيها قول عبادة (والذي نفس عبادة بيده أن فلاناً لمن أولئك!) –ويقصد معاوية– فما راجعه عثمان بحرف.

وعثمان بريء من الحديث براشديته فلم يبق إلا معاوية! بل إن هذا صريح في مسند الشاشي لمن تأمل، وعبادة بن الصامت بدري وقوله له حكم الرفع لأن فيه إخبار بالغيب أو هو تفسير من صحابي بدري أقسم عليه وحسن الظن بالبدريين أنه لن يقسم أحدهم إلا على حق.

تحتاج لبحث كل فرد منهم على حدة، ومن لم يبدر منه شيء يدل على هذا أو هذا يبقى أمره على السلامة إن شاء الله[١١٤].

١١ - سعيد بن زيد:

عندما بويع لمعاوية –قهراً– بالكوفة بعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه أقام بهذه المناسبة المغيرة بن شعبة خطباء يلعنون علي بن أبي طالب ويذمونه إرضاءً لمعاوية كل هذا في أحاديث كثيرة قوية الأسانيد –ستأتي الإشارة إليها– فأنكر عليهم سعيد بن زيد –أحد العشرة المبشرين بالجنة– قائلاً (يا مغيرة بن شعبة ألا أسمع أصحاب رسول الله يسبون عندك فلا تنكر ولا تغير؟..)، فهذا دلالته واضحة في إخراج المغيرة ومعاوية من الصحبة.

ثم ذكر حديث ارتجاج جبل حراء بالعشرة مع النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وتبشيرهم ثم قال: (لمشهد رجل شهده مع رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" أغبرَّ فيه وجهه مع رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" أفضل من عمل أحدكم ولو عُمر عمر نوح) وفي لفظ (لمقام أقامه أحدهم في سبيل الله يغبر فيه وجهه أفضل من عمل أحدكم عمره)[١١٥].

أقول: الحادثة والحديث أسانيدها بين الحسن والصحيح عند أكثر أهل الحديث وفي الحديث دلالة على أن سعيد بن زيد وهو من العشرة لا يرى المغيرة بن شعبة ومعاوية من الصحابة، بدلالة قوله للمغيرة (لمشهد شهده الرجل منهم مع رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" أفضل من عمل أحدكم ولو عُمِّر عمر نوح)، فهذا شبيه بحديث النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وقوله لخالد: (..فلو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه) فهذه الصحبة الشرعية لم يدركها المغيرة ولا معاوية (الذي ولّى المغيرة على الكوفة) لأنه من الطلقاء الذين لم يسلموا إلا قهراً، فمعاوية ليس من المهاجرين ولا من الأنصار بالإجماع وعلى هذا فليس صحابياً صحبة شرعية، لكن المغيرة بن شعبة قد يشكل على البعض

---

[١١٤] ولكن كيف تمَّ هذا الاستيلاء على فضائل الصحابة من المهاجرين والأنصار فجعلت في غيرهم من الطلقاء؟! الأمر محيّر إلى حد كبير! فإذا كانت السياسة الأموية هي التي كان لها الدور الأكبر في هذا الاستيلاء واستغلال بعض الصالحين في هذا؛ فأين دور العلماء في كشف مثل هذا الاستيلاء الظاهر؟، فليس هناك أظهر من الآيات التي تنص على المهاجرين والأنصار، ونحن نجد بعض العلماء يوردها في كل الصحابة (بالمعنى الشائع للصحبة) لماذا هذا الخلط بين الفضائل؟ لا أظن أنه حصل بسبب السياسة الأموية وحدها، لا بد أن يردفها غفلة الصالحين، وخصومة الشيعة والمعتزلة والخوارج مع خشية الفرد من الاتهام في العقيدة إن لم يوافق على هذا الخلط، ونحو ذلك من الأسباب التي لا زالت ماثلة أمامنا إلى يومنا هذا.

[١١٥] انظر هذه الأحاديث في صحيح سنن أبي داود للألباني (٣/٨٨٠) ومسند أحمد (مسند سعيد بن زيد) وعند الترمذي (٥/٦٥٢) والسنن الكبرى للنسائي والسنة لابن أبي عاصم (أرقام الأحاديث ١٣٥٣، ١٣٥٠، ١٤٣٥، ١٤٣٣، ١٤٢٨، ١٤٢٧) وفضائل الصحابة لأحمد (أرقام الأحاديث ٢٥٦، ٢٥٧، ٩١، ٩٠، ٨٧) وغيرها كثير لم أتتبعه في معجم الطبراني والمسانيد المشهورة.

لكونه عندهم أسلم قبل بيعة الرضوان وفر إلى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بعد غدره بأصحاب له من بني مالك وفدوا على المقوقس حاكم مصر، فأسقاهم خمراً حتى سكروا ثم قتلهم وأخذ أموالهم وفر إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأنه لا يستطيع أن يرجع إلى الطائف وعليه دم عشرة من الناس!!.

أما إسلامه فلا يشكك فيه أحد ولكنه إسلام مصلحة بالدرجة الأولى في قصة معروفة، لكن هجرته فيها كلام لأن الهجرة الشرعية لها شروط، وهو لم يهاجر إلى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وإنما فرّ إلى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وهناك فرق بين الهجرة والفرار[١١٦]، ورجل فعل هذا لن تكون هجرته خالصة لله ورسوله لأن الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى، وفعله يدل على بعض نيته من غدره بهؤلاء الناس والإسلام يحرم الغدر ولو بالكفار، فلذلك كانت سيرته غير مرضية عند بعض الصحابة وعليه هنات وهنات، وله محاسن وفضائل وقد استعمله عمر لقوة دهائه وحسن سياسته للأمور، ثم عزله وبقي معزولاً زمن عثمان، ثم لجأ لمعاوية في أواخر الفتنة رغم علمه بفضل علي وأحقيته، و لم يكتف بذلك حتى أقام الاحتفالات في لعن الإمام علي رضي الله عنه إرضاءً لمعاوية، وسخطاً للخالق، فمثل هذا تكون صفته أقرب لمن أساء الصحبة ممن أحسنها ومن المعلوم أن الصحابة قبل الرضوان منهم من أحسن الصحبة وهم الأغلبية، وفيهم قليلون أساءوا الصحبة فارتدوا كعبيد الله بن جحش ومقيس بن صبابة وعبد الله بن خطل أو أساءوا السيرة كسمرة بن جندب – إن صح أنه كان كبيراً– والمغيرة بن شعبة وقليل من أمثالهم.

١٢ - ابن عباس:

١ - قال ابن عباس: (كان عمر يسألني مع أصحاب محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" فكان يقول لي...)[١١٧]، وكذلك قول العباس لابنه عبد الله: يا بني أرى أمير المؤمنين- يقصد عمر- يقربك ويخلو بك ويستشيرك مع ناس من أصحاب رسول الله فاحفظ عني ثلاثاً...).، إن صح اللفظ فهذا دليل –فيما يبدو– والدلالة ظنية على أن العباس قد أخرج ابنه عبد الله بن عباس – مع فضله وعلمه

---

[١١٦] والقصة أقرها الذهبي في ترجمة المغيرة في تاريخ الإسلام (١١٩/٤) وقد رواها الواقدي مطولة عن خمسة من شيوخه وهم: محمد بن سعيد الثقفي وعبد الرحمن بن عبد العزيز وعبد الملك بن عيسى الثقفي وعبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى بن كعب ومحمد بن يعقوب بن عتبة عن أبيه وغيرهم (طبقات ابن سعد ٢٨٥/٤)، وروى القصة عبد الرزاق الصنعاني في المصنف (٢٩٩/٥) عن معمر عن الزهري مختصرة، وذكر القصة ابن حجر في الإصابة (١٤٦/٢) ترجمة الشريد بن سويد الثقفي مقراً لها، ولا يرد على هذا ما ذكروه من ضعف الواقدي عند بعضهم لأنه حجة في المغازي إذا لم يخالفه الثقات، إضافة إلى شواهد القصة كرواية الزهري ولها شاهد في صحيح البخاري في قصة الحديبية عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

[١١٧] فضائل الصحابة لأحمد ٢/ ٩٧٥، وإسناده صحيح وقد صححه المحقق.

وجلالته- من أصحاب محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" لصغر سنه أيام النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ولكونه لم يهاجر إلا بعد أن انقطعت الهجرة الشرعية وكان غلاماً يوم وفاة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، وإن صحت الدلالة فهو دليل على خروج من أسلم بعده كالطلقاء وأمثالهم من باب الأولى.

٢ قول ابن عباس: (لما قبض النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" قلت لرجل من الأنصار[١١٨]: هلم فلنسأل أصحاب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" عن حديث رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" قال: العجب منك يا ابن عباس: أترى الناس يحتاجون إليك وفي الأرض من ترى من أصحاب رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"...)[١١٩] وهذا رغم أن دلالته ظنية لكنه يشهد لقول ابن عباس السابق أن الصحابة هم المهاجرون والأنصار فقط، لكن هذا من الأدلة المحتملة فقط.

٣ -أثر ثالث: روى الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح عن ابن عباس في حديث طويل وفيه (فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه من المهاجرين والأنصار بسقاءين فيهما النبيذ فلما شرب النبي صلى الله عليه وسلم عجل قبل أن يروى فرفع رأسه فقال أحسنتم هكذا فاصنعوا) قال ابن عباس: فرضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك أحب إلي من أن تسيل شعابها لبناً وعسلاً[١٢٠].

في الأثر نوع من دليل دلالة ظنية على أن أصحاب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" هم المهاجرون والأنصار فقط، وقد سبق مثيل لها، فقد اقتصر على المهاجرين والأنصار، ولا بد أن يكون مع هؤلاء

---

[١١٨] قد يكون هذا من متأخري الأنصار أو من أبناء الأنصار الصغار ويطلق عليهم (أنصاري) فصار علما عليهم حتى التابعين وتابعي التابعين إلى اليوم والناس يطلقون عليهم (الأنصاري) بعكس المهاجرين لا يقال: المهاجري لأبناء المهاجرين فمن بعدهم.

[١١٩] فضائل الصحابة لأحمد (٩٧٦/٢) وسنده صحيح وقد صححه المحقق. وقد رواه الدارمي والحارث في مسنديهما: حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا جرير بن حازم عن يعلى بن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس: لما قبض رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" فإنهم اليوم كثير... الأثر (الإصابة لابن حجر ترجمة ابن عباس).

[١٢٠] مسند أحمد- ٢٧٩٢.

غيرهم، لكن لم يذكرهم ابن عباس؛ لأنهم ليسوا من الصحابة صحبة شرعية، وعلى هذا فليسوا موطن أسوة وقدوة مع وجود النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وأصحابه من المهاجرين والأنصار!!.

٤ ابن عباس أيضاً: روى أبو عبيد القاسم بن سلام[١٢١] حدثنا حجاج عن ابن جريج قال: قال ابن عباس في قوله تعالى: (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا...) الآيات[١٢٢]، قال ابن عباس: ترك رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" الناس يوم توفي على أربع منازل:

-مؤمن مهاجر.

- والأنصار.

-وأعرابي لم يهاجر إذا استنصره النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" نصره وإن تركه فهو أذن له وإن استنصروا النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" كان حقاً عليه أن ينصرهم..

-والرابعة التابعون بإحسان.

وإن صحَّ الأثر عن ابن عباس فدلالته واضحة وصريحة على أن مَنْ سوى المهاجرين والأنصار إما أعراب إحسان.

٥ ابن عباس:روى البزار عن ابن عباس: (يقول أحدهم أبي صحب رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" وكان مع رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" وَلَنَعْل خَلِقٌ خيرٌ من أبيه)، قال الهيثمي[١٢٣]: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

قلت: وهذا ابن عباس حبر هذه الأمة يفجر هذه المعلومة في وجوه جهلة التابعين ويخبرهم بالواقع، ولكن الجهل غلاب، فتصويب الجهل بالدول، يقبل بإقبالها ولا يزول بزوالها، ويكفي أن نستفيد من هذا الأثر أن الصحابة كانوا مراتب متفاوتة فمنهم الصالح ومنهم السيء، والسيء يخرج من الصحبة الشرعية إلى الصحبة العامة ولا بد أن يكون بين هذا وهذا منازل متباينة، وهذا يخالف النظرة السلفية المغالية في موضوع (الصحابة).

---

[١٢١] أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأموال ص٢٩١، والإسناد ضعيف، فشيخه (حجاج بن محمد الأعور) ثقة من رجال الجماعة وابن جريج ثقة إمام لكنه يرسل ويدلس ولم يسمع من ابن عباس فالإسناد ضعيف لكن يحتمل أن ابن جريج ينقل تفسيراً من ابن عباس لهذه الآية، فابن جريج تلميذ لتلاميذ ابن عباس وكلاهما مكيان إضافة إلى أن للأثر شواهد كثيرة ومعناه صحيح، والأثر رواه ابن المنذر وأبو الشيخ كما ذكره السيوطي في الدر المنثور (١١٧/١٠) وقال أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك مثله.

[١٢٢] سورة الأنفال الآية: ٧٢.

[١٢٣] في المجمع (١١٨/١).

١٣ - أبو هريرة:

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة إنكم تقولون أكثر أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم والله الموعد إنكم تقولون ما بال المهاجرين لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الأحاديث؟ وما بال الأنصار لا يحدثون بهذه الأحاديث؟ وإن أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم في الأسواق وإن أصحابي من الأنصار كانت تشغلهم أرضوهم والقيام عليها وإني كنت امرأ معتكفاً وكنت أكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحضر إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا وإن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا يوماً فقال من يبسط ثوبه حتى أفرغ من حديثي ثم يقبضه إليه فإنه ليس ينسى شيئاً سمعه مني أبداً فبسطت ثوبي أو قال نمرتي ثم قبضته إلي فوالله ما نسيت شيئاً سمعته منه وأيم الله لولا آية في كتاب الله ما حدثتكم بشيء أبداً ثم تلا (إن الذين يكتمون ما أنـــزلنا من البينات والهدى) الآية كلها[١٢٤] أهـــ.

قلت: يشير هذا إلى شعور الناس من التابعين بأن أولى الناس بالتحديث عن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" هم المهاجرون والأنصار، فهم أولى بالنبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وأعدل من نقل حديث النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وأوثق الناس، وفيه إخراجهم لأبي هريرة من المهاجرين والأنصار، مع أن المشهور عنه أنه هاجر يوم خيبر، لكنها ليست الهجرة الشرعية، وقد يطلقها بعضهم على من هاجر بعد الرضوان من باب التجوز والتوسع، وفيه أيضاً إقرار من أبي هريرة بأنه ليس من المهاجرين الهجرة الشرعية ولا من الأنصار، ولذلك لم يقل (فأنا من المهاجرين)، مما يدل على خصوصية لهذه اللفظة، وأنه لا يكفي فيها مجرد الهجرة بعد الحديبية، لأنها تستلزم البقاء في المدينة قبل الحديبية، وإذا صحَّ ما ذكره ابن الكلبي من أن أبا هريرة قد قدم على النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وأسلم في مكة ورجع مع الطفيل بن عمرو بإذن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وإذا صحَّ اعتبارهما مهاجرين فهي هجرة دون هجرة؛ إذ لا ريب أن من هاجر إلى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" من العام الأول الهجري وكان معه في بدر وأحد والخندق والحديبية أفضل ممن أتى بعد انتصار الإسلام والاعتراف به من كفار قريش حين أصبح الداخل في الإسلام آمناً.

---

[١٢٤] مسند أحمد- ٧٣٨٠ والإسناد قوي.

وهؤلاء (من أسلم في الفترة المكية و لم يكن من المستضعفين و لم يكن في مكة) تتجاذبهم الأدلة بين أدلة مدخلة لهم في الهجرة والصحبة الشرعية وأدلة مخرجة لهم منها، وهذه الفترة (من صلح الحديبية إلى فتح مكة) فترة برزخ –كما أسلفت سابقاً– وأرى أن المسلمين في الفترة المكية ممن لم يهاجروا إلا بعد الرضوان صحابة صحبة شرعية ولهم حكم المهاجرين بشرطين: الأول: أن يكونوا فيمن أذن له النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بالعودة إلى بلاده كالطفيل أو لم يعلم بظهور النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" إلا متأخراً أو نحو ذلك، والشرط الثاني: ألا يكون مكياً لأن وجوب الهجرة على المسلمين المكيين متأكد أكثر من غيرهم؛ لتعرضهم للفتنة، فهذه المرحلة تحتاج لدراسة وبحث لما سبق بيانه، أما الأنصار فكل مسلم من الأوس والخزرج أو حلفائهم أو من في حكمهم من آخر العهد المكي إلى عام الحديبية.

١٤ – البراء بن عازب الأنصاري : وهذا الصحابي الجليل له فهم سلفي حق؛ كسائر الصحابة من المهاجرين والأنصار، وهذا الفهم يختلف عن الفهم القسري الذي يفرضه هؤلاء الغلاة على أتباعهم المساكين، فماذا يقول البراء بن عازب؟! روى البخاري في صحيح البخاري – (ج ٤ / ص ١٥٢٩) : حدثني أحمد بن إشكاب حدثنا محمد بن فضيل عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال : لقيت البراء بن عازب رضي الله عنهما فقلت طوبى لك صحبت النبي صلى الله عليه و سلم وبايعته تحت الشجرة! فقال: يا ابن أخي إنك لا تدري ما أحدثنا بعده! اهـ ففهم الصحابة لشهود بدر أو الرضوان وما ورد فيهما من الفضل يختلف تماماً عن ذلك الفهم السلفي المبتدع الذي يجعل الصحبة حالة لا يضر معها ذنب، ولا يستحق الظالم معها عقوبة، فهذا الصحابي وهو من فضلاء الصحابة لم يفهم من النصوص في فضل بيعة الرضوان ما يفهمه هؤلاء، مع أنهم يوجبون اتباع فهم السلف الصالح، لكن السلف الصالح عندهم لا يدخل فيهم أهل بدر والرضوان، وإنما يدخل فيهم الجوزجاني والجورقاني والسختياني والبربهاري وابن أبي يعلى الفراء وعبد المغيث الحربي وابن تيمية ومحب الدين الخطيب ونحوهم من النواصب المتمسلفة، أما علي وعمار وأبو ذر والبراء بن عازب والمقداد و عائشة وعمر وابن عمر وأبي سعيد وابن عباس وأمثالهم فليسوا من سلفهم ولا يعوّلون على عقائدهم ولا فهمهم، فعالمهم خادع وجاهلهم تابع.

١٥ – المهاجرون:

في كتاب المغازي لموسى بن عقبة: أمّر النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل.. فذكر القصة وفيها: (فلما قدموا عليه قال: أنا أميركم، فقال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين...) الأثر[١٢٥].

وهذا فيه دلالة ظنية على أن عمرو بن العاص ليس من المهاجرين الهجرة الشرعية حتى وإن هاجر قبل فتح مكة، ولو كان من المهاجرين لقال لهم: وأنا ألست من المهاجرين؟ لكنه يعرف الهجرة الشرعية وأنه لم ينلها وإنما أدرك الهجرة العامة، والهجرة العامة كالصحبة العامة لم ترد في مدحها النصوص الشرعية وإنما كانت هذه النصوص الشرعية خاصة بالصحبة الشرعية والهجرة الشرعية والنصرة الشرعية.

١٦ - سعيد بن المسيب:

سبق قول سعيد بن المسيب (ت بعد ٩٠) إمام التابعين:

(الصحابة لا نعدهم إلا من أقام مع رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين)[١٢٦]، فالدلالة صريحة، قال السيوطي في تعليل تعريف ابن المسيب: "ووجهه أن لصحبته "صلى الله عليه وآله وسلم" شرفاً عظيماً فلا تنال إلا باجتماع طويل يظهر فيها الخلق المطبوع عليه الشخص، كالغزو المشتمل على السفر الذي هو قطعة من العذاب، والسنة المشتملة على الفصول الأربعة التي يختلف بها المزاج"[١٢٧].

---

[١٢٥] انظر الإصابة لابن حجر (٣/٤٧٧) ترجمة أبي عبيدة عامر بن الجراح. ذكرها الحافظ مقراً لها و لم ينقل الإسناد كما لم ينقده.

[١٢٦] الكفاية في علم الرواية للخطيب ص٩٩ ومقدمة ابن الصلاح ص٤٨٧. والإسناد إلى سعيد ضعيف، أما المتن فهو يتفق – إلى حد كبير– مع الصحبة الشرعية.

[١٢٧] انظر تدريب الراوي (٢/ ٢١١)

١٧ – معاوية بن قرة المزني:

قال: (جاء أبي إلى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وهو غلام صغير فمسح رأسه واستغفر له. قال شعبة: فقلنا له: أصحبه؟ قال: لا. ولكنه كان على عهده قد حلب وصر)[١٢٨].

الدلالة صريحة وقد عد مترجمو الصحابة والده في الصحابة مع أن ابنه ينفيها عنه رغم شرفها ووالده هو قرة بن إياس المزني، وهذا يدل على أن تعميم الصحبة على كل من لقي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء متأخراً، إذن فلم يعتد معاوية بن قرة برؤية والده للنبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ولقياه له مع أن والده يومئذٍ كان يحلب ويصر أي أنه كان في سن المراهقة تقريباً.

١٨ – عمر بن عبد العزيز (١٠١هـ)

كان عمر بن عبد العزيز يجعل الأمة كلها في حقوقها في المال ثلاثة أصناف (المهاجرون صنف، والأنصار صنف، ومن جاء بعدهم صنف ثالث)، وهذا يعني المساواة بين كل الناس ممن ليس مهاجرياً ولا أنصارياً، ففي مصنف ابن أبي شيبة – (ج ٧ / ص ٦٣٩) حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن الحسن عن السدي عن عمر بن عبد العزيز قال: (وجدت المال قسم بين هذه الثلاثة الأصناف المهاجرين والأنصار والذين جاءوا من بعدهم) اهـ.

١٩ – الشعبي (١٠٤هـ):

ظاهر كلامه أنه لا يعد الصحابة إلا المهاجرين والأنصار، ففي مصنف ابن أبي شيبة – (ج ٨ / ص ٧١٠): حدثنا ابن علية عن منصور عن عبد الرحمن عن الشعبي قال: لم يشهد الجمل من أصحاب النبي (ص) من المهاجرين والانصار إلا علي وعمار وطلحة والزبير فإن جاءوا بخامس فأنا كذاب اهـ.

فهو هنا يعرف الصحابة بأنهم المهاجرون والأنصار على ظاهر العبارة، وأما المتن من حيث شهود الصحابة الجمل مع علي بن أبي طالب فلا شك أن الشعبي أخطأ خطأ ظاهراً، فقد شهد مع علي الجمل نحو أربعمائة من أصحاب بيعة الرضوان، وبعض أهل بدر، أما صفين فقد شهدها مع علي سبعون بدرياً وثمانمائة من أصحاب بيعة الرضوان، ولولا خشيتي من الطول لسردت أسماء هؤلاء

---

[١٢٨] الكفاية ص١٠٩.

البدريين السبعين، (لكن لم يشهد الجمل جميع هؤلاء وإنما كانت كثرتهم بصفين مع علي، و لم يكن مع أهل الجمل من أهل بدر إلا الزبير ورجع تائباً وأما البقية فلا بدري ولا رضواني إلا طلحة شهد أحداً وما بعدها)، ولكن الشعبي في آخر عمره كان أموياً بعد أن اتصل بعبد الملك وأصبح عالم السلطة بالعراق كحال الزهري في الشام والحجاز في تلك الفترة، فالشعبي فيه نصب لكنه ليس كنصب هؤلاء، بل أخف.

٢٠ - عن الزهري وسعيد بن عمرو:

روى ابن سعد[١٢٩] عن الزهري وسعيد بن عمرو قالا: بعث رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" بشر بن سفيان ويقال النحام العدوي على صدقات بني كعب من خزاعة ...) الحديث، وفيه خلاف على صدقات بني تميم وبعث عيينة بن بدر الفزاري قالا: (فبعثه النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" في خمسين فارساً من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري...) الأثر.

الإسناد فيه الواقدي مختلف فيه لكنه إمام في المغازي، والأثر مرسل والدلالة واضحة في هذا الأثر على أن من سوى المهاجرين والأنصار لا يقال لهم صحابة وإنما يقال لهم العرب أو الناس.. فالزهري وسعيد بن عمرو لم يقولا (بعثه النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" في خمسين من الصحابة ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري). مع أن كل الذين بعثهم النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" مع عيينة هم صحابة حسب فهمنا الشائع للصحبة.

عن الزهري أيضاً:

روى عبد الرزاق الصنعاني عن معمر عن الزهري: (ثارت الفتنة ودهاة الناس خمسة، فمن قريش معاوية (ابن أبي سفيان) وعمرو (ابن العاص) ومن ثقيف المغيرة (بن شعبة) ومن الأنصار قيس بن سعد ومن المهاجرين عبد الله بن بديل بن ورقاء) أهـ.

قلت: في كلام الزهري إخراج لعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة من المهاجرين إلى عموم قريش وثقيف، لأن عمرو بن العاص وإن كان قد هاجر قبل فتح مكة لم يدرك الهجرة الشرعية (قبل الرضوان) فهو من سائر قريش، ولأن المغيرة وإن أسلم قبل الرضوان لم تكن هجرته إلى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" لأجل الهجرة الشرعية وإنما هرب إلى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" هروباً بعد أن غدر

---

[١٢٩] الطبقات (٢٩٣/١).

بأصحابه المالكيين من أهل الطائف الذين ذهبوا معه إلى المقوقس حاكم مصر في قصة معروفة[١٣٠] (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله)[١٣١]، فلما قتلهم وأخذ أموالهم خشي من العودة إلى الطائف وفضل الإتيان إلى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" في المدينة والإسلام ثم البقاء هناك وقد أخرجه من الصحبة الشرعية سعيد بن زيد في قصة نهيه المغيرة عن لعن علي وقد سبقت، إذن فالأصل أن من أسلم قبل الرضوان وهاجر إلى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وبقي في المدينة يكون صحابياً صحبة شرعية ويخرج من كانت هجرته لغير ذلك من طمع في غنيمة كالعرنيين أو خوف من عدو كما فعل المغيرة هنا، ووصف الزهري لعبد الله بن بديل بأنه من المهاجرين يدل على قدم إسلامه وهجرته ويرد على من زعم أنه أسلم عام الفتح.

٢١ - محمد بن كعب القرظي:

أخرج أبو الشيخ وابن عساكر عن محمد بن كعب القرظي –عندما سأله حميد بن زياد عن الصحابة والفتن– فقال: غفر الله لجميع أصحاب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم، فقلت: في أي موضع أوجب الله لهم الجنة في كتابه؟ فقال: ألا تقرأ قول الله تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾ [سورة التوبة: ١٠٠]، أوجب لجميع أصحاب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" الجنة والرضوان، وشرط على التابعين شرطاً لم يشرطه على غيرهم. قلت: وما اشترط عليهم؟ قال: اشترط عليهم أن يتبعوهم بإحسان يقتدون بهم في أعمالهم الحسنة ولا يقتدون بهم في غير ذلك.

قال حميد بن زياد: فكأني لم أقرأ قبل ذلك وما عرفت تفسيرها حتى قرأها علي محمد بن كعب[١٣٢] أهـ.

قلت: وهذا –إن صحَّ– يؤكد أن فهم الصحبة عند التابعين كانت مقتصراً على المهاجرين والأنصار فعندما يقول محمد بن كعب: (غفر الله لجميع أصحاب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وأوجب لهم الجنة) ثم يذكر الآية في المهاجرين والأنصار دليل على أنه يقصد بالصحابة المهاجرين والأنصار فقط، وهذا واضح بقليل من التأمل، لكن لما تقادم الزمان وكثرت الخصومات وجدنا في العلماء من يعد قول محمد هذا عاماً

---

[١٣٠] انظر تاريخ الإسلام للذهبي (١١٩/٤).

[١٣١] البخاري– كتاب الوحي– حديث رقم ١.

[١٣٢] الدر المنثور (٢٧٢/٤)، وذكر أن أبا الشيخ وابن عساكر أخرجا الحديث و لم أهتد لموضع الأثر.

في (كل من رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم) ويغفل عن استدلاله بالآية الكريمة المقتصرة على المهاجرين والأنصار بل على السابقين منهم على قول من جعل (من) تبعيضية وهكذا وردت آثار عن التابعين في مدح الصحابة فورد عن الحسن البصري وقتادة وعطاء وغيرهم.

وعند تأمل تلك الآثار يتبين أنها تدل دلالة واضحة على أن هؤلاء التابعين الكرام لا يريدون بذلك الثناء على الطلقاء والأعراب وإنما يريدون الثناء على المهاجرين والأنصار، وإلى الآن لم أجد أثراً صحيحاً عن صحابي ولا عن تابعي فيه ثناء على الصحابة إلا وينصرف ذلك الثناء على المهاجرين والأنصار دون من سواهم.

وهناك المزيد من أقوال التابعين في سرد أقوال المذهبين في الملحق..

الخلاصة في مفهوم الصحبة عند الصحابة والتابعين:

أنه (أعني مفهومهم للصحبة) يفرق بين مصطلح الصحبة الشرعية (الخاصة)، والصحبة العامة (صحبة الكافة) التي ليس لها ميزة الصحابة وليس لها اسم الصحبة الشرعي؛ فالصحبة التي نــزلت النصوص في مدحها والثناء عليها هي الصحبة الشرعية (صحبة المهاجرين والأنصار) وهي الصحبة الخاصة، والصحبة الخاصة طبقات أيضاً، لكن أوسع مدى زمني للصحبة الشرعية أو الخاصة ينتهي عام الحديبية، أما فترة ما بعد الحديبية فهي داخلة في الصحبة العامة التي يسمى أهلها شرعاً (التابعين)، سواء منهم التابعون بإحسان أو بغير إحسان.

الواقع التاريخي:

سبق القول إن هناك فرقاً كبيراً بين من صحب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" لأجل الإسلام أيام الضعف والذلة، أيام كان الإسلام بحاجة إليه ومن أسلم بعد انتصار الإسلام وعلوه وترجيح ظهوره وانتصاره.

وقد ورد ما يدل على أن العرب كانت تنتظر معركة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" مع قريش فإن انتصر فهو عندهم نبي وإن لم ينتصر فهو عندهم ليس بنبي! فمثل هؤلاء الذين يربطون بين النصر وصحة

النبوة لا يعدون من أصحاب الصحبة الخاصة الذين اتبعوا النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" تصديقاً وإيماناً برسالته سواءً خالفها الناس أو اتبعوها، وهذا لا يمنع من أن بعض هؤلاء قد حسن إسلامهم لكن يبقى هؤلاء غير هؤلاء، والواقع التاريخي يدل على أن فتح الحديبية كان الفيصل الحاسم بين أصحاب الصحبة الشرعية وأصحاب الصحبة العامة، صحيح أن فتح خيبر زاد يقين هؤلاء بانتصار النبي "صلى الله عليه وسلم" ولكن فتح مكة قضى على بقية الاحتمالات في هزيمة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وأصحابه.

ومن الأدلة على أن اتباع كثير من الناس للنبي "صلى الله عليه وآله وسلم" كان نتيجة لانتصار النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" على قريش بالدرجة الأولى، وليس بسبب اكتشاف أدلة جديدة تدل على صدق نبوة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ما أخرجه البخاري في المغازي عن المسورة بن مخرمة ومروان بن الحكم في قصة الحديبية قولهما: (.. فلما أمن الناس وتفاوضوا لم يُكلَّم أحد بالإسلام إلا دخل فيه، فلقد دخل في تينك السنين (يعني السادسة والسابعة) في الإسلام أكثر مما كان فيه قبل ذلك وكان صلح الحديبية فتحاً عظيماً) أهـــ.

أما من لم يسلم خشية تعرضه للضرر فليس من أصحاب الصحبة الخاصة الذين يضحون بأوطانهم وقبائلهم وأموالهم وأهليهم في سبيل الله، فقد أسلم أصحاب الصحبة الشرعية وهم يخشون أن يتخطفهم الناس لضعفهم وقلتهم ومع ذلك أسلموا وصبروا وصابروا حتى نصرهم الله وتم الاعتراف بالإسلام بعد الحديبية فهؤلاء هم أصحاب الصحبة الشرعية الخاصة، ولذلك نقل عن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أنه أطلق على فتح الحديبية (أعظم الفتوح)[١٣٣] وهو الفتح المبين الذي ذكره الله عز وجل في القرآن الكريم ولم يذكر الفتحين الآخرين (فتح خيبر وفتح مكة) بالإبانة، والإبانة من معانيها: الظهور والقطع والحسم، فهو الفتح القاطع بين (ما قبل) و (ما بعد) وعلى هذا فهو الفيصل بين (الصحبة الشرعية) و (الصحبة العامة).

وقد جاء في صحيح البخاري[١٣٤] عن عمرو بن سلمة قوله (وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح فيقولون اتركوه وقومه فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم وبدر أبي قومي بإسلامهم..) الحديث، هذا يدل على أن الناس من غير المهاجرين والأنصار

---

[١٣٣] تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي ص٣٧٩) لكنه من مرسل عروة.

[١٣٤] (٨/٢٢ مع الفتح).

كانوا ينتظرون لمن تكون الغلبة! و لم يسارعوا كأصحاب الصحبة الشرعية، فبعضهم أسلم بعد فتح الحديبية وبعضهم تربص إلى فتح مكة ويبدو أن عمرو بن سلمة يريد فتح مكة فحسب علمه أن الناس لم يبادورا بالإسلام إلا بعد فتح مكة، والصواب أنهم بادروا بعد الحديبية بعد أن أصبح يحق للقبيلة الدخول في حلف النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وانقطعت الهجرة الشرعية خاصة عن أهل مكة كما سبق أن شرحنا.

استطراد : نظرة في قصة إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص.

من يقرأ قصة إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص (وقد أسلموا وهاجروا قبل فتح مكة) يرى أن إسلامهم كان خليطاً من دنيا ودين، وأن سبب إسلامهم أنهم رأوا الغلبة وعلو أمر النبي (ص) وكانوا قد هموا أن يلحقوا بالنجاشي أو الروم ثم رأوا اللحاق بالنبي (ص) .. فهل هذا يشبه إسلام من أسلم مقراً بشرائع الإسلام وراغباً فيه ومستسلماً لله؟ لا أريد أن أفتش عن القلوب، فالله هو البصير بالعباد، الخبير ببواطن الأمور، لكن لنقرأ قصة إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، رغم أن الرواية على ألسنتهم وعن أشياعهم وأصحابهم.

قصة إسلام خالد بن الوليد:

قال الواقدي في المغازي – (ج ١ / ص ٣٠٤) حدثني يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال، سمعت أبي يحدث يقول: قال خالد بن الوليد: لما أراد الله بي من الخير ما أراد قذف في قلبي حب الإسلام، وحضرني رشدي، وقلت: قد شهدت هذه المواطن كلها على محمدٍ، فليس موطنٌ أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أني موضع في غير شيءٍ وأن محمداً سيظهر. فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية خرجت في خيلٍ من المشركين فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه بعسفان؛ فقمت بإزاءه وتعرضت له، فصلى بأصحابه الظهر آمناً منا، فهممنا أن نغير عليه، ثم لم يعزم لنا – وكانت فيه خيرةٌ – فاطلع على ما في أنفسنا من الهموم فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف، فوقع ذلك مني موقعاً وقلت: الرجل ممنوع! وافترقنا وعدل عن سنن خيلنا وأخذ ذات اليمين؛ فلما صالح قريشاً بالحديبية ودافعته قريشٌ بالرواح قلت في نفسي: أي شيءٍ بقي؟ أين المذهب؟ إلى النجاشي؟ فقد اتبع محمداً، وأصحابه آمنون عنده، فأخرج إلى هرقل؟[١٣٥] فأخرج من ديني إلى نصرانيةٍ أو

[١٣٥] هذا من الأدلة على أن تواصل قريش مع هرقل والروم كان قائماً، وقد ذكر الدكتور سهيل زكار أن المصادر البيزنطية تؤكد على وجود تنسيق بين الروم وقريش، وأن الرسول بين الفريقين كان رجلاً عربياً يسمى (قطبة)، و ربما لأجل هذا التحالف كانت لقاءات أبي سفيان مع هرقل أيام هدنة الحديبية (

يهودية، فأقيم مع عجمٍ تابعاً، أو أقيم في داري فيمن بقي؟ .. وذكر الحديث وفيه: فلما أجمعت الخروج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: من أصاحب إلى رسول الله؟ فلقيت صفوان بن أمية فقلت: يا أبا وهب، أما ترى ما نحن فيه؟ إنما نحن أكلة رأسٍ ، وقد ظهر محمدٌ على العرب والعجم، فلو قدمنا على محمدٍ فاتبعناه فإن شرف محمدٍ لنا شرفٌ. فأبى أشد الإباء وقال: لو لم يبق غيري من قريش ما اتبعته أبداً. فافترقنا وقلت: هذا رجلٌ موتور يطلب وتراً، قد قتل أبوه وأخوه ببدر. فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل الذي قلت لصفوان، فقال لي مثل ما قال صفوان، قلت: فاطو ما ذكرت لك. قال: لا أذكره وخرجت إلى منزلي فأمرت براحلتي تخرج إلي، فخرجت بها إلى أن ألقى عثمان بن طلحة فقلت: إن هذا لي لصديقٌ ولو ذكرت له ما أريد! ثم ذكرت من قتل من آبائه فكرهت أذكره، ثم قلت: وما علي وأنا راحلٌ من ساعتي. فذكرت له ما صار الأمر إليه فقلت: إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحرٍ، لو صب عليه ذنوب من ماءٍ لخرج. .. ثم قال: فنجد عمرو بن العاص بها فقال: مرحباً بالقوم! فقلنا: وبك! قال: فأين مسيركم؟ قلنا: ما أخرجك؟ قال: فما الذي أخرجكم؟ قلنا: الدخول في الإسلام واتباع محمد صلى الله عليه وسلم. قال: وذلك الذي أقدمني. قال: فاصطحبنا جميعاً... الخ.

وهذا إسلام عمرو بن العاص:

تاريخ الرسل والملوك - (ج ٢ / ص ٤١): حدثنا أبن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن أبن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب، عن راشد مولي أبن أبي أوس، عن حبيب بن أبي أوس، قال: حدثني عمرو بن العاص من فيه إلى أذني، قال: لما أنصرفنا مع الأحزاب عن الخندق ، جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي، ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله أني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً. وإني قد رأيت رأياً فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قلت: رأيت أن نلحق بالنجاشي، فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فلأن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد؛ وإن يظهر قومنا فنحن من قد عرفوا؛ فلا يأتينا منهم إلا خير. .. ثم ذكر القصة اهـــ.

ومن خلال هاتين الروايتين في إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ومثلهما قصة إسلام المغيرة بن شعبة، تلحظ بسهولة أن الدافع الأول للإسلام لا يكون اليقين بالدين الجديد بقدر ما هو خوف من

وأظهرها أهل الحديث في مناقب أبي سفيان)! وربما لأجل هذا أيضاً كانت غزوة تبوك وهذا يفيدنا في تدبر سورة براءة، ولأجل هذا كان معاوية يدفع لقيصر الجزية ويحارب علياً، ولأجل هذا كانت فتوحات معاوية الشامية والبحرية قليلة، ففتوحات المشرق وصلت إلى الصين، بينما معاوية لم يحرر كل الساحل الشامي!

المستقبل وبحث عن الأمن.. وهذا لا يمتع أن يحسن إسلام الرجل فيما بعد، ولكننا لا نعرف حسن الإسلام إلا بحسن السيرة.

١- قد يقول البعض: مادام أن اللغة واسعة، ويجوز فيها أن تطلق الصحابي أو الصاحب على من صحب ولو صحبة يسيرة، فلماذا التضييق في الأمر؟

الجواب.. أولاً: هؤلاء الغلاة للأسف تجاوزوا مسألة الحقيقة اللغوية نفسها، فأصبحوا يطلقون الصاحب على من رأى ولو كان مسيئاً ظالماً كاذباً فاجراً، وليس على من صحب واستقام، فهذا أولاً تجاوز واضح للحقيقة اللغوية إلى المجاز اللغوي، والمجاز يتسع لأكثر من الرائي والموافق.

ثانياً: سبق أن كررنا أننا لا نمانع من إطلاق الصحبة، إذا أريد بها مطلق الصحبة، لكن هذا الإطلاق جائز في الكفار والمنافقين أيضاً، بمعنى أن المنافقين يدخلون في الصحبة من حيث اللغة، كما أن الكفار يدخلون باللغة كذلك، فاللغة تتسع للأمرين[١٣٦]، لكن المنافقين والكفار ليسوا صحابة من الناحية الشرعية، وعلى هذا ليسوا صحابة بالمعنى الشرعي للصحبة، ذلك المعنى الممدوح المقتضي للمتابعة والنصرة على ما سبق تفصيله (وفي هذه المسألة بالذات كرر التشنيع والاستنكار على ما تحته خط بعض الغلاة والحمقى كالشيخ عبد المحسن العباد وغيره دون أن يفهموا أنني أريد إبطال دليل اللغة وليس مساواة كل من أسلم بعد بيعة الحديبية بالكفار والمنافقين، أو أن صحبتهم للنبي (ص) هي كصحبة الكفار والمنافقين، فهذا جهل من الشيخ بمقاصد الكلام ولوازمه، فعندما نقول إن الاحتجاج باللغة لا يفيد لأن اللغة تجيز استعمال (الصحبة) حتى في الخصم المحارب كما في الحديث (إنه كان حريصاً على قتل صاحبه) فأنا هنا أبطل الاحتجاج باللغة على من يرى تثبيت فضيلة باللغة ولا تستلزمها اللغة، فيأتي مثل هذا الشيخ ليقول (إن المالكي يقول إن الصحابة بعد الحديبية هم كصحبة الكفار والخصوم والمنافقين والمقاتلين للنبي؟) فهذا فهم الشيخ وهذا عقله ولن يستطيع تعديل العقل إلا من خلقه، ولا تفعيل الحواس إلا من ألزمها أشباحها، والشيخ وأمثاله من تيار الغلاة هم من جنوا على أنفسهم لأنهم حرّموا على أنفسهم العلم والفهم بتحريم وسائله التي تعين على الفهم كالمنطق مثلاً، ومنعوا طلابهم من الاستفادة منه، فإذا لم يفهموا الخطاب فهذا ذنبهم لا ذنبنا، وصدق أبو بكر بن شهاب عندنا قال:.

[١٣٦] بمعنى أن من صحب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" من الكفار كالذي دله يوم الهجرة على الطريق يدخل من حيث اللغة في الصحبة لكن الشرع يخرجه منها. وكذلك عبد الله بن أبي رأس المنافقين يعتبر من حيث اللغة صاحبا لكن الشرع يخرجه منها. وكذا الطلقاء والعتقاء أخرجتهم النصوص من الصحبة الشرعية. كما أخرجت النصوص- على الراجح- صحبة من أسلم بعد الحديبية من الصحبة الشرعية، وهؤلاء قبل الطلقاء في الإسلام وامتازوا عنهم بالهجرة.

وتسموا أهل الحديث وهاهم..... لا يكادون يفقهون حديثا!

٢ - اعتراض : هل سبقك أحد إلى هذا المسمى (الصحبة الشرعية)؟

الجواب: الصحبة الخاصة أو الصحبة الشرعية ليس يهم فيها الاسم، وإنما يهمنا حقيقة الصحبة الممدوحة في الكتاب والسنة وقد أطلقت عليها (الصحبة الشرعية)، ويحق لمن شاء أن يسميها الصحبة الخاصة فلا مشاحة في الاصطلاح، والصحبة الشرعية هي تلك الصحبة التي أثنى عليها الله ورسوله "صلى الله عليه وآله وسلم" جزماً، ونـــزلت الآيات في وصفها، وكانت أيام الضعف والذلة، أيام حاجة الإسلام وحاجة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" إلى النصرة والاتباع، تلك الصحبة التي إن ورد الثناء على الأصحاب، أو الأمر بعدم سبهم، أو الأمر بالاقتداء بهم، فلا تنصرف هذه المعاني إلا لها، وهذا لا يعني عدم الثناء على الصالحين في أي زمن، وإنما يعني احترام خصوصية السابقين، الذين فضلهم الله ورسوله، وهم المهاجرون والأنصار.

أما هل سبقني أحد إلى هذه التسمية، فهذا السؤال له مقدمة وجواب:

أولاً: نحن نعرف بل نحن متفقون أن هناك كثيراً من المصطلحات التي نقول إنها شرعية لكون الشرع أعطاها دلالة خاصة غير دلالتها الأولى، وعلى سبيل المثال مصطلحات الزكاة، والصلاة، والحج، فمعانيها من حيث اللغة تعني الطهارة، والدعاء، والقصد..، لكن الإسلام بنصوص الكتاب والسنة قد أعطى هذه المعاني دلالات أخرى أو أضاف لها معاني شرعية مع عدم نفي الدلالات السابقة في استعمالات أخرى لغوية، فالحج قصد، لكن إلى بيت الله الحرام لأداء شعائر معينة، والزكاة أصبحت تعني إخراج حق المال، وهي طهارة أيضاً، تطهر مال المزكي وتطهر المزكي من الإثم والصلاة دعاء ونحو هذا.

.بمعنى أن الشرع يضيف تقييدات على المصطلحات العامة، ليصبح لها مدلول شرعي مقيد، بعد أن كان المدلول اللغوي واسعاً، قد يصل لحد المشترك اللفظي، أو تكثر فيه المجازات اللغوية. فكذلك الصحبة إذا قال النبي "صلى الله عليه وآله وسلم": (لا تسبوا أصحابي...)، عرفنا أن كلمة (أصحابي) في هذا الحديث لا تعني إلا المهاجرين والأنصار على أوسع احتمال أو السابقين منهم على أضيق احتمال، بدلالة أن المخاطب وهو خالد بن الوليد (صحابي من أصحاب الصحبة العامة [١٣٧]) لأنه تأخر إسلامه إلى ما بعد الحديبية (وفي دوافع إسلامه كلام أيضاً)، وخالد بن الوليد في الحديث يدخل في (الأمر النبوي) بطريق الأولى، وكذلك إذا وجدنا آية تثني على (الذين معه) أي الذين مع الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم"، فلا

---

[١٣٧] أي حسب المفهوم الشائع للصحبة وهو مفهوم خاطئ من حيث الإطلاق الشرعي.

تنصرف إلا إلى الصحبة الشرعية، بدلالة الآيات الأخرى، التي تقتصر الصحبة على (المهاجرين والأنصار)، وهذا يعني أن كلمة (الذين معه) كلمة مجملة مفسرة بـــ(المهاجرين والأنصار)، والقرآن يفسر بعضه بعضاً.

وأما هل سبقني أحد فالجواب: نعم، قد سبقني كثير من العلماء السابقين واللاحقين، لكن تعبيراتهم عنها مختلفة الألفاظ فمنهم من يسميها الصحبة المخصوصة ومنهم من يسميها صحبة الخاصة ومنهم من يسميها صحبة المهاجرين والأنصار ومنهم من يطلق على أصحابها (علية الصحابة) ونحو ذلك، بل لعل جمهور الأصوليين على هذا التعريف، ولو لم يكن معنا من هؤلاء إلا القليل لكفى؛ لقوة أدلتهم النقلية والعقلية والعرفية، وضعف أدلة مخالفيهم المعتمدين على الوضع اللغوي فقط، كما أنني أسجل للتاريخ بأنه قد سبقني بعض الباحثين المعاصرين لإطلاق مصطلح الصحبة الشرعية[١٣٨]، ومع ذلك فلا أطلب من أحد أن يلتزم بهذا الإطلاق (الصحبة الشرعية)، لكن عليه إن أثنى على الصحابة ألا ينـــزل هذا الثناء إلا على من أنـــزله الله ورسوله عليه من المهاجرين والأنصار فقط، أما أن ينـــزل الآيات والأحاديث الخاصة في فضل أصحاب الرضوان مثلاً على الطلقاء أو من بعدهم؛ فهذا بداية الخلل العلمي الذي سبب لنا منازعات وخصومات ترجع إلى هذا الخلط.

ثم أقول للمحتجين بالأسبقية:

أولاً: من سبقكم إلى اعتبار الآيات الكريمة التي وردت في حق المهاجرين والأنصار نازلة فيمن بعدهم؟! بل نازلة في كل ظالم ممن أدخلتموه في الصحبة؟

ثانياً: لا يشترط أن يسبق في الموضوع أحد ما دام للموضوع أدلته وبراهينه، فينطلق النقد على تلك البراهين والأدلة، ولا ينطلق على غير ذلك، وكلمة (من سبقك؟!) ليست دليلاً، فقد أطلق المتأخرون ألفاظاً أو مصطلحات لم تكن موجودة فيهم ولا قبلهم، ولم يقل لهم أحد (هل سبقكم أحد إلى هذه التسمية؟)، مثل التفسير، والتجويد، والمصطلح نفسه، وأصول الفقه، والخاص والعام، والمطلق والمقيد، والعقيدة، ونحو ذلك من الألفاظ التي لم تكن موجودة في عهد النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ولا

[١٣٨] عند الانتهاء من هذه المادة وصلني كتاب للدكتورة حياة عمامو بعنوان (أصحاب محمد) وهي رسالة دكتوراه، وقد تعجبت من توصل المؤلفة للنتيجة نفسها تقريباً التي توصلت إليها، لأن الطريقة المتبعة كانت واحدة من حيث تقديم القرآن ومفهوم الصحبة فيه ثم السنة ثم العلماء، وأنا أجزم أن أي باحث يبحث الصحبة في القرآن الكريم سيضطر للنتيجة نفسها، أما من يبدأ منطلقاً من تعريف ابن الصلاح أو ابن حجر ثم يفسر نصوص القرآن والسنة على ضوئه فلن يفيده البحث شيئاً! بل إن تقديم تعريف ابن حجر على المفهوم القرآني للصحابة فيه استهانة بالقرآن الكريم لأنه يشعر بأن القرآن ليس إلا مصدراً ثانوياً هامشياً لا نجده إلا في هوامش التعاريف وهذا يخالف احترام القرآن والسنة بل وفعل السلف الصالح الذين كانوا يستدلون بالقرآن الكريم في معرفة الصحابة الذين أثنى الله عليهم ورسوله (راجع أثر سعد بن أبي وقاص ونحوه).

القرن الأول، فالشافعي سبق إلى اصطلاحات كثيرة استنبطها من النصوص الشرعية وكذلك المصطلحات التي استحدثها غيره من العلماء كأبي حنيفة ومالك وغيرهم.

إذن فالأولى أن نسأل ما دليلك؟ ما برهانك؟ بدلاً من سؤال: من سبقك؟؛ لأن السؤال الثاني غير علمي وإنما يسأله المثبطون والعاجزون أما السؤال الأول فسؤال شرعي، ومثلما هناك صحبة شرعية وصحبة عامة فهناك أسئلة لها شرعية وأسئلة عامة!! لا تستند على دليل علمي. ويظهر أننا نبتعد عن الالتزام بالشرع حتى في الأسئلة.

٣- اعتراض : قد يقال: إن تقييدك للصحبة بـــ (المهاجرين والأنصار) خلاف الإجماع، الذي استقر عليه المحدثون، من اعتبار كل من لقي النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" (مؤمناً به ومات على الإسلام فهو صحابي).

أقول: المسألة ليس فيها إجماع ولا استقرار رأي، ومن عرف معنى الإجماع وشروط حصوله، لن يجرؤ علمياً أن يقول هذا، هذا أمر.

أما الأمر الثاني: فالمحدّثون وحدهم- رغم أنهم لم يجمعوا- لا يعد إجماعهم حجة شرعية، وقد اختلفوا في تحديد معنى الصحبة، وتعريف الصحابي، فكيف يصح إجماع المحدثين مع مخالفة سلمان الفارسي وعلي بن أبي طالب وعبادة بن الصامت وأبي ذر والمقداد وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري وأنس بن مالك وعائشة وعمر وابن عمر وابن عباس والحسن البصري و سعيد بن المسيب وشعبة بن الحجاج ومعاوية بن قرة وعاصم الأحول وأبي حاتم ويحيى بن معين وابن عبد البر وأبي زرعة وأبي داود وغيرهم فضلاً عن بعض الصحابة الذين نقلنا أقوالهم؟ فكل هؤلاء لا يعتبرون مجرد الرؤية ولا مجرد اللقيا كافياً لاثبات الصحبة ولا الفضيلة، وهؤلاء كلهم من كبار الصحابة وكبار أهل الحديث بل كان العلماء المتقدمون على هذا كما ذكر ابن عبد البر، ولكن قصر الصحبة على المهاجرين والأنصار تضاءل مع تقادم الزمان إلى أن تركه أكثر أهل الحديث لسبب ظاهر، وهو تركيزهم على اتصال الإسناد، فهم معذورون في هذا التوسع؛ للسبب المتعلق بوظيفتهم في نقل أحاديث النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، وقد رأينا أن بعض من يرى هذا الرأي قد يطعن في بعض الصحابة فهم لا يغلون غلو المعاصرين، ولا غلو الحنابلة فتجد أهل الحديث ينقلون لنا الأحاديث في ذم بعض من وصف بالصحبة كحرقوص بن زهير، وقاتل عمار، والوليد بن عقبة، والحكم، ومعاوية، ونحوهم، وتجدهم يذمون سيرة هؤلاء، ولا يفهمون من (عدالة الصحابة) عدم تجريح أمثال هؤلاء

كما يفعل بعض المعاصرين، كما لم يردوا الأحاديث الواردة في ذمهم، ولا يعدّلون كل من وصف بالصحبة فتجد بعضهم يقول عن بسر بن أبي أرطأة: (كانت له صحبة و لم تكن له استقامة)!، ونجد بعضهم يطلق على الوليد (الفاسق) وأوردوا في ذم أبي سفيان ومعاوية وأخيه حديث (لعن الله الراكب والقائد والسائق) وفي معاوية خاصة حديث (الفئة الباغية) وحديث (أول من يغير سنتي رجل من بني أمية) ونحوها، ولهم أقوال كثيرة تتفق مع ما ذكرناه من ذم بعض من وصف بالصحبة ثم لم يحسن السيرة، أما غلاة المعاصرين فليسوا على مذهب المحدّثين، ولا مذهب الأصوليين، ولا مذهب الصحابة ولا التابعين، إنهم فرقة أموية متسمية بالسلفية والسنة، وليس لهم سلف فيما يعتقدون إلا بعض غلاة الحنابلة أمثال البربهاري وابن بطة وابن حامد وغيرهم من المتلبسين بالنصب والمتأثرين بالخصومة مع المعتزلة والشيعة، وسلف هؤلاء هم نواصب الشام والبصرة الذين بالغوا في تعريف الصحبة وفضلها لأجل الطلقاء لا لأجل أهل بدر، فهم يحمون بهذا الحماس المفتعل والمتكلف مجرمي الطلقاء والمؤلفة والأعراب فقط، الذين كان لهم أثر سيئ في الأمة، ثم إن قصر الصحبة على المهاجرين والأنصار لا يؤثر كثيراً في الأحاديث المنقولة إلينا، وليس الخلاف في بعض هؤلاء أولى بالضرر على الحديث من الخلاف في بعض التابعين أو تابعيهم لمن تأمل هذا الأمر[١٣٩]، والمشكك في الزهري أو معاصره جابر الجعفي مثلاً سيكون أعظم أثراً على الحديث من المشكك في معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وأمثالهم، لأن ما يفوتنا من الحديث بتضعيف مثل الحارث الأعور وجابر الجعفي أكثر بكثير مما يفوتنا بتضعيف معاوية وعمرو بن العاص، لأن التابعين مثل الأعور أكثر حديثاً وأوثق رواية من سائر هؤلاء.

ثم قد سبق أن ذكرت عدداً لا بأس به من علماء الحديث الذين يذهبون خلاف ما ذكر المعترض، ويمكن مراجعة ذلك فيما سبق، والذي أسماه المعترض (مما استقر عليه المحدّثون) فيه نظر من أكثر من وجه:

الوجه الأول: هل الإجماع المسبوق بخلاف هل يعد هذا الإجماع إجماعاً أم لا؟ هذا على التسليم بأن المتأخرين استقروا (أجمعوا) على تعريف الحافظ ابن حجر، مع أنهم لم يجمعوا وهذا معاصره ابن الوزير يذم ظلمة بني أمية، وليس اعتذار ابن حجر عن الظالمين بأولى من ذم ابن الوزير لهم إلا بدليل والدليل الشرعي مع ابن الوزير لا مع ابن حجر، إضافة إلى أن ابن حجر كان تحت السلطان المملوكي (

---

[١٣٩] بمعنى أن الضرر الذي يلحق الأحاديث عند الخلاف في عدالة الحارث الأعور مثلا أكثر من الضرر الذي يلحق الأحاديث عند الاختلاف في عدالة رجل مثل بسر بن أبي أرطأة، فالحارث روى أحاديث كثيرة وبسر لم يرو إلا حديثين فقط، فإذا كان الحارث ثقة فات مضعّفه حديثٌ كثير وإن كان الحارث ضعيفا فقد قبل موثقه شرا كثيراً وكذبا على الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم". أما الاختلاف في بسر فأقل من هذا، فإن فات خير برد أحاديثه فلن يكون كثيراً وإن حصل شر بقبولها فليس شرا كثيراً، لأنهما حديثان فقط، لكن الشر يأتي من اتخاذه قدوة وأسوة أو المبالغة في تبرير أعماله وعدم البراءة منها..

والمماليك نواصب كالأيوبيين والعثمانيين والعباسيين والأمويين وولاة عثمان) بينما ابن الوزير كان مخاصماً للمذهب الزيدي وقد شنع على بعض رموزه ومشايخه ودافع عن أهل الحديث لدرجة أن تطبع كتبه الرئاسة العامة للإفتاء بالمملكة! فهو خارج من التقليد باعتراف السلفية والزيدية فيكون قوله أولى.

الوجه الثاني: هل قام أحد باستعراض مذاهب المتأخرين في هذا الموضوع وتحريره وسبره واستقصائه؟ أم أن هؤلاء يتابعون مشايخهم على الخبط بالإجماعات خبط عشواء؟ ولماذا نرى بعض الكتابات من بعض المحدثين المعاصرين ليست على ما ذهب إليه المعترض.

الوجه الثالث: هل ما استقر عليه المحدثون – على افتراض صحته - يعد إجماعاً حتى لو خالفهم في ذلك الأصوليون؟! بل هل ما أجمع عليه أهل السنة يعد إجماعاً معتبراً أم لا بد من إجماع كل أمة الإجابة؟! فهذا سؤال يحتاج لبحث منفصل[١٤٠].

كل هذه الأسئلة بحاجة إلى بت فيها، ولا يحتمل هذا البحث الإجابة عليها لكون كاتب هذا البحث لم يبحثها بحثاً يرضى عنه، ولا يريد أن يتكلم بما لا يعلم فيقع في المحظور الذي حذر منه، وأنا أدعو إخواني للبحث المنصف فقط، أو محاولة ذلك على الأقل، مع التواضع في الاعتراف بالقصور في العلم.

والخلاصة في مصطلح الصحابي، أن يفرق بين مصطلح الصحبة الشرعية (الخاصة)، والصحبة العامة (صحبة الكافة)؛ فالصحبة التي نـــزلت النصوص في مدحها والثناء عليها هي الصحبة الشرعية (صحبة المهاجرين والأنصار) وهي الصحبة الخاصة – على استثناءات سبق التأكيد عليها-، والصحبة الخاصة طبقات أيضاً، لكن أوسع مدى زمني للصحبة الشرعية أو الخاصة ينتهي عام الحديبية، أما فترة ما بعد الحديبية فتدخل في الصحبة العامة التي يسمى أهلها شرعاً (التابعين)، سواء منهم التابعون بإحسان أو بغير إحسان، ولا عيب على جمهرة المحدّثين في إطلاقهم الصحابي أو الصحبة على كل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"؛

---

[١٤٠] لأن أقوى دليل للذين يرون الإجماع هو الحديث المشهور: (لا تجتمع أمتي على ضلالة) والحديث وإن كان فيه كلام من حيث الثبوت لكن (الأمة) فيه لا تعني بعض الأمة وإنما كل أمة الإجابة (كل المسلمين) باختلاف مذاهبهم الفقهية والعقدية ومن زعم بأن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أراد من (أمتي) أنها تعني المحدثين أو أصحاب المذاهب الأربعة فقد جازف، بل حتى منظمة المؤتمر الإسلامي في عصرنا هذا رغم تمثيلها لكل المذاهب الفقهية والعقدية، لكن إجماعها لا يعد إجماعاً أيضاً؛ لأن كل دولة تبعث من يمثلها حتى لو وجد من هو أعلم منه. إضافة إلى أن الإجماع يستلزم اتفاق كل المجتهدين، والمجتهدون أكثر ممن تضمهم هذه المنظمة، فلا بد من آلية تنقل لنا الإجماع الذي عرفه العلماء، وهذا كله لا يعني عدم الحكم بخطأ الفرد ما لم يوجد إجماع على ذلك؛ لأن أصول الاستدلال لا تقتصر في الإجماع فقبله هناك الكتاب والسنة، فالباحث يستطيع أن يحكم بالخطأ على فلان أو الفرقة الفلانية؛ لأنه خالف –أو لأنها خالفت- نصاً صريحاً يراه الباحث صحيحاً، بمعنى أن الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة كافية في الحكم بتخطئة المخطئ أو تبديع المبتدع أو تكفير الكافر وليست بحاجة إلى (إجماع في المسألة) لأن الإجماع صعب التحقيق إن لم يكن مستحيلا في كثير من الموضوعات المختلف فيها، وهذا أيضاً لا يعني الانسياق وراء المدعين للإجماع الذين يستعجلون في إطلاقه ويتجاوزون بإطلاقه حدود الأدب العلمي (وما أكثرهم في عصرنا هذا؟!) فتجد أحدهم يدعى الإجماع على مسألة كذا ولو سألته عن تعريف الإجماع لما عرف ذلك!.

لأن هذا الإطلاق يتناسب مع وظيفتهم الحديثية التي تعتمد على دراسة الإسناد ومعرفة جوانب الاتصال والانقطاع فيه، ومن زعم منهم أن الصحابي صحبة عامة (التابعون من حيث التعريف الشرعي) له الفضل الوارد في الصحابة ذلك الفضل المبثوث في القرآن والسنة فقد أخطأ [١٤١] ويرد عليه قوله بالأدلة التي مرت معنا في هذا المبحث ويجاب على الشبه التي تعلق بها، فإن اقتنع وإلا فالموضوع محل اجتهاد.

أدلة من يرى أن الهجرة لم تنقطع إلا يوم فتح مكة والجواب عليها

هناك أدلة على أن الهجرة لم تنقطع إلا يوم فتح مكة سنوردها لاختصار ثم نجيب عليها، وهي من جملة الاعتراضات التي يمكن للآخرين أن يبدوها ومن حقهم ذلك:

الدليل الأول:

قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ...) الآية.

وهذه الآية من سورة الممتحنة نـــزلت بعد الحديبية في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط التي هاجرت قبل فتح مكة وبعد الحديبية وقد أطلق الله على المهاجرات بعد الحديبية اسم الهجرة، وهذا دليل على أن الهجرة لم تنقطع إلا بفتح مكة.

الدليل الثاني:

حديث أبي موسى الأشعري في قصة تخاصم عمر بن الخطاب وأسماء بنت عميس وقول عمر لها (آلحبشة هذه؟ آلبحرية هذه؟ قالت: نعم، قال: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم، فغضبت وقالت: كلا والله، كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار البعداء البغضاء بالحبشة[١٤٢] وذلك في الله وفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم ذكر

---

[١٤١] وهذا لا يعني أنه لا يمكن للتابعي أن يكون أفضل من الصحابي، بلى قد يكون بعض التابعين بل بعض من دونهم في الزمن أفضل من بعض الصحابة وعلى ذلك أدلة منها (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين)، فليس كل الأولين من السابقين ولا كل الأولين من أصحاب اليمين، وكذلك الأحاديث في فضل بعض المتأخرين على أكثر الصحابة مشهور في الأحاديث مثل حديث عتبة بن غزوان وأنس بن مالك وغيرهم ففي (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . محقق - (ج ٧ / ص ٢٢٣) عن عتيبة بن غزوان - وكان من الصحابة - أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "من ورائكم أيام الصبر للمتمسك فيهن يومئذ بمثل ما أنتم عليه له كأجر خمسين منكم". قالوا: يا نبي الله أومنهم؟ قال: "بل منكم". قالوا: يا نبي الله أومنهم؟ قال: "بل منكم" - ثلاث مرات أو أربع - رواه الطبراني في الكبير والأوسط عن شيخه بكر بن سهل عن عبد الله بن يوسف وكلاهما قد وثق وفيهما خلاف) اهـــ ويشهد له حديث أنس بن مالك الذي رواه ابن بطة الحنبلي في الإبانة الكبرى لابن بطة - (ج ١ / ص ٣٤): عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يأتي على الناس زمان الصابر منهم على دينه له أجر خمسين منكم حتى أعادها ثلاث مرات » اهـــ والعجب ممن يظن أن معاوية وأمثاله كبسر وأبي الأعور وأبي الغادية أفضل من الحسن البصري وسعيد بن المسيب وأمثالهم! بل العجب ممن يفضلهم على الجهم بن صفوان والجعد بن درهم وواصل بن عطاء، فهؤلاء الذين يوصمون بالبدعة أفضل من هؤلاء بلا شك عند من يجعل الطاعات والمعاصي معياراً لقياس الفضل.

[١٤٢] قصة هجرة أم كلثوم بعد الحديبية ونـــزول الآية تستثني النساء من بنود صلح الحديبية في صحيح البخاري (٧/٤٥٣ مع الفتح).

أبو موسى أنها ذكرت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما قال عمر فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان)[١٤٣].

أقول: وعلى هذا الحديث فقد جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمهاجرة الحبشة هجرتين هجرتهم إلى الحبشة ثم هجرتهم إلى المدينة، ومعلوم أنهم لم يهاجروا إلى المدينة إلا أيام خيبر ووصل جعفر وأصحابه إلى خيبر عند الانتهاء من الفتح.

الدليل الثالث:

حديث عمرو بن العاص —في قصة إسلامه– وفيها قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (يا عمرو بايع فإن الإسلام يجب ما كان قبله وإن الهجرة تجب ما كان قبلها)[١٤٤]، وكان قد قدم على رسول النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد عمرة القضاء وقبل فتح مكة بأشهر.

فهذه أقوى ثلاثة أدلة في أن الهجرة لم تنقطع بفتح الحديبية وإنما انقطعت بفتح مكة[١٤٥].

الجواب على هذه الأدلة:

يمكن الجواب على الأدلة السابقة بالآتي:

الجواب على الدليل الأول:

أنه خاص بالنساء والمؤمنات المهاجرات فالله قد استثناهن لضعفهن فإذا كان القرآن الكريم قد استثناهن من شروط صلح الحديبية فمن باب أولى أن يستثنين في وقوع اسم الهجرة الشرعية على المرأة المؤمنة التي تترك وطنها وتهاجر إلى المدينة.

أما الجواب على الدليل الثاني:

فمهاجرة الحبشة لهم هجرة المدينة رغم تأخرهم إلى خيبر لأن بقاءهم في الحبشة إما أنه كان بإذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذا هو الأرجح، وإما أن الحرب القائمة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكفار قريش منعتهم من العودة في أول الهجرة، فكانت المنافذ كمنفذ جدة وغيره من المنافذ الساحلية تحت سيطرة قريش وحلفائها (ولكن هذا ضعيف لأن بعض الصحابة عاد كابن مسعود والزبير

---

[١٤٣] الحديث في البخاري في صحيحه (٤٨٤/٧ مع الفتح) ومسلم في صحيحه (١٦٩/٢) كلاهما من طريق أبي أسامة عن بريد بن عبد الله عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه موسى الأشعري (وأبو بردة بن أبي موسى غير ثقة وإن كان من رجال مسلم، فقد كان سيء السيرة ومن شهود الزور على حجر بن عدي، ولي في أبي بردة بحث خاص وهو غير موثوق، ومعظم أولاد أبي موسى الأشعري ضعفاء عند التحقيق) .

[١٤٤] رواه الإمام أحمد في المسند (٢٣٢/٦) حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن أبي إسحاق حدثني يزيد بن أبي حبيب عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي عن أبي حبيب بن أوس قال: حدثني عمرو بن العاص..

[١٤٥] وللأسف لم يأتِ بها أحد من المختلفين معي! الذين يقتصرون على أقوال أو مظنونات أدلة سبق الإجابة عليها في العمل نفسه قبل تعقيباتهم.

وغيرهم).

إذن فالصواب أهم معذورون كسائر المعذورين أو المتخلفين لسبب من الأسباب، مثلما جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعض المتغيبين عن بدر من أهل بدر في السهم لإذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم بالبقاء أو لأعذار أخرى [١٤٦]، إضافة إلى أن في إسناد الحديث أبا بردة بن أبي موسى الأشعري وكان أبو بردة هذا غير مرضي السيرة وإن وثقه بعض المحدثين فقد كان من الشهود لزياد بن أبيه على حجر بن عدي بأنه كفر كفرة صلعاء!! فقد كان من أعوان الظلمة وقد حذر الله عز وجل من الركون إلى الظلمة (وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ)، فالركون إلى الظلمة من أبلغ الجرح؛ ولأن والده أبا موسى وقومه الأشعريين قد شكك في هجرهم إلى الحبشة أكثر المؤرخين؛ لأنهم لم يهاجروا ابتداء وإنما دفعت الريح سفينتهم لناحية الحبشة وافقوا أصحاب جعفر فقدموا معهم، فقد يكون أبوبردة هذا قد لبس الأمر وجعل أباه وقومه بمنـــزلة جعفر وأصحابه للرفع من مكانة قومه الأشعريين، ثم الأرجح في مسألة أسماء بنت عميس خاصة، أنها هاجرت إلى الحبشة ثم عادت مع من عاد إلى مكة وهاجرت إلى المدينة وحضرت زفاف فاطمة وعائشة ثم لحقت بزوجها في الحبشة مهاجرة، ثم عادت معه، ولهذا التفصيل شبه دليل ذكره العسكري في الأوائل للعسكري - (ج ١ / ص ٦٤)

أخبرنا أبو أحمد عن عبد الله عن الفضل عن الواقدي قال: قالوا: لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسماء بنت عميس، وكانت من المهاجرين إلى الحبشة، وقال لها: سبقناكم بالهجرة، فقالت: بل نحن سبقناكم بها مرتين، وشركناكم في الثالثة، ثم قالت: لعمري لقد كنا الطرداء، وكنتم أنتم مع رسول الله في عشائركم، يطعم جائعكم، ويعلم جاهلكم، ويؤمن خائفكم، فسكت عنها عمر اهـــ. فهي تتحدث هنا عن هجرات ثلاث، ولعلها تعني نفسها فقط فقد خصها عمر بالذم، فكأنها تقول لعمر ما سبق.

أما الجواب على الدليل الثالث:

فقد روي بلفظ (الإسلام يجب ما قبله) بلا زيادة (وإن الهجرة تجب ما كان قبلها) فلعلها من باب الرواية بالمعنى إضافة إلى أن بعض رجال الإسناد ليسوا بالمشهورين بالرواية، إضافة إلى أن الحديث يحتمل الهجرة العامة، بمعنى القدوم للإسلام، فمن هاجر هجرة عامة أو خاصة وكانت هجرته لله ورسوله، وقد تاب جبّت هذه الهجرة ما قبلها حتى لو كانت هجرة عامة بعد فتح مكة فضلاً عن كونها قبل فتح مكة، ومع هذه الإجابات إلا أنني ذكرت أن ما بين الفتحين منطقة (برزخ) وأنه يمكن أن تمتد الهجرة إلى فتح

---

[١٤٦] منهم من بعثه النبي صلىالله عليه وآله وسلم عيناً للمسلمين كسعيد بن زيد، ومنهم من منعه الكفار من شهود بدر كحذيفة بن اليمان، ومنهم من كان يقوم على امرأته المريضة كعثمان وهكذا.

مكة لكن لو صح هذا فليست الهجرة بعد الحديبية بالشرعية الموجودة قبل الحديبية، لكن الذي يطمئن إليه قلبي وأرجحه من خلال كثرة الأدلة وصحتها ودلالتها أن الهجرة بعد الحديبية أصبحت ملغية بشروط صلح الحديبية وهذا أبلغ دليل في انقطاع الهجرة وخاصة من مكة، إذ كيف نطلب من القرشي أن يهاجر ثم نرده؟! ولا نقبل وجوده في المدينة؟!

إذن فالهجرة الشرعية انقطعت بفتح الحديبية على ما أرجح و لم يستثن من ذلك إلا النساء لأن النص استثناهن، ومثلما هناك صحبة خاصة وصحبة عامة فهناك هجرة خاصة وهجرة عامة، فالهجرة الخاصة مع الصحبة الخاصة انتهتا بصلح الحديبية، إذ كثر المسلمون بعد صلح الحديبية وبعد أن أمن الناس بعضهم بعضاً وقلت الخطورة وأمنت الأضرار.. الخ.

المبحث الثالث:

طبقات الصحابة والتابعين

أولاً: طبقات الصحابة

الصحابة من بداية بعثة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" إلى صلح الحديبية عدة طبقات في الفضل والمنـــزلة والسبق إلى الإسلام وقد بلغوا عندي خمس عشرة طبقة مع صعوبة في التفريق بين بعض الطبقات وخاصة طبقات المرحلة المكية لغموض كثير من أحداثها وتواريخها، وقد أدمج بعض الطبقات في بعض عند تعذر التفريق، وهذه الطبقات تدل على أفضلية السابق من هذه الحيثية، وليس بالضرورة أن يكون المسلم في السنة الأولى أفضل مطلقاً ممن أسلم في السنة الثانية، بل قد يفضل المتأخر إسلاماً على المتقدم، لكن كلامنا هذه يراعي الأغلبية فقط، ثم عند تساوي الفضائل والخصائص الأخرى يكون السابق إلى الإسلام أفضل، ثم السبق يختلف باختلاف المدة، فالمسبوق بسنة غير المسبوق بخمس سنوات غير المسبوق بعشر .. وهكذا.

لماذا الطبقات؟!

للطبقات فوائد كثيرة، من أهمها معرفة التاريخ نفسه ومسيرته وصيرورته وآثاره على الثقافة والأحداث اللاحقة،وقد قام علماء الحديث والسير بتقسيم الصحابة بحسب أحداث السيرة؛ إلى مراتب وطبقات زمنية، فمنهم من قسم الصحابة إلى خمس طبقات كابن سعد في الطبقات الكبرى[١٤٧] ، ومنهم من جعل طبقات الصحابة اثنتي عشرة طبقة كالحاكم صاحب المستدرك في كتابه معرفة علوم الحديث [١٤٨]،، ومنهم

[١٤٧] وهي عند ابن سعد مثلاً: أهل بدر ثم أصحاب أحد ثم أصحاب الخندق ثم مسلمة الفتح ثم الصبيان والأطفال، قلت: وهذا التقسيم فيه نظر وقصور شديد فأين طبقات العهد المكي وأين أصحاب الحديبية.. الخ؟ وهذا من آثار السياسة الأموية التي تهدف إلى إلغاء الفترة المكية، ولو استطاعت لألغت ما قبل فتح مكة، لأن السيرة المكية تشكل ضغطاً كبيراً على الأسلاف الذين حاربوا الإسلام بكل ما أوتوا من قوة، بل أرى بأن التاريخ بالهجرة من هذا الباب، أو على الأقل ليست بريئة من أثر ما لقريش، لأن البعثة أولى بأن نؤرخ بها، فبدء البعثة تؤرخ لاتصال السماء بالأرض، وأما الهجرة فما هي إلا فرع عن البعثة، فهي حدث من أحداث السيرة النبوية، وليست في أهمية البعثة وبدء الوحي، ولا حتى في أهمية ميلاد النبي (ص)، ومثل هذه المسائل – التي قد لا تبدو ذات أهمية من أول نظرة – إلا أنه بالتدقيق والتدبر نكتشف خلفها كثيراً من الأسرار المفسرة لذبول الإسلام شيئاً فشيئاً حتى أصبح إسلاماً مذهبياً بشرياً لا إلهياً.

[١٤٨] طبقات الحاكم هي: أوائل المسلمين بمكة ثم مسلمي دار الندوة الذين أسلموا عند إسلام عمر ثم مهاجرة الحبشة ثم أصحاب بيعة العقبة الأولى ثم أصحاب العقبة الثانية ثم المهاجرين إلى المدينة ثم أهل بدر ثم المهاجرين بين بدر والحديبية ثم أهل الرضوان أصحاب الحديبية ثم المهاجرة بين الحديبية وفتح مكة ثم الطلقاء ثم صبيان وأطفال رأوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الفتح وفي حجة الوداع وهذا التقسيم أيضاً فيه نظر فمهاجرة الحبشة كانوا قبل مسلمي دار الندوة ثم أين طبقة أصحاب أحد والخندق؟ فشهداء أحد أفضل ممن شهد الرضوان وما بعدها، ولم يشهد ما قبلها من الأحداث، إضافة إلى إهمال كثير من الطبقات المهمة، ولكن لا مشاحة في الاصطلاح؛ إنما المشاحة في تقديم طبقة على سابقتها أو إهمال طبقات مشهورة.

من أوصل طبقات الصحابة إلى سبع عشرة طبقة كعبد القاهر البغدادي في كتابه أصول الدين [١٤٩]، والتقسيمات ليس من باب الفضول العلمي أو التفاخر بطبقة على أخرى، وإنما فيها فوائد تاريخية، إذ بها نعرف السابق واللاحق، أسباب الانتصار وعوامل الإخفاق، وغير ذلك من الفوائد سواءً من الناحية التاريخية أو الرواية الحديثية، إضافة لكون الطبقات من معايير التفاضل، و بمعرفة الطبقات نعرف مواطن الاقتداء — وخاصة عند الترجيح - وبها نعرف الفرق بين الأصحاب الصادقين (في الجملة) ومن دخل فيهم وأساء لسمعتهم وفضلهم، ومعرفة التابعين سواء من اتبعهم بإحسان أو لم يتبعهم بإحسان، ومعرفة طبيعة الصحابي نفسه ومدى تأثره بالبيئة المحيطة من عدمه، وما إلى ذلك من العلوم الخاصة بهذا الباب والتي لها علاقة بكثير من المفاهيم، وأدى الجهل بهذا إلى كثير من المفاهيم الخاطئة التي أربكت العقل المسلم على مر التاريخ وهزت الجانب الأخلاقي وسببت تناقضات داخل التراث الإسلامي تلك التناقضات التي أساءت إلى النصوص الشرعية وإلى الإسلام نفسه، فلذلك كان من المهم أن نعيد النظر لتحدد طبيعة كثير من الأمور والمصطلحات والمفاهيم الشائعة لنحاكمها في ضوء النصوص الشرعية والواقع التاريخي، وكان منها مفهوم (الصحبة والصحابة) لن نفهم هذا المفهوم إلا إذا عرفنا بدقة الطبقات والأحوال التي مر بها الصحابة.

و لم نكن لنقوم بهذا التقسيم لولا الأسباب السابقة إضافة إلى أن كثيراً من الناس بل أكثر السلفية قد أهملوا السابقين واهتموا بالطلقاء مع خلطهم بسبعة أو ثمانية من السابقين، ثم بدءوا ينـــزل المعنى الشرعي الخاص في قالب المعنى اللغوي العام فعندئذٍ رأينا أنه لا بد من إعادة الأمر إلى نصابه الأول، وإبراز المفاهيم الشرعية المدعمة بالواقع التاريخي لمعنى الصحبة المثنى عليها في النصوص الشرعية، حتى لا نلبس على الناس ونخلط السابقين من المهاجرين والأنصار بالطلقاء والأعراب الذين كان لهم الأثر السيئ على الفكر الإسلامي علماً وسياسةً وعدالة.. ولنسهم في قراءة جدية لتاريخ الجيل الأول والتفصيل فيه وتقييمه من نصوص القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية والواقع؛ مع البعد عن التعميم والخلط الذي حصل لكثير من الناس عند تناول سيرة القرن الأول.

فالصحابة أصحاب الصحبة الشرعية هم المهاجرون والأنصار وهم أقلية داخل المجتمع في عهد النبوة، ويدخل فيهم من في حكمهم كنساء المهاجرين والأنصار اللاتي شاركنهم في قدم الإسلام مع الهجرة أو

[١٤٩] طبقات البغدادي هي: السابقون إلى الإسلام ثم المسلمون عند إسلام عمر ثم أصحاب الهجرة إلى الحبشة ثم أصحاب العقبة الأولى ثم أصحاب العقبة الثانية ثم المهاجرون إلى المدينة مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم المهاجرون بين الخندق والحديبية ثم أصحاب الحديبية ثم المهاجرون بين الحديبية وبين فتح مكة ثم مسلمي فتح مكة ثم الداخلون في دين الله أفواجاً ثم صبيان أدركوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم صبيان حملوا إليه عام حجة الوداع ونحوه. / قلت: وهذا التقسيم فيه نظر فمهاجرة الحبشة أسلموا قبل عمر وطبقته ثم الداخلون في دين الله أفواجاً لا يمكن ضبطهم لأنهم استمروا من بعد فتح الحديبية إلى وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم الأطفال الذين حملوا إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يعدون صحابة حتى عند أصحاب الرؤية.

النصرة وموالي المهاجرين والأنصار وحلفائهم المؤمنين والمستضعفين من المكيين أو الشهداء بمكة مثل ياسر العنسي وزوجته سمية بنت خياط (وهما والدا عمار بن ياسر) والحارث بن أبي أهالة، وكذلك مهاجرة الحبشة فلهم فضل السبق والهجرة الأولى، وكذلك من ثبت دخوله في هؤلاء بنص أو استثناء، ونحو ذلك[١٥٠] وكل هؤلاء أقلية لا تتجاوز الـــــ ٥% من المجتمع الصحابي العام، هؤلاء الأقلية وحدهم هم المستحقون للفظ (الصحبة) بمعناها الشرعي يدرك ذلك من تأمل النصوص وسياقاتها وزمنها وظروفها.

وهؤلاء (المهاجرون والأنصار) ومن في حكمهم أيضاً ليسوا على طبقة واحدة ولا مرتبة واحدة، لكن الحد الأدنى من الرضا العام والثناء العام يشملهم كمجموعات (أهل بدر، أهل أحد، أهل الرضوان..الخ) وليس كأفراد، إذن فهؤلاء (الصحابة الشرعيون) هم طبقات كثيرة متفاوتة؛ فالمهاجرون مثلاً طبقات من حيث قدم الإسلام فهنالك أوائل المسلمين، وهناك مسلمو دار الأرقم، ومنهم مهاجرة الحبشة، ثم مسلمو فترة المقاطعة، ثم مسلمو فترة العرض على القبائل (ويدخل فيهم هنا أوائل الأنصار في بيعة العقبتين، فهم من مسلمي فترة العرض على القبائل).. الخ، ثم يشتركون مع الأنصار في بقية الطبقات والمشاهد كبدر وأحد والخندق والحديبية فيقال فلان بدري وأحدي ورضواني... وهؤلاء هم الصحابة الصحبة الشرعية الممدوحة في الكتاب والسنة، وقد شارك بعض الأنصار إخوانهم المهاجرين في أواخر طبقات العهد المكي كما سيأتي، ولذلك فإن طبقات المهاجرين وطبقات الأنصار الذين هم الصحابة؛ تبدأ من أول يوم في الدعوة النبوية بمكة إلى صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة (نحو ٢٠ عاماً)، وهؤلاء في هذه الفترة الطويلة لا يتجاوزون الخمسة آلاف في أكبر التقديرات، بينما في الثلاث السنوات الأخيرة من النبوة ارتفع العدد إلى (١٢٠ ألف)! فهذه النسبة لم يكن معظمها عن إيمان، وإنما عن استسلام، ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، لا سيما أهل مكة الذين كان النبي (ص) بين ظهرانيهم وقد سمعوا الحجج والبراهين لمدة ثلاثة عشر عاماً، واستحكمت أهواؤهم وعصبياتهم، فهؤلاء لم يكونوا ليؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، ولن يهديهم الله طريقاً إلا طريق جهنم، لأنهم استكبروا عن قصد وأعرضوا عمد، ثم استسلموا ليعيدوا الكرة في محاربة الإسلام بأساليب مختلفة تتخذ الدين وسيلة لحرب الدين، وقد نجحوا نجاحاً باهراً، وفصّلوا إسلاماً على قياسهم يدافع عن الظلم وأهله والأثرة وأهلها والتعصب وأهله

---

[١٥٠] قمت بترجمة أفراد هذه الطبقة كلهم في كتاب بعنوان (معجم الصحابة) وسيكون بصحبة هذه النظرية قريباً إن شاء الله ليكون التطبيق محاوراً للنظرية ولا ريب أن هذه ستبقى محاولة تحتاج للنقد والإضافة وهذا ما سأقوم به في المستقبل، بين وقت وآخر، إن شاء الله (هكذا قلت في الطبعة الأولى ولم يكتمل إلى الآن صرفتني عنه أبحاث أخرى، .. يسر الله لي إتمامه).

...ويشكك في العدل وأهله والاستقامة وأهلها، وصنفوا المصنفات في وصف الصالحين بالبدعة والضلالة ووصف الظالمين بالجهاد والصحبة، وصاحب ذلك السيف والمال، فاستطاعوا بمساعدة الشيطان وحظوظ النفوس وحكمة الابتلاء والتمحيص؛ أن يستمروا ظاهرين أو متعادلين مع أهل الحق، ليعلم الله من يخافه بالغيب ويعبده وحده، لا يعبد معه مذهباً ولا سلطة ولا رأي عام، وليعلم من يطيعهم في السر والعلانية من معاندي الرسالات وأعداء الحقوق وقتلة الصالحين والمتواصون بالإثم والعدوان! وغيرها من الخصائص والمزايا الكبيرة التي نراها اليوم في هذا التيار المقبل بوجه نبي كريم في قلب شيطان كريم، قد عقد النية على تولي مهمة الألوهية في الأرض[١٥١].

طبقات الصحابة في العهد المكي:

وقد سبق أوائلُ المهاجرين إلى الإسلام أوائلَ الأنصار بنحو اثني عشر عاماً ولذلك كانت للسابقين من المهاجرين منـــزلة كبيرة وفُضِّلوا على الأنصار لتعرضهم للبلاء والمحن والتمحيص أيام العهد المكي، كما تعرضوا لهزات إيمانية عندما ارتد بعض المسلمين بمكة أو بالحبشة نتيجة للتعذيب أو الابتلاء وبقى المهاجرون ثابتين، فكان المهاجرون الثابتون على الإسلام قد مروا بفترات اختبار في أيام ضعف وذلة وعذاب مما أهَّلهم ليكونوا أفضل من غيرهم من الصحابة والتابعين، من حيث الجملة أيضاً لأنه لا يؤمن على الحي الفتنة، فأصحاب موسى عليه السلام ثبتوا أمام فرعون وسلطته وخاضوا البحر ورأوا الآيات ثم افتتن كثير منهم وأخذوا يطلبون الآيات تلو الآيات ثم ضعف عزمهم وعبدوا العجل، فليس هناك سابقة تمنع من الفتنة، ولو كانت هناك سابقة تمنع من الفتنة لكانت سابقة إبليس، فقد عَبَدَ الله حتى وصل لمرتبة الملائكة ثم افتتن في لحظة كبر وعصبية، وكذلك أصحاب موسى عليه السلام، قاوموا وهاجروا ورأوا الآيات العظيمة ثم تفننوا في الاعتراض على أنبيائهم وآذوهم وفرقوا بين موسى وهارون حتى كادوا يقتلون هارون ، فلا يجوز لأحد أن يقول: أن الله لم يحسن اختيار أصحاب موسى عليه السلام، فهذه حجة جبرية، فالله لا يختار صحابة أحد، إنما الناس هم المختارون (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)، والذين يحملون الله المسئولية هم جبرية من صناعة السلطان وإن ظنوا أنهم يحسنون قولاً واعتقاداً، فليتقوا الله وليعرفوا الله قبل أن ينسبوا إليه ما لا يرضى من الأفعال، فالدعوة عامة، والهداية مشاعة، والجادة بينة، والله هو العدل، والهداية حبل

[١٥١] وهذه الألوهية التي يمارسونها هي عكس ألوهية السماء، فهي تحب الظالمين وتشيد بهم، وتذم الصالحين وتنتقصهم، وتهجر القرآن وتقبل على الروايات، وتكره الحقائق وتشيع الأوهام، وتحارب العدالة والحرية والعقل والتدبر وكل ما أوصى به الله في كتابه وشدد عليه، وأبشع الجرائم أنها تنسب هذه المخازي إلى رضا الله وشرعه وإرادته.

أعلاه بيد الله وأسفله بيد العبد، فإن رماه العبد[152] سحبه الإله، (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [العنكبوت/٤٠]).

ضوابط تقسيم صحابة العهد المكي:

والمهاجرون المكيون كانوا طبقاتٍ في السبق إلى الإسلام والإيثار ونصرة الإسلام والعلم والدعوة، ولم يكونوا في منـــزلة واحدة، ولعل الضابط الأوضح – وليس الأوحد- في بيان مراتبهم هو الإسراع في اعتناق الإسلام، فإن السابق إلى الإسلام أفضل من المتأخر ولو سبق بقليل من حيث الجملة، أعني هذا وفق معيار الأقدمية في الإسلام فقط، ولا يصح إنـــزاله على كل فرد، لأن بعضهم قد يتأخر إسلامه كحمزة بن عبد المطلب أو عمر بن الخطاب ثم يكون له من الأثر والفضل ما لا يكون لبعض المتقدمين.

غموض الفترة المكية :

يصعب تحديد طبقات الصحابة المكيين للغموض الذي يحيط بأحداث العهد المكي وأزمنته، فلذلك سنجد صعوبة في تعيين الطبقات المكية لهذا السبب، فالمرحلة السرية والمرحلة الجهرية يشك في وجودها بعض المؤرخين والمدة التي انقطع فيها الوحي مختلف فيها وتحديد أوقات نـــزول السور المكية فيه خلاف أيضا وغير ذلك كان محل تضارب وتناقض في المرويات بعكس المرحلة المدنية التي تبدو واضحة الأحداث والمعالم والأزمنة إلى حد كبير، وهذه المقارنة بين العهدين وحل بعض الغموض في الفترة المكية يحتاج لمبحث كامل قد نقوم به إن شاء الله في مناسبة أخرى.

نبذة ضرورية عن العهد المكي من السيرة

أبرز أحداث الفترة المكية التي بها نعرف الطبقات كثيرة لكنها متداخلة وغير واضحة المعالم ومن أبرز تلك الأحداث والمراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة بدء النبوة أو (بدء الوحي) والمقصود بها نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل أمره بالتبليغ ؛فقد كان بدء الوحي بالرؤيا الصالحة نحو ستة أشهر ثم فترة النبوة بل أمر بالإنذار وبدأت بنـــزول جبريل عليه في غار حراء بأوائل سورة العلق فلبث نبياً قبل أن يؤمر بالرسالة ثم فتر الوحي فترة من الوقت نحو السنة لا ينزل عليه قرآناً (يدل على ذلك رواية عائشة في أول صحيح

[152] رمي العبد لحبل الهداية يكون بتعطيل الحواس، ويتبعها تعطيل العقل (مناط التكليف) والقلب (موطن الضمير) ثم الجوارح التي عليها مهمة الأعمال، ومدار الضلالات كلها على الكبر، فهي غطاء عن أي تفعيل لأي نعمة من نعم الحواس أو العقل أو القلب، ومن أوتاد الكبر وأطنابه تلك العصبيات للمذاهب والأقوام والبلدان والأشخاص، ومن شاء أن يهتدي فلا يعطل سمعه عن سماع البراهين ال، ولا بصره عن رؤية الآيات المبصرة، ولا عقله عن النظر والتدبر في آيات القرآن والآفاق والأنفس، ولا قلبه عن الإحساس، فإذا فعل ذلك هطلت شآبيب الرحمة ومُدَّت إليه حُبُل النجاة فكان من الفائزين.

البخاري في قصة ورقة بن نوفل: ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي) وهذه الفترة سميت (فترة الوحي) ولم يحددها لنا التاريخ تحديداً دقيقاً فبعضهم جعل الفترة أياماً وبعضهم جعلها شهوراً وآخرون كابن إسحاق أوصلها إلى ثلاث سنوات ! وفي هذا نظر ظاهر؛ ولعل السنة هي الأقرب، وهي الفترة بين (إقرأ) و(المدثر)، ولذلك يذكر بعض العلماء أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نبيء بـــ(إقرأ) وبعث بـــ(المدثر) فهم يقصدون هذا المعنى وقد كان بينهما فترة الوحي، ويقول بعضهم عن ورقة بن نوفل (أدرك النبوة ولم يدرك البعثة) أو أدرك (النبوة) ولم يدرك (الرسالة) أو أدرك (النبوة) ولم يدرك (الدعوة)؛ فيكون النبي صلى الله عليه وسلم قد لبث نحو العام نبياً لم يؤمر بالتبليغ، وهذه لم ينبه لها المؤرخون المعاصرون مع وجود هذا التنبيه بقوة في كتب المتقدمين[١٥٣].

ثم كانت المرحلة الثانية: مرحلة الأمر بالتبليغ وذلك بعد أن نزلت عليه أوائل سورة المدثر وكذا أوائل القلم والضحى، ترفع عنه الشك والحزن من انقطاع الوحي وتأمره بالتحدث بنعمة الوحي والإنذار؛ فلذلك نبدأ نفهم قول الواقدي أن علياً أسلم بعد نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسنة! مع أن علياً من أوائل المسلمين عند الواقدي وغيره ؛ وبهذا نجمع بين هذا القول والقول الآخر بالسند القوي (بعث النبي يوم الإثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء) أي بعد فترة النبوة وفترة الوحي وبعد قصة خديجة مع ورقة بن نوفل المشهورة التي فتر بعدها الوحي وانقطع[١٥٤]، وكذلك يمكن الإجابة على ما رواه جابر من أن سورة المدثر أول السور نزولاً أي بعد فترة الوحي.

المرحلة الثالثة: فترة الدعوة السرية وقد استمرت على المشهور ثلاث سنوات دعا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيها كان إسلام خديجة وعلي وزيد بن حارثة وأبي بكر وخالد بن سعيد وأكثر السابقين كالعشرة ومهاجرة الحبشة ومسلمي دار الأرقم؛ وفي هذا المعنى أتى حديث عفيف الكندي مع العباس في سبق خديجة وعلي ، وقصة تعبد أصحاب النبي في شعاب مكة وضرب سعد بن أبي وقاص لأحد الكفار المنكرين عليهم ...وغير ذلك.

المرحلة الرابعة: مرحلة الجهر والإنذار الخاص والعام ؛ إنذار الأقربين خاصة وإنذار قريش عامة ، فأما إنذار الأقربين فقد جاء في حديث علي وغيره عندما جمع النبي صلى الله عليه وآله سلم وعرض عليهم الإسلام والنصرة فلم يوافق على ذلك إلا علي[١٥٥]. أما الإنذار العام ، فالمشهور في الصحيح أن النبي

---

[١٥٣] يمكن على سبيل المثال مراجعة شرح الحافظ ابن حجر لكتاب بدء الوحي أول كتب صحيح البخاري وكذا الحلبي في كتابه السيرة الحلبية.

[١٥٤] المراد بانقطاع الوحي هنا هو انقطاع نزول القرآن الكريم لا انقطاع نزول جبريل كما ذكر ذلك ابن حجر وغيره.

[١٥٥] يمكن مراجعة تفسير (وأنذر عشيرتك الأقربين) في كتب التفسير بالمأثور ؛ وهذا الحدث قد جمعت طرقه في كتاب المؤاخاة — لم يطبع).

صلى الله عليه وآله وسلم فوق جبل الصفا وإنذاره قريشاً وقول أبي لهب تباً لك ونزول (تبت يدا أبي لهب وتب)، وهذا المشهور فيه خلل كبير، وقد حققت في كتابي (المؤاخاة الكبرى) أن الدعوة العلنية العامة كانت في الأبطح ببطن وادي مكة بجوار البيت وفي أنديتهم ومجالسهم و لم يصعد فوق أبي قبي ولا الصفا و لم يهوت (أو يصيّح) كما جاء في بعض الروايات المرسلة.

المرحلة الخامسة: فترة البلاء والتمحيص المكية وجاء فيها هجرة الصحابة إلى الحبشة ومقاطعة قريش لبني هاشم وموت خديجة وأبي طالب وسوء رد قبيلة ثقيف على دعوة النبي لهم وارتداد بعض الصحابة بمكة إما للتعذيب أو للفتنة نتيجة الصدمة من حادثة الإسراء أو قلة الناصرين وتوالي المصائب.

المرحلة السادسة: مرحلة الانفراج وجاءت مع بيعتي الأنصار في العقبة الأولى والثانية واستعدادهم لنصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ ثم كانت الهجرة بعد ذلك وبناء الدولة الإسلامية بالمدينة.

هذه السمات أو المراحل العامة للفترة المكية، وقد تتداخل بعض هذه المراحل أو تكون غير مطردة في السمة لكن كلامنا هنا حسب الغالب، ويحسن بعد هذا العرض العام للأحداث المكية أو الفترات التي مرت بها الرسالة بمكة أن نستعرض طبقات الصحابة في العهد المكي وسيكون التفصيل في هذه الطبقات أوسع وأدق من العرض العام السابق، لأن هذه الطبقات مقصودة لا الأحداث والمراحل، فالأحداث لتفصيلها مكان آخر ملتصق بالتاريخ لا التراجم والطبقات الصحابية.

استقصاء صحابة العهد المكي

سنحاول في هذا المبحث أن نستقصي صحابة العهد المكي لنسهم في حل كثير من الغموض الذي يشكو منه بعض الباحثين في السيرة النبوية؛ وهذا الاستقصاء هو الأول فيما أعلم إذ لم يسبق لأحد أن أفرد صحابة العهد المكي بكتاب أو مبحث؛ وقد كلفني هذا قراءة الفترة المكية في كل الكتب المطبوعة تقريباً من كتب المغازي والسير والتواريخ العامة وهذا استمر فترة ليست بالقصيرة، على أية حال؛ من المفيد أن نذكر أنه من قراءة سير وتراجم صحابة العهد المكي يمكن معرفة جوانب من السيرة النبوية في ذلك العهد، وهذه المحاولة ممتعة رغم صعوبتها لتناقض كثير من الروايات وتدافعها من حيث الزمن والأحداث إضافة لضعف أكثر الأسانيد التي نراجح بينها أو نحاول أن نعرف منها مسيرة الفترة المكية أو بعض أزمنتها على الأقل، و لم أذكر أسماء صحابة العهد المدني لشهرهم في أشهر كتب المغازي والسير ولأترك التوسع في ذلك في معجم الصحابة[١٥٦].

طبقات الصحابة في العهدين المكي والمدني

---

[١٥٦] الذي سيطبع قريبا إن شاء الله.

وسنحاول هنا أن نحدد طبقات الصحابة بمكة أولاً ثم طبقات الصحابة بالمدينة — فيما بعد- مرتبة ترتيباً زمنياً جديداً؛ يحاول تجنب أخطاء التقسيمات السابقة؛ ويكون هذا التقسيم مبنياً على المراحل وأبرز الأحداث وسنبدأ بتقسيم الطبقات كلها ومنها طبقات العهد المكي -حسب الزمن- إلى خمس عشرة طبقة على النحو التالي:

١ طبقة أوائل المسلمين (طبقة أم المؤمنين خديجة وعلي بن أبي طالب).

٢ طبقة السابقين إلى الإسلام (وهم المسلمون قبل دخول دار الأرقم = طبقة العشرة).

٣ طبقة مسلمي دار الأرقم (المرحلة السرية = طبقة مهاجرة الحبشة).

٤ طبقة مسلمي دار الأرقم (المرحلة الجهرية = طبقة حمزة بن عبد المطلب).

٥ طبقة مسلمي دار الندوة (طبقة عمر بن الخطاب).

٦ طبقة مسلمي فترة المقاطعة.

٧ طبقة مسلمي فترة العرض على القبائل.

٨ طبقة أصحاب العقبة الأولى.

٩ طبقة أصحاب العقبة الثانية.

١٠ - طبقة المهاجرين الأولين إلى المدينة.

١١ - طبقة أصحاب القبلتين.

١٢ - طبقة أهل بدر.

١٣ - طبقة أصحاب أحد.

١٤ - طبقة أصحاب الخندق.

١٥ - طبقة أصحاب الحديبية. هذه هي طبقات الصحابة أصحاب الصحبة الشرعية.

ثم تبدأ طبقات التابعين حسب النصوص الشرعية ولا نعني التابعين اصطلاحاً وإنما نعني المسلمين من بعد الحديبية إلى وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فهؤلاء تابعون على ما قدمنا من الدلائل وإن جاز تسميتهم صحابة بالمعنى العام ؛ وهؤلاء التابعون كأصحاب خيبر ومسلمي عمرة القضاء ثم مسلمي فتح مكة ومنهم الطلقاء ثم مسلمي حنين والطائف ثم أصحاب تبوك ثم الوفود....الخ.

وسنستعرض طبقات الصحابة (أصحاب الصحبة الشرعية) في كتاب قادم نسميه (معجم الصحابة) من أول البعثة النبوية إلى فتح الحديبية ثم نذكر سنتبعه إن شاء الله بمعجم آخر بعنوان (معجم التابعين من الصحابة) ونقصد بالصحابة هنا أصحاب الصحبة العامة من عام خيبر إلى وفاة النبي (ص)، وهذه فكرة

لطيفة وهو يثبت أننا من حيث الاستعمال العام نطلق اسم الصحبة بالمفهوم الموسع، لكننا لا ننزل فيهم تلك الآيات وألأحاديث التي نزلت في غيرهم، فلا مشاحة في الاصطلاح، وإنما المشاحة في تحديد الذين نزلت فيهم تلك النصوص، على أن لكل قاعدة شواذ، وكنت في الطبعة الأولى قد سردت أسماء صحابة الفترة المكية، و{ايت في هذه الطبعة أن هذا لا يفيدن إن لم نتبع الاسم بترجمة ولو مختصرة تبين سبب صحبته أو سبب إخراجه من الصحبة الشرعية إن أخرجناه، فلهذا آمل أن يعذرني القاريء الكريم في تأخر إخراج هذا المعجم الذي وعدت به قبل أعوام ولكن صرفتني عن إنجازه حب التدقيق والإفادة فيه، إضافة إلى أعمال علمية أخرى.

وطبقات العهد المكي هي إحدى عشرة طبقة ستأتي مفصلة في (معجم الصحابة – صحابة العهد المكي) وسيكون الجزء الأول من هذا المعجم إن شاء الله، وقد أنجزت معظمه بحمد الله.

وأما طبقات العهد المدني

وهذه الطبقات مشهورة وأسماء المشاركين فيها معلومة غالباً، لذلك لن أقوم بسرد أسماء الصحابة البدريين والأحديين وأصحاب بئر معونة ونحوهم، لأن معرفة ذلك ميسور بالرجوع لأبرز كتب السيرة والمغازي؛ فمادهم مجموعة، وإنما يحتاجون لتحقيق؛ لكثرة الأوهام في الأسماء.

الطبقة الثانية عشرة من الصحابة.. طبقة أصحاب القبلتين

وأصحاب القبلتين هم المهاجرون والأنصار قبل معركة بدر والذين أدركوا القبلة الأولى إلى بيت المقدس قبل معركة بدر، وكثيراً ما نجد في التراجم فلان (صلى القبلتين) فمن وجدنا هذه صفته ولم يكن من الطبقات السابقة ولم نعرف شهوده بدراً فهو من طبقة أصحاب القبلتين، ويدخل فيهم أصحاب (المؤاخاة) الذين آخى بينهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أول ما دخل المدينة، والمشاركون في بناء مسجد قباء والمسجد النبوي.

الطبقة الثالثة عشرة من الصحابة: طبقة أهل بدر

وهي (الثانية في المرحلة المدنية)، طبقة أهل بدر: وأسماؤهم معروفة ذكرها أصحاب السير والمغازي ويحتاج بعضهم لتحقيق لأن عدد البدريين نحو (٣١٥ صحابياً) بينما ذُكر في البدريين أكثر من هؤلاء بكثير فيحتاج الأمر لتحرير وبيان، لكن المعارك الأخرى لم يحصَ فيها الذين شهدوها فعناية أهل السير ببدر كانت متميزة إضافة لقلة الناس يومئذٍ وشهرهم أيضاً في الأحداث التي سبقتها.

ولعل أبرز الجماعات الفرعية التي لها حكم أهل بدر الداخلة في هذه الطبقة من حيث السبق والصحبة ما يلي:

المهاجرون والأنصار يومئذٍ ممن لم يذكر في الطبقات السابقة

أصحاب غزوات: الأبواء والعشيرة وبواط وبدر الصغرى وكانت هذه الغزوات قبل بدر و لم يحدث فيها قتال.

أصحاب السرايا: سرية حمزة إلى سيف البحر وسرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار وسرية عبيدة بن الحارث بعد غزوة الأبواء وسرية عبد الله بن جحش إلى نخلة.

فكل هؤلاء داخلون في طبقة البدريين، فمن عثرنا على اسمه مشاركاً في أحد هذه الأحداث فهو من طبقة البدريين (وإن تميز المشاركون في بدر بفضل خاص).

الطبقة الرابعة عشرة من الصحابة: طبقة أصحاب أحد

وهي (الثالثة في المرحلة المدنية): أصحاب أحد: وقد ذكر كثيراً من أسمائهم أهل المغازي والسير والتراجم ومن ذكر في أهل بدر و لم يصح شهوده لها غالباً يدخل في الأحديين، وهناك طبقات فرعية تدخل في هذه الطبقة وهي:

من أسلم قبل أحد و لم يُذكر أنه شهدها.

من اختلف في شهوده بدراً اختلافاً قوياً و لم يصح شهوده.

كل من شارك في الغزوات التالية: غزوة بني سليم بالكدر وغزوة بني قينقاع وغزوة السويق وغزوة قرقرة الكدر وغزوة ذي أَمَر وغزوة بحران.

كل من شارك في أحد السرايا: سرية سالم بن عمير لقتل ابن أبي عفك وسرية مقتل كعب بن الأشرف وسرية القردة.

فكل من ذكر في هذه الغزوات والسرايا –سوى البدريين ومن في حكمهم- حكمه حكم أصحاب أحد في الجملة لأن هذه الأحداث قبل أحد، فمثلاً إن وجدتَ رجلاً شهد مقتل كعب الأشراف و لم يكن بدرياً فيدخل في حكم الأحديين من حيث السبق والفضل (وإن تميز المشارك في أحد بمزيد من اختصاص).

الطبقة الخامسة عشرة من الصحابة: طبقة أصحاب الخندق

وهي (الرابعة في المرحلة المدنية): وقد كانت الخندق في السنة الخامسة من الهجرة، وقد سمَّى أهل السير والمغازي كثيراً من أسماء الذين شهدوا الخندق، ويدخل في هؤلاء كل من شارك في الأحداث التي قبلها بين أحد والخندق فيدخل في هذه الطبقة:

- كل من شارك في غزوة من الغزوات التالية: غزوة حمراء الأسد، غزوة بني النضير، غزوة بدر

الموعد، غزوة ذات الرقاع، غزوة دومة الجندل، غزوة المريسيع (بني المصطلق).

- كل من شارك في سرية من السرايا التالية: سرية أبي سلمة إلى الأعراب حول المدينة، سرية عبد الله بن أنيس إلى خالد الهذلي، سرية عاصم بن ثابت إلى الرجيع، سرية بئر معونة.

فكل من ذكر في هذه الغزوات والسرايا والأحداث -ولم يذكر قبل ذلك في أهل بدر وأحد ونحوه- فهو من أهل هذه الطبقة، وقد سرد بعض أهل السير شهداء الرجيع وبئر معونة وهم كثير.

الطبقة السادسة عشرة من الصحابة: طبقة أصحاب الحديبية

وهي (الخامسة في المرحلة المدنية): وقد حدثت في السنة السادسة من الهجرة، وغزوة الحديبية لها شأن كبير عند أهل السير والمغازي وقد ذكر أهل المغازي والسير أسماء كثير ممن شهدها وبايع البيعة المعروفة ببيعة الرضوان، وكثيراً ما يذكر أصحاب التراجم ذلك بقولهم (شهد بيعة الرضوان، بايع تحت الشجرة، كان من أصحاب الشجرة، شهد الحديبية..) ونحو ذلك.

ويدخل في أصحاب الحديبية من حيث السبق إلى الإسلام والصحبة الشرعية عدة طبقات فرعية وهي:

- كل من شارك في أحد الغزوات التي بينها وبين غزوة الخندق: غزوة بني قريظة، وغزوة بني لحيان.

- كل من شارك في أحد السرايا بين الخندق والحديبية وهي:

سرية عبد الله بن عتيك لقتل أبي رافع (سلام بن أبي الحقيق).

سرية محمد بن مسلمة إلى فدك.

سرية عكاشة بن محصن إلى الغمر.

سرية محمد بن سلمة إلى ذي القصة.

سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم.

سرية زيد بن حارثة أيضاً إلى العيص.

سرية زيد بن حارثة إلى الطرف.

سرية زيد بن حارثة إلى جذام من أرض الشام.

سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى.

سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل.

سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بفدك.

سرية زيد بن حارثة إلى بني فزارة.

سرية عبد الله بن رواحة إلى خيبر.

سرية كرز بن جابر الفهري للعرنيين.

سرية عمرو بن أمية الضمري لقتل أبي سفيان.

سرية أبي عبيدة للخبط (سيف البحر).

إذن فالمجموع غزوتان وست عشرة سرية لا بد أن يذكر فيها بعض الصحابة ممن لم يذكروا قبل ذلك، فكل من ذكر فيها –ممن لم يذكر في الخندق وما قبلها– فله حكم أهل الحديبية في الجملة، ويمتاز أهل الحديبية بمزيد من الاختصاص والفضل، لكن هؤلاء أفضل ممن أتى بعدهم مثلما من ذكر قبلهم أفضل منهم من حيث الجملة لا يشمل هذا كل فرد.

وكل من ذكر في هذه الطبقات الاثنتي عشرة من أول الإسلام إلى صلح الحديبية فهو من أصحاب الصحبة الشرعية وهم وحدهم الذين جاءت النصوص الشرعية في الثناء على سيرهم وجهادهم وإنفاقهم وصبرهم.. أما المذكورون بعد ذلك فيدخلون من حيث الجملة في الصحبة العامة لا الخاصة التي تسمى من الناحية الشرعية (طبقة التابعين).

وهنا تنتهي طبقات الصحابة (الصحبة الشرعية) وتبدأ طبقات التابعين سواءً من تبع بإحسان أو من تبع بغير إحسان أو من لم يظهر منه هذا ولا هذا وسيأتي التفصيل.

أناس لم يحسنوا الصحبة

وهناك أناس صحبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل الحديبية لكنهم أساءوا الصحبة أو تغيروا وبعضهم نافق وبعضهم تذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وبعضهم قد يكون مظلوماً وسنشير إلى ما نعرف من ذلك أو نشك إن شاء الله، لأن بعضهم اتهم بالنفاق ربما لأنه كان من أنصار علي بن أبي طالب فيما بعد، وهذه الملحوظة لم أجد من نبه إليها قبلي، وههذ تشبه تبرئة من قاتل علياً من الطلقاء من أدنى نفاق، فالتاريخ ابن السلطات القائمة، التي أعرضت عن النصوص، ووضعت معايير أخرى للنفاق، ولذلك سنستغرب كثيراً عندما نجد بدريين قد حشرهم هؤلاء في المنافقين، بينما يستبعدون كل البعد نفاق من أبغض علياً أو حاربه من الطلقاء والأعراب، ومع ذلك سنورد أسماء المنافقين كما وردت في كتب الحديث والتراجم والتواريخ السنية، ثم نشير إلى القليل ممن عرفنا براءته أو شككنا في اتهامه، علماً بأن هؤلاء المؤرخين والمترجمين قد تجنبوا إيراد القرشيين في المنافقين إلا النادر جداً، وحصروا النفاق في الأنصار، وهذا أمر مخالف للقرآن الكريم (سورة المدثر والعنكبوت) وللواقع التاريخي ومن أبرز أولئك:

١– نبتل بن الحارث الأنصاري (اتهم بالنفاق).

٣ بجاد بن عثمان بن عامر الأنصاري (اتهم بالنفاق).

٤ الجلاس بن سويد بن الصامت الأنصاري (اتهم بالنفاق وقد تخلف عن تبوك أيضاً وقيل أنه تاب).

٥ أبو حبيبة بن الأزعر الأنصاري (اتهم بالنفاق وكان ممن بنى مسجد الضرار) وقد يكون مظلوماً، فهو بدري، ولي فيه وفي آل الأزعر بحث خاص، تبين لي براءة كثير منهم، وأن اتهامهم بالنفاق لأن هذه العائلة كانت من المخلصين لأهل البيت فيما بعد، والله أعلم.

٦ جارية بن عامر بن العطاف الأنصاري (اتهم بالنفاق واسمه عند ابن حبيب: جارية بن عمرو بن مجمع)، وأظنه مظلوماً، ولم استكمل البحث عنه...

٧ زيد بن جارية الأنصاري (اتهم بالنفاق) وهو مظلوم فيما أرجحه.

٨ أخوه : مجمع بن جارية (اتهم وقيل إنه بريء وكان إمام مسجد الضرار جعلوه إماماً دون علمه بنيتهم السيئة أو نفاقهم) فقد يكون مظلوماً أيضاً.

٩ يزيد بن جارية الأنصاري (اتهم بالنفاق) ولعه زيد بن جارية نفسه، تصحف.

١٠ - عباد بن حنيف الأنصاري (اتهم بالنفاق وهو من بني مسجد الضرار وقد تصحف في الطبري إلى (عثمان بن حنيف) وهذا خطأ فقد كان عثمان بن حنيف من الصالحين وشهد أحداً والمشاهد، وأما أخوهم الثالث سهل بن حنيف فهو بدري مشهور).

١١ - بشر بن زيد الأنصاري (اتهم بالنفاق وعند ابن حبيب: ابن زياد).

١٢ - رافع بن زيد بن التابوت الأنصاري (اتهم بالنفاق وعند ابن حبيب: ابن زياد).

١٣ - مربع بن قيظي الأنصاري (اتهم بالنفاق) وهو أخو أوس بن قيظي.

١٤ - أوس بن قيظي النصاري (اتهم بالنفاق وأراه مظلوماً، فقد شهد أحداً وبعض المشاهد الأخرى وبقي حتى شهد صفين مع علي فلعله متهم مذهبياً وسياسياً فحسب، وإذا قلنا الأخرى، فلعله ممن خلط بين العمل الصالح والفاسد وقد ذكره ابن حبيب باسم: أوس بن قيس، وأوس بن قيس لا أعرفه، لعله آخر).

١٥ - حاطب بن أمية بن رافع الأنصاري (اتهم بالنفاق).

١٦ - زيد بن عمر وقيل : ابن عمرو (اتهم بالنفاق).

١٧ - عمرو بن قيس الأنصاري (اتهم بالنفاق).

١٨ - قيس ين زيد الأنصاري (اتهم بالنفاق وقتل يوم أحد، وهذا غريب، فالمنافقون اعتزلوا يوم أحد إلا القلة كقزمان، فليحقق).

١٩ - قيس بن رفاعة الأنصاري (ذكره ابن حبيب في المنافقين).

٢٠ - قيس بن عمرو بن سهل الأنصاري (اتهم بالنفاق) وأظنه متهم سياسياً.

٢١ - الجد بن قيس الأنصاري (اتهم بالنفاق وقيل أنه صاحب الجمل الأحمر[١٥٧] وقيل أنه تاب فالله أعلم) وقد يكون مظلوماً فليبحث...

٢٢ - عبد الله بن أبي بن سلول (كبير المنافقين) وقد قرأت لبعض الباحثين تبرئة له من النفاق، وأن آخر أموره كانت على السلامة، وهذا عندي حتى الآن في المنافقين، إلأا أنني لا أستبعد أنهم ضخموا نفاقه ليكتموا به منافقهم أبي عامر الفاسق حليف أبي سفيان وصاحب مسجد الضرار، فعبد الله بن أبي من الخزرج أخوال النبي (ص) وكان يكثر سواد المسلمين وأما الآخر فقاتل مع أبي سفيان من يوم أحد فما بعدها، ومع ذلك خلت الذاكرة السلفية منه، لأنه حليف لأبي سفيان فقط! .

٢٣ - أسعد بن حنيف، وقيل:سعد (اتهم بالنفاق وكان من أحبار اليهود).

٢٤ - زيد بن اللصيت (اتهم بالنفاق وكان من مسلمي اليهود وقيل أنه تاب).

٢٥ - رفاعة بن زيد بن التابوت (اتهم بالنفاق).

٢٦ - الحرقوص بن زهير السعدي (شهد الرضوان لكنه كان رأس الخوارج)، وهو الذي قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : "أعدل يا محمد" فإن صح عنه هذا فهو منافق، والمنافق قد يكون متديناً من جهة، منافقاً من جهة، وأكثر المتحمسين للدين إذا وقفوا في وجه النبي (ص) فهذا نفاق وتكبر كنفاق إبليس في التكبر على آدم، ومن هنا كان النواصب منافقين وإن ظهر فيهم التدين لأنهم متكبرون عن النصوص الشرعية التي يصححونها في حق علي وبغي معاوية، فهم لا يلتزمون بمضمونها بل يكرهونها، وهذا غاية النفاق، نعم لو كانوا غير معتقدين لصحتها فهذا شيء آخر، لكن أن يعتقدوا صحتها ويبغضونها فهذا نفاق أملح بقرنين، حتى وأن كان صاحبه يدعي نصرة الدين كحرقوص هذا.

٢٧ - الحارث بن سويد بن الصامت الأنصاري (عده ابن حزم من المتهمين بالنفاق ويظهر لي براءته فقد شهد بدراً لكنه قتل المجذر بن ذياد (بالذال) يوم أحد لثأر جاهلي فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتل الحارث بالمجذر ، فإن كانت عقوبة القصاص تكفي فهذه معصية كبيرة ولكن هل للنفاق جانب عملي، أم خاص بالقلب؟ محل بحث ..).

---

[١٥٧] وقيل أنه المقصود بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : "كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر" والحديث في مسلم.

٢٨ - معتب بن قشير الأنصاري (اتهم بالنفاق وقد اتفقوا على ذكره في المنافقين وهو مذكور في أهل بدر أيضا وهذا من تناقضاتهم، إذ يقولون عن أهل بدر أن الله قد غفر لهم ما تقدم ومت تأخر ثم يقولون عن بعضهم منافق، ولي بحث خاص بالمنافقين أسميته : معجم المنافقين، حاولت فيه أن أحرر من صح منه النفاق، ومن اتهم ظلماً لغرض سياسي أو مذهبي أو قبلي، ومن استمر ومن صلح حاله.. ولكن الكتاب لم يكتمل، إضافة إلى فقر المادة التاريخية عن كثير منهم).

٢٩ - العرنيون: الذين قتلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم جزاء فعلهم بقتل بعض الرعاة وسرقة الإبل وكانوا قد أسلموا وصحبوا قبل الحديبية (وقصتهم فيها زيادات شنيعة اخترعها علماء السوء ليبرروا للظلمة التمثيل بالظالمين، ورسول الله (ص) بريء من تلك الزيادات، هذا إن صحت القصة أصلاً).

٣٠ - محلم بن جثامة الليثي (وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم : "اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة" و لم يكن منافقاً لكنه قتل صحابياً متعمداً.

٣١ - مقيس بن صبابة (قتل نفساً مؤمنة فأهدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم دمه فقتل في فتح مكة).

٣٢ - عبد الله بن خطل (كان صحابياً صحبة شرعية ثم ارتد ولحق بمكة وقتل يوم فتح مكة) وهؤلاء الغلاة يعقلون أن يرتدج الصحابي صحبة شرعية من بدريين وغيرهم ولا يعقلون أن ينافق الطليق!.

٣٣ - وديعة بن ثابت الأنصاري، وقيل ثابت بن وديعة، (اتهم بالنفاق وقيل أنه هو القائل يوم تبوك: إنما كنا نخوض ونلعب..) وأرى أن الرجل متهم ظلماً بدلاً من أبي موسى الأشعري، فالرجل بدري وقاتل مع علي يوم صفين، وكان من شهود الغدير (عندما استشهد علي الناس في الرحبة)، فهذه كلها تعطينا دلائل على إيمانه، ولعلها من أسباب اتهامه، فالغلاة يتتبعون أصحاب علي ويحاولون اتهامهم بالنفاق، واخشى أن يكون هذا من ذاك.

٣٤ - رافع بن وديعة الأنصاري (اتهم بالنفاق).

٣٥ - رافع بن حرملة (اتهم بالنفاق).

٣٦ - رافع بن زيد (اتهم بالنفاق، وذكره ابن حبيب، وذكر سبب اتهامه بالنفاق).

٣٦- مالك بن أبي قوقل(اتهم بالنفاق).

٣٧- سلسلة بن برهام (من منافقي اليهود).

٣٧ - كنانة بن صوريا (من منافقي اليهود).

٣٩- مخشي بن حمير (اتهم بالنفاق وقيل أنه تاب) والظاهر أنه بدري، وان اتهامه بالنفاق كان سياسياً (وعندما أقول سياسياً: أعني أموياً، فالدولة الأموية ووعاظها وعلماؤها فعلوا في التاريخ والتراحم ما لا يغسله ماء البحار، ونحن هنا إنما نسدد ونقارب ونحتمل ونحرض على البحث ، فلو اجتمع علماء المسلمين قاطبة على إزالة آثار الدولة الأموية في الدين والتاريخ والمعلومات ما أزالوا من ذلك إلا القليل، فالفتنة قد وقعت، والتصحيح يحتاج جهود جبارة ومكثفة).

٤٠- سعد بن زرارة (اتهم بالنفاق وهو غير أسعد بن زرارة الصحابي المشهور)، وهذا أيضاً أظنه مظلوماً فقد كانت هذه العائلة مقربة من أهل بيت النبوة.

٤١- جد بن عبد الله بن نبتل (اتهم بالنفاق).

٤٢- عبد الله بن نبتل (ذكره ابن حبيب) وذكر سبب نفاقه أنه كان ينقل حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم = يفشي سره).

٤٣- الحارث بن يزيد الطائي (اتهم بالنفاق).

٤٤- سويد (اتهم بالنفاق، وهو غير سويد بن عدي بن ربيعة الآتي).

٤٥- راعش (وعند ابن حزم وابن حبيب: داعس، اتهم بالنفاق).

٤٦- الضحاك بن ثابت (انفرد بذكره فيهم ابن حزم).

٤٧- الضحاك بن خليفة (ذكره ابن حبيب).

٤٨- سلالة بن الحمام (اتهم بالنفاق).

٤٩- ثعلبة بن حاطب الأنصاري (اتهم بالنفاق في قول بعضهم وفيه جدل كبير، ولشيخنا عداب الحمش كتاب في تبرئته، فليبحث فقد يكون مظلوماً كما قال الشيخ عداب).

٥٠- المغيرة بن شعبة الثقفي (اتهم بالنفاق في غزوة الطائف — كما في مغازي الواقدي- وساءت سيرته بعد النبي "صلى الله عليه وسلم")، وكان داهية إلا أن نفاقه كان عملياً، ولا أظنه يشك في النبوة أو ينكرها سراً كما هو الحال في معاوية وأبي سفيان، نعم كان المغيرة من أعوان الظلمة لا يبالي ما يصنع، رجل دنيا، وهذا كله فيه نفاق عملي بلا شك، إلا أن له فضيلة نشكره عليها وهو كشفه نفاق معاوية في تلك الرواية الشهيرة (رواية المدائني) وأفضىة بذلك لابنائه، فكان الصلاح يغلب عليهم، ولابنه المطرف ثورة على بني أمية .

٥١- حصين بن نمير الأنصاري (وهو غير حصين بن نمير السكوني فهذا الأخير ليس له صحبة وهو قائد جيش الشام بعد مسرف بن عقبة أما صاحب الترجمة فيحتاج لبحث).

٥٢- حميد الأنصاري (صاحب الزبير الذي تشاجر معه و لم يرض بحكم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد اتهم بالنفاق، وقيل أنه حاطب بن ابي بلتعة، يحتاج لبحث).

٥٣- عدي بن ربيعة (ذكره ابن حبيب فيهم).

٥٤- سويد بن عدي بن ربيعة (ذكره ابن حبيب فيهم).

٥٥- قزمان (صاحب أحد).

٥٦- قزمان (صاحب خيبر) ولعلهما واحد فوهم بعض الرواة في الغزوة.

٥٧- مدعم مولى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي غلَّ من غنائم خيبر (وعندي في الحديث شك ما.. لعله حديث سلطاني في الترهيب من أخذ غنائم السلطان، فالله أعلم).

٥٨- كركرة مولى النبي صلى الله عليه وآله وسلم غلّ من غنائم خيبر أيضاً (والشك نفسه موجود).

٥٩- خذام بن خالد (اتهم بالنفاق وشارك في مسجد الضرار).

٦٠- وديعة بن خذام بن خالد (قيل أنه من أصحاب مسجد الضرار).

٦١- طعيمة بن أبيرق (متهم بالنفاق).

٦٢- بشر بن أبيرق (متهم بالنفاق).

٦٣- مرة بن الربيع (وهو غير مرارة).

٦٤- عبد الله بن عيينة (متهم بالنفاق).

٦٥- زوي بن الحارث (وعند ابن حبيب في المحبر: دُرِّي).

٦٦- أبو حاضر الأعرابي (متهم بالنفاق).

٦٧- سمرة بن جندب (لم يؤثر عنه نفاق لكنه أساء السيرة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكان يبيع الخمر ويقتل البشر ويرضي معاوية في سخط الخالق..) ففعله فل المنافقين، وهو حري أن يكتب معهم.

٦٨- عبيد الله بن جحش الأسدي كان من السابقين إلى الإسلام ومن مهاجرة الحبشة لكنه تنصر بالحبشة.

٦٩- الحارث بن ربيعة بن الأسود القرشي افتتن وارتد بمكة.

٧٠- أبو قيس بن الوليد بن المغيرة افتتن بمكة.

٧١- علي بن أمية بن خلف افتتن بمكة.

٧٢- العاص بن المنبه بن الحجاج افتتن بمكة وقتل ببدر مع المشركين.

وغيرهم، ولم ندخل معاوية وأبي سفيان وأمثالهم هنا، لأن هؤلاء من التابعين وبغير إحسان، وليسوا من طبقة الصحابة في زمن الصحبة الشرعية، ، أما هؤلاء السبعون فلهم صحبة لكنهم أساءوا الصحبة عند أكثر المصنفين من أهل الحديث والتاريخ، وتحقيق كل شخصية تحتاج لمصنف مفرد، وأغلب هؤلاء متهمون بالنفاق مع أن لهم صحبة قبل الحديبية بل بعضهم مذكور في أهل بدر؛ وبعضهم قيل أنه تاب ، أما أسباب اتهامهم بالنفاق فمختلفة فبعضهم قتل نفساً بغير حق، وبعضهم اعترض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لم يرض بحكمه وبعضهم ساءت سيرته، ونحو هذا، ونكرر بأن بعض هؤلاء قد يكون مظلوماً، وخاص أهل بدر منهم كمعتب بن قشير، ولكن لم يدافع عنه أحد من داخل المدرسة السنية فيما أعلم، .

وقد اتفق المسلمون -خصوصاً أصحاب السير والمغازي والمفسرون وأهل التواريخ- على ذم أكثر هؤلاء واتهامهم بالنفاق أو سوء السيرة رغم أنه لم يثبت اتهام أكثرهم من حيث الإسناد وهنا لا أخفي تعجبي من الذين يقبلون ذم بعض من شهد بدراً من هؤلاء بلا بحث عن الأسانيد بينما يرفضون ذم بعض الطلقاء كالوليد بن عقبة ومعاوية مع ثبوت الأسانيد في ذمهم! فهذا في تقديري من أثر السياسة الأموية على العقل السيء الذي لا زالت آثاره تظهر في تناقضاتنا في مثل هذه الأمور.

ثانياً: طبقات التابعين ممن ترجم لهم في الصحابة!

وأقصد بالصحابة هنا صحابة العموم أصحاب الصحبة العامة لا الشرعية فأنا هنا أتجوز في إطلاقها في كل من رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشرط أن نعلم أن هذه الصحبة العامة ليست تلك الصحبة الممدوحة في الكتاب والسنة، ولا ريب أن معاصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الإسلام وحسن صحبته فيها أجر عظيم للمحسن السيرة أما من أساءها فلا يتناوله الثناء، فالصحبة تجعل المرء بين أمرين؛ فالمخلص يجد الأجر العظيم أما المرجفون والمرتابون والمتهاونون وأصحاب الغنائم ومسيئو السيرة، فيجدون من الإثم العظيم أكثر ممن جاء بعدهم، لأن المقصر في نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس كالمقصر في نصرة غيره مثلما المخلص مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعظم فضلاً من المخلص مع غيره فيكون إخلاصه من جهاد وإنفاق أفضل من الجهاد والإنفاق مع غيره صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذلك من أساء السيرة ممن رآه وصحبه يكون أعظم إثماً ممن أساء السيرة ممن لم يلقه، ويدخل

في طبقة التابعين صغار أبناء المهاجرين والأنصار الذين لم يشاركوا في الغزوات لصغر سنهم، ويدخل في هذه الطبقة أيضاً (طبقة التابعين) المسلمون الذين أسلموا في بلادهم و لم يهاجروا بل أقاموا بغير إذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع وجوب الهجرة، فهؤلاء لهم حكم التابعين حتى لو أسلموا قديماً إلا أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم أذن لهم أو أمرهم بالعودة إلى بلادهم فهؤلاء يكون لهم حكم المهاجرين وإن لم ينالوا منـــزلتهم وعلمهم وصبرهم.

وهؤلاء التابعون –من حيث حسن الإتباع– ثلاثة أقسام تابعون بإحسان وتابعون بغير إحسان ومتوقف في حسن إتباعهم:

التابعون بإحسان

فالتابعون بإحسان هم الذين ظهر حسن إسلامهم واستقامة طريقتهم وصلاحهم وصدقهم مثل الحسن والحسين والعباس بن عبد المطلب، وابنه عبد الله بن عباس، وأبي سفيان بن الحارث الهاشمي وعكرمة بن أبي جهل وعتاب بن أسيد الأموي، وأغلب المهاجرة بين الفتحين (الفتح الأكبر فتح الحديبية والفتح الأصغر فتح مكة)، وهم طائفة كبيرة، وأغلب أبناء المهاجرين والأنصار من هذه الطبقة، وأقول هنا (أغلب) لأن بعض أبناء المهاجرين والأنصار هم صحابة صحبة شرعية مثل قيس بن سعد بن عبادة فهذا ووالده من أوائل مسلمي الأنصار وشهدوا المشاهد، وكذلك عبد الله بن عمر شهد الخندق وما بعدها فهو صحابي صحبة شرعية، والسبب في ذكر (الأغلب) أيضاً أن بعض أبناء المهاجرين كان سيئ السيرة مثل عمر بن سعد بن أبي وقاص، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وعمرو بن الزبير ونحوهم.

كما يوجد في هذه الطبقة (طبقة التابعين) من هو أفضل من بعض الصحابة صحبة شرعية كالحسن والحسين، فهما سيّدا شباب أهل الجنة رغم أنهما تابعيان بل إن هناك خلافاً بين بعض أهل العلم في تفضيلهما على أبي بكر وعمر رضي الله عن الجميع؛ لأن أبا بكر وعمر قد وردت نصوص (في صحتها نظر) تفيد أنهما سيّدا كهول أهل الجنة والحسن والحسين ورد فيهما نص (حسن[١٥٨]) يفيد أنهما سيّدا شباب أهل الجنة فهل سيّدا شباب أهل الجنة أفضل أم سيّدا كهول أهل الجنة؟ هناك خلاف؛ وإن كان الأكثر على تفضيل أبي بكر وعمر، لكن هذا الخلاف دليل على أن بعض صالحي التابعين أفضل من كثير من المهاجرين والأنصار بشرط أن يأتي التفضيل بأدلة خاصة كما استفدنا تفضيل الحسن والحسين، وكما جاء في أويس القرني، إذن فالصحابة من حيث الجملة أفضل من التابعين، لكن بعض أفراد التابعين كالحسن والحسين وأويس القرني أفضل من كثير من الصحابة، وعلي بن أبي طالب أفضل من الحسن والحسين جزماً

---

[١٥٨] زعم السيوطي أن الحيث متواتر وهذا غير صحيح فهو حسن فقط.

كما جاء في الحديث نفسه وفي أحاديث أخرى.

التابعون بغير إحسان

وأما التابعون بغير إحسان فهم الذين ظهر ظلمهم أو فسقهم وكان سوء السيرة غالباً على سيرهم كمعاوية بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة، وبسر بن أبي أرطأة، وأبي الغادية قاتل عمار، والحكم بن أبي العاص، ومسرف بن عقبة، ومعاوية بن خديج، وأبي الأعور السلمي، والمختار بن أبي عبيد[١٥٩]، وزياد بن أبيه، وعيينة بن حصن، وحمل بن سعدانة، والحطيئة الشاعر (ارتد ثم عاد)، والخريت بن راشد، وربيعة بن يزيد السلمي، وربيعة بن أمية بن خلف (أخو صفوان)، وزمل بن عمرو، وسفيان بن عوف الغامدي، وسفيان بن مجيب الثمالي، وسليم السلمي، وشبت بن ربعي التميمي، والضحاك بن قيس، وعبد الله بن عاصم الأشعري، وعبد الله بن مسعدة الفزاري، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وأبي سفيان بن حرب، وعتبة بن أبي سفيان (أخو معاوية)، ومسلمة بن مخلد، وخالد بن عرفطة العذري، وعبد الرحمن بن ملجم (قاتل علي)، وعمران بن حطان (مادح ابن ملجم)، ومروان بن الحكم، ومسروق العكي، ومنجاب بن راشد الناجي، وأخيه الحارث بن راشد الناجي، والنجاشي الشاعر (له إدراك فقط)، ووحشي بن حرب (قاتل حمزة)، ويزيد بن أسد البجلي، ويزيد بن شجرة الرهاوي، وعبد الله بن نبتل الأنصاري، وعبد الله بن وهب الراسبي (من رؤوس الخوارج)، وأمثالهم، وبعض هؤلاء أكثر وضوحاً في سوء الاتباع من بعض، وبعضهم يرجى له وقد يكون مظلوماً أو معذوراً...

المتوقف فيهم من التابعين

وأما المتوقف فيهم من التابعين فهم تابعون متوقف في حسن اتباعهم يمكن أن يختلف فيهم بين هؤلاء وهؤلاء لاضطرب سيرتهم ويحتاج الواحد منهم لبحث للوقوف على أحواله مثل عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وسعيد بن العاص، وشرحبيل بن السمط، وعمرو بن العاص، ومحمد بن أبي حذيفة، والأشعث بن قيس، والجون بن مجاسر، والأقرع بن حابس، وحجر بن يزيد الملقب بـــ (حجر الشر)، وحوشب ذو ظليم، وخارجة بن حذافة، والحارث بن سويد التميمي (ارتد ثم عاد للإسلام)، وزمان الفزاري (ارتد ثم عاد للإسلام)، وخارجة بن حصن الفزاري (ارتد ثم عاد للإسلام)، وخالد بن أسيد الأموي، وخميصة بن الحكم السلمي (ارتد ثم عاد)، وقيس بن المكشوح المرادي، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي، ورويشد صهر بني عدي، وزنيم، وأصحاب الحجرات جملة، والمؤلفة قلوبهم جملة، وسعيد بن يزيد الأزدي، وسفيان بن عبد شمس الزهري، وسويد بن هشام التميمي، وصحار العبدي، وجملة الطلقاء (إلا

---

[١٥٩] على تفصيل في المختار هذا، وقد وقفت على رسالة صغيرة تبرؤه من الاتهامات المشهورة ويحتاج لبحث.

من تبين منه حسن الاتباع أو سوء الاتباع)، وكثير ممن وفد كندة (ارتدوا ثم عادوا للإسلام)، وضرار بن الأزور الأسدي، وطليحة بن خويلد الأسدي، وعبد الرحمن بن سمرة، وعصمة بن أبير التميمي، وعطارد بن حاجب التميمي، وعقبة بن عامر الجهني (صاحب معاوية لم تصح صحبته الشرعية اختلط بعقبة بن عامر الجهني صاحب علي)، وعقبة بن كديم الأنصاري، وعمرو بن زرارة النخعي (أول من خلع عثمان بالكوفة)، وعمرو بن سبيع الرهاوي، وعبد الله بن عامر بن كريز، وعبد الرحمن بن عبد الله المالكي، وكنانة بن عبد ياليل الثقفي، وماتع، وهيث، وأنجشة (موالي نفاهم النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجهم من المدينة)، ومجاعة بن مرارة الحنفي، ومرة بن كعب البهزي، ومعن بن يزيد بن الأخنس، ومنظور بن زبان الفزاري، ونبهان (غير منسوب)، ويزيد بن نبيشة، ويعلى بن أمية (ولعله تاب)، وأبي أروى الدوسي، وأبي الأزور، وأبي حية النميري، وأبي شجرة السلمي، وأبي محجن الثقفي، وأبي مسلم المرادي، وحميدة مولاة أسماء بنت أبي بكر (قيل كانت تحرش بين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وهي والدة أشعب الطماع)، وهند بنت عتبة أم معاوية (وصاحبة كبد حمزة)، وفاطمة الكلابية، وأمثالهم.

وهؤلاء يحتاج الفرد منهم لبحث فقد يضاف للتابعين بإحسان وقد يضاف للتابعين بغير إحسان وقد يستمر التوقف فيهم.

فهذا هو التفصيل الذي يبقي للصحبة الشرعية وهجها وسموها؛ لأن هذا التفصيل يحفظها من دخول بعض النماذج من الظلمة والمنافقين الذين أساءوا لمسمى الصحبة، حتى أصبح المصطلح سخرية عند بعض الناس فتجد بعض الباحثين يقول: أصحاب محمد منهم الذي ذبح الأطفال ومنهم الذي سبى النساء المسلمات ومنهم الذي لعن الصالحين على المنابر، ومنهم الذي يقتل المعارضين في الرأي...، فلا بد أن ينـــزه جانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صحبة هؤلاء، وهذا لا يعني الحكم عليهم بكفر ولا بنار، وإنما يعني أن سيرتهم غير مرضية في الجملة وكفى.

<u>أما طبقات التابعين:</u> (الذين أدخلهم أصحاب التراجم في الصحابة) من حيث التقدم في الإسلام فهي على النحو التالي:

<u>الطبقة الأولى من التابعين</u>

هم أبناء المهاجرين والأنصار ومن في حكمهم الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم في سن التميز أو قد بلغوا سن البلوغ وعرف عنهم الصلاح وحسن السيرة كالحسن والحسين ابني علي وسهل بن سعد الأنصاري ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ومحمد بن طلحة بن عبيد الله المعروف بالسجاد وعبد الله بن الزبير – والله يغفر له–ومحمد بن عبد الله بن جحش وعبد الله بن حنظلة الغسيل

ومعظم شهداء الحرة كانوا من أبناء المهاجرين والأنصار.

وأبناء المهاجرين والأنصار قد لحقهم التعب الذي لحق آباءهم وكان الضيق الذي يحصل للمسلمين يصل إلى نسائهم وأبنائهم ومواليهم فلذلك كان للأبناء نصيب من وصية النبي (صلى اله عليه وآله وسلم).

الطبقة الثانية من التابعين: الخيبريون

طبقة الخيبريين: وهم الذين شاركوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فتح خيبر ولم يشهدوا الحديبية ولا ما قبلها فهذه الطبقة يدخل فيهم من لم يشهد بيعة الرضوان وأسلم بعدها أو هاجر بعدها وقد أسلم بعد الحديبية جم غفير بلغ الآلاف فمن شهد منهم خيبر فهو خيبري، ولعل أبرز المجموعات التي تدخل في هذه الطبقة ممن لم يذكر قبل ذلك:

- من شارك في غزوة ذي قرد.
- من كان في أصحاب سرية إبان بن سعيد بن العاص إلى نجد.
- من كان في أصحاب غزوة خيبر نفسها.
- من كان في وفد الدوسيين (أبو هريرة وأصحابه وقيل قد أسلم قبل ذلك فيبحث).

من له ذكر كان في رسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الملوك والزعماء والأمراء في عالم يومئذٍ ولم يؤثر عنه إسلام قبل ذلك وكذا الرسل إلى البلدان المجاورة تلك المراسلات التي تمت قبل عمرة القضاء.

ويعد في هؤلاء أصحاب السرايا بعد خيبر مباشرة وهي:

- سرية عمر بن الخطاب إلى تربة.
- وسرية أبي بكر الصديق إلى نجد.
- وسرية بشير بن سعد إلى فدك.
- وسرية غالب بن عبد الله إلى الميفعة.
- وسرية بشير بن سعد إلى الجناب، ممن لم يؤثر عنهم إسلام قبل الحديبية.

الطبقة الثالثة من التابعين: مسلمة عمرة القضاء

طبقة أصحاب عمرة القضاء، وكانت في السنة السابعة وقد صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه العمرة بعض من لم يصحبه في خيبر ولا في الرضوان ولحق به بعض المسلمين من القبائل المجاورة فكان عدد المعتمرين ألفين ومن الطوائف التي تدخل في هذه الطبقة:

– بنو جذيمة (قتل منهم خالدٌ أيام فتح مكة أناساً كانوا مسلمين) فمعنى هذا أن إسلامهم كان في هذه الفترة لأن فتح مكة كان بعد سنة واحدة من عمرة القضاء، ويحتمل أنهم من الطبقة الثالثة الآتية.

– السرايا بعد عمرة القضاء مباشرة وهي (سرية ابن أبي العوجاء إلى بني سليم).

– ومن اشهر الأفراد الذين دخلوا في هذه الطبقة عبد الله بن عمرو بن العاص (على ماذكره ابن حجر في فتح الباري، كتاب الوضوء ،الباب ٢٧).

الطبقة الرابعة من التابعين: مسلمة ما قبل فتح مكة

طبقة المسلمين بين عمرة القضاء وفتح مكة وهي طبقة خالد بن الوليد وعمرو بن العاص والعباس بن عبد المطلب وأبناؤهم كالفضل وعبد الله وقثم وغيرهم ممن أسلم في السنة الثامنة، ويدخل في هذه الطبقة أصحاب السرايا الآتية ممن يؤثر عنه إسلام قبل ذلك:

سرية غالب بن عبد الله إلى الكديد.

سرية غالب بن عبد الله إلى فدك.

سرية كعب بن عمير إلى قضاعة.

سرية شجاع بن وهب إلى بني عامر.

سرية قطبة بن عامر إلى تبالة.

سرية زيد بن حارثة إلى مدين.

سرية مؤتة (وهي مشهورة قتل فيها زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة).

سرية ذات السلاسل بقيادة عمرو بن العاص وكانت إلى قضاعة.

سرية ابن أبي حدرد إلى الغابة.

سرية أبي قتادة إلى بطن إضم.

سرية أبي عبيدة إلى الخبط .

سرية أبي قتادة إلى نجد.

هذه الغزوات والسرايا لم يكن كل أصحابها من الصحابة صحبة شرعية إلا من اشترك معهم وكان مسلماً مهاجراً أو أنصارياً قبل بيعة الرضوان؛ إذ بدأ الناس من أصحاب الصحبة العامة يدخلون في الإسلام سراعاً فبعضهم أسلم رغبة في الإسلام نفسه وبعضهم قد يكون إسلامه نتيجة خوف أو طمع وخاصة بعد فتح خيبر.

فالمذكورون ما بين الحديبية إلى قبل فتح خيبر والمشاركون فيها غالباً هم صحابة صحبة شرعية، وإنما

كثر إسلام الأعراب ونحوهم بعد خيبر بعد أن عزَّ الإسلام وانتصر المسلمون وأصبحوا قوة لا يستهان بها وأصبح لا يُخاف على أحد من الانضمام إلى المسلمين، ولذلك كثر المسلمون في السنوات الثلاث الأخيرة من عهد النبوة فارتفع عددهم إلى أكثر من مائة ألف! بعد أن كانوا في العشرين سنة السابقة نحو ثلاثة آلاف فقط!

وهذه الكثرة في السنوات الأربع الأخيرة تبين لنا الفرق بين أصحاب الصحبة الشرعية التي قام عليها الإسلام وأصحاب الصحبة العامة التي أسلم كثير من أفرادها طمعاً في المال أو خوفاً من السيف، كما سنرى في كثير من الطلقاء وأصحاب حنين والطائف.

الطبقة الخامسة من التابعين: الطلقاء

طبقة الطلقاء: ويطلق عليهم بعض أهل السير (مسلمة الفتح) لكن لفظ الطلقاء أولى لوروده في أحاديث صحيحة فهو اللفظ الشرعي، وعددهم ألفان، وهؤلاء هم الذين أظهروا الإسلام عند فتح مكة خوفاً من السيف، أو حباً في الانضمام لسائر المسلمين، فلم تعد المصلحة تستدعي بقاءهم على الكفر، وإن كان بعضهم قد حسن إسلامه فيما بعد، وقد شهد منهم حنين والطائف أناس مبطنون للكفر ومظهرون للإسلام مثلهم مثل منافقي أهل المدينة الذين كانوا يشهدون مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعض الغزوات قبل الفتح، ولم يكن بمكة قبل فتحها نفاق بل كان كفر فقط أو إسلام مستضعفين حتى فتحت مكة فاختفى الكفر وجاء مكانه الإسلام والنفاق كما كان الحال في المدينة عند ظهور الإسلام بها، وهذا يرد على مزاعم بعض علماء الشام الذين ذكروا أن النفاق إنما هو بالمدينة فقط! وأن قريشاً لم يكن فيهم منافق! ولا أدري هل محاولة اغتيال بعض الطلقاء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم واستهزاء بعضهم به يعد من النفاق أم لا؟! فانظر كيف يحاول بعض علماء الشام في الماضي أن يقعد القواعد لبراءة الطلقاء!! وهذا لا يعني اتهام جميع الطلقاء بالنفاق أو التردد أو الشك ولكن إسلام بعضهم كان محل شك عند بعض الصحابة فضلاً عن حسن السيرة كما أن بعضهم عُرف عنه حسن الإسلام يومئذٍ وحسن السيرة فيما بعد كعتاب بن أسيد مثلاً.

والغريب هنا أيضاً أن غلاة السلفية لا يلتفتون لمن أحسن السيرة من الطلقاء وإنما يذهبون للغلو في من أساء السيرة منهم! وهذا من آثار السياسة الأموية على الفكر السلفي المغالي، والطلقاء مع نـــزولهم في الفضل وتخلفهم عمن سبقهم هم ثلاث طبقات من حيث الفضل والمنـــزلة:

الفئة الأولى من الطلقاء

من وثق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصحة إيمانهم وقوة نياتهم فلم يعطهم شيئاً من المال كعكرمة

بن أبي جهل، وعتاب بن أسيد، وجبير بن مطعم.

الفئة الثانية من الطلقاء

دون هؤلاء في الفضل كالحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وحكيم بن حزام.

الفئة الثالثة من الطلقاء

أقل الطلقاء فضلاً ومنـــزلة كمعاوية بن أبي سفيان، ووالده أبي سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، ومطيع بن الأسود، ونحوهم ممن تألفهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالأموال ولم يطمئن لقلوبهم[١٦٠].

وهنا يظهر مقدار الظلم الذي يقع فيه بعضنا من غلاة أهل السنة الذين يقارنون علياً بمعاوية! مع أنه لا مجال للمقارنة أصلاً إلا لبيان كبير الفرق فمعاوية في المرتبة الدنيا من الطلقاء فضلاً عمن قبلهم من طبقات المهاجرين والأنصار دعك من المقارنة مع أول من أسلم.

وكثير من الطلقاء لم يحسنوا الإسلام فهم الذين طلبوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعل لهم ذات أنواط، وسرقة ثلاثة منهم جملاً يوم حنين (سرقه أبو سفيان وابنه معاوية وأخوه عتبة) حتى دعا عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحاول بعض الطلقاء اغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبقي بعضهم مستهزئاً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى لعنه ونفاه إلى الطائف، وهو الحكم بن أبي العاص، وركل بعضهم قبر حمزة بن عبد المطلب وقال: قد عدنا يا حمزة!، وأثر عن هذا الشخص أنه قال: تلقفوها يا بني أمية تلقف الكرة فليس هناك من جنة ولا نار![١٦١].

وأخذ النواصب والشاميون ومغفلو الصالحين من أهل السنة يحاولون تحسين صورة الطلقاء وأنه حسن إسلام جميعهم مرددين الحديث الشريف (الإسلام يجب ما قبله) متناسين الحديث الآخر الذي أخرجه مسلم[١٦٢] عن ابن مسعود (قال: قال أناس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا رسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: "أما من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها، ومن أساء أُخذ بعمله في الجاهلية والإسلام")، وقد غفل عن هذا الحديث ومثله كثير من الناس أو أغفله بسوء نية!.

الطبقة السادسة من التابعين: طبقة مسلمي حنين والطائف

طبقة مسلمي حنين والطائف: وأفضل هؤلاء عتقاء ثقيف وهم مجموعة من العبيد بلغوا (٢٣) عبداً

---

[١٦٠] وقد ذكر نحواً من هذا ابن حزم في جوامع السير (ص٢٤٨).

[١٦١] سأتوسع في أسانيد هذه الآثار في كتابي (معاوية بن أبي سفيان قراءة في المناقب والمثالب)

[١٦٢] صحيح مسلم (١/١١١).

منهم أبو بكرة الثقفي وهم المشهورون بهروبهم من أسيادهم إلى المسلمين عند حصار النبي صلى الله عليه وآله وسلم للطائف، فأعتقهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسموا العتقاء، ويدخل في حكمهم من أسلم قبل ذلك من هوازن وغطفان وبني جشم وغيرهم ممن قاتلوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في موقعة حنين ثم أسلموا بعد أن أمنّهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويدخل في هؤلاء أيضاً أصحاب سرية الطفيل بن عمرو إلى هدم ذي الكفين (صنم) وقد حصر الطائف بأربعمائة من قومه، وكان عدد المؤلفة قلوبهم من الطلقاء والأعراب وطبقة العتقاء نحو ثلاثين رجلاً ذكر معظمهم ابن هشام في السيرة وقيل كانوا أكثر من خمسين رجلاً، والمؤلفة قلوبهم هم أضعف هؤلاء إيماناً رغم أن بعضهم أسلم قبل فتح مكة، وبعضهم من الطلقاء، وقسم ثالث بعد حنين، ومن أشهرهم عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وعلقمة بن علاثة، وأبو سفيان بن حرب، وابناه يزيد ومعاوية، ومالك بن عوف، وغيرهم، وقد صدق الدكتور مهدي رزق الله عندما ذكر[١٦٣] أن: (معظم الأعراب إنما خرج للمغنم) يعني يوم حنين والطائف، وكذلك الطلقاء من باب أولى لأن إسلام الأعراب كان قبل فتح مكة ولكن الناس يذمون الأعراب براحة نفس ويتجنبون ذكر (الطلقاء) حتى لا تتعرض دراساتهم للتضييق والمصادرة من الذين يزعجهم ذم ظلمة الطلقاء!

الطبقة السابعة من التابعين: طبقة التبوكيين

أو طبقة أهل تبوك: وهم الذين شاركوا في غزوة تبوك ولم يشتركوا قبل ذلك في المغازي النبوية وقد بلغوا ثلاثين ألفاً ويدخل فيهم من أسلم أو وفد بعد حصار الطائف ويدخل في هؤلاء المصدقون الذين بعثهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجباية الصدقات ممن لم يسلم قبل ذلك.

ويدخل في هذه الطبقة أصحاب سرية عيينة بن حصن الفزاري إلى بني العنبر (في شهر محرم من السنة التسعة للهجرة)، وأصحاب الحجرات من بني تميم الذين ذمهم الله في القرآن الكريم وأصحاب سرية قطبة بن عامر إلى خثعم (في شهر صفر من السنة التاسعة)، وأصحاب سرية الضحاك بن سفيان إلى بني كلاب (في شهر ربيع الأول من السنة التاسعة)، وسرية عبد الله بن حذافة السهمي، وسرية عكاشة بن محصن إلى الجناب، ثم يدخل في هذه الطبقة أصحاب السرايا المبعوثة من تبوك (وهم جزء من التبوكيين) كسرية خالد إلى أكيدر دومة.

الطبقة الثامنة من التابعين: الوفود

طبقة الوفود: ويدخل في هؤلاء نحو تسعين وفداً أغلبهم من التابعين، وقلت (أغلبهم) لأن فيهم نحو

---

[١٦٣] في كتابه (السيرة النبوية من مصادرها الأصلية، ص٥٩٩)

خمس قبائل لهم حكم أصحاب الصحبة الشرعية لقدم إسلامهم وتحالفهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكونوا من الأعراب، وإنما كانوا من مهاجرة البادية القريبة من المدينة، وهم قبائل مزينة وأشجع وأسلم وغفار وجهينة، فهؤلاء كانوا ينصرون النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا استنصرهم وينفرون إذا استنفروا.

وقد قدم وفد مزينة في السنة الخامسة فهو أقدم الوفود وجعل لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الهجرة حيثما كانوا، أما جهينة فأسلمت في الأشهر الأولى من السنة الأولى من الهجرة، وأما أسلم فأسلمت قديماً أيضاً وجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم الهجرة في ديارهم، وكانت يوم الرضوان ثمن المهاجرين، وأما غفار فأسلم أكثرها بدعوة أبي ذر، وكانت متحالفة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسلمها وكافرها، وكذلك أشجع كانت متحالفة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأسلم كثير منهم، فلذلك جاء الحديث في الثناء على هذه القبائل كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها)[١٦٤].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة ومن كان من بني كعب مواليّ دون الناس والله ورسوله مولاهم)[١٦٥].

و (دون الناس) هنا يعني دون الطلقاء وبقية الأعراب والعتقاء لأنه يساهم في تفسير (الناس حيّز وأنا وأصحابي حيّز) وحديث (المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض إلى يوم القيامة) وقد سبق الحديثان في النصوص الشرعية التي سقناها سابقاً، وهذا الحديث فيه إثبات ولاية هذه القبائل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم دون سائر الناس من الطلقاء والأعراب والقبائل البعيدة التي لم تدخل الإسلام إلا بعد فتح مكة.

كما جاء الثناء على عبد القيس وكانت لهم وفادتان إحداهما قبل فتح مكة بل قبل الحديبية[١٦٦].

وكذلك عبس (خولان) كانت وفادتهم قديمة قبل فتح مكة، أما سائر الوفود فكانت وفادتهم في السنة التاسعة أو العاشرة، ويحتاج تفصيل أخبار الوفود وزمن وفادتهم لطول لا يسمح به المجال هنا[١٦٧].

الطبقة التاسعة من التابعين: أصحاب حجة الوداع

طبقة أصحاب حجة الوداع: وقد شهدها نحو مئة ألف بل أوصلهم البعض إلى مئة وأربعة عشر ألفاً

---

[١٦٤] (أسانيد هذا الحديث صحيحة راجع فضائل الصحابة لأحمد (٨٨١/٢).

[١٦٥] (سنده صحيح انظر فضائل الصحابة لأحمد (٨٨٦/٢).

[١٦٦] مهدي رزق الله، السيرة النبوية ص٦٤١.

[١٦٧] أحيل القارئ الكريم على طبقات ابن سعد المجلد الأول فقد توسع في ذكر الوفود وكذلك مهدي رزق الله ص٦٣٩.

وبعضهم أوصلهم إلى مئة وأربعة وعشرين ألفاً.

وعلى أية حال فهم فوق المئة ألف، وهؤلاء الذين شهدوا حجة الوداع مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا أكثر أهل الحجاز في مكة والطائف، وكثير من أهل المدينة والأعراب وأغلب هؤلاء من التابعين، إذ ليس مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أصحابه إلا القليل قد لا تتجاوز نسبتهم عشرة بالمئة فلذلك كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوصي بأصحابه، ولو كان كل من مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم صحابة لما أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصحابة بالصحابة!

وبعد حجة الوداع توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن هناك من سرايا أو بعوث في هذه الفترة إلا جيش أسامة ولم يخرج من المدينة حتى توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الطبقة العاشرة من التابعين: المعاصرون الثابتون على الإسلام

كل من عاصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسلماً ولم يتمكن من رؤيته ولا صحبته لسبب من الأسباب فهؤلاء داخلون في الصحبة العامة فيقال للمسلمين في بلد ما: هؤلاء من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمقصود من أتباعه، بل بعض العلماء كابن عبد البر وابن الوزير يعدون هؤلاء في الصحبة! ولا يعتبرون الرؤية ولا اللقيا ولا السماع، وأفضل هؤلاء من ثبت على الإسلام أيام الردة، بل هؤلاء قد يكونوا أفضل من بعض المسلمين في الحجاز كالأعراب والطلقاء.

الطبقة الحادية عشرة من التابعين: أطفال طبقات الصحابة والتابعين

وأكثر هذه الطبقة من أطفال وصبيان هذه الطبقات المتأخرة خصوصاً ممن لم يعقل شيئاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لصغره، ثم تتوالى طبقات التابعين الاصطلاحية المعروفة في كتب الطبقات والتراجم التي يعنون بها من لقي الصحابة وأخذ عنهم كسعيد بن المسيب، والحسن البصري، وعلقمة بن قيس، ومسروق بن الأجدع، والشعبي، ونحوهم، ثم الطبقة التي تليهم كعروة بن الزبير، وعلي بن الحسين، ووهب بن منبه، ثم الطبقة التي تليهم، كطبقة الباقر وزيد بن علي والزهري، وقتادة، ثم طبقة الصادق وأبي حنيفة، وابن جريج، والأعمش، ونحوهم.

فهذه الطبقات الأخيرة طبقات التابعين الاصطلاحية التي اصطلح عليها أكثر أهل الحديث، ولا يعني هذا أن يكون المصطلح حجة على النصوص الشرعية، فطبقات التابعين من الناحية الشرعية –كما سلف– تبدأ من بعد صلح الحديبية إلى ما شاء الله أما من حيث اصطلاح المحدّثين فهو ما ذكرته سابقاً.

وعلى هذا يصبح مجموع الطبقات من أصحاب الصحبة الشرعية (الصحابة) والصحبة العامة (التابعين) سبع وعشرين طبقة، منها ست عشرة طبقة هي طبقات أصحاب الصحبة الشرعية (وهم

الصحابة الشرعيون)، وإحدى عشرة طبقة لأصحاب الصحبة العامة (وهم التابعون)، وهذه الطبقات رتبت بعد قراءة شاملة لأهم كتب السيرة المشهورة.

الخاتمة: تعريفات البحث

الصحبة الشرعية

لا تكون إلا في المهاجرين والأنصار، الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة من بداية الهجرة إلى زمن الحديبية، ويدخل في حكم هؤلاء، السابقون إلى الإسلام، الذين توفوا في مكة قبل الهجرة[١٦٨]، (لأن الهجرة لم تكن واجبة يومئذٍ)، أو في الحبشة، الذين هاجروا بإذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - كما أذن لبعضهم في العهد المكي-، أو قدموا بعد الحديبية من مهاجرة الحبشة فقط، كما يدخل في حكمهم نساؤهم ومواليهم وحلفاؤهم وكبار أبنائهم الذين شاركوهم في الصحبة قبل بيعة الرضوان.

الصحبة العامة

التي مرجعها اللغة، فهذه يدخل فيها كل من صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المسلمين أو المنافقين وأفضلهم المسلمون بعد الحديبية، ثم المسلمون بعد خيبر، ثم بعد فتح مكة من طلقاء وأعراب ووفود، هذا من حيث الجملة، وبعض هؤلاء من المتأخرين أفضل من كثير ممن سبقهم، بل إن بعض الصحابة أساء، وقد قدمنا أسماء من اتهموا بنفاق أو إساءة صحبة أو سوء اتباع.

والعرف برزخ بين اللغة والشرع، فهو هنا أخص من اللغة، وأعم من الشرع، والشرع أخص الثلاثة، والشرع يحكم على العرف واللغة ولا يحكمان عليه، والعرف في هذه المسألة أقرب للشرع؛ لأنه لا يعدّ الصحابي (عرفاً)، إلا من أطال المصاحبة والملازمة مع المتابعة.

الهجرة الشرعية

هي في كل من هاجر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة، وتمتد الهجرة الشرعية إلى فتح الحديبية، وأما النساء فهجرتهن الشرعية تمتد إلى فتح مكة فقد استثناهن الشرع، و لم يهاجر منهن إلا أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط فيما أعلم.

ويدخل في حكم المهاجرين، المستضعفون بمكة، ومنهم ياسر وسمية والدا عمار بن ياسر، وهما أول شهيدين في الإسلام، والشهادة من أعلى الدرجات، وهذان ليسا من المهاجرين ولا الأنصار، ولكن حكمهما حكم المهاجرين، بل هما من أفضل الصحابة.

الهجرة العامة

التي مرجعها اللغة، يدخل فيها كل من هاجر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بعد الحديبية أو من

---

[١٦٨] كياسر وسمية والدي عمار بن ياسر رضى الله عنهم.

أسلم قبل الحديبية من أصحاب الوفود وعاد إلى بلاده ،سواء قبل فتح مكة أو بعده، أما التي نفاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة إنما هي الهجرة الشرعية، أما مطلق الهجرة فمتعلق باللغة لا بالشرع، ولذلك فالذي يهاجر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد فتح مكة لا يقال عنه مهاجر، ولكن يبقى له الفضل في هذا بقدر ما يقدمه للإسلام، كما أن من يهاجر ويقيم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الحديبية يكون أفضل في العموم ويبقى له فضل ما يقدمه للإسلام، وهكذا[١٦٩].

النصرة الشرعية

خاصة بالأنصار (الأوس والخزرج)، ومن في حكمهم كحلفائهم ومواليهم ونسائهم، والأنصار هم الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أن ينصروه ويحموه كما يحمون أبناءهم ونساءهم وأنفسهم، واستقبلوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وواسوهم وجعلوهم مشاركين لهم في وطنهم وأموالهم، ولا يدخل في النصرة الشرعية أطفال الأنصار، حتى وإن رأوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجالسوه؛ لأنهم لم يقوموا بهذه النصرة لكونهم أطفالاً، لكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أوصى بأبناء الأنصار كما أوصى بأبناء المهاجرين، وهذا كافٍ في فضلهم. وتمتد النصرة الشرعية من بيعة العقبة الأولى إلى فتح الحديبية؛ لأنه بعد الحديبية فتح الله على المسلمين خيبر، وكثرت الأموال، وخفّ على الأنصار ما كانوا يجدونه من تحمل كثير من النفقات في نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه المهاجرين، وضيافة الوفود الذين يأتون إلى المدينة ونحو ذلك، فمن لم ينفق من الأنصار أو يقاتل أو يقمْ بالنصرة قبل الحديبية، وإنما فعل هذا بعد الحديبية فلا يدخل في النصرة الشرعية، وإنما يدخل في النصرة العامة للأسباب التي ذكرناها سابقاً، وللأدلة القرآنية والحديثية التي سبقت أيضاً، لكن الأنصار كلهم تقريباً قاموا بواجب النصرة الشرعية –إلا المنافقين– ولو لم يكن من نصرة شرعية إلا الخوف من مهاجمة الكفار للمدينة لكفى هذا في النصرة، وقد عاش أكثر الأنصار في تخوّف إلى صلح الحديبية ثم أمن الناس بعد الصلح وأمنت الأنصار.

أما مسمى الأنصار فأطلق على الأنصار نصرة شرعية وأطلق لغوياً على من بعدهم من أبنائهم وأحفادهم، وبقي هذا اللقب لغوياً إلى يومنا هذا، فليس كل من أُطلق عليه (أنصاري) قد قام بالنصرة الشرعية المقصودة في الكتاب والسنة، تلك النصرة التي اختصت بمن سبق ذكره من متقدميهم.

النصرة العامة

---

[١٦٩] ويمكن –تنـــزلاً– أن نقول إن من هاجر بين الفتحين –من أهل مكة وبعد أن أسقطت قريش شرطها بسبب حملات أبي بصير– أدرك شرعية الهجرة لا الهجرة الشرعية وهناك فرق بينهما.

يدخل فيها كل من اتبع دين الإسلام من القبائل التي شاركت في نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكنها ليست النصرة الشرعية المعنية التي سمي بها الأنصار.

المبحث الرابع

عدالة الصحابة

تمهيد

مما يجدر بنا التنبيه عليه هنا أن هناك فرقاً عظيماً بين ثقتنا بجميع من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وأن نقول إن الله قد عدّلهم في كتابه، مثلما هناك فرق كبير بين ثقتنا في كبار التابعين وأن ندعي إن الله وثّق التابعين في القرآن الكريم، وكذلك مثلما هناك فرق بين ثقتنا في أصحاب الكتب الستة وأئمة المذاهب وأن نقول إن هؤلاء عدّلهم الله في كتابه الكريم وعدّلهم رسوله الأمين، هناك فرق بين ثقتنا في الألباني وابن باز والغزالي والقرضاوي والمؤيدي والخليلي دعوى أن هؤلاء أثنى عليهم الله وعدّلهم في كتابه الكريم، إن هذا غير هذا.

فلذلك لا يجوز اتهام أهل السير والمغازي أو الباحثين –الذين لا يعدلون كل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بأنهم يخالفون كتاب الله وسنة رسوله وأنهم لا يقبلون تعديل الله لهؤلاء الصحابة وأنهم يقيسون ويحكمون بعقولهم على نصوص القرآن الكريم! وأن خلافنا معهم في الأصول!

هكذا يتم التشويه على منابر الخطباء وعلى حنابل المساجد ومقاعد الدراسة، والطرف الآخر غائب الحجة، ويحكم عليه من الخصم بأنه ضد تعديل الله للصحابة في القرآن الكريم!! وأنه لا يؤمن بنصوص القرآن!! ويعادي السنة النبوية ويريد إبطال النصوص و... إلى آخر المظالم التي تواطأ عليها طلبة العلم في هذه الأزمان، فنحن يجب أن نتفق على مدح من مدحه الله ورسوله وذم من ذمه الله ورسوله، فإذا اتفقنا على هذا المبدأ العظيم فمن السهولة بعد ذلك أن نبحث في كتب الحديث والسيرة والتواريخ لنعرف من أحسن صحبة النبي"صلى الله عليه وآله وسلم" ومن أساءها.

مفهوم عدالة الصحابة:

من المباحث الرئيسة المتعلقة بالصحابة مبحث (عدالة الصحابة) هذه المسألة الغامضة الذي يحتاج لتجلية وتفصيل في ضوء النصوص الشرعية بعيداً عن الأقوال والأحكام المتأثرة بالخصومات المذهبية بين السنة والشيعة التي لا تستند لدليل شرعي، فنحن نقرأ ونسمع كثيراً قاعدة يرددها كثير من الناس من أن أصحاب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" كلهم عدول، فإذا أراد الباحث أن يدرس التاريخ الإسلامي أو بداية من السيرة النبوية إلى نهاية القرن الأول يجد من الناس من يسوؤه ذكر من ارتد ممن وصف

بالصحبة ،كما يسوؤه ذكر من انضم إلى الخوارج منهم، أو إلى أهل البغي أو من شارك في قتل عثمان، ونحو ذلك، ويجد نفسه أمام كثير من الناس –ممن لهم اهتمام بالعلم– يأتون رافعين راية (كل الصحابة عدول)، وإذا سألهم عن معنى كلمة (الصحابة) وكلمة (العدالة) لا تجدهم مدركين لمعنى هاتين اللفظتين، وهذه اللفظة الثانية (العدالة) إن عرفوها لا يستطيعون تطبيقها على واقع الصحابة زاعمين أن لديهم أدلةً صحيحة صريحة في عدالة كل فرد من الصحابة! وهذا –كما ذكرنا سابقاً– تقول على الله عز وجل ورسوله "صلى الله عليه وآله وسلم" بغير علم.

والعجب ممن يحذر من الكذب على رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" بينما هو يكذب على الله عز وجل بزعمه أن الله قد أثنى على كل الصحابة وعدلهم في كتابه الكريم! ويقصد بالصحابة كل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" من المسلمين، وهذا التعديل المزعوم خلاف الواقع الذي نقله أهل السير والمغازي وأهل الحديث والفقهاء وغيرهم، بل هذا (أعني القول بعدالة كل فرد) من أفسد الأقوال وهو نتيجة لعدم استقراء آيات القرآن الكريم والسنة المطهرة أو نتيجة لعدم فهم مدلولات الخطاب أو جهل بواقع عصر الصحابة.

وهذا الكلام مني لا يعني عدم القول بعدالة الصحابة من حيث الجملة وإنما يعني أن هناك تفصيلاً وهذا التفصيل مبني على تحديد حد الصحبة وحد العدالة ومدلول الخطاب ثم بعد ذلك معرفة الواقع (واقع حياة الصحابة الصحبة الشرعية والعامة) بالأسانيد الصحيحة.

فخطابي هذا مع من يعقل هذه الأمور مجتمعة، وليس خطابي مع من يجهلها حتى لو ردّد قواعد محفوظة غير صحيحة عند إطلاقها وغالباَ تجد من يتحمس لإطلاقها ولا يعرف مدلولات ألفاظها؛ فالمعارض بالقواعد العاطفية غير العلمية لا يجدي معه هذا الكلام المختصر هنا وفعله يكرس التقليد المذموم، ويسبب التنازع الجاهل، وغاية ما عند المخالفين في تحديد لفظة العدالة أنهم يحيلون على تعريف بعض المتأخرين، مع تركهم للنصوص الشرعية وأقوال المتقدمين، وقد سبق التفصيل في حد الصحبة والاختلاف فيها مع الجواب على إشكالات هذا الخلاف في الفصل الأول من هذا البحث.

أما لفظة (العدالة) فسنأتي على بحثها هنا بشيء من الاختصار والإيجاز وسيتم البحث في المحاور الآتية:

أولاً: مفهوم العدالة في اللغة.

ثانياً: مفهوم العدالة في الاصطلاح.

ثالثاً: خصوصية عدالة الصحابة.

رابعاً: تطبيقات التعريفات.

خامساً: إبطال دعوى الخصوصية.

سادساً: أدلة القائلين بالخصوصية والجواب عليها.

أولاً.. مفهوم العدالة لغةً:

١. العدل: ضد الجور.

٢. العدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم.

٣. العدل: قسمان:

I. مطلق لا يتغير كالإحسان إلى المحسن.

II. متغير ويمكن أن ينسخ بالشرع.

كما يمكن أن يسمى العدل اعتداءً وسيئةً ﴿فجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾، وهذا خاص بالقصاص من الآخرين ونحو ذلك.

٤. العدل: المساواة.

٥. العدل من الناس: المرضي قوله وحكمه.

٦. العدل من الناس: الجائز الشهادة.

٧. عَدْلُ فلانٍ: المثيل والنظير (أو عدل ذلك صياماً).

٨. العدل: الاستقامة.

٩. العدل: السوية.

١٠. العدل (اسم الله): الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم.

١١. العدل: أبلغ من وصف العادل لأنه جعل المسمى نفسه عدلاً!

١٢. ذو عدل: أي ذو عقل (قاله سعيد بن المسيب).

١٣. العدل: الذي لم تظهر منه ريبة (قاله النخعي)[١٧٠].

١٤. العدل: الحكم بالحق.

١٥. العدل: العدالة.

١٦. العادل: يقال للجائر أيضاً (قاسط عادل) بمعنى عدل عن الأصوب وعن الحق فهي من الأضداد.

١٧. العدل والشرك: الكفر ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾[١٧١].

تطبيق التعريف اللغوي للعدالة:

إن العدل في اللغة ضد الجور، والعدل من الناس هو من رضي قوله وأجيزت شهادته وكان مستقيماً صالحاً. وهذه الصفة لا ريب أنها تتفاوت من شخص لآخر.

وقد وجد في المذكورين في الصحابة ظلمة كبسر بن أبي أرطأة فقد كان ظالماً، وثبت النص في معاوية وطائفته بأنهم (بغاة) والبغي معناه الظلم، والظلم ضد العدل، وكان في بعض هؤلاء من كان فاسقاً كالوليد بن عقبة وأشباهه، وهؤلاء كلهم ليسوا من الصحابة بالمعنى الشرعي وإن دخلوا في الصحبة بمفهومها العام.

فيجب عندئذٍ أن نعلم أن كلمة (الصحابة عدول) قاعدة صحيحة إذا اقتصرنا على أصحاب الصحبة الشرعية من المهاجرين والأنصار، مع استثناء أفراد نص عليهم أهل السير والمغازي، أما إن أدخلنا في العدالة أمثال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نبيتل والوليد وبسر بن أبي أرطأة وأبي الغادية وأمثالهم فإن القاعدة تصبح باطلة لمخالفتها النصوص الشرعية، وليس هناك أوضح من وصف أحدهم –الوليد بن عقبة– بالفسق عند أصدق القائلين سبحانه وتعالى كما في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ...﴾[١٧٢]، وقد أجمع أهل التفاسير على أن المراد بذلك الفاسق الوليد بن عقبة، ويفهم من هذا أن قاعدة (الصحابة عدول/ عدالة الصحابة) لا يشوهها إلا بعض مغفلي الصالحين الذين ينـــزلونها على الشواذ من الفسقة والظلمة.

---

[١٧٠] انظر هذه المعاني والتعريفات للعدالة في مادة (عدل) في المعاجم اللغوية المشهورة مثل لسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي.

[١٧١] انظر هذه التعريفات في لسان العرب.

[١٧٢] سورة الحجرات الآية: ٦.

فإذا تمّ إخراج هؤلاء من القاعدة زال الإشكال، وتقاربت الأفهام المتنازعة، وأحسن الباحثون الظن ببعضهم أما إن استمر هذا الخلط بين أمثال الوليد والسابقين فستستمر أمورنا العلمية في تنازع وخلاف لا مبرر له.

ثانياً: مفهوم العدالة في الاصطلاح

تباينت عبارات العلماء في تحديد معنى العدالة بين متوسع فيها ومتشدد، وأبرز هذه التعريفات:

١- تعريف ابن الحاجب (٦٤٦هـ):

من أشهر التعريفات تعريف الأصولي الأول ابن الحاجب فقد عرف ابن الحاجب العدالة بأنها (محافظة دينية تحمل على ملازمة التقوى والمروءة ليس معها بدعة وتحقق باجتناب الكبائر وترك الإصرار على الصغائر وبعض الصغائر وبعض المباح) وسنتوسع في تطبيق هذا التعريف ثم نذكر ما بعده مختصراً.

تطبيق تعريف ابن الحاجب:

عند تطبيق هذا التعريف للعدالة على الصحابة نجد أن هذه العدالة تصح في أغلبية من المهاجرين والأنصار ويخرج منهم أفراد أو أقلية ارتدوا أو بدّلوا أو اضطربوا في العهد المكي أو المدني، ويقل الناس الذين تتحقق فيهم هذه العدالة بعد بيعة الرضوان شيئاً فشيئاً؛ إذ كثر المسلمون بعد صلح الحديبية، وبعد فتح مكة أسلم ألفان من أهلها على مضض، وحسن إسلام بعضهم، وبقي عند البعض الآخر ما يخدش هذه العدالة، وكذلك الحال في كثير من مسلمي الطائف وبقية الجزيرة العربية والوفود والأعراب ونحوهم ممن لا تتحقق العدالة في بعضهم لكونهم لم يتعرضوا للبلاء والمحن كما تعرض المهاجرون والأنصار ولذلك كثر فيهم المرتدون بعد وفاة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"؟.

فينبغي أن يلاحظ هذا الأمر جيداً بحيث يفيدنا في تفسير أحداث الردة وأحداث الفتن التي حصلت في عهد عثمان وعلي رضي الله عنهما إضافة إلى معرفة مستويات العدالة بحيث تنـــزل مستويات العدالة في الجملة على قدر الصحبة وقدمها وبلائها في الإسلام، فإذا فقدنا هذه النظرة التفصيلية لم نعرف العدالة، و لم نعرف الصحابة، و لم نعرف التاريخ الإسلامي، وعلى هذا لا نستطيع دراسته والاستفادة منه.

إذن فلو طبقنا تعريف ابن الحاجب على بعض من وصف بالصحبة العامة كبسر بن أبي أرطأة مثلاً؛ نجد أنه لم تتحقق فيه شروط العدالة التي ذكرها ابن الحاجب في تعريفه السابق فبسر هذا لم يسلم من البدعة (النصب) و لم يجتنب الكبائر من قتل الأطفال وسبي النساء المسلمات، وهذه الأمور تبطل العدالة قطعاً، وكذلك من يكذب على النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" كالوليد بن عقبة، لأنه مع نـــزول القرآن الكريم بالحكم بفسقه لا يمكن أن تبقى العدالة مع هذا الفسق لأنهما ضدان لا يجتمعان، وكذلك استهزاء الحكم بن أبي العاص بالنبي "صلى الله عليه وآله وسلم" يناقض العدالة، مع نفي النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" له إلى الطائف، وكذلك سب وبغض بعض هؤلاء لأحد الصحابة المشهورين بالعدل واستقامة السيرة والصلاح كالخلفاء الأربعة والبدريين ونحوهم يناقض العدالة، وقد فعل هذا أهل الشام وخاصة معاوية، وبعض أهل العراق، وفي هؤلاء وهؤلاء من وصف بالصحبة العامة، وهكذا كثير من الأمور التي وجدت في بعض بل في كثير ممن وصف بالصحبة العامة وهي بوضوح تناقض مسألة العدالة إلا إذا حصرنا الصحابة في هم المهاجرين والأنصار فقط، فعندئذٍ يمكن أن نقول براحة ضمير وقوة علم أن (الصحابة عدول)، وهنا أيضاً يبقى أفراد قليلون من المتهمين بالنفاق والمرجفين والمضطربين تحدث عنهم القرآن الكريم، وقد ترجم لهم البعض في الصحابة، وهؤلاء يمكن أن نحكم بأنهم شذوا من هذه القاعدة، ولكل قاعدة شذوذ، لكن إن أدخلنا في عدالة الصحابة كل الطلقاء والأعراب والوفود وكل أصحاب حجة الوداع وكل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" فعندئذٍ لن نستطيع أن نقول (إن الصحابة عدول) لأن كثيراً من هؤلاء ارتدوا أو بدّلوا أو ظلموا، وقد يزيد هؤلاء المرتدون والمبدلون والظلمة على النصف لأن الردة انتشرت في الجزيرة العربية و لم يبق على الإسلام إلا القلة بخلاف المهاجرين والأنصار إذ لم يرتد منهم أحد، بل إن أغلب من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" في حكم المجهول عينا[١٧٣] وعلى هذا لا فائدة في القاعدة إذا لم يكن جميع أفرادها أو أغلبهم متحقق فيهم تلك القاعدة فنحن لا نستطيع أن نقول إن الجيش الفلاني جيش قوي مدرب إلا إذا كانت السمة الغالبة على أفراده القوة والتدريب، أما إذا كان نصف الجيش كذلك والنصف الآخر ليس مدرباً فلا تصح القاعدة هنا ويصبح إطلاقها غير دقيق.

سؤال مهم على تعريف ابن الحاجب:

---

[١٧٣] بمعنى أنه شهد مع النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" حجة الوداع أكثر من مائة ألف بينما لم يعرف من هؤلاء بأسمائهم فضلاً عن حالهم إلا نحو السبعة آلاف.

قد يقول قائل: كيف تفرق بين عدالة المهاجرين والأنصار وعدالة من سواهم؟

أقول: لأن الثناء على المهاجرين والأنصار في القرآن الكريم كان واضحاً وغزيراً، ولأنهم نصروا الإسلام أيام الضعف والذلة وهذا عنوان العدالة، ولأن المهاجرين والأنصار أيضاً لم يرتد منهم أحد بعد النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" فيما نعلم، بينما سائر العرب وفيهم كثير من أصحاب الصحبة العامة بين مرتد وهامٍ بالردة ومتوقف مضطرب في أمره مع قليل من الصادقين، فثبات الإسلام هو الأصل في المهاجرين والأنصار بل لم يعرف منهم مرتد قط بعد النبي "صلى الله عليه وآله وسلم".

بينما الآلاف غيرهم حصل من بعضهم الردة أو الشك أو التوقف والتردد فضلاً عمن أساء السيرة وظلم وعسف الناس وإن كان قد ثبت من هؤلاء كثيرون، لكن المرتدين والمترددين ونحوهم كانوا أكثر أو كانوا أعداداً كثيرة على أقل تقدير، وعندما أقول إن المهاجرين والأنصار عدول فإنني أقصد أن العدالة فيهم ظاهرة من حيث الجملة وقد يخرج الواحد والاثنان والعشرة بأدلة خاصة.

الصحيح في معنى العدالة:

ثم العدالة المقصود بها (الصلاح) في أبسط المعاني وأخصرها، ولا أعني بها عدم الخطأ في الحديث أو عدم ارتكاب المعصية فهذا أمر عزيز المنال فكل واحد من الصحابة تجوز عليه المعصية بلا إصرار، ويجوز عليه الخطأ في الحديث والحديثين، وتجوز عليه الغفلة والنسيان والوهم فهذه الأمور حاصلة في السابقين واللاحقين ومن زعم أن الصحابي لا ينسى ولا يهم ولا يخطئ فهو جاهل بالنفس البشرية وبالنصوص الشرعية وبسير هؤلاء وأحوالهم.

إذن فتطبيق التعريفات أمر ضروري وكل تعريف لا يقبل التطبيق باطل، وهذا التطبيق للأسف يتجنبه كثير من العلماء حتى لا يتهموا بانتقاص الصحابة، لكنني أرى أن النظريات لا يجوز أن تبقى معلقة، فكل نظرية صحيحة يجب أن يكون لها تطبيق ومثال حتى نكون على علم وهدى ونور.

٢- قول سعيد بن المسيب في العدالة (ت٩٢هـ):

(ليس من شريف ولا عالم ولا ذي سلطان إلا وفيه عيب لا بد، ولكن من الناس من لا تذكر عيوبه، من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله)[١٧٤]، وهذا قول جيد، ومفهوم القول يفيد أن من غلب عليه الظلم يوهب قليل عدله لكثير ظلمه والعكس صحيح بل هو منطوق التعريف وكذا من ظهر منه بعض المحاسن الظاهرة مع كثرة المخالفات والكبائر يصبح الحكم عليه بالأغلب من السيرة، أما من ارتكب معظم الكبائر وله أعمال في الظاهر خيِّرة فإنه موضع ريبة وشك ولا تثبت عدالته.

٣ - تعريف الإمام إبراهيم النخعي (ت٩٥هـ):

(العدل في المسلمين من لم يظن به ريبة)، وفي لفظ (من لم يظهر فيه ريبة)[١٧٥].

قلت: وقد ظهرت كبائر -فضلاً عن الريب- في أفراد وصفوا بالصحبة فتنتفي عدالتهم بهذا.

٤ - تعريف ابن المبارك (ت١٨٠هـ):

(العدل من كان فيه خمس خصال يشهد الجماعة ولا يشرب هذا الشراب ولا تكون في دينه خربة ولا يكذب ولا يكون في عقله شيء)[١٧٦].

أقول: وقد شرب الخمر بعض من وصف بالصحبة العامة كالوليد بن عقبة وقصته ثابتة في صحيح مسلم، وكذلك وحشي بن حرب وغيرهم.

٥- تعريف الشافعي (ت٢٠٤هـ):

(لا أعلم أحداً أعطى طاعة الله حتى لم يخلطها بمعصية الله إلا يحي بن زكريا عليه السلام، ولا عصى الله فلم يخلط بطاعة، فإذا كان الأغلب الطاعة فهو المعدَّل وإن كان الأغلب المعصية فهو المجرح)[١٧٧].

---

[١٧٤] الكفاية ص١٣٨.

[١٧٥] الكفاية ص١٣٧، وفي لفظ ثالث عن إبراهيم (العدل في الشهادة الذي لم تظهر منه ريبة).

[١٧٦] الكفاية ص١٣٧.

[١٧٧] الكفاية ص١٣٨.

وعلى هذا يصبح العدل من غلب عليه العدل وصلاح السيرة وإن خالط ذلك بعض المعاصي، والفاسق عكس ذلك، لكن تخصيص الشافعي ليحيى بن زكريا بالذكر غريب!.

٦- تعريف أبي بكر الباقلاني (٤٠٣هـ):

للباقلاني مناقشة جيدة لمسألة العدالة رغم ما فيها من تناقض يقول: (والعدالة المطلوبة في صفة الشاهد والمخبر هي العدالة الراجعة إلى استقامة دينه وسلامة مذهبه وسلامته من الفسق وما يجري مجراه مما اتفق على أنه مبطل للعدالة من أفعال الجوارح والقلوب المنهي عنها.

والواجب أن يقال في جميع صفات العدالة أنها اتباع أوامر الله تعالى، والانتهاء عن ارتكاب ما نهى عنه، مما يسقط العدالة.

وقد علم مع ذلك أنه لا يكاد يسلم المكلف من البشر من كل ذنب ومن ترك بعض ما أمر به، حتى يخرج الله من كل ما وجب له عليه، وأن ذلك يتعذر، فيجب لذلك أن يقال: "إن العدل من عرف بأداء فرائضه ولزوم ما أمر به، وتوقي ما نهي عنه، وتجنب الفواحش المسقطة، وتحرى الحق والواجب في أفعاله ومعاملته والتوقي في لفظه مما يثلم الدين والمروءة" فمن كانت هذه حاله فهو الموصوف بأنه "عدل" في دينه ومعروف بالصدق في حديثه وليس يكفيه في ذلك اجتناب كبائر الذنوب التي يسمى فاعلها فاسقاً، حتى يكون مع ذلك متوقياً كما يقول كثير من الناس: إنه لا يعلم أنه كبير بل يجوز أن يكون صغيراً، نحو الكذب الذي لا يقطع على أنه كبير، ونحو التطفيف بحبة وسرقة باذنجانة، وغش المسلمين بما لا يقطع على أنها كبائر يستحق بها العقاب، فقد اتفق على أن فاعلها غير مقبول الخبر والشهادة!، إما لأنها متهمة لصاحبها ومسقطة له، ومانعة من ثقته وأمانته، أو لغير ذلك، فإن العادة موضوعة على أن من احتملت أمانته سرقة بصلة وتطفيف حبة احتملت الكذب، وأخذ الرشا على الشهادة ووضع الكذب في الحديث والاكتساب به، فيجب أن تكون هذه الذنوب في إسقاطها للخبر والشهادة بمثابة ما اتفق على أنه فسق، يستحق به العقاب، وجميع ما اضربنا عن ذكره مما يقطع قوم على أنه كبير وقد اُتفق على وجوب رد خبر فاعله وشهادته، فهذه سبيله في أنه يجب كون الشاهد والمخبر سليماً منه)[١٧٨] انتهى كلام الباقلاني.

قلت: ولعل الخطيب البغدادي قد شاركه في هذا الكلام.

---

[١٧٨] الكفاية ص٠ ١٤٠.

٧- تعريف الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ):

ويرى الخطيب البغدادي التخفيف في مسألة العدالة محتجاً بأن (الله تعالى قد أخبر بوقوع الذنوب من كثير من أنبيائه ورسله)[١٧٩].

يعني ومع ذلك يجب قبول إخبارهم عن الله عز وجل وعن غير ذلك، لكن كلمة الخطيب هذه فيها تجوز ظاهر ولكلامه علاقة بمبحث عصمة الأنبياء ليس هنا مكان الكلام على العصمة؟!.

٨- تعريف ابن الهمام (٨٦١هـ):

عرف العدالة بأنها: (ملكة تحمل على ملازمة التقوى والمروءة والشرط "أي لقبول الرواية والشهادة" أدناها ترك الكبائر والإصرار على صغيرة وما يخل بالمروءة)[١٨٠].

وقد سبق أن قلنا إننا وجدنا بعض من وصف بالصحبة مصراً على الكبائر فضلاً عن الصغائر وهذا ينفي عنه العدالة.

٩- تعريف القرافي (٦٨٢هـ):

(اجتناب الكبائر وبعض الصغائر والإصرار عليها والمباحات القادحة في المروءة)[١٨١].

سبق الجواب مع أن هذا التعريف فيه تشدد وتعنت قد يخرج بعض العدول.

٩- تعريف الإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ):

(العدالة عبارة عن استقامة السيرة والدين..[١٨٢])، ثم فصل في شرح هذه العبارة.

---

[١٧٩] الكفاية ص١٤٠.

[١٨٠] صحابة رسول الله للكبيسي ص٢٦٣.

[١٨١] صحابة رسول الله ص٢٦٥.

[١٨٢] صحابة رسول الله ص٢٦٨.

أقول: الوليد بن عقبة وبسر بن أبي أرطأة وأمثالهما ما كانوا مستقيمي السيرة والدين وقد ترجم المترجمون لهؤلاء في الصحابة (صحابة العموم).

١٠- تعريف السبكي (ت٧٧١هـ):

(العدالة ملكة تمنع عن اقتراف الكبائر وصغائر الخسة كسرقة لقمة والرذائل المباحة كالبول في الطريق)[١٨٣].

سبق أن أفراداً ممن وصفوا بالصحبة ما كانوا مجتنبين للكبائر، فضلاً عن الصغائر والرذائل المباحة.

١١- تعريف السيوطي (ت٩١١هـ):

(العدالة ملكة –أي هيئة راسخة في النفس– تمنع من اقتراف كبيرة أو صغيرة دالة على الخسة أو مباح يخل بالمروءة)[١٨٤].

سبق أنه عند تطبيق هذه العدالة على من وصف بالصحبة قد يخرج بعضهم من العدالة خاصة في الطلقاء والأعراب كما سبقت الأمثلة.

والخلاصة:

هذه التعريفات للعدالة في الاصطلاح متفاوتة بين متشدد وميسّر وإن كان محور العدالة العامة يدور حول الصلاح والاستقامة.

وهذه الاستقامة حاصلة في أغلبية المهاجرين والأنصار والحمد لله وأما من بعدهم فهم كسائر الأمة يكثر فيهم العدول ويقلون، فمنهم متبعون بإحسان ومنهم متوقف في حسن اتباعهم ومنهم متبعون بغير إحسان ومرجفون وأجلاف وأعراب ومرتابون ونحو ذلك، فالأمر بعد المهاجرين والأنصار ملتبس ويحتاج لبحث

---

[١٨٣] صحابة رسول الله ص٢٦٨.

[١٨٤] صحابة رسول الله ص٢٦٩.

متأمل دون تعميم لفضائل المهاجرين والأنصار على كل من لقي النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" من المسلمين أو من المظهرين للإسلام.

فيجب النظر في كل شخص بعد المهاجرين والأنصار (الصحابة الشرعيين)، هل يغلب عليه الصلاح أم الفساد، العدل أم الظلم[١٨٥]؟

فالمهاجرون والأنصار مروا بفترات امتحان وتمحيص وزلزلة تبين فيها الصادق والمنافق والمتردد.

أما من جاء بعدهم فقد جاؤوا في وقت رخاء واستقرار وغنائم وكثير منهم —كما قال الحاكم– (الله أعلم بما أضمروا واعتقدوا).

---

(١٨٥) بل حتى المهاجرين والأنصار ومن في حكمهم كان منهم أفراد قليلون ارتدوا في العهد المكي، أو اتهموا بالنفاق في العهد المدني رغم شهودهم بعض المشاهد كأحد والخندق وبعضهم أساء السيرة فيما بعد لكن هؤلاء الأفراد قلة بل هم من الندرة والخصوصية بحيث لا يؤثرون في إطلاق عدالة المهاجرين والأنصار.

ثالثاً: هل للصحابي خصوصية في مسألة العدالة؟

بعض العلماء قديماً وحديثاً يناقشون مسألة عدالة الصحابة بعيداً عن مفهوم العدالة العام وتطبيقها على التابعين فمن بعدهم، بينما لا يلتفتون إلى تطبيق هذه الشروط على الصحابة وهم يشملون كل (من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ومات على الإسلام)[١٨٦].

وأرى أن أول الخلل يكون عندما نتعامل مع الصحابة وكأنهم جنس آخر غير البشر.

والقرآن الكريم والسنة المطهرة لا يوجد فيها أبداً هذا التفريق بين الصحابة وغيرهم إلا ميزة الفضل للمهاجرين والأنصار الذين كانت لهم ميزة الجهاد والإنفاق أيام ضعف الإسلام وذلة أهله، أما بقية الأمور كطروء النسيان والوهم والخطأ وارتكاب بعض الكبائر فهذه وجدت وحصلت من بعض السابقين ومن كثير من اللاحقين.

و لم أجد دليلاً مقنعاً صحيحاً صريحاً يفرق بين شروط العدالة بين جيل وآخر، لا أستثني من ذلك صحابة ولا تابعين.

فإذا كانت العدالة تزول لارتكاب المظالم والمحرمات فيجب أن يكون ذلك في الصحابة وغيرهم، و لم أجد نصاً صحيحاً صريحاً في استثناء الصحابة أصحاب الصحبة الشرعية فضلاً عن غيرهم من أصحاب الصحبة العامة فقد حصل لبعض المهاجرين أو الأنصار شيء من شرب الخمر أو الزنا أو السرقة كما حصل لماعز والنعيمان بن عمرو وقصصهم مدونة في كتب الفقهاء (أبواب الحدود الشرعية) ولا يكاد يجهل هذا من له أدنى اهتمام بالعلم، لكن هؤلاء قلة نادرة غالباً تصاحبها توبة وطلب التطهير بالحد الشرعي، لكن ليس معنى هذا أن المحرمات مباحة للصحابة وأن لهم خصوصية تجعلهم فوق الشرع فالخمر والزنا والربا محرم على الصحابة وغيرهم، مثلما الشرك والبدعة والظلم محرم على الصحابة وغيرهم، ولا أدري كيف ضلّ كثير من العلماء في هذه المسألة التي أراها من أوضح المسائل المنثورة في كتاب الله عز وجل فضلاً عن الأحاديث والآثار المتواترة في ذلك.

---

[١٨٦] حسب التعريف الشائع.

وهذا دليل على أن كثيراً من العلماء وطلبة العلم الشرعي –خاصة في عصور التقليد– قد يتركون المتواتر الصريح المنثور في الكتاب والسنة ويلجؤون للمظنونات من الأدلة مع الأباطيل من أقوال مغفلي الصالحين ومتبعي الخيالات والأوهام، بتنشيط من الخصومات المذهبية الممتدة أربعة عشر قرناً.

وفي هذا أيضاً إشارة إلى أن حضور العاطفة أو الخصومة أو كليهما قوياً، وأنها قد تسيِّر الباطل فوق أقتاب الحقيقة، وهذه هي حقيقة الغفلة (غفلة الصالحين) التي نحذر منها ولا نعيها.

إذن فبعض العلماء بل كثير منهم خصوصاً في الأزمنة المتأخرة فَصَل (عدالة الصحابة) عن (شروط العدالة) في بقية البشر، فجعل العدالة الأولى غير قابلة للنقاش بحجة أن الله قد أثنى عليهم في كتابه الكريم، وثناؤه أبلغ دليل، وتعديله أعظم تعديل، وهذا القول كذب من القائل على الله عز وجل –كما سبق أن بينا– فإن الله لم يثنِ إلا على الصادقين الباذلين للمال والنفس في سبيل الله من المهاجرين والأنصار ومن سار على نهجهم مع التحذير من الردة والظلم وسائر الذنوب والمعاصي، وإنما جاء الثناء على المهاجرين والأنصار في الجملة لالتزامهم بذلك.

كما قد ذم الله في كتابه بعض الجماعات أو الأفراد ممن يذكرون في الصحابة –كما سيأتي– فأخذنا الثناء وتركنا الذم فهل هذا إيمان ببعض الكتاب وكفر ببعض؟!.

فالله يثني على القيم والخصال ويجعلها هي المعيار ولا يجعل الأشخاص هم المعيار للحق والباطل وعلى سبيل المثال فالله قد أثنى على الأمة الإسلامية في قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ لكن هذا الثناء قيده مباشرة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال في الآية نفسها: ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ وإذا فقدت الأمة الإسلامية هذه الشروط في فترة من الفترات لم تكن حينها مقصودة بالثناء إضافة إلى أن هذا الثناء لا يقتضي عدم البحث عن عدالة الفرد منهم.

وإذا كان الله قد أثنى على الأمة الإسلامية فليس معنى هذا أنه لا يوجد فيهم ظالم ولا كاذب ولا فاسق، فهذا خلط لا يرضاه العقلاء، ثم إن هذا الفصل في العدالة بين الصحابة وغيرهم إضافة لما فيه من القول على الله بغير علم؛ فيه ظلم للمتأخرين، وطبقيه لا يرتضيها الإسلام.

فالإسلام دين العدل والمساواة ولا يجيز الإسلام أن نكيل العدالة بمكيالين فنتشدد في شروطها على بقية الناس ونتراخى في تطبيقها على الصحابة، والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة واضحة لمن أراد الله له

الهداية، لذا فأنا أدعو الباحث في هذا الموضوع أن يقرأ القرآن الكريم مرة واحدة وسيدرك هذا القول بسهولة بشرط أن يحاكم الأقوال إلى القرآن ولا يحاكم القرآن إلى أقوال البشر[١٨٧].

فإذا أردنا التجديد الشرعي في علوم المسلمين من حديث وفقه وتفسير وعقائد فعلينا أن نعود إلى القرآن والسنة لاستلهام جوانب التجديد ورؤية الفروق الواسعة بين أوامر القرآن الكريم وتعاليمه وبين أوضاعنا العلمية اليوم التي سيطر عليها التقليد والابتعاد عن كتاب الله عز وجل واتخاذه مهجوراً من حيث التطبيق وأخشى أن نكون بهذا ممن يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم!!.

والخلاصة:

أن الأدلة التي استدل بها القائلون بعدالة كل الصحابة كلها أدلة غير صريحة في عدالة كل فرد ممن ترجم له في الصحابة، بل ولا يصح إطلاق العدالة العامة إلا في المهاجرين والأنصار ومن في حكمهم من حيث الإجمال أيضاً، أما غيرهم فيكثر فيهم فمن كان ظاهره العدالة والاستقامة فهو العدل، ومن أظهر الفسق والظلم والفجور فهو الفاسق أو الظالم أو الفاجر، سواءً رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أو لم يره، ومن خلط بين هذا وهذا نتوقف فيه، ومن خلال التجربة البحثية في سير المهاجرين والأنصار نجد العدالة غالبة عليهم، حتى لا نكاد نجد إلا عدلاً، وإذا بحثنا في سير المسلمين بعد فتح مكة وسير الأعراب والوفود وجدنا ضابط العدالة يخف أو يختفي في كثير منهم، فلذلك قلنا إن عبارة (الصحابة عدول) يصح إطلاقها إذا أريد بذلك المهاجرون والأنصار، وليس كل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، أما عبارة (الصحابة كلهم عدول) فلا تصح لا في هؤلاء ولا في هؤلاء!؛ لأنه وجد أفراد قليلون لم يحسنوا الصحبة وظهر فيهم الظلمة رغم إسلامهم قبل بيعة الرضوان.

---

[١٨٧] وأن يقرأ القرآن بعيداً عن تحريفات بعض العلماء لمعانيه وبعيداً عن تخويفات بعضهم الذين جعلوا القرآن طلاسم لا يفهمه إلا أفراد من الأمة مع أن الله عز وجل قد قال: ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها).

فإذا طالبك أحد هؤلاء أن تقرأ القرآن بلا فهم وأن تترك تفسيره لأفراد من الأمة فاصدمه بهذه الآيات، حتى تتجاوز تلاوتك حنجرتك إلى تطبيقك، وهذا لا يعني عدم التحرز من الإقدام على التفسير الخاطيء، لكن مهما بلغ خطؤك في التفسير لن يبلغ ما بلغ هؤلاء من فصلهم الناس عن القرآن الكريم وتدبره والاستفادة منه بزعمهم أن هذا قد يوقع في التفسير بالرأي وبهذا يكونون قد عطلوا الاستفادة من قراءة القرآن الكريم وكفى بهذا خطأً عظيماً.

رابعاً: الأدلة النقلية والعقلية على خطأ

المفهوم الشائع لقاعدة (الصحابة كلهم عدول)

الدليل الأول:

الثناء على المجموع لا يقتضى منه الثناء على كل فرد: فلا أظن أن عاقلاً يفهم من الثناء على شعب معين أن هذا الثناء ينـــزل على كل فرد من أفراد ذلك الشعب، وقد سبق شرح هذا، وأضرب على ذلك مثالاً.

فنحن لو سمعنا بأمانة شعب من الشعوب فانتشر هذا بين الخاصة والعامة إذ أصبح وصف ذلك الشعب بالأمانة ويكاد يكون محل إجماع من الناس لكن لو قام أحد أفراد هؤلاء بسرقة ثم قام محاميه ليحتج في براءته بأن ذلك الشعب معروف عنه الأمانة!! لكان هذا المحامي محل سخرية من سائر العقلاء؛ لأن الثناء على الشعب ووصفه بالأمانة لا يعني هذا اتصاف كل أفراد ذلك الشعب بالأمانة.

إذن فالذي يأتي ليدافع عن أمثال الوليد بن عقبة وبسر بن أبي أرطأة وأبي الأعور السلمي وأمثالهم بأنهم صحابة –حسب المفهوم الواسع للصحبة– محتجاً بأن الله أثنى على الصحابة وعلى التسليم له بأن الثناء يشمل صحابة الكافة (الخاصة والعامة) فهذا المدافع بمنـــزلة ذلك المحامي في سوء الفهم وضعف العقل أو السخرية بأساليب لغة العرب.

فهذا من أدلتنا العقلية على أن الصحابة من حيث الأفراد شأنهم في العدالة شأن غيرهم من البشر هذا من الناحية النظرية وإن كنت من الناحية التطبيقية لا أرى في أفراد المهاجرين والأنصار إلا العدالة والاستقامة باستثناء أفراد متنازع فيهم عند الصحابة أنفسهم (قد سردناهم في طبقات الصحابة).

ومما يدل على أن الثناء إنما يصح على المجموع لا الأفراد أن بعضهم –بعض من وصف بالصحبة– قد ارتد وبعضهم نافق وبعضهم بدَّل وغيّر فلو كان الثناء نازلاً على كل فرد ومستلزماً لاستمرار استقامته لما ارتد أحد من الصحابة لأن إخبار الله لا يتغير ولا يتبدل.

ولكن هؤلاء المغالين من المقلدين جعلوا العدالة التامة في كل من وصف بالصحبة على أي وجه كان، فهو عندهم في الجنة وحجتهم أن الله قد أخبر أن مصيرهم إلى الجنة فأثنى عليهم وبشرهم بها وبالقاعدتين

السابقتين الباطلتين (التبشير بالجنة لكل الصحابة، وإنـــزال ثناء المجموع على الأفراد) يكونون قد بشروا حتى المرتدين بالجنة[١٨٨]!!

وإذا قالوا: نحن نخرجُ من عدالة الصحابة كل المنافقين والمرتدين.

قلنا لهم: بأي دليل أخرجتموهم من الصحابة؟

يقولون: بنصوص أخرى.

قلنا لهم: وكذلك نحن أخرجنا الطلقاء وأمثالهم من الصحابة بنصوص أخرى صحيحة وثابتة.

فإن قلتم: لم يسبقكم أحد إلى هذا؟

قلنا لهم: بلى سبقنا كثير من علماء الإسلام ومن أبرز أولئك العلماء الصحابة أنفسهم من مهاجرين وأنصار ولكنكم غير مسبوقين إلى تبرئة الظلمة والمبدلين أمثال الحكم والوليد وبسر وأبي الغادية.

فإن قالوا: إحسان الظن خير من إساءة الظن.

قلنا لهم: معرفة الحق أفضل من تعميم الجهل، فالفوائد العلمية في هذا التفصيل أفضل، ثم لماذا تسيؤون الظن بالمرتدين من الصحابة؟! لماذا لا تشككون في الروايات المثبتة لردة بعضهم؟بل لماذا لا تحسنون الظن بالصحابة الذين خرجوا على عثمان كعبد الرحمن بن عديس البلوي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وبعض المهاجرين والأنصار؟! ولماذا لا تحسنون الظن بمن كان من الخوارج وكانت له صحبة كذي الخويصرة وذي الثدية وغيرهم؟

فهذا التناقض في موقفكم بين الخارجين على عثمان والخارجين على علي ومن كان مع الخوارج؛ دليل على أنكم لستم جادين في تطبيق حسن الظن بالجميع وإنما تريدون إحسان الظن بأناس دون أمثالهم أو من هو أفضل منهم، وهو دليل أيضاً على أن الدولة الأموية كان لها الأثر البالغ في تشكيل كثير من العقول المسلمة بالرغبة والرهبة، فتكون لها علماء أنتجوا فكراً يجمع بين الحق والباطل فوصل هذا الفكر الخليط لعلماء الشام والبصرة ثم وصل لأوائل الحنابلة وبعض أهل الحديث، ثم أخذه منهم علماء الشام وخاصة ابن تيمية ثم أخذناه نحن من ابن تيمية وتلاميذه كابن كثير وابن القيم رحمهم الله وسامحهم، فتسلسل النصب مختلطاً بالسنة من القرن الأول إلى أيامنا هذه، حتى أصبحت النفوس تهوى ذم الخارجين على عثمان مع أن فيهم صحابة وتابعين بإحسان؛ بينما تدافع بكل حماس عن الخارجين على علي المصرين على البغي من أهل الشام

---

[١٨٨] هكذا يقولون على الله ما لا يعلمون.

كمعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم!! وفي هذا أبلغ دليل على هذه المسيرة الفكرية المختلطة التي لا يتنبه لها إلا منصفو الباحثين.

الدليل الثاني:

ثناء الله ورسوله على أهل البيت موجود في الكتاب والسنة، ومع ذلك ليس كل فرد من أهل البيت تنـــزل عليه تلك الفضائل، وإن كان معظمهم من أولياء الله الصالحين؛ لكن بعض أهل البيت ظهر فيهم الظلم والفسق، وبعضهم اتبع مذهب غلاة الشيعة وبعضهم تبع منهج النواصب؛ فإذا كان هؤلاء لا يشملهم الثناء المجمل عندنا فلماذا نعقل هذا ولا نعقل خروج بعض الصحابة من الثناء المجمل أيضاً؟ فالأمران لهما الحكم نفسه، لتوافق الأحكام الشرعية لكل منهما.

الدليل الثالث:

حجة هؤلاء المعممين يتبين ضعفها عند قراءتنا لقوله عز وجل عن بني إسرائيل ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾، فلو جاء بنو إسرائيل ليحتجوا بهذه الآية ليثبتوا عدالتهم وفضلهم على المسلمين؛ فلن تكون حجتهم أضعف من حجة هؤلاء المعممين، ولكننا نرد عليهم بأن هذا التفضيل كان في مرحلة زمنية معينة ومرتبط بعالم زمانهم، إضافة إلى أن ذلك الثناء بشروط من الطاعة والعبادة وحسن الاتباع؛ فإن لم يستجيبوا فلا يستحقون هذا التفضيل، أو أن التفضيل كان في وجه ما؛ كأن يكون التفضيل في كثرة معجزات أنبيائهم، وظهور هلاك فرعون وقومه مع جبروتهم وقوتهم، ونحو ذلك.

لكننا لا نقول اليوم أن بني إسرائيل في الدين أفضل منا، ولو قلنا ذلك لصادمنا نصوصاً أخرى، إننا في موضوع الصحابة نصادم آيات أخرى بسبب إصرارنا على التعميم غير العلمي ولا وعدم ربطنا العدالة بحسن الاتباع كما ربطناها في بني إسرائيل.

الدليل الرابع:

من تعامل القرآن الكريم مع الألفاظ الدالة على الصحبة وذلك أن القرآن الكريم قيّد الصحابة بالصفات التي استحقوا بها المدح وتميزوا بها عمن سواهم وهي الهجرة والنصرة والمعية ونحوها؛ متجنباً في ذلك المشترك اللفظي (الصحبة) لئلا تذهب أوهام الناس كل مذهب.

وذلك أن اللفظ المشترك للصحبة مجرد من القيود لا يدل على فضيلة بذاته لشموله اللغوي للصاحب صحبة حسنة وللصاحب صحبة سيئة.

أما ألفاظ الهجرة والنصرة والمعية الشرعية ثم الجهاد والإنفاق؛ فإنها تدل على الفضيلة مجردة، بشرط صحة النية لقوله "صلى الله عليه وآله وسلم": (إنما الأعمال بالنيات) ولا ريب أن هجرة المهاجرين ونصرة الأنصار كانت لله وحده لتوقعهم أن يلحق بهم البلاء والمحن والمتاعب، هذا مع ما في فراق الأهل والأوطان وفقد الشهداء من بلاء عظيم. (وستأتي بقية أدلتنا في أثناء النقاش مع أدلة الآخرين في المبحث الآتي).

أدلة القائلين بعدالة كل أفراد الصحابة والجواب عليها

عند مطالعتي معظم الكتب المؤلفة في الصحابة وفي العقائد؛ وجدت أدلتهم التي يستدلون بها على عدالة كل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أدلة عامة، لا يجوز إنـــزالها على كل فرد، ولو جاز إنــــزال آيات الثناء على كل فرد لجاز إنـــزال آيات الذم والعتاب على كل فرد أيضاً، وبهذا نقع في التناقض.

وإذا قال قائل: ننـــزل آيات الثناء على كل فرد منهم، بينما لا ننـــزل آيات الذم إلا على بعضهم.

قلنا: هذا يوقعنا أيضاً في التحكم والتناقض، فإذا أثنينا على كل أفرادهم فكيف نذم بعضهم؟! وأي دليل من شرع أو عقل يجيز لنا إنـــزال آيات الثناء المجمل على كل فرد؟!بأي حق ننـــزل حديث (خير الناس قرني) على كل الأفراد في القرن الأول، وقد كان في القرن الأول من فسقة المسلمين- فضلاً عن الكفار والمنافقين- من تعرف سيرته، كالحجاج، ويزيد، وزياد، وابنه، والمختار، والخوارج، والنواصب، وغلاة الشيعة[١٨٩]، إذن لا بد من فهم للمسألة بلا ضرب للقرآن بعضه ببعض، إذا لم نفصل في الموضوع؛ فإن القائلين بجرح الصحابة مطلقاً لن تكون أدلتهم بذلك الضعف الذي يتصوره البعض، ولو لم يكن معهم إلا أحاديث الحوض لكفى في الشبهة، ولن يخرجنا من مدلوله، إلا إذا اعتبرنا بعض المتأخرين غيروا وبدلوا، وإلا ذهبت دلالة الحديث.

أدلة أم أسئلة مكابرة؟:

القائلون بتعميم العدالة غالباً لا يلجؤون إلى الأدلة وإنما يلجئون إلى (أسئلة المكابرة) المشحونة بالتعميم والعاطفة مع إهمال فهمها والجمع بينها وبين النصوص ومن أمثلة هذه الأسئلة (أسئلة المكابرة):

---

[١٨٩] ينبغي التنبيه على أن المراد بغلاة الشيعة في موضوع الصحبة الذين يتعدون بسب أحد من السابقين كالخلفاء الثلاثة أو طلحة والزبير (علماً بإنهما كانا مع أم المؤمنين عائشة وقد تابا و لم يصرا على المعصية كما فعل أهل الشام) وكذلك يعد من غلاة الشيعة من سبَّ بعض صالحي المهاجرين أو الأنصار، أما سبهم لمحاربي علي وبغضهم لهم فليس بأفحش من سب النواصب لعلي على منابرهم! ذلك السب الذي يسكت عنه متعصبة النواصب ويزمجرون حول سب الشيعة لمعاوية!

قول بعضهم: كيف تناقش مسألة (عدالة الصحابة) وهي مسألة إجماع؟! ثم من نحن حتى نعرف هل الصحابة عدول أم لا؟ وماذا تفعل بتعديل الله لهم في كتابه؟

الجواب:

أولاً: للأسف أن هذا النمط من الأسئلة هي المنتشرة اليوم، وهي ممقوتة عند العقلاء الذين يحترمون الحقيقة ويلتزمون البحث العلمي، ويمكن الإجابة على هذه الأسئلة المكابرة بأسئلة مكابرة مثلها من باب التنـــزل والجدل، فيقال:

كيف تخصون الصحابة بالعدالة، مع أن هذا التخصيص لم يرد عليه دليل لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله "صلى الله عليه وآله وسلم" ، وهذه مسألة إجماع؟! فحكم الصحابة في القرآن الكريم هو حكم غيرهم في الشهادة والرؤية لقوله تعالى: ﴿وليشهد به ذوا عدل منكم﴾ [١٩٠]، فلو كان للصحابة خصوصية لكفى منهم شاهد واحد عدل، ولو كان للصحابة خصوصية لاكتُفي منهم بشاهد واحد في الزنا والقذف وغيره، وهذا خلاف الإجماع لإن النصوص القرآنية والحديثية لا تفرق في الشهادة بين صحابي وتابعي، فلماذا تفرقون أنتم في الرواية بين الصحابي وغير الصحابي، فلا تبحثون عن عدالة الصحابي وتبحثون عن عدالة التابعي؟

بأي دليل من شرع أو عقل أبحتم هذا التفريق؟! وإذا كنتم تحتجون بأن الله أثنى على الصحابة في كتابه، فهذا الثناء المجمل معارض بذم مجمل في القرآن الكريم أيضاً، وأنتم حذوتم حذو أهل الكتاب الذين وبخهم الله عز وجل بقوله: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ [١٩١]، وقد ذم الله عز وجل —على منهجكم في التعميم— الصحابة، كما في قوله تعالى: ﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا وأولئك هم الخاسرون﴾ [١٩٢]، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾[١٩٣]، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئاً والله

---

[١٩٠] سورة الطلاق الآية، ٢.

[١٩١] وصدق النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" عندما قال: (لتتبعن سنن من كان قبلكم...)!.

[١٩٢] التوبة: ٦٩.

[١٩٣] الصف: ٢-٣.

على كل شيء قدير ﴾ [١٩٤]، وقال عنهم: ﴿... ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً...﴾ [١٩٥]، وقال عنهم يوم أحد: ﴿... حتى إذا فشلتم وتنازعتم وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة...﴾ [١٩٦].

وقال عنهم يوم الأحزاب: ﴿... وتظنون بالله الظنونا.. ﴾ [١٩٧]، وقال عنهم في سورة الممتحنة: ﴿.. تسرون إليهم بالمودة....﴾ [١٩٨] يعني إلى الكفار، وقال عن أصحاب الإفك من الصحابة –وفيهم بدريون– ﴿فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ [١٩٩]، وقال عن المظاهر من امرأته وهو صحابي: ﴿ ...وإنهم ليقولون منكراً من القول وزورا﴾ [٢٠٠]، وقال في حق أبي بكر وعمر وهما من هما: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ [٢٠١]، وقال عن الذين أسلموا عنده من بني تميم: ﴿... أكثرهم لا يعقلون﴾ [٢٠٢]، وقال عن الوليد بن عقبة: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ [٢٠٣]، وقال: ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم...﴾ [٢٠٤]، وقال في حق بعض أصحاب النبي[٢٠٥] "صلى الله عليه وآله وسلم": ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون، فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ [٢٠٦]، وقال: ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم...﴾ [٢٠٧].

---

[١٩٤] التوبة ٣٨-٣٩.

[١٩٥] التوبة: ٢٥.

[١٩٦] آل عمران:١٥٢.

[١٩٧] الأحزاب:١٠.

[١٩٨] الممتحنة: ١.

[١٩٩] النور:١٣.

[٢٠٠] المجادلة: ٢.

[٢٠١] الحجرات: ٢.

[٢٠٢] المائدة: ١٠٣.

[٢٠٣] الحجرات: ٦.

[٢٠٤] الحجرات: ٧.

[٢٠٥] صحبة عامة غير شرعية لأن إخلافهم للوعد المورث للنفاق يخالف شروط الصحبة الشرعية حتى وإن كان الصحابي الذي نـزلت فيه الآية قد أسلم قبل الحديبية.

[٢٠٦] التوبة: ٧٧.

[٢٠٧] التوبة: ١٠١.

أقول: فغلاة السنة يركزون على آيات الثناء وغلاة الشيعة يركزون على هذه الآيات التي فيها ذم أو عتاب كل يمسك بآية ويترك أخرى، فأشبهوا أهل الكتاب ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب﴾.

ومن الأحاديث في الذم المجمل: ما رواه البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بينا أنا قائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: أين، قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم، قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، قلت: أين، قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم)[٢٠٨].

وهؤلاء الذين أخذوا إلى النار صحابة بدلالة أحاديث أخرى صحيحة منها:

فأقول: يا رب أصحابي أصحابي!!

فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك![٢٠٩]

فيأتي المعارض للثناء المجمل بهذا الذم المجمل ويقول: كيف تجعلون للصحابة ميزة وقد أخبر النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أنه لا ينجو منهم إلا القليل؟ وأن الكثرة يؤخذون إلى النار وكيف أنهم استمتعوا بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم، وقد تحبط أعمالهم كما حبطت أعمال الأمم الماضية، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، وأن هذا يعقبه مقت كبير عند الله، وأنهم يتثاقلون كلما دعوا إلى الجهاد مع النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، وأنهم يتكلون على كثرتهم ويعجبون بها وينسون أن أمر النصر والهزيمة بيد الله، وأنهم يتنازعون ويعصون الرسول وبعضهم يريد الدنيا، وأنهم يظنون بالله الظنون، ويسرون بالمودة إلى الكفار وهذا خلاف ما أمروا به من الولاء للمؤمنين والبراءة من المشركين، وحكم على بعضهم بالكذب، وحكم على آخرين بأنهم يقولون المنكر والزور، وهدد بعضهم بإبطال الأعمال عندما لا يتأدبون مع رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" ويرفعون أصواتهم فوق صوته، وإذا كان هذا التهديد نـــزل في حق أبي بكر وعمر فكيف بالباقين؟!، وحكم على بعضهم بأنهم لا يعقلون، وعلى آخرين بالفسق، وحذر الله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من طاعتهم في كثير من الأمور، فكيف يكون عدلاً من تكون طاعته مضرة وإثماً؟.

---

[٢٠٨] البخاري- كتاب الرقاق- حديث رقم-٦٥٩٩.

[٢٠٩] هذا ثابت في صحيح البخاري، وغيره من أمهات السنن.

وأخبر الله عن إخلاف بعضهم للوعد، فيعاهد الله ثم لا يفي ويتحول إلى منافق، وأخبر بأن منهم منافقين لا يعلمهم النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، كما أخبر النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أنه لا ينجو من أصحابه يوم القيامة إلا القليل (مثل همل النعم) كما ثبت في صحيح البخاري.

ألا يستطيع المحتج على إبطال (عدالة الصحابة) جملة بمثل هذه الآيات والأحاديث الصحيحة؟ إن حجته لن تكون أضعف من حجة القائل بتعديل كل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" من المسلمين! فكلا الحجتين باطلتان، فليس هناك عدالة لكل فرد ولا تهمة لكل فرد، بنصوص الكتاب والسنة ولولا الخصومة بين السنة والشيعة من قديم لكان هذا الأمر من أوضح الأمور؛ لأن الجميع يرجع لآيات كريمة وليس لأحاديث أو آثار أو مغازي يمكن أن تضعف أو يتهم رواتها بالتشيع أو النصب.

فما الحل إذن؟! هل القرآن متناقض فيثني على أناس ثم يجرحهم ويذمهم؟ اللهم لا، ونعوذ بالله أن نضرب القرآن الكريم بعضه ببعض، كما نعوذ بالله أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض.

ولكن نقول: آيات الثناء تنـــزل على من يستحقها من المهاجرين والأنصار، وآيات الذم بين أربعة أمور، إما عتاب لا ذنب فيه إن شاء الله، وإما ذم لبعض من لهم سوابق تشفع لهم كحاطب بن أبي بلتعة مثلاً، وإما ذم عام أريد به الخصوص لطائفة منهم، وتعرف هذه الطائفة، إما بسبب نـــزول أو بمعرفة صفتها في آيات أخرى جاء فيها ذكرهم صريحاً، وكانت لهم سوابق، وكانت ذنوبهم درساً لهم ولغيرهم، فرجعوا وتذكروا، أو تكون النصوص نازلة على كثير من المتأخرين في الإسلام، الذين لم يصدر منهم في عهد النبوة ما يطمئن إلى صحة إسلامهم من قوة جهاد وقوة إنفاق.

إذاً فالقائل إن الله عدلهم في كتابه، إذا أراد أن الله عدَّل المهاجرين والأنصار، فقد صدق على أن هذا التعديل للمجموع ولا يعني أن الفرد من المهاجرين أو الأنصار، قد لا يخرج من العموم أو لن يرتكب كبيرة ولن يفعل ذنباً.

وإن أراد القائل أن الله قد عدَّل أمثال الحكم، وحرقوص بن زهير، والوليد بن عقبة، وقاتل عمار وأمثالهم؛ فقد قال على الله ما لم يقل، وحمَّل كلام الله ما لم يحتمل، وهذه من وساوس الشيطان لهؤلاء الناس، حتى يقولوا على الله ما لا يعلمون، كما قال تعالى في التحذير من الشيطان: ﴿إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ [٢١٠]، وما أكثر المتقولين على الله بين المسلمين من سنة وشيعة وصوفية..الخ، يأتيهم الشيطان من الباب الذي فيه عاطفتهم، وميل قلوبهم، حتى يوردوا آيات في غير ما

---

[٢١٠] سورة البقرة الآية: ١٦٩.

أنـــزلت فيه وفي غير من أنزلت عليه، فيتم إزاحة معاني القرآن عن أذهان الناس وبالتالي يتم تحريف مراد الله عز وجل، بل قد نقلت في صدر الكتاب تحريف بعض هؤلاء لمعاني آيات صريحة واضحة ليس فيها أي لبس[٢١١]، لكن الشيطان بسيفه ورمحه (الجهل والهوى) أوقع هؤلاء في آراء خاطئة لها أثر سلبي على العقل والمعلومة والإيمان، ثم جرهم هذا الرأي إلى إلزام الناس بما يرون، حتى تحدث الفرقة والتنازع، وقبل ذلك يحدث صرف مدلول الآيات الكريمة ومعانيها، وقد نجح الشيطان مع كثير منهم، فأصبح يقول على الله ما لا يعلم، بل يقول على الله بخلاف ما أنـــزل صريحاً، ولكن هناك من يستدل بأدلة أخرى ليس فيها مكابرة وإنما فيها شبهة تحتاج لنظر وجواب وجمع بينها وبين الأدلة المعارضة لها ستأتي في المبحث الآتي:

خامساً: ما تبقى من أدلة القائلين بعدالة كل أفراد الصحابة

بقيت بقية من أدلة القائلين بعدالة كل فرد من أفراد الصحابة على التعريف الواسع، لم نستعرضها فيما مضى ولذا أحببت استعراضها هنا باختصار وبيان الجواب عليها:

الدليل الأول:

قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾[٢١٢].

هذه الآية يستدل بها البعض على عدالة كل الصحابة مع سوء فهم لمصطلح الصحبة.

والآية بين معنيين: إما أن يكون المراد بها جميع الأمة، كما رأى بعض المفسرين، وروى البخاري في صحيحه ما يدل على ذلك[٢١٣].

وإما أن يكون المراد بها الصحابة.

---

[٢١١] سبق استعراض معظمها في الأدلة.

[٢١٢] البقرة: ١٤٣.

[٢١٣] كما في حديث أبي سعيد الخدري عن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم": (يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت... إلى أن يقال له- لنوح-: من شهودك فيقول محمد وأمته فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم": (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً..) رواه البخاري (٢٦٨/٤) نقلا عن الدكتور ناصر الشيخ (٥٧/١).

فإن أريد بها الأمر الأول؛ فالآية حجة لنا لا علينا؛ لأننا نعلم أن الآية لا تنـــزل على جميع أفراد الأمـــة، وكل الناس متفقون على أن في الأمة من ليس عدلاً في الماضي والحاضر، وعلى هذا فالآية لا تفيد عدالة جميع أفراد الأمة، وإنما العدالة والخيرية للعموم، بل للصالحين منهم.

وأما من قال إن المراد بها الصحابة؛ فإما أن تكون نازلة في أصحاب الصحبة الشرعية أو أن تكون نازلة في أصحاب الصحبة العامة والمعاصرين له "صلى الله عليه وآله وسلم"، فإن قائل القائل أنها نازلة في المهاجرين والأنصار فلا إشكال وهي حجة لنا لا علينا، وإن قائل القائل أنها نازلة في كل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" فهذا الفهم ترده نصوص أخرى، فمثلما أن الثناء على الأمة لا نستطيع إنـــزاله على كل أفرادها، فكذلك الثناء على جيل النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" لا نستطيع إنـــزاله على كل فرد منهم ممن رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، لورود أدلة صحيحة لها دلالة صريحة تعارض المظنون من دلالة الآية، وإذا تعارض حديث صحيح صريح مع مظنون آية يؤخذ بصراحة الحديث، فكيف إذاً تعارض مظمون آية مع صريح آية أخرى؟! نقدم الصريح على المظنون والذي أعرفه أن هذا محل إجماع عند أهل السنة، ومن ادعى خلاف هذا فعليه الدليل.

وقد يقول قائل: إن الصحابة في ذروة الصلاح من الأمة، فإذا كانت الأمة وسطاً وشاهدة على الآخرين فمن باب أولى الصحابة.

إن أريد بالصحابة هنا المهاجرون والأنصار، ومن سار على نهجهم ممن صحب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أو غيرهم فنعم، وإن أريد بها كل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ممن ذكروا في الصحابة فهذا غير صحيح؛ لأن بعض هؤلاء قد شهد عليهم النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بالنار كقاتل عمار وكركرة..مثلاً[٢١٤].

إذن فإن القول بأن الصحابة في الذروة من الصلاح إن أريد به الصحبة الشرعية صحيح، وأنا أقول بهذا، مع شرط نظري وهو ألا يدخل في الصحابة من ساءت سيرته وخالف دين النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بردة أو فسق ظاهر أو ظلم غالب وهذا إن وجد فنادر.

[٢١٤] راجع طرق حديث (قاتل عمار وسالبه في النار) في السلسلة الصحيحة للألباني- الجزء الخامس، أما حديث كركرة ففي البخاري، في كتاب المغازي، غزوة خيبر..

ومن ظن أن الآية تعديل لمثل الوليد، وحرقوص، ومعاوية، وقاتل عمار، وبسر، فقد افترى على الله الكذب، أو أن يكون جاهلاً جهلاً بليغاً، غير محترم لمقام النبوة، ولا ملتفتاً للنصوص الشرعية، التي تحذر من كبائر الذنوب والردة.

الدليل الثاني:

قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله..﴾[٢١٥].

سبق الكلام في معنى هذه الآية وتعلق الثناء بالشروط والكلام في هذه الآية كالكلام في الآية السابقة تماماً، فاللفظ مجمل، فإن فسره البعض بأن المراد بذلك العموم فهو خطأ بيّن؛ لأننا نعرف أن الأمة فيها الصالحون وفيها غير ذلك، وإن أريد الصحابة[٢١٦]، فكذلك فيهم الصالحون من المهاجرين والأنصار ومن سار على نهجهم، وفيهم غير هؤلاء، فلا تنـــزل على كل فرد، وإلا فسنضرب القرآن بعضه ببعض.

وقد أشار ابن جرير الطبري[٢١٧] إلى أن المرادين في الآية هنا هم (الذين هاجروا مع النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" إلى المدينة) فأخرجهم الله للناس، وكانوا خير أمة أخرجت للناس.

وهذا- إن صح من حيث الإسناد- فهو يتفق مع قولنا إن الصحابة الصحبة الشرعية هم المهاجرون والأنصار، فكانت هذه الآية خاصة في مدح المهاجرين منهم فقط؛ لكونهم أقدم إسلاماً، وأكثر تحملاً للمشاق، مع هجران الأوطان؛ لأجل دين الله.

ولذلك روى المفسرون عن عمر أنه قال: (تكون- أي هذه الآية- لأولنا ولا تكون لآخرنا).

وإذا قال قائل: كيف تخرج بعض الصحابة من هذه الآية وقد عمم بعض المفسرين ذلك في كل الصحابة لم يستثنوا أحداً؟.

أقول: أقوال المفسرين ليست متفقة في هذا الباب ثم هي أيضاً ليست أولى بالتقديم من آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، وللمفسرين أوهام يتناقلونها عن بعضهم، مثلما للفقهاء وللمحدّثين أوهام يتناقلونها، ثم يحررها بعضهم فيما بعد.

---

[٢١٥] آل عمران: ١١٠.

[٢١٦] على التسليم والتنـــزل مع المخالفين بأن الصحابي كل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم".

[٢١٧] انظر تفسير الآية في تفسير الطبري.

ومن أخطاء كثير من المفسرين أنهم لا يجمعون الأدلة مع الأدلة التي يتوهم منها المعارضة في مكان واحد، ثم يجمعون بينها أو يرجحون، وإنما ينطلقون مع الآية دون النظر في الآيات الأخرى، ولو جاءوا بآيات الذم المجمل عند الثناء المجمل ثم بيّنوا أن هذا لا يعني التناقض، وإنما هذه الآيات تكون في حق هؤلاء، وهذه الآيات في حق هؤلاء؛ لكان هذا تفسيراً أفضل، لكونه يزيل عن الأذهان ما تتوهمه من تعارض وتدافع.

ثم إنكم لا تحتجون بالمفسرين عندما يذمون بعض الصحابة[٢١٨] كالوليد بن عقبة، فإنهم اتفقوا على أن آية: ﴿.. إن جاءكم فاسق بنبأ﴾ نــزلت في الوليد، وذكروا صحابة آخرين نــزلت آيات في ذمهم، وذم طريقتهم، فلماذا تحتجون بالمفسرين إذا شئتم وتتركونهم إذا شئتم؟!.

وقد يقول قائل: ألست تأخذ بأقوالهم في الوليد، وتترك أقوالهم في تبرئة كل الصحابة؟.

أقول: هذا القول اتهام منكم للمفسرين بالتناقض، فأنتم تقولون إن قولهم بعدالة الصحابة ينقض قولهم في الوليد وأمثاله!.

وأنا أقول إن قولهم بعدالة الصحابة لا يعنون به إنــزال هذه العدالة على كل فرد، ولو كانوا يعتقدون ذلك لوقعوا في التناقض، وأنا لم آخذ بأقوال المفسرين في الوليد، وإنما بحثت أسانيد القصة البالغة نحو عشرة أسانيد، واتضح لي صحة القصة، ثم استأنست بإجماع المفسرين تقريباً على ذكر القصة، والاحتجاج بها وتصحيحها، بينما لا تجدون إسناداً واحداً صحيحاً صريحاً يقول بعدالة كل فرد من الصحابة[٢١٩].

وقد نقل بعض المفسرين قول عمر في تفسير الآية السابقة ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ بقوله: (لو شاء لقال (أنتم) فكنا كلنا، ولكن قال (كنتم) في خاصة من أصحاب رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" ومن صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر).

أقول: انظروا إلى قول عمر: (في خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) فلو قال (في خاصة أصحاب رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" لكفى وإنما زاد- رضي الله عنه- (من) التبعيضية للدلالة على بعض الصحابة وليس كلهم بدلالتين من قول عمر وهما:

* كلمة (خاصة).

---

[٢١٨] حسب التعريف الشائع.

[٢١٩] بعض الناس يرى ثناء بعض السلف على كل الصحابة فيظن أن هذا الرجل الصالح من السلف يعتقد أن كل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" فهو صحابي من حيث لا يريد ذلك العالم، ولكن بعض العلماء يطلق الثناء على الصحابة ويريد بذلك المهاجرين والأنصار أو يريد بذلك من لم يظهر ظلمه أو فسقه على الأقل، فنأتي نحن ونعمم قوله على كل من ترجم له في الصحابة!!

* (من) التبعيضية.

ولو لم يقل عمر إلا (أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) لجزمنا بأن عمر لا يقصد إلا المهاجرين والأنصار؛ لورود أقوال لعمر تدل على أنه يرى الصحابة أولئك فقط، إضافة للآيات التي لم تثنِ إلا على المهاجرين والأنصار، ومن سار على نهجهم من الأمة.

الدليل الثالث:

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [٢٢٠]، استدل بعضهم بهذه الآية على عدالة كل الصحابة[٢٢١].

وهذه الآية فيها تحذير للصحابة وغيرهم من الردة عن الدين وتهديد باستبدال قوم يحبهم الله ويحبونه بهم إن ارتدوا، وليس في الآية دليل على تعديل كل فرد من أفراد الصحابة، بل فيها تحذير لهم ولغيرهم من الردة، وقد جعلها بعضهم في الثناء على أبي بكر رضي الله عنه والصحابة الذين كانوا في طليعة الذين حاربوا المرتدين، وبعضهم جعلها في حق رهط أبي موسى الأشعري، وبعض أهل اليمن، وقيل هم أهل اليمن جميعاً، وقيل هم الأنصار، وقيل إنها في الأمراء من قريش، وقيل غير ذلك، وهذه الأقوال رغم ضعف أكثرها أو كلها، لا يجوز أن نستدل بها على عدالة كل فرد ممن رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم".

---

[٢٢٠] المائدة: ٥٤.

[٢٢١] انظر عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (١/٦٢) د/ ناصر الشيخ، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

الدليل الرابع:

قوله تعالى: ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾[222]، ذكر ابن جرير بإسناده إلى عبد الله بن عباس قوله: (وسلام على عباده الذين اصطفى) قال: أصحاب محمد اصطفاهم الله لنبيه، ونقل عن سفيان الثوري أنه قال: (هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم)[223]، ولا يظن بابن عباس ولا سفيان الثوري أنه يريد أن يدخل أمثال الوليد والحكم في هؤلاء المصطفين هذا أولاً.

والأمر الثاني: أن ابن عباس نقلت عنه نصوص تفيد أنه لا يرى نفسه من الصحابة، فمن باب أولى ألا يرى ذلك في الطلقاء، وكذلك سفيان الثوري كان كوفياً وله كلام في ذم بعض من نسميهم صحابة، فلذلك من المرجح أنه لا يريد الطلقاء وأمثالهم.

والأمر الثالث: كيف ننــزل هذه الآية على الطلقاء والأعراب وهى من سورة النحل والسورة كلها مكية!! فهذه الآية لا تنــزل في المسلمين بعد الهجرة فكيف ننــزلها على الطلقاء؟!.

---

[222] النحل: ٥٩.

[223] نقل الطبري الإسناد في هذا بقوله: حدثنا على بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم قال: قلت لعبد الله بن المبارك... فحدثني عن سفيان الثوري...

الدليل الخامس:

قوله تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون، لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين﴾ [(٢٢٤)]، والسورة مكية وهذه الآيات مكية، وبعضهم فسر ﴿الذي جاء بالصدق وصدق به﴾ بأنهم الصحابة ومن هؤلاء ابن تيمية! وابن تيمية- على فضله- يتشدد في اعتبار مسألة السور المكية والمدنية عند التصحيح والتضعيف إذا كانت في فضل علي وأهل البيت، كما فعل في زعمه بأن سورة الإنسان مكية بالإجماع!، حتى ينفي عن علي وفاطمة رضي الله عنهما ما ذكره بعضهم من أنه نــزل في حقهم[(٢٢٥)] ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾، بينما نجده هنا لا يشير إلى مكية سورة الزمر، التي فيها هذه الآيات التـــي عمم فضلها على كل الصحابة![(٢٢٦)]، مع أن السورة لو كانت مدنية لما نــزل الثناء إلا على المهاجرين والأنصار بدلالة الآيات الأخرى.

الدليل السادس:

[(٢٢٤)] الزمر: ٣٣- ٣٥.

[(٢٢٥)] مع ضعف الإسناد في ذلك، لكن السورة مدنية وهذه الآيات بالذات مدنية.

[(٢٢٦)] ابن تيمية مع فضله وعلمه إلا أنه يجب أن نعرف أنه شامي وأهل الشام فيهم انحراف في الجملة عن علي بن أبي طالب وميل لمعاوية! وبقي هذا في كثير منهم إلى الأزمان المتأخرة اليوم، وهذا الميل لا يعرفه إلا من عرف الحق أولاً من الأحاديث الصحيحة ومدلولها والروايات الصحيحة ثم بعد ذلك يستطيع التفريق بين الخطأ والصواب، أما من يقلد ابن تيمية تقليداً أعمى فلن ينتفع بهذا الكلام، وكلامي هذا لمن يعلم هذه المسائل وليس لمن يجهلها. إننا لا نجهل قدر الرجل وعلمه ودفاعه عن الإسلام بلسانه وبنانه لكن في الوقت نفسه نعرف تماماً أنه منحرف عن علي وأهل بيته، متوسعاً في جلب شُبَه النواصب مع ضعفه في الرد عليها، فتراه يستروح مع شُبَه الشاميين ويحاول الاستدلال لها بكل ما يمكن من مظنونات الصحيح وصريحات الموضوع مع بتر حجج الإمام علي وأصحابه والتحامل الشديد على فضائل علي مع التوسع في قبول الضعيف من الأحاديث والآثار في فضل الخلفاء الثلاثة بل في فضل معاوية! فيستخدم أكثر من منهج في الحكم على الحديث وهذه الازدواجية دليل الهوى والانحراف، وهو سامحه الله مثله مثل غيره من العلماء يؤخذ من قولهم ويترك، ومع إحاطته في الجملة بأغلب العلوم إلا أنه لم يضبط علماً واحداً ضبطاً قوياً فلأهل الحديث ملحوظات كبيرة على تنظيراته وتطبيقاته، وأهل الفقه والأصول يأخذون عليه كثيراً من الأوهام في نسبة الأقوال إلى العلماء على المسائل التي ينصرها وخاصة في مبالغاته في دعاوى الإجماع، بينما يشكك ما أمكنه التشكيك في المسائل التي تخالف ما يذهب إليه ولو كانت شروط الإجماع فيها أبلغ وأقوى، وأهل اللغة أشغلهم الغوغاء من أتباعه في دعوى المجاز!

أما التاريخ فحدث ولا حرج من صبغته للتاريخ بالروايات الشامية (الناصبية) والرؤى، وأخطاء ابن تيمية –سامحه الله- لا يدركها إلا من بحث أما من تابعه ووثق في نقوله واستنتاجاته فلا بد أن يقع في المحظور من الانحراف عن علي بن أبي طالب، هذه كلمة نريد بها وجه الله عز وجل ونحن نعرف أنها ستجر علينا المزيد من المشكلات والكبت والتشكيك ونحن عودنا أنفسنا على قول الحق ولو كان مراً ولو لقينا في سبيل ذلك المتاعب، لكننا لا نهضم ابن تيمية حقه وفضله في أمور أخرى كثيرة فإن كانت علميته قد اختلت في موضوع علي ومعاوية فقد أصاب في أمور أخرى كثيرة، وإن كان عليه مسؤولية أكثر الانحراف المعاصر عن علي بن أبي طالب فله أجر أمور أخرى من الدعوة إلى الإسلام وأحكامه وغير ذلك، لكن لا يجوز لطالب علم أن يسكت عن حقيقة علمية خوفاً من أحد أو طمعاً في دنيا، وللأسف أن الخوف والطمع هما أكبر معوقات قول الحقيقة بوجهيها في ابن تيمية، فكم من طالب علم قد صارحني بشيء من هذا الشعور، وأنه يجد في ابن تيمية انحرافاً واضحاً عن علي بن أبي طالب وتشويهاً لتاريخه؛ لكنه الطمع والخوف يمنعهم من التصريح بهذه الحقيقة.

قوله تعالى: ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾ [٢٢٧].قد تم بيان المعية عند الكلام على تفسير الآية: ﴿محمد رسول الله والذين معه..﴾ وسبق بيان أنهم المهاجرون والأنصار.بقية الأدلة القرآنية التي يستدل بها هؤلاء على عدالة كل أفراد الصحابة سبق الكلام على تفسيرها فيما سبق ولن نكررها هنا، وهي:

١. ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا..﴾ [٢٢٨].

٢. ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار...﴾ [٢٢٩].

٣. ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار...﴾ [٢٣٠].

٤. ﴿محمد رسول الله والذين معه...﴾ [٢٣١].

تقريباً هذه هي كل الأدلة التي يستدل بها هؤلاء الأخوة من الآيات القرآنية على عدالة كل الصحابة، والأمر كما بيّنا أن الأدلة بين إجمال وتفصيل وعموم وخصوص، وأنه لا يجوز معارضته لأدلة قرآنية أخرى وإنما تنـــزل آيات الثناء على أهل الثناء، وتنـــزل آيات الذم على أهل النفاق أو سوء السيرة.

الدليل السابع:

(النجوم أمنة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) صحيح مسلم.

الحديث يدل على فضل الصحابة الصحبة الشرعية من المهاجرين والأنصار، فيضم إلى قوله "صلى الله عليه وآله وسلم": (أنا وأصحابي حيز والناس حيز)، وقوله: (المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض وطلقاء قريش وعتقاء ثقيف أولياء بعضهم لبعض إلى يوم القيامة)، وقد سبق الكلام على هذه الأحاديث

---

[٢٢٧] سورة التحريم: ٨، والسورة نـــزلت في المدينة مبكراً.

[٢٢٨] الآيات ٧٢- ٧٤ من سورة الأنفال.

[٢٢٩] سورة التوبة ١٥٠.

[٢٣٠] سورة التوبة: ١١٧.

[٢٣١] سورة الفتح ٢٩.

وغيرها من آيات وأحاديث وآثار، فلا يفسر حديث الباب هنا بما يجعله متناقضاً مع الآيات والأحاديث الأخرى، وإنما بما يتفق معها[٢٣٢].

الدليل الثامن:

قوله "صلى الله عليه وآله وسلم": (يأتي على الناس زمان يغزو فئام من الناس فيقال لهم هل فيكم من صحب رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" فيقولون نعم فيفتح لهم..) والحديث سنده صحيح، وهذا أيضاً يرد في حق الصحابي صحبة شرعية، ولا يجوز اعتقاد مطلق الصحبة؛ لأن هذا الإطلاق يدخل فيه المنافقون صراحة، كما في قول النبي "صلى الله عليه وآله وسلم": (إن في أصحابي اثني عشر منافقاً...)، ونعرف أن هذا الحديث (ويأتي على الناس زمان) وارد في الصحبة الشرعية فقط، بالأدلة التي سردناها بداية البحث (وسيأتي التفصيل في هذا الحديث عند جوابنا على شيخنا عبد الله السعد).

الدليل التاسع:

قوله "صلى الله عليه وآله وسلم": (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...) متفق عليه.

كل عاقل وباحث يعرف أن القرن الأول فيهم كفار ومنافقون ومسلمون ظالمون وأصحاب شر، فالخيرية هنا تطلق على مجمل الناس في القرن الأول لوجود النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" والمهاجرين والأنصار، ولا يجوز إنـــزال الحديث على كل فرد من أفراد القرن الأول.

بل إن هذا الحديث من أكبر الأدلة وأوضحها على أن الثناء المجمل ينـــزل على من يستحقه، ولا يدخل فيه من لا يستحقه، بل حتى لو قال النبي "صلى الله عليه وآله وسلم": (خير الناس أصحابي ثم الذين يلونهم) لم يفد هذا إلا الثناء على أخيار الصحابة، وهم المهاجرون والأنصار كما سبق سرد الأدلة في ذلك؛ لأن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أشرف وأكرم من أن تنسب له صحبة أمثال الحكم والوليد وذي الخويصرة!.

وبعض العلماء مثل ابن عبد البر يرى أن أهل بدر والحديبية لا يعدلهم أحد بعدهم، بعكس من بعد الحديبية، فيمكن لبعض التابعين أو غيرهم أن يكونوا أفضل منهم[٢٣٣]. وهذا هو الحق المتفق مع الأدلة التي سبق ذكرها في بداية البحث.

---

[٢٣٢] الحديث سنوسع في الكلام عليه إسناداً ومتناً عند جوابنا على شيخنا عبد الله السعد، في سلسلة (مع المعاصرين- الجزء الأول).

الدليل العاشر:

حديث (لا تسبوا أصحابي...) قد سبق تفسير هذا الحديث، لكن هنا شبهة يرددها من يرى تفضيل من أسلم بعد الحديبية على كل من جاء بعدهم، دون تفريق بين من أحسن السيرة ومن أساء، فيقولون: (فإذا كان سيف الله خالد بن الوليد لا يساوي مد عبد الرحمن بن عوف ولا نصيفه فكيف بمن بعدهما من التابعين)؟

أقول: المسألة الأولى (تفضيل طبقة عبد الرحمن على طبقة خالد) قد جاء النص عليها لكن ما الدليل على صحة المسألة الثانية المستنتجة من الأولى؟ أعني ما الدليل على أن مثل سعيد بن المسيب لن يكون أفضل من خالد بن الوليد؟! أنا لا أجد دليلاً على هذا الاستنتاج فيجوز أن يكون خالد وطبقته أفضل من التابعين أمثال سعيد بن المسيب وعلقمة بن قيس ويجوز أن يكون العكس، لا أجد دليلاً حاسماً في المسألة.

ثم هناك فرق بين عمل عبد الرحمن بن عوف وأمثاله أيام الحاجة إليهم وبين أعمال خالد- على فضلها- أيام الاستغناء عن الناس، فكيف بالفرق بين أعمال عبد الرحمن بن عوف وأمثاله، وأعمال من أسلم خوفاً من السيف ككثير من الطلقاء، فلا ريب أن الفرق واسع جداً، ولكن الغريب أنه مع استدلالنا بهذا الحديث هنا في الفرق الواسع بين عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد، إلا أننا ننساه عند التفريق بين علي ومعاوية!، مع أن علياً أفضل من عبد الرحمن بإجماع أهل السنة، وخالد أفضل من معاوية بإجماع أهل السنة أيضاً، ومع ذلك فعندما يتقاتل علي ومعاوية لا نتذكر هذا الحديث!، وإنما نأتي بقاعدة (كل الصحابة عدول) لنطمس بها هذا الحديث ونحوه، مما يفرق بين السابقين واللاحقين، فكيف بين أول من أسلم والطلقاء، الذين شهد أصحابهم قبل خصومهم إنما كان قتالهم للدنيا[٢٣٤].

---

[٢٣٣] فتح الباري (٧/٧) لأن الأفضلية بالنسبة إلى المجموع لا الأفراد، لكنني أرى أن بعض المؤمنين في العصور المتأخرة قد يكونون أفضل من بعض المهاجرين والأنصار، وأن منع التفاضل إنما هو في تفضيل من بعد الحديبية على من قبلهم أما من لم يدرك ذلك الزمان، ولم يجد له على الحق أعواناً فقد يكون له أجر خمسين من أصحاب الصحبة الشرعية كما ثبت في أحاديث صحيحة كثيرة ترفع الأمل في الأمة على مر العصور ويدل عليه قوله تعالى عن السابقين الأولين (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) وقوله عن أصحاب اليمين (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) وأما قوله تعالى (... أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا..) فيجوز أن يكون خاصاً بالناس في العصر النبوي لا يشمل من بعدهم وهذا عليه أكثر المفسرين، وملت لهذا الرأي بعد جمع للنصوص التي تبدو متعارضة، وهذا الرأي يكون أفضل في الجمع بين هذه النصوص.

[٢٣٤] سيتبع هذا البحث بحوث موسعة عن بعض من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" لكن أُخذتْ عليه مآخذ كبيرة أو صغيرة كالوليد بن عقبة وبسر والحكم وأبي الأعور وحرقوص وأمثالهم، وسيكون هناك أيضاً مباحث عن المختلف فيهم كعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والأشعث بن قيس ونحوهم.

إذن فيمكن أن يكون بعض التابعين أو صالحوهم أفضل من المهاجرين بعد الحديبية كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص، فكيف بمن بعدهم كالطلقاء والعتقاء والأعراب؟ وكيف بمن ورد فيه النص بالذم أو اللعن أو الوعيد بالنار؟ ولو قيل لبعضنا هل تريد أن يبعثك الله مع من لعنه رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" أو حكم عليه بالنار لقال: لا ؟!

إذن فما تقول في الحكم بن أبي العاص الذي لعنه النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ونفاه إلى الطائف، وماذا تقول في أبي الغادية الجهني، وصاحب الشملة، وقزمان، وغيرهم ممن تعرف سيرته بعد البحث في الأحاديث والروايات الصحيحة؟! إذن فأنت ترجو من الله أفضل مما عند بعض أولئك، وعلى هذا فلماذا لا يفضل بعض الصالحين على بعض هؤلاء ممن يطلق عليهم صحابة (صحبة عامة أو لغوية)[٢٣٥].

وقد أشار شراح الحديث للسبب الذي فضل به عبد الرحمن بن عوف وأمثاله على خالد بن الوليد وأمثاله من حصول النصرة والاتفاق (أيام الضرورة وضيق الحال ومزيد الإخلاص والنية وشدة الاحتياج..)، وهذه هي الصحبة الشرعية التي لم ينلها إلا المهاجرون والأنصار، فهم الذين صحبوا النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أيام الحاجة والذلة والضرورة، أما من جاء بعد الاستغناء والسعة والرزق فهذا وإن كانت له صحبة من حيث اللغة، لكنها لا تعدل الصحبة الشرعية بالصفات السابقة.

الدليل الحادي عشر:

حديث (بينما نحن عند رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" جلوس إذ طلع راكبان حتى أتياه، قال فدنا أحدهما ليبايعه فلما أخذ بيده قال: يا رسول الله أرأيت من رآك وآمن بك واتبعك وصدقك ماذا له؟: قال: طوبى له، قال: فمسح يده وانصرف. ثم أتاه الآخر حتى أخذ يده ليبايعه فقال: يا رسول الله أرأيت من آمن بك واتبعك وصدقك ماذا له، قال: طوبى له ثم طوبى له)[٢٣٦].

هذا يدل على تفضيل بعض الأمة على بعض الصحابة فإذا كانت طوبى تدل على دخول كل الصحابة الجنة مؤمنهم وفاسقهم -وهذا لا يقولون به بل هذا الدليل يفسر الآيات والأحاديث في فضل الصحبة

---

[٢٣٥] نعم هناك فرق بين الصالحين في كل زمان وبين هؤلاء ممن لعنهم النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أو دعا عليهم أو وصفهم بالفسق، بمعنى أن الصالحين حتى اليوم أفضل من هؤلاء لا يشك في هذا من رزقه الله شيئاً من العلم أو العقل.

[٢٣٦] مجمع الزوائد (١٥/١٨) وقال إسناده حسن والحافظ في الإصابة (٤/١٢٧).

والصحابة- فهذا ليس بأبلغ من الوعد لعموم المؤمنين بالجنة في نصوص القرآن الكريم، فضلاً عن نصوص السنة النبوية، صحيح أنه من أتبع النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وآمن به وصدقه كان -إن شاء الله في الجنة- ولو لم يره، لكن النـــزاع فيمن لم يحسن الاتباع من هؤلاء أو هؤلاء، فنحن بحاجة لتحديد معنى (الاتباع) ،ثم لينظر بعد ذلك مَنْ مِنَ الناس اتبع وأحسن الإيمان والتصديق ممن كان خلاف ذلك، والغريب أن بعضهم -كابن تيمية سامحه الله- يورد مثل هذه النصوص العامة، ويعد القادح في الصحابة قادحاً في الكتاب والسنة، ويقصد بـــ (الصحابة)[٢٣٧] -غالباً- المتأخرين منهم كمعاوية وعمرو وأمثالهم، بينما يسكت عن طعن النواصب في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولعنهم له، والدليل على ذلك أنه يذم الرافضة ولا يذم النواصب عند إيراد هذه الأحاديث!، وهذا سطو على فضائل السابقين وجعلها في اللاحقين!، ثم لم يكتف بهذا الظلم حتى عد الطعن في اللاحقين أو في أحد منهم علامة الطعن في الكتاب والسنة، بينما طعن معاوية ومروان وبسر وأمثالهم في السابقين كعلي وعمار وعائشة رضي الله عنهم مسكوت عنه ولا يذكر وكأنه لم يكن! مع أن لعن علي كبيرة تهون عندها العظائم لقول النبي "صلى الله عليه وآله وسلم": (من آذى عليا فقد آذاني) وقوله: (من سبّ علياً فقد سبني)[*]، وقد استمر سب علي رضي الله عنه تسعين سنة على سائر منابر بنى أمية[٢٣٨].

---

[٢٣٧] حسب التعريف الشائع.

* يأخذ عليَّ بعض الأخوة الإكثار من الدفاع عن علي بن أبي طالب، وطالبني بالتخفيف من هذا حتى لا أثير حفيظة بعض الناس، الذين سيتخذون هذا ذريعة في الاتهام بالتشيع!

وأقول: صحيح أنني أكثر من الدفاع عن علي بن أبي طالب، ولا أخفي محبتي له، كما لا أخفي محبتي لكل الخلفاء الراشدين، وكل المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان، وما هذا البحث إلا محبة فيهم حتى لا يخلط بهم من لم يبلغ شأنهم وفضلهم. أما علي بن أبي طالب على وجه الخصوص فهو مظلوم عندنا أكثر من غيره وقد كان بعض السلف كعلي بن المديني وقبله سفيان الثوري إذا ذهب إلى البصرة أظهر فضل علي لانحرافهم عن علي وإذا ذهب إلى الكوفة أظهر فضل عثمان لانحراف أهل الكوفة عن عثمان، ففعلي هنا اقتداء بهؤلاء من السلف الذين يفعلون هذا من باب الأمر بالمعروف الغريب والنهي عن المنكر المتفشي وبما أن في كثير منا (أهل السنة) انحرافاً واضحاً عن علي بن أبي طالب بسبب غلو الشيعة فيه، فلذلك لا بد من الإكثار من الدفاع عنه لانتشار النصب بين كثير من طلبة العلم عندنا، فمثلما قام الروافض بظلم أبي بكر وعمر وعثمان فعندنا ظلم- وإن كان أقل- لعلي بن أبي طالب ومن أكبر دلالات ظلمنا له أننا نعد المدافع عنه متشيعاً مذموماً بينما نعتبر المدافع عن معاوية سنياً سلفياً! وليس بعد وضوح هذا الظلم من وضوح، وهو أن يصبح الدفاع عن علي علامة للتشيع والبدعة بينما الدفاع عن معاوية والوليد علامة عندنا على السلامة من البدعة! فكيف غزانا فكر النواصب الشاميين حتى أصبحنا نردده بلا شعور! وأصبحنا نستريب من محب الإمام علي والمدافع عنه بينما نميل للمدافع عن الطلقاء، بل أصبحنا نميل للمدافع عن يزيد والحجاج أكثر من ميلنا للمدافع عن علي بن أبي طالب، كل هذا خوفاً من أن يتهمنا أحد بالتشيع! ونحن لا نخشى أن يتهمنا أحد بالنصب لأنه لا يوجد من يتهم هذا الاتهام؛ لأننا نـــزعم أن النواصب قد انقرضوا في الماضي! وعلى هذا فمن ظلم علياً أو انحرف عنه فليس له تهمة في قواميسنا!.

[٢٣٨] سب بنى أمية لعلي من عهد معاوية ثابت في الصحيحين فكيف بغيرهما، ولذلك يجب إنكار هذا إنكارا عظيما مثلما أنكر أقل منه رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" عندما فعله مرة واحدة خالد بن الوليد رضى الله عنه.

هذه الأحاديث —تقريباً– كل الأدلة التي يستدل بها من يرى عدالة كل أفراد الصحابة، ولا خلاف فيها و لم ينازع فيها إلا غلاة الشيعة والنواصب والخوارج، لكن تلك النصوص تحتاج إلى فهم، حتى لا تصرف عن معانيها، وتنـــزل على غير مستحقيها، وكل كلامنا فيما سبق يدور حول هذا فقط[٢٣٩].

---

[٢٣٩] وقد سرد هذه الأدلة الدكتور ناصر الشيخ في المجلد الأول من كتابه (عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام)، في الصفحات،٥٥-٩٥). وهذا الكتاب نقلت منه أكثر هذه الأدلة؛ لأنه من أكثر الكتب حشداً للنصوص والآثار الدالة على فضيلة الصحابة من حيث الجملة،

ومن الآثار:

أما أدلتهم من الآثار في عدالة الصحابة وفضلهم، فلا تنـــزل إلا على المهاجرين والأنصار، وقد وردت آثار كثيرة ينـــزلها بعض الناس في غير مستحقيها، ومن تلك الآثار:

١. أثر ابن عباس القائل: (إن الله خص نبيه محمداً "صلى الله عليه وآله وسلم" بصحابة آثروه على الأنفس والأموال وبذلوا دونه في كل حال...) –ثم تلا الآية "رحماء بينهم..."– قاموا بمعالم الدين، وناصحوا الاجتهاد للمسلمين، حتى تهذبت أسبابه، وظهرت آلاء الله، واستقر دينه، ووضحت أعلامه، وأذل بهم الشرك...) الخ الأثر، فهذا الأثر[٢٤٠] –إن صحَّ– لا يصح إنـــزاله إلا على المهاجرين والأنصار، بل هذا دليل على ذلك؛ لأن ابن عباس ذكر صفاتهم، ولا تنطبق تلك الصفات على الطلقاء والعتقاء والأعراب والمنافقين.

٢. أثر علي: (لقد رأيت أثراً من أصحاب رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" فما أرى أحداً يشبههم...)[٢٤١] ومن خلال قراءة الأثر –إن صحَّ– نعلم أن علياً لا ينـــزله على مثل معاوية، وإنما ينـــزل ذلك على المهاجرين والأنصار.

٣. أثر عبد الله بن عمر[٢٤٢]: (من كان مستناً فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" كانوا خير هذه الأمة أبرها قلوباً وأعمقها علماً وأمثلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه "صلى الله عليه وآله وسلم" ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فهم أصحاب محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" وكانوا على الهدى المستقيم)[٢٤٣]، والأثر منقول عن ابن مسعود أيضاً ولا يظن بابن عمر ولا ابن مسعود– إن صح الأثر– أنهما ينصحان بالتسنن بمثل الوليد بن عقبة أو بمعاوية أو بسر بن أبي أرطأة،

---

[٢٤٠] أورده الدكتور الشيخ في كتابه (٩٦/١)،

[٢٤١] أورده أبو نعيم الأصبهاني في الحلية (٧٦/١)، وأورده الدكتور الشيخ في كتابه (٩٧/١).

[٢٤٢] أورده الدكتور ناصر الشيخ في كتابه (٩٨/١).

[٢٤٣] حلية الأولياء (٣٥٥/١).

فقد كان ابن مسعود وابن عمر يذمان بعض هؤلاء وينكران مظالمهم، وإنما المراد التشبه بأصحاب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" من المهاجرين والأنصار.

٤. أثر ابن مسعود[٢٤٤] (إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه... ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه..)، إن صح هذا الأثر فإنه يدل على أن هؤلاء المصطفين هم المسلمون الأوائل فإنك تلحظ أن وزراء النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" الذين قاتلوا على دينه هم المهاجرون والأنصار، وليسوا من حارب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وحارب السابقين إلى آخر لحظة، وعلى هذا فالحديث حجة لنا لا علينا، وقد تقدم في الآثار.

٥. قول عائذ بن عمرو الأنصاري[٢٤٥]: (وهل كانت لهم- أي أصحاب رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"- نخالة إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم)، وكان عبيد الله بن زياد قد قال له: (إنما أنت من نخالة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم)[٢٤٦]، هذا كأنه تلميح وتعريض من عائذ بن عمرو بأن أصحاب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" هم المهاجرون والأنصار وأن النخالة أتت فيمن بعدهم من الطلقاء وغيرهم؛ لأن عائذ بن عمرو من كبار الصحابة، ومن أصحاب بيعة الرضوان، بعكس زياد (والد عبيد الله) الذي قيل إن له رؤية، وفيه ما فيه من الظلم وتبديل حدود الله، والصحابي عائذ بن عمرو كأنه يلمح ويعرض بزياد هذا ويلمح بمعاوية أيضاً، لكون ابن زياد من ولاته وولاة ابنه يزيد، وكذا والده زياد كان من ولاة معاوية.

٦. آثار محمد بن كعب القرظي والحسن البصري وقتادة وأيوب السختياني والأوزاعي وسعيد بن المسيب[٢٤٧]، وهذه مثل سابقتها لا تخلو من أحد أمرين، أن يريد بها أصحابها المهاجرين والأنصار، وهذا هو حسن الظن بعلمهم، وقد نقل عن سعيد بن المسيب تعريف للصحابة غير التعريف المشهور عندنا[٢٤٨]، وكان قتادة ممن يقول إن المراد بـــ (الفاسق) في قوله تعالى: ﴿..إن جاءكم فاسق﴾ الوليد بن عقبة، أو أن

---

[٢٤٤] رواه الإمام أحمد في المسند (٣٧٩/١).

[٢٤٥] عائذ بن عمرو الأنصاري صحابي من الأنصار من سابقيهم ولو لم يكن من كبار الأنصار لما عرض بآخرين.

[٢٤٦] صحيح مسلم (١٤٦١/٣).

[٢٤٧] وهذه الآثار أوردها الدكتور ناصر الشيخ (١/ ١٠٠- ١٠٢).

[٢٤٨] روي عنه أنه يشترط في الصحابي أن يغزو مع النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" غزوة أو غزوتين أو يصحبه سنة أو سنتين.

يريد بها أصحابها غير المهاجرين والأنصار فقولهم مردود بالأدلة التي سقناها في بداية البحث، وقد استغل النواصب والمغفلون من الصالحين النصوص المتقدمة المثنية على صحبة المهاجرين والأنصار فأنـــزلوها في الطلقاء وأمثالهم.

وقد يقال: ما الذي أدراك أن هؤلاء قد أنـــزلوها على من لا يستحقها فلعل مراد السابقين بـــ (الصحابة) هو مراد النواصب؟

أقول: قد سبق للنواصب والمغفلين من الصالحين ومن اغتر بهم أن أنـــزلوا الآيات الصريحة (في فضل المهاجرين والأنصار) في سائر من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، فلا يستغرب أن ينـــزلوا أقوال الصحابة والتابعين في مدح الصحبة على غير ما أراد أصحابها منها[٢٤٩].

---

[٢٤٩] (راجع مبحث الأدلة القرآنية والأدلة الأولى للمعترضين فقد سبق الكلام عنها).

سادساً: ما الجدوى من البحث؟

يظن البعض أنه لا جدوى من هذه البحوث وأنها تزيد الأمة تفريقاً واختلافاً، وأنها تضعف موقفنا أمام الفرق الأخرى، وأن الفائدة العلمية المترتبة عليها قليلة إن لم تكن معدومة.

وللجواب على هذه الآراء أقول:

أولاً: ليس هناك حقيقة ليس لها فائدة.

ثانياً: إن التعصب للظلم والجهل والمدافعة عن الظلمة والفسقة بدعوى صحبة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" هو الذي أوقع الأمة في هذا الاختلاف الشديد.

نعم لقد اختلفنا كثيراً يوم تناقضنا في معرفة أهل القدوة والتأسي نختلف أكثر عندما ندعي اتباع نصوص الكتاب والسنة، بينما إن دعانا الآخرون للكتاب والسنة دعوناهم لقول فلان وفهم فلان.

واختلفنا يوم أصبح عندنا معاوية مجتهداً كعلي وعمار وأبي بكر وعمر! فساوينا بين من لم يجتهد أصلاً بهؤلاء السابقين، اختلفنا عندما قلنا إن الوليد بن عقبة (عَدْل مَرْضي) والله يقول عنه (فاسق)!

اختلفنا عندما نعد سابَّ أبي بكر وعمر كافراً ليس له توبة، بينما سابّ علي عددناه مأجوراً أجراً واحداً فقط!

اختلفنا عندما تركنا علياً وأهل بيته عليهم السلام[٢٥٠] لغلاة الشيعة ليدافعوا عنهم، وتشبثنا بظلمة الطلقاء والأعراب، وأصبحنا نراهم قريبين في الفضل والعدالة والمرتبة من السابقين، اختلفنا عندما ندعي طلب الحق، فإذا عرض لنا الآخرون هذا الحق صددنا عنه، وهم يصدون عن الحق الذي نقول به أيضاً، فالتظالم مشترك إلا عند من رحم ربك.

الظلم والجهل والهوى هي أساسيات كل اختلاف بين المسلمين، فإذا كان عندنا استعداد لطلب العلم وطلب الحق وطلب العدل وطلب الإنصاف فلنثق تماماً أن الاتفاق سيكون الغالب على الأمة الإسلامية.

---

[٢٥٠] صيغة (علي عليه السلام، فاطمة عليها السلام،...) ونحو ذلك لا شيء فيه وهو مأخوذ من قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد"، وقد استخدم هذه الصيغة بعض أهل الحديث كالبخاري في مواضع كثيرة من صحيحه (أحصيناها فبلغت نحو ٣٥ موضعاً)، وهذا مثل أخذنا لفظة (رضي الله عنه) من قوله تعالى: (رضي الله عنهم ورضوا عنه)، فبعض غلاة السنة يخطئ عندما يظن صيغة (عليه السلام) خاصة بالشيعة!! فهذا من نصب السنة للأسف.

نحن نعادي الآخرين لقولهم بتبديع ابن تيمية، بينما ندافع عن أصحابنا الذين يرون تكفير أبي حنيفة فضلاً عن تكفير سائر الطوائف من الشيعة والمعتزلة والصوفية والأشاعرة وغيرهم من أهل القبلة.

الفرقة الوحيدة التي لم نكفرها ولا نذمها هي فرقة النواصب! وبنصف الذكاء يستطيع الفرد معرفة السبب.

وأقول: أيضاً هذه البحوث تزيدنا قرباً من الحق، فعندما نتبرأ من فسق الوليد، وبغي معاوية، وجريمة أبي الغادية، ونفاق الحكم، وضرر مروان، ونحو هذا؛ نكون قد أدّينا أغلب ما يجب علينا من الإنصاف التاريخي وستكون لنا كلمتنا المسموعة في الدفاع عمن يستحق الدفاع كالمهاجرين والأنصار.

أما الدفاع عن أمثال هؤلاء ممن سبق ذكرهم، فهو يضعف موقفنا؛ لأننا نكون قد خلطنا بين الدفاع عن الحق –كدفاعنا عن الخلفاء الثلاثة– ودفاعنا عن الباطل كدفاعنا عن معاوية، وبسر، وهذا الخلط لا بد أن يسبب لنا الضعف[٢٥١] لأنه إن جعلنا الجميع في مرتبة واحدة من العدالة استطاع المخالف أن يسقط هذا الدفاع غير العلمي مثال واحد كالوليد بن عقبة.

أما إذا فصلنا في الموضوع فنستطيع أن نبقى أقوياء بالحق والعدل والصدق.

أما كون هذه الأبحاث لا فائدة فيها فهذا غير صحيح؛ لأن معرفة حقائق التاريخ الإسلامي ووضع كل شيء في موضعه اللائق به أمر مطلوبٌ شرعاً وعقلاً، ونستطيع بهذا أن نستفيد من التاريخ ونتلمس أسباب ضعف المسلمين وبدايات الانحراف التي تراكمت حتى أوصلتنا إلى ما نحن فيه اليوم من (ضعف علمي وتحليلي) على كافة المستويات العلمية وهذا لا يخفى على البليد فضلاً عن العاقل المدرك.

خاتمة البحث

[٢٥١] ولذلك نجد تحولات من السنة إلى الشيعة لم يكن لها مبرر لولا وجود مثل هذا الخلل، كما أن التحولات الشيعية للسنة نتيجة الغلو في المذهب الشيعي أيضاً.

هذا البحث بين أيديكم فهو وإن قدم وجهة نظر مبنية على النصوص الشرعية والواقع التاريخي إلا أننا نتوقع أن القصور سيصاحبه سواءً في استعراض الأدلة الشرعية أو في استيفاء أدلة الأصوليين أو أدلة المحدّثين أو أقوال علماء المذهبين وغيرهم، أو مباحث العدالة والطبقات وغير ذلك إضافة إلى ما لا يمكن التحرز منه من الأخطاء الطباعية ونحوها.

وسنحاول أن نتوسع في البحث مستقبلاً ونستفيد من ملحوظات القراء والباحثين، ونرجو ألاَّ يبخلوا بأية فكرة أو رأي سواءً كان مؤيداً أو معارضاً فشكري لصاحب هذه الفكرة أو تلك سيان، وأجرهما –إن شاء الله واحد–.

ثم أقول للأخوة: لا تخشوا من أحد يرتضي الكتاب والسنة حكماً أو يحاول ذلك ما أمكنه إليه ذلك سبيلاً، والتقصير في التطبيق أمر طبيعي لم يسلم منه كبار الحفاظ فضلاً عن غيرهم.

ثم أقول ثانياً: إنني سأتبع هذا البحث بما يلي:

إعادة تصنيف مَنْ تُرجم لهم في كتب الصحابة إلى ما يلي:

١. الصحابة من المهاجرين والأنصار ومن في حكمهم وأسميته "معجم الصحابة" ليكون تطبيقاً للنظرية.

٢. المتوقف في ثبوت صحبتهم (سواءً المختلف في صحبتهم أو المتوقف فيها أو المختلف في حسن صحبتهم).

٣. التابعون (بإحسان أو بغير إحسان أو المتوقف في حسن اتباعهم).

كل هذه الأصناف مترجم لهم في كتب الصحابة، ولا يدخل فيها التابعون بالتعريف الشائع كسعيد بن المسيب وغيره، فهؤلاء ليسوا صحابة باتفاق الأصوليين وأهل الحديث.

وهذا العمل سيتبين به (من هو الصحابي صحبة شرعية) ومن ألحق بهم من غيرهم حتى لا يخلط الناس بين المهاجرين والأنصار (الصحابة) وأمثال بسر بن أبي أرطأة والوليد بن عقبة.

وهذا التصنيف الذي أنوي القيام به لم يسبقني إليه أحد من قبل فيما أعلم والحمد لله فهو جديد في بابه وموضوعه، مع ما فيه من متعة البحث والقيام بحق المهاجرين والأنصار الذين ظلمهم غلاة الشيعة بذمهم وظلمهم غلاة السنة لما خلطوا معهم التابعين بغير إحسان، ومن أساء السيرة فوجب بذلك –عند مغفلي

الصالحين من السنة- محبة العدل والظلم، الصلاح والفسق، فصارت القلوب تجمع هذا الحب المتناقض إكراهاً للنفس حتى تبقى عقيدتها سليمة!

هكذا حاول العلماء المتأخرون أن يفهمونا المسألة! معرضين عن نصوص الكتاب والسنة في الولاء والبراء، في محبة أهل العدل والصلاح وبغض أهل الظلم والفساد، أو على الأقل معرفة الشر وأهل الشر حتى لا يتخذ قدوة[٢٥٢].

أسأل الله عز وجل أن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن يبصرنا بالحق ويعيننا على اتباعه ويبصرنا بالباطل ويعيننا على اجتنابه.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه من المهاجرين والأنصار وعلى من اتبعهم بإحسان.

خاتمة الخاتمات:

هذه الطبعة الثانية ما خرجت من عندي حتى مللتها، فأنا في البحث لست ككثير من الناس، أعني أن عندي عيوباً بحثية، تكمن في التنقل من بحث إلى بحث والتدقيق في بعض القضايا التي تجرني إلى موضوعات أخرى ناسياً البحث الأصلي، فأعود إليه وقد نسيت بعض معالمه، فأعود قارئاً له ومصححاً ومضيفاً ما توافر من معلومات .. وهكذا .. ولذلك قد يجد القاريء في هذا الكتاب شيء من التناقض، وهذا ممكن فليصلحه بنفسه، ونحن في زمن لا إملاء فيه من أحد على أحد، وإنما نحرض بهذه الأبحاث عقولنا على التفكر والنظر الجديد، واختبار المعلومات القديمة .. وهكذا ..فلا أريد ممن يقرأ هذا الكتاب أو غريه أن يتعصب لفكرة ما، كلا.. فليأخذ منه ما رآه متفقاً مع الحق، وليترك سائره، لأني أنا شخصياً قد أترك بعض ما قلته اليوم إذا اكتشفت غداً ما ينقضه، ونحن لا نريد أن نكرر تجارب العلماء من قبلنا، فلا نبحث عن إنشاء مذهب جديد — كما يشيع البعض-! وإنما نريد من الشباب المقبلين على العلم أن ينطلقوا بلا قيود، للنهل من العلم والمعرفة دون التقيد إلا بضوابط المعلومة الصحيحة..

---

[٢٥٢] ولا يجوز أن تهمل ما فعله غلاة الشيعة أيضاً من تعميم الذم على المهاجرين والأنصار إلا أفراداً، وهذا ظلم فوق ظلم غلاة السنة لعلي بن أبي طالب وأهل البيت، ولكن بما أني سني المدرسة فأنا أحاول تشجيع النقد الذاتي، دون إطلاق الصواريخ العابرة للمذاهب، فهذا لا يجدي نفعاً ولا يزيد المسلمين إلا تفرقاً، وفي الشيعة مجددون كما أن في السنة مجددين، فلنشجع التجديد الداخلي ونقلل من التناحر الخارجي، من باب الشهادة لله ولو على النفس والأقربين.

انظروا الغرب .. ليس عندهم – في الغالب- مذاهب، وإنما معلومات يدورون معها حيث تدور، فلذلك أنتجوا، ولا يستهينن أحد بالمعلومات النظرية فهي مقدمة للفعل والتطبيق.. هذا منطق آرسطو قبل الميلاد بقي نظرياً إلى القرن السابع عشر تقريباً ثم تفجر في منهج تجريبي وصلت به أوروبا والعالم إلى ما وصلوا إليه..

لأن العقل إن اعتاد التمرد العلمي على المذاهب وسائد الأفكار، انتقل منها إلى واد رحب روحياً وعقلياً ..

وفق الله الجميع..

وسيتبع هذا الكتاب عدة ملاحق مبعثرة في بعض الأمور التي قد تفيد في توضيح مشتبه أو استكمال معلومة أو تثبيت فكرة ..

الملحق (١):

مجموعة من الآيات في وصف مجتمع الصحابة وأحوالهم:

١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨) [البقرة]﴾، وهذه الآية كانت في أول العهد المدني على الراجح، وقد اضطرب المفسرون فيها تأثراً منهم بالنظرية السياسية القائمة على الجهاد والتوسع فيما بعد، فبعضهم جعلها في أهل الكتاب! مع أن الخطاب للذين آمنوا، وهؤلاء لا يعترفون بأن أهل الكتاب من الذين آمنوا، وبعضهم جعل السلم بمعنى (الإسلام)! مع أن الخطاب للذين آمنوا، والإيمان عندهم أخص من الإسلام، إلا أن هذا التفسير أرجح، وهو أن يدخل المؤمنون في شرائع الإسلام كافة فهذا يعني أن (الذين آمنوا) وهم الصحابة كانوا ينتقون من شرائع الإسلام ما يقارب نفسياتهم ومصالحهم وأن هذا الانتقاء كان خطوة من خطوات الشيطان التي أوصلهم إليها ليعتادوا ألا يطبقوا من شرائع الإسلام إلا ما لم يؤثر على مصالحهم ونفسياتهم، وأنهم إن قبلوا هذه الخطوة من الشيطان فسيدفعهم لتشكيل الدين وفق مصالحهم، ويصبح الدين تابعاً لا متبوعاً، والدين لا يقوم به إلا من يحيط به من جميع جوانبه، ويخضع لأوامره ونواهيه، فيما يحب ويكره، فهذا هو الدين، وهذا هو الإسلام، وهو السلم القاطع لكل بقايا العصبية والجاهلية التي تضاد السلم وتجلب التنازع والفشل، والله أعلم.

٢ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤) [البقرة]، هذا تهديد لمن قد يبخل من الصحابة، وفيهم البخيل والكريم، كأي مجتمع من المجتمعات.

٣ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) [البقرة] هذه الآية تشير إلى أن في الصحابة من يمن بإنفاقه وصدقاته وأن هذا من مبطلات الثواب.

٤ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآَخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧) الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨) يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩) [البقرة] وهذه الآية تشير إلى أن بعض الصحابة كانوا يفعلون هذه الأشياء خشية من الفقر، وأن هذا كان بوسوسة من الشيطان، والتاجر فاجر إن لم يتفقه.

٥ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) [البقرة] وهذه الآية تشير إلى أن بعض الصحابة كانوا متمسكين بالربا بقوة رغم الأوامر الإلهية حتى أن الله هددهم بالحرب.

٦ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) [آل عمران] وهذه الآية تحذر الصحابة من طاعة بعض أهل الكتاب (ومنهم يهود الحجاز) الذين استمروا في علاقات متميزة مع أبي سفيان وحزبه حتى بعد فتح مكة وأنشئوا مسجد الضرار وكان لهم دور في تشكيك بعض الصحابة في النبوة، وكثير من التحريفات التي ألحقها أهل الكتاب بالتوراة والإنجيل كانت في عهد النبوة وبعدها تضامناً مع قريش والروم، والردة هنا قد لا تكون علنية.

٧ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) [آل عمران] هذه الآية في فضل الله على ذلك المجتمع الصحابي، وهي في فضلهم أيضاً، وهي ىية في تذكيرهم بواجب التمسك بهذه النعمة، وأن يتركوا العصبية، وهي آية عامة لكن لا يجوز تعميمها على كل فرد، ولا الاستدلال بها على أن الله أنقذ كل ذلك المجتمع من النار ، وإن كانت الآية عامة، لأنه يخصصها آيات أخرى في المسيئين من منافقين وغيرهم، ولكن يمكن أن يقال أن الآية تدل على أن الرضا عن الأكثرية كان قد تحقق قبل نزول الآية إلى وقت نزولها، وأن بوادر العصبية قد ظهرت من أيام أحد، فلذلك كان تذكيرهم بهذه النعمة، والآية تدل على أن الصحابة في وقت ما كان يغلب عليهم التآخي وأن العصبية لم تظهر بعد، ثم ظهرت من بعض الصحابة العصبية في وقت متأخر من عهد النبوة — وخاصة أيام نزول سورة محمد وبراءة وغيرها من السور التي نزلت في السنوات اللاحقة- ثم كان من نتائج هذه العصبية ما حصل يوم السقيفة بعد وفاة النبي (ص) من افتراق قبلي مشهور بين المهاجرين والأنصار، أدى إلى تغلب قريش وعزل الأنصار عن الحياة السياسية، وهذا يدل على أن بعض الصحابة فرّط في هذه النعمة التي أمر الله الصحابة بأن يتذكروها، و لم يحدث الافتراق بين قريش والأنصار فقط، وإنما حصل انشقاق داخل قريش وداخل الأنصار أيضاً، فكان معظم قريش في ناحية ومعهم عسكرياً أكثر الأوس، وكان بنو هاشم في ناحية ومعهم (عاطفياً) أغلب الخزرج، والأكثر من هذا أن العصبية القبلية دفعت أغلب قريش لتأويل حديث الولاية يوم غدير خم، واستجابت الأقلية من صالحي قريش لضغط الأغلبية من قريش من الطلقاء وحلفائهم الجاهليين، والعصبية من أكبر مفسدات القلوب والعقول والشعوب والثقافة، وهي فرع من فروع الكبر تلك المعصية الأولى، وللعصبية فروع من الحسد وبطر الحق وغمط الناس.. الخ.

٨ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) [آل عمران]، هذه الآية تدل على

بدايات ألفة بين بعض المؤمنين وآخرين من المنافقين أو اليهود أو هما معاً، وأن المؤمنين من الصحابة كانوا يحبونهم، أي يحبون المنافقين واليهود، وأن هؤلاء الصحابة الذين أحبوا المنافقين لم يوظفوا نعمة العقل كما هو واضح في الآيات، فهل يستمر هذا الحب من بعض الصحابة لهؤلاء المنافقين أم ينتهي؟ وإذا انتهى في بعض المنافقين واليهود فهل ينتقل إلى منافقين آخرين ويهود آخرين؟ ثم من هم هؤلاء الصحابة الذين وردت الروايات بصداقتهم لليهود أو المنافقين أو التأثر بهم أو الأخذ عنهم؟..الخ، هذه الأسئلة يجب أن يسألها الباحث ويبحث دون مبالغة في أي علاقة بين أي صحابي وأي يهودي، فقد تكون العلاقة إنسانية ليس فيها أخذ عنه ولا تأثر به، وكذلك قد تكون علاقة الصحابي بمنافق لأجل قرابة أو غيرها، فلا يجوز خلط الأمور في تهمة كل من له علاقة ما مع يهودي أو منافق، كما لا يجوز الإغماض عن هذا الأمر بعد أن نبه الله عليه وحذر منه.

٩ -(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) [آل عمران] وهذه الآية تدل على أن بعض الصحابة كان يتعامل بالربا وقد كرر الله التحذير في آخر النبوة مما يدل على أن بعض الصحابة تمسك بالربا، فهل سينتهي هؤلاء بعد التحذير الثاني والتهديد بحرب من الله ورسوله أم لا؟ وهل الحرب هذه - المذكورة في الآيات الأخرى – هي حرب مادية أم حرب معنوية بوضع الأكنة على القلوب والصرف عن الهداية؟ الله أعلم.

١٠ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (١٥١) وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآَخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا

يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) [آل عمران] هذه الآيات سبق بعضها، ولا تحتاج إلى كثير تعليق، لا سيما بعد قوله تعالى (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) فهذا هو العنوان غير الصريح لكتابنا هذا، وهو ما ندندن حوله ليفهمه الناس ويبنوا عليه فهم الدين والتاريخ، وأن إهمال هذه الحقيقة قد جلب لنا الخلط في المعايير وإدخال فيها ما ليس منها، وإذا دخل في المعايير ما ليس منها أفسدها واستولى عليها، علماً بأن زمن نزول هذه الآيات كان مبكراً والجميع من أصحاب الصحبة الشرعية (يوم أحد) وهو وقت مبكر قبل الطلقاء وأمثالهم، ومع ذلك فقد كان فيهم من يريد الدنيا، وفيهم من يعتب على الله أن جعل الأمر كله بيد النبي (ص)! ومنهم من يخفون في أنفسهم ما لا يبدون للنبي (ص) وهذا شيء من النفاق الخفي، وفيهم من هرب وهو يسمع النبي (ص) مستنجداً به! وهذا مشهد مخيف ينبيء عن ضعف إيماني كبير في هؤلاء، ويدل على أن الهاربين – وهم الكثرة يومئذ- لم يكونوا يحبون النبي (ص) كمحبة أبنائهم وآبائهم كما يشيع الغلاة، فالرجل منا اليوم لو سمع ابنه يستنجد به لنصره وهو كان في نصره هلاكه، ويزيدنا المشهد دهشة إذا عرفنا أن هؤلاء الهاربين (الكثرة) كانت لهم عقائد فاسدة غير الهروب، هذا المشهد المخيف يعبر عن واقع كشفه القرآن الكريم وهو أصدق المصادر، ولو أن القرآن الكريم لم يعرض هذا المشهد لما صدّق أحد وقوعه في ذلك الوقت وفي تلك الظروف ومن هؤلاء الصحابة، ولا يقولنّ أحد أن الهاربين كانوا من المنافقين، فهؤلاء المنافقون (أصحاب عبد الله بن أبي) كانوا قد اعتزلوا و لم يخرجوا إلى أحد أصلاً، ثم في الروايات التفصيلية لتلك الغزوة إجماع على أن بعض الكبار كانوا في الهاربين، والفائدة اليوم أن نحاول أن نتصور نفسيات هؤلاء الهاربين والصاعدين كيف كانت؟ ألم يعرفوا أنهم خلّفوا رسول الله (ص) بين سيوف المشركين ورماحهم؟ هل شكّوا في النبوة؟ هل كانوا على يقين تام؟ هل وهل..الخ، تصور أنك أنت – أيها القاريء- كنت من هؤلاء الهاربين؛ كيف كان تفكيرك وأنت تهرب وتترك النبي (ص) يلاقي المجهول؟ هل

تؤمن به نبياً حقاً؟ أم أنك تحتمل النبوة فقط، تخيل المشهد وكأنك داخله لا خارجه! المشهد يدل على أن الشك في النبوة حصل من بعضهم على الأقل وأن هذا الاحتمال يقوى مع الانتصار ويضعف مع الهزيمة، وقد ينعدم في أوقات ثم يعود، والله هو المطلع على النيات، وقد كشف الله بعض ذلك في قولهم (لو كان لنا من الأمر شيء)! وما روي من أن بعضهم أراد أن يبعث إلى أبي سفيان يطلب الأمان والصلح، وبعضهم أراد العودة إلى دين الآباء، وقد جاءت اعتذارات محل نظر وفيها أثر سياسي، مثل كون هذه الآيات إنما نزلت في الرماة، أو أن السبب الوحيد أهم ظنوا أن النبي (ص) قد قتل- مع أن الآيات تصرح بأهم كانوا يسمعون النبي (ص) وهو يناديهم وهم هاربين- وغير ذلك من الاعتذارات التي لا تتفق مع سياق الآيات.

١١ - ثم قال في السياق نفسه: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٩) [آل عمران] / هذه الآية مهمة، فهي تثبت أن الداخلين تحت مسمى (المؤمنين) يدخل فيهم الخبيث والطيب، فالمسمى الواحد كمسمى (المؤمنين) هو مسمى للمجتمع أو الدولة، وليس بالضرورة أن ينزل هذا الوصف أو هذا الاسم على كل المنتسبين لهذا المجتمع أو المنضوين تحت كنف هذه الدولة.

١٢ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا (٣١) [النساء/٢٩] وهذا الأكل بالباطل يحتاج لبحث، لمعرفة مَن مِن الصحابة كان يأكل الأموال بالباطل، ولماذا؟ وفي الآية أيضاً حكم على من قتل منهم مؤمناً عدواناً وظلماً فإنه سيصلى النار، وهذه الأخيرة فعلها الصحابة بأنفسهم، فالباغي منهم تحت هذا الوعيد، وأظن أن معاوية أكثر الصحابة قتلاً للصحابة بغياً وعدواناً، وقد قتل من أهل بدر ما يقرب من ثلاثين صحابياً، وهو رقم كبير فمن يجادل الله عنه يوم القيامة؟ يا ترى هل سيأتي غلاة السلفية يومئذ بمنهاج السنة وكتاب ابن أبي يعلى وكتب محب الدين الخطيب في فضائل معاوية؟ كلا.. فـــــ (انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ].

١٣ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا (٧١) وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧٣) [النساء]، الآية واضحة في أن بعض الصحابة كان من المخذلين للمخلصين من الصحابة، وهؤلاء المبطئون، إما أن يكونوا من المنافقين الخُلّص وإما من المؤمنين الذين لحقهم بعض النفاق، والآية تبدأ بـــــ (الذين آمنوا)، ثم يقول (منكم) أي من الصحابة، فالصحابة بالمعنى الواسع يدخل فيهم يشمل الصادقين والمنافقين وما بينهما، فالخطاب يشملهم جميعاً، وهذا ما أشار إليه الطبري بقوله (تفسير الطبري - (ج ٨ / ص ٥٣٨): (وهذا نعت من الله تعالى ذكره للمنافقين، نعتهم لنبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ووصفهم بصفتهم فقال:"وإن منكم"، أيها المؤمنون، يعني: من عِدَادكم وقومكم، ومن يتشبَّه بكم، ويظهر أنه من أهل دعوتكم ومِلَّتكم، وهو منافق.. الخ) اهـــ ولست مع هذا الفصل السلفي الواضح بين المؤمن والمنافق، هناك كل طبقات الطيف، بل هناك أحوال في الصحابي الواحد، فالإيمان يزيد وينقص، وقد ينعدم ثم يعود كما في قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آَمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا ...[النساء/١٣٧]) فالرجل من هؤلاء آمن ثم كفر ثم آمن..الخ وكذلك قوله تعالى (وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ [المائدة/٧١]) فهؤلاء في ساعة الإيمان كانوا صحابة مؤمنين ثم كفروا، وهذا طبيعي إلا أن غلاة السلفية أوهموا أتباعهم بأن الصحابي إذا آمن فلا احتمال لنفاقه ولا كفره ويريدون بهذا الجهل حماية معاوية فقط، لأنه الوحيد من الصحابة تقريباً الذي فيه خلاف سني سني، فقسم من أهل السنة يرون كفره أو نفاقه وقسم آخر (وهم النواصب المتسترون تحت اسم السنة) يحاولون حمايته بمثل هذه النظريات الجامدة رغم معاندتها للواقع والنصوص، فالواقع يشهد والنصوص القرآنية تشهد بأن الصحابي من السابقين فضلاً عن الطلقاء قد يكفر بعد إسلام وإيمان وإخلاص، والوقائع التاريخية محل إجماع كردة عبيد الله بن جحش وهو من السابقين إلى الإسلام ومن مهاجرة الحبشة ومع ذلك ارتد، فكيف لا نعقل بردة أو نفاق من لم يؤمن أصلاً، لم يكن هذا ليحدث لولا أن ذلك المنافق حكم الدولة الإسلامية وأوصل صوته عبر أدمغة الحمقى وأصحاب المصالح، ولو أن إبليس وأسرته حكموا الدولة الإسلامية كما حكمها معاوية لوصلتنا صورة أخرى عن إبليس؛ بأنه أول الموحدين، الذي رفض أن يسجد لغير الله، وأن الآيات التي

وردت فيه لا تتناوله فهو يشهد الشهادتين وربه رب غفور، لن يعذبه بسبب معصية واحدة لم يكن قصده فيها إلا إخلاص العبادة لله! وهكذا .. فهذا الصوت إن تم إعلانه على كل منبر، ووجدوا له رواة كمظفر بن مرجيء فسيعبر قلوب المؤمنين وعقولهم بسهولة، وتبقى الآيات في حق إبليس معطلة أو يراد بها إبليس آخر! كما اخترع لهم سيف بن عمر (معاوية آخر)! في حديث أبي برزة، وكما اخترع الشيخ محمد بن عبد الوهاب (مختار آخر) في المختار بن أبي عبيد الذي ذكروا له أن ابن عمر كان يصلي خلفه ويقبل جوائزه، ومثلما اخترع شيخنا عبد العزيز العسكر (مروان آخر) في حديث سهل بن سعد الذي في صحيح مسلم، وهكذا.. فإذا عزمت السياسة بمذهبها على شيء مشى بسهولة! وعلى هذا فما المانع عندهم من وجود (إبليس آخر) يكون المقصود! هذا إن حكم إبليس تسعين سنة في وقت مبكر وقبل التدوين.

١٤ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤) [النساء] في هذه الآية بيان أن بعض الصحابة كانوا يخالفون الشرع ويحكمون على الآخرين بالكفر ليقتلوهم ويأخذون أموالهم، وهذه الطبيعة البشرية أدانتها النصوص في كثير من الحالات، وقصة أسامة بن زيد مشهورة في هذا الباب على فضله وقربه.

١٥ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١٣٦) إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آَمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (١٣٧) بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩) [النساء] هذه الآيات من أعظم الأدلة على بطلان نظرية (عدالة الطلقاء)، وإنما قلت عدالة الطلقاء لأن غلاة السلفية لم ينشئوا هذه النظرية التي أسموها (عدالة الصحابة) إلا لأجل الطلقاء، وبقية الصحابة تبع وليس العكس، وإلا فهم يتهمون بعض أهل بدر بالنفاق كمعتب بن قشير، وبعض أهل الرضوان كعبد الله

بن أبي بن سلول، وضعفوا مجموعة من أهل بدر في الحديث كمدلاج بن عمرو السلمي ومسعود بن ربيعة القاريء، وضعفوا بعض أهل الرضوان كعبد الرحمن بن عديس البلوي لمواقفه السياسة من عثمان، و لم يضعفوا من له مواقف سياسية من علي وإن لم يكن رضوانياً ولا بدرياً، فعدوا بعض أهل بدر (أعراب مجهولون) وهوا عن الأخذ عن ابن عديس وأمثاله، وبقي الدفاع عن بعض أهل بدر معدوماً إلى القرن التاسع الهجري، فاستدركوا خطأ سلفيهم ووثقوا أهل بدر! لأن النظرية في عدالة الصحابة (الطلقاء) سبقت الاستقراء لظروف سياسية، فاستفاد منها بعض أهل بدر، وبقي البعض الآخر منافقاً في نظرهم إلى اليوم كمعتب بن قشير، والخلاصة أن الآيات السابقة تناقض نظرية (عدالة الطلقاء) من باب الأولى، لأنها نزلت في حق من هو أفضل منهم وأسبق إسلاماً وجهاداً إن كان لبعض المتأخرين نصيب من جهاد وإنفاق.

١٦ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (١٤٤) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦) [النساء] وهذه الآيات وما قبلها وما بعدها توضح أن بعض الصحابة ممن لحقهم النفاق أو شيء منه كانوا يتولون الكافرين ويحبونهم، فأنذرهم الله وحذرهم ووصف هذا الصنف من الناس بالنفاق واشترط في التوبة عليهم شروطاً صعبة لا نراها في أكثر الطلقاء.

١٧ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) [المائدة] هذه لم يطبقها جميع الصحابة، وفرط فيها من فرّط..

١٨ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣٥) [المائدة] لها معنى أهمله هؤلاء.

١٩ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آَمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ

حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧) [المائدة] هذه الآيات تحكي واقعاً أهمله التاريخ، وله نظائر في كتاب الله، والغريب أن التاريخ حصر هذه الوقائع في الأنصار دون قريش، وهذا توجيه مسيس، فإن اتهام أي قرشي بالنفاق أو بمثل هذه الوقائع يكون معاوية أولى منه، فكان الحل تبرئة كل قريش من أي نفاق حتى لا يستطيع أحد أن يترقى إلى اتهام معاوية بما وقع فيه بعض أهل بدر والرضوان! وإلا فلماذا لم نجد قرشياً متهماً بالنفاق؟ مع أن النفاق كان موجوداً من أيام العهد المكي، كما في قوله تعالى في سورة المدثر وهي من أول ما نزل (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١) [المدثر/٣١]) فهذا أول العهد المكي وفيهم من في قلبه مرض رغم أنهم أول من أسلم! فكيف بآخر من أسلم؟ وسبب النفاق في العهد المكي - فيما يظهر لي — أن قريشاً أرادت اختراق هذه الدعوة فجعلت بعض الناس يدخلون في الإسلام ظاهراً، ولعل بعضهم اقتنع فكان يلعب على الاتجاهين! فلذلك حصلت حالات ردة في العهد المكي، فبعضهم فتن تحت التعذيب، وبعضهم ارتد أو ترك نصرة النبي (ص) مع قدرته أيام حصار الشعب، وبعضهم ارتد بعد قصة الإسراء والمعراج، وبعضهم حضر بدراً مع المشركين وهو مسلم من مسلمي العهد المكي، وبعضهم احتج بأنه مستضعف فكان اعتذاراً مردوداً من الله، إذن فالعهد المكي كان فيه منافقون ومتخاذلون ومترددون.. كالعهد المدني تماماً، إلا أن غلاة السلفية لا يقرون بالنفاق إلا في الأنصار، وكأن الأنصار مخلوقون من جنس آخر غير البشر، وكأن قريشاً أيضاً لا تعرف إلا الكفر أو الإسلام، فلا يخادعون ولا يخضعون ولا يحتالون ولا يمكرون ولا يوالون اليهود ولا الأعراب ..الخ، إنها أوهام أدخلتها قريش بسلطتها وأثرها على العقلية الروائية والعقائدية

والتاريخية للمسلمين، فكانت الأكثرية ضحية لهذه السلطة التاريخية، لا سيما وأن الجاهل لا يكتشف أثر السلطة حتى في عصرنا هذا، تجد الأحمق لا يعرف أثر السلطة على الفكر، ولكن في مثل هذه المواضع يمكن أن تمسك السلطة متلبسة بالجرم وتقدمها لهؤلاء المعطلين لعقولهم لعلهم يتفكرون.

٢٠ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨) [المائدة] في هذه الآيات تحذير للصحابة من تحريم ما أحل الله، وقد وقع بعض الصحابة في هذه الأمور من باب التعويض على مخالفات ومعاصي، وهذه حالة نفسية تحدث للبشر، ولذلك نجد أن أكثر التشددات في تحريم الباحات أو تضخيم الصغائر صدرت من سلاطين الشام وعلمائهم، فكان سليمان بن عبد الملك يبالغ في تحريم الغناء لدرجة أنه هم بأن يخصيهم، ومعاوية بالغ في قصة الشعر (وصل شعر النساء) لدرجة أنه وضع حديثاً بأن هذا سبب هلاك بني إسرائيل (وسبب هلاكهم معروف في القرآن الكريم)، ومن تحت السلطات الظالمة خرجت أحاديث الترهيب في حق العامة والترغيب في حق الحكام، وما زالت مستعملة إلى اليوم.

٢١ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٩٢) [المائدة] في الآيات دليل على أن الأنصاب والأزلام تأخر الامتناع عنها إلى زمن تحريم الخمر، وللآيات قصص ليس هنا مجال ذكرها.

٢٢ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٩٥) [المائدة] وإذا كانت غاية الابتلاء لم تغب حتى في الحج بالصيد الذي ابتلى الله به الصحابة وتوعد من يصيد وهو محرم بعذاب أليم، وقد ذكر بعض أهل التفسير

كابن كثير (تفسير ابن كثير - (ج ٣ / ص ١٩٠) : (وقال مُقَاتِل بن حَيَّان: أنزلت هذه الآية في عُمْرة الحُدَيْبِيَّة، فكانت الوحش والطير والصيد تغشاهم في رحالهم، لم يروا مثله قط فيما خلا فنهاهم الله عن قتله وهم محرمون{ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ } يعني: أنه تعالى يبتليهم بالصيد يغشاهم في رحالهم، يتمكنون من أخذه بالأيدي والرماح سرًا وجهرًا ليظهر طاعة من يطيع منهم في سره وجهره، كما قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ }) اهـ كلام ابن كثير ونقله، و الغريب أن هنا أن الصيد وقتله في الحرم قد توعد الله عليه أصحاب الصحبة الشرعية بعذاب أليم، فكيف بابتلاء الطلقاء بأبناء محمد وآل محمد وأصحاب محمد؟ وهم صيد أغلى وأثمن وأكرم عند الله من الأرانب والحبارى!

٢٣ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآَنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢) [المائدة] هذه الآيات لها قصص مؤلمة لا أحب ذكرها، ومفادها أن بعض أصحاب الصحبة الشرعية كان يسخر من النبي (ص) بأن يسأله استهزاء بالنبوة، ففي الدر المنثور - (ج ٣ / ص ٢٠٥) : (واخرج البخاري وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال : كان ناس يسألون رسول الله صلى الله عليه و سلم استهزاء فيقول الرجل : من أبي ؟ ويقول الرجل تضل ناقته : أين ناقتي ؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء حتى فرغ من الآية كلها اهـ وفي صحيح مسلم - (ج ٤ / ص ١٨٣٢) عن أنس بن مالك قال: بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم عن أصحابه شيء فخطب فقال عرضت علي الجنة والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فما أتى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم أشد منه قال غطوا رؤوسهم ولهم خنين قال فقام عمر فقال رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا قال فقام ذاك الرجل فقال من أبي ؟ قال أبوك فلان فنزلت { يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم }اهـ وهذا الشيء السيئ الذي بلغ النبي (ص) عن الصحابة تعرض لتعمية وبتر ومع ذلك وصل في بعض مصادر الحديث ألا وهو تنقص أهل بيته (ص) وقولهم (ما محمد في قومة إلا كنخلة نبتت في كباء!) يعني في مزبلة، (وهو شعور النواصب إلى اليوم) فغضب النبي (ص) غضباً شديداً وخطب فيهم خطبة لم يشهدوا مثلها وأخبرهم بفضله وفضل أهل بيته، ثم أخبرهم بما هو كائن إلى يوم القيامة عرفه بثه من بثه

كحذيفة وكتمه من كتمه، وقد جمعت هذا الحدث في بحث صغير ولولا خشية الطول لذكرته لكن هذه خلاصته. وسواء فعل بعض أصحابه هذا الشيء أو استهزءوا به وسخروا من نبوته فالمصيبة واحدة، وهذه الأمور كان يتعرض لها النبي (ص) في آخر النبوة، فاحتمال مشاركة وتأثير الطلقاء وراد.

٢٤ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آَخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآَثِمِينَ (١٠٦) فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآَخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧) ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١٠٨) [المائدة] هذا التشدد في الشهادة يدل على أنه ليس كل الصحابة عدولاً. وأنهم كغيرهم من الناس في مسألة الشهادة.

٢٥ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) [الأنفال] وهذا الترهيب من الفرار من الزحف كان في بدر، ومع ذلك كان في أصحاب الصحبة الشرعية فضلاً عن غيرهم فرار يوم أحد ويوم خيبر ويوم حنين، فكيف بأكثر الطلقاء الذين حضروا حنين وقلوبهم مع هوازن؟!

٢٦ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥) وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآَوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ

بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) [الأنفال] في هذه الآيات أسباب نزول وأحداث فليراجعها من شاء، وفي الآيات قيود وشروط للصحابي الصالح، علماً بأنها في أصحاب الصحبة الشرعية وإذا حصلت من بعضهم هذه الأعمال فكيف بمن حشروه في الصحابة حشراً ليحتمي بلقب لا ينفع؟ والإنسان يحاسب بعمله لا بلقبه ولا بأشياعه وبالتسمي والتحلي.

٢٧ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤) لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥) [التوبة] في الآيات إشارات واضحة، بأن بعض الصحابة كان يدفعه التعصب لعشيرته وقبيلته وتجارته، وهذا قد يكون له أثره على نشوء التحالفات الجديدة التي نشأت بعد وفاة النبي (ص)، فسورة التوبة هي آخر السور نزولاً وهي تتحدث عن الواقع في تلك الفترة، وتنبيء عن بدايات تشكل الأحلاف الجديدة.

٢٨ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨) [التوبة/٢٨] في الآية إشارة إلى أن بعض الصحابة كان يراعي المصالح التجارية.

٢٩ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥) [التوبة] تذكروا أن هذه الآية كانت محل خصومة بين منهجين من مناهج الصحابة في الأموال، منهج أبي ذر ومن تبعه، ومنهج معاوية ومن تبعه! وأن حجة معاوية قد

نصرها السلفية بأن الآية نزلت في أهل الكتاب! مع أن صدر الآية يقول (يا أيها الذين آمنوا)! لكن السياسة كالهارب لا يرده شيء، إلا أن السياسة لا تهرب مدبرة، وإنما تهرب مستقبلة وجه خصمها فتتجاوزه وقد ترده معها! فإذا ردته معها واتسقا في مضمار واحد فهذا هو المذهب، وإذا نتج عن تلك السياسة مثل هذا المذهب كان شيطاناً لئيماً بوجه نبي كريم، (وهناك يستولي الشيطان على أوليائه وينجو الذين كتب الله لهم الحسنى) وقليل ما هم، و(ما جاع فقير إلا بما مُتِّع به غني)[٢٥٣].

٣٠ – (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠) انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢) عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣) لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥) وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧) لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (٤٨) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩) إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (٥٠) قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ

---

[٢٥٣] ما بين الأقواس كان مما علق بالذهن من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فلله دره.

بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (٥٢) قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣) وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٤) [التوبة] هذه الآيات تخبر بوضوح أن في الصحابة – بالمعنى الواسع– متثاقلين وأتباع دنيا وكاذبين ومتربصين ومنافقين وجبناء وأصحاب فتنة ... بل وبعضهم لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، وأظن هذا الصنف من الطلقاء والأعراب وقدامى المنافقين فسورة التوبة نزلت في العام التاسع الهجري وقد اختلط الناس فلذلك تجد التشنيع فيها مكثفاً ولا تكاد تجده في سورة أخرى، وغلاة السلفية يحصرون هذه الكثافة وهذا الحشد من الأوصاف في أربعة أو خمسة من الأنصار بعضهم قد يكون بريئاً والبقية مقيدة ضد مجهول!

٣١ – ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩) مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) [التوبة/١١٩، ١٢٠] هؤلاء الأعراب هم صحابة على منهج الموسعين، وهم حلفاء القوم في الجاهلية والإسلام، بهم قامت دولتهم وبهم قتلوا كثيراً من صالحي الصحابة والتابعين.

٣٢ – ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣) وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥) أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٢٧) لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩) [التوبة/١٢٣] هذا وصف لمجموعات من الصحابة، فصدر الآيات تخاطب الذين آمنوا، فتأملوها جيداً وستجيب على كثير من الشبهات والعقائد المفسدة للتدبر.

٣٣ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) [النور/٢١]

٣٤ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) [الأحزاب] هذه الآيات نزلت في حق كثير من أصحاب الصحبة الشرعية فكيف بغيرهم؟

٣٥ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ

لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤) ..... الآيات إلى قوله (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٩) لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢) [الأحزاب]

٣٦ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) [الأحزاب/٦٩-٧١]

٣٧ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) [محمد/٣٣]

وهذا رد على من زعم أن الله قد رضي عن الصحابة ولن يسخط عليهم أبداً! فهذا مقيد بالاستقامة على الصلاح الذي كان عليه الصحابي ساعة الرضا، وليس هناك ضامن من إبطال الأعمال إلا حسن السيرة والاستقامة.

٣٨ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) [الحجرات] هذه نزلت في أبي بكر وعمر وهما من هما؟ وفي الآيات تهديد بإبطال الأعمال ربما إذا تكرر ذلك، وهذه الآيات لو نزلت في معاوية لما رواها البخاري، فهو من التيار الأموي، وقد يتسامح في رواية مثالب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولكنه لن يتسامح في رواية مثلبة واحدة لمعاوية، وأما نزولها في أبي بكر وعمر ففي صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٣٣) حدثنا يسرة بن صفوان بن جميا اللخمي حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال : كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله

عليه و سلم حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر ما أردت إلا خلافي قال ما أردت خلافك فارتفعت أصواهما في ذلك فأنزل الله { يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم } الآية../
وفي موضع آخر في صحيح البخاري – (ج ٦ / ص ٢٦٦٢) : حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا وكيع عن نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال : كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر لما قدم على النبي صلى الله عليه و سلم وفد بني تميم أشار أحدهما بالأقرع بن حابس الحنظلي أخي بني مجاشع وأشار الآخر بغيره فقال أبو بكر لعمر إنما أردت خلافي فقال عمر ما أردت خلافك فارتفعت أصواهما عند النبي صلى الله عليه و سلم فنزلت { يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي – إلى قوله – عظيم } / قال ابن أبي مليكة قال ابن الزبير فكان عمر بعد – و لم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر – إذا حدث النبي صلى الله عليه و سلم بحديث حدثه كأخي السرار لم يسمعه حتى يستفهمه اهـــ قلت: وهذا الحديث خطير جداً ، لجهة أن ابن الزبير لم يبريء أبا بكر رغم أن أبا بكر جده لجهة أمه أسماء بنت أبي بكر، و لم يعلم عنه تغييراً في مواقفه وإلا لذكره، وأما عمر فقد حصلت منه رفعه الصوت مع منع النبي (ص) من كتابة الكتاب يوم الرزية (قبل موت النبي (ص) بأيام) وقد رواها البخاري أيضاً في صحيحه، صحيح أن البخاري سلفي قح، لكن غلاة السلفية إنما أعينهم مفتوحة ضد أي مثلبة في معاوية بالدرجة الأولى، ولذلك قد يذهلون ويروون في مثالب الشيخين، وحتى إن رووا في مثالب معاوية عمّوه وأوردوه في أبواب بعيدة العلاقة، فالبخاري مثلاً روى حديث عمار تقتله الفئة الباغية – وهو مثلبة واضحة لمعاوية – في بابين من صحيحه، باب التعاون في بناء المسجد، وباب مسح الغبار عن الناس! فما علاقة هذين البابين بهذا الحديث؟ إنها علاقة بعيدة جداً، فلو أورده في فضائل عمار أو مثالب معاوية أو قتال أهل البغي أو صفات الدعاة إلى النار أو صفات الدعاة إلى الجنة أو فضل علي أو فضل القتال مع علي أو ذم أهل الشام أو فضل أهل العراق أو نحو ذلك لكان أبلغ من إيراده في باب التعاون أو باب مسح الغبار، لكنها السلفية لحقت البخاري كما لحقت غيره، فأورثونا من يجادلوننا بالباطل، وأذكر هنا قول محمد بن عمر بن عقيل (لقد ترك لنا معاوية في كل زمن فئة باغية).

سرد آيات أخرى متروكة للاستباط الذاتي من القاريء الكريم:

٣٩ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) [الحجرات]

٤٠ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) [الحجرات/١١]

٤١ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢) [الحجرات/١٢]

٤٢ - قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧) [الحجرات/١٤-١٧]

٤٣ - (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ

فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) [المجادلة/٧]

٤٤ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٦) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١) [المجادلة/١٢]

٤٥ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) [الحشر/١٨، ١٩]

٤٦ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ

الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) [الممتحنة]

٤٧ – يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣) — الممتحنة

٤٨ – يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (٤) [الصف/٢-٤]

٤٩ – يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١) الجمعة

٥٠ – يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) [المنافقون/٩]

٥١ – يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) [التغابن/١٤-١٦]

٥٢ – وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) [التحريم]

٥٣ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٩) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آَمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي [التحريم]

وهناك الكثير جداً من الآيات الكريمة التي تعطينا تصوراً دقيقاً وجامعاً عن مجتمع الصحابة، بلا إفراط ولا تفريط.. هم كسائر الناس، فيهم التناقضات الموجودة في كل مجتمع، وليس الأمر أبيض أو أسود (مؤمن ومنافق فقط) بل هناك كل ألوان الطيف.. وهناك حالات للنفس الواحدة غالباً..

ملحق (٢): الطلقاء في القرآن الكريم :

هذا الملحق خاص بغلاة السلفية الذين يحبون الطلقاء، وأزعجوا الأمة والباحثين بسبب الطلقاء، فهذه الملحق هدية خاصة للتيار السلفي المغالي، لعل الله يرجعهم إلى الحق، فإن أعرضوا فليس عليك هداهم، وقد لفت نظري شيء عجيب، بدأت أشك بأن كل الكتب في الدفاع عن الصحابة إنما الهدف منها الدفاع عن الطلقاء، وهذه تجربة حدثت لي معهم مع أول مقالاتي ومؤلفاتي، فإنني في أول أمري لم أكن أرى إلا أن بعض الطلقاء كمعاوية وأمثاله أخطأوا في التمرد على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، لم يكن لي مطلب آخر، وكنت أرى فضل أبي بكر وعمر وعثمان على علي، وكنت سلفياً خالصاً إلا في اقلول أن معاوية من الفئة الباغية وأن أبا ذر أفضل منه وأن الثوار على عثمان فيهم صحابة فكيف لا تقولون أنهم اجتهدوا فأخطأوا ولهم أجر كما تقولون في معاوية.. هذا ما كنت أطمح إليه فقط! فجاءت الردود بالدفاع عن أبي بكر وعمر وعثمان وأمهات المؤمنين! والمهاجرين والأنصار! - وما بقي إلا أن يدافعوا عن الأنبياء والملائكة!- فتعجبت من هذا الربط! ثم بدأت اشك بأن الدفاع عن الصحابة ونظرية عدالة الصحابة لم تكن إلا لأجل الطلقاء فقط! ثم اكتشفت أنهم يضعفون بعض أهل الرضوان (كما فعل الذهلي مع عبد الرحمن بن عديس) ثم اكتشفت أنهم يضعفون بعض أهل بدر (كما فعل أبو حاتم مع مدلاج ومسعود بن الربيع) ثم اكتشفت أنهم يتهمون بعض أهل بدر بالنفاق (كما فعل ابن تيمية وغيره مع معتب بن قشير)!

فزاد تعجبي، وعرفت آخر الأمر أن الأمر يدور حول الطلقاء وخاصة الظالمين منهم، وخاصة النواصب من هؤلاء الظالمين! فلهم فضيلتان النصب والظلم، إذن فنحن نتيجة بائسة لسياسة أموية ماكرة ونحن لا ندري طوال هذه القرون؟ عجبي؟!..

كلا .. لا عجب إن كنا معرضين عن النورين، نور الوحي أولاً، ثم نور العقل.. فنحن نحارب العقل الصريح بالنص المتوهم دلالته، ثم نبطل النص القرآني الصريح بما يعارضه من الحديث المزعوم صحته، ثم نرد الحديث الصحيح بالأثر الموقوف بدعوى التحاكم لفهم السلف، ثم نرد الأثر المنصف إن وجد بالعقيدة الفاسدة! وبهذا اكتملت الضلالة!

إذن فهذه آيات تتناول الطلقاء وخاصة زعماءهم وظلمتهم، وإنماجعلت هذا الفصل لأنه إن انحلت عقدة الطلقاء أمكننا أن نرى القرآن والتاريخ ..

وفي البداية لا بد من التذكير بأنه من المسلم به عند كل مسلم أن الله يعلم الغيب، فكل مسلم لا يؤمن بأن الله يعلم الغيب فلا يقرأ هذا الملحق لأنه لن يفيده.. وعلى هذا عندما يخبر الله بأن أكثر هؤلاء لن يؤمن، ولن يهديهم الله إلا إلى طريق جهنم، وأنه لن يعبدوا الله، فلا بد أن يكون المسلم مؤمناً بأن الله لا يتوقع وإنما يخبر بالغيب لنكون على حذر ولتتم حجته على من يقرأ القرآن الكريم.

انظروا إلى الآيات التالية التي نزلت في رؤوس قريش وأتباعهم، وإن شذ القليل منهم عن هذه الآيات وصح إسلامه وصلحت سيرته فالنادر لا حكم له، فهذه الآيات لا بد أن تتناول الأكثرية من قريش، وسأستعرضها مع النظر في التفسيرات التي أثرت عن العلماء، وما صاحب هذه التفسيرات أحياناً من حرج شديد وورطات بسبب العقيدة الموروثة، وفي تلك التفسيرات أقوال جريئة أيضاً إلا أنها مهجورة لا يعرفها إلا القلة على تستر وإخفاء ظاهر من التيار السلفي كما سنرى في الآيات وتفسيرها :

الآيات الكاشفة عن الطلقاء ومصيرهم وأحوالهم:

قوله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) [الأنفال/٣٦])

قال سعيد بن جبير (نزلت في أبي سفيان):

ففي تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٥٣٠) : حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد بن جبير في قوله: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم" الآية، "والذين كفروا إلى جهنم يحشرون"، قال: نزلت في أبي سفيان بن حرب. استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش من بني كنانة، فقاتل بهم النبيَّ صلى الله عليه وسلم ..الخ،

وقال عبد الرحمن بن أبزى (نزلت في أبي سفيان):

ففي تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٥٣٠) : حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحاق بن إسماعيل، عن يعقوب القمي، عن جعفر، عن ابن أبزى: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله"، قال: نزلت في أبي سفيان، استأجر يوم أحد ألفين ليقاتل بهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، سوى من استجاش من العرب.

وقال الحكم بن عتيبة (نزلت في أبي سفيان):

ففي تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٥٣١) ...قال، أخبرنا أبي عن خطاب بن عثمان العصفري، عن الحكم بن عتيبة: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله"، قال: نزلت في أبي سفيان. أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية من ذهب، وكانت الأوقية يومئذ اثنين وأربعين مثقالا.

وقال قتادة (نزلت في أبي سفيان):

تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٥٣١) : حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله"، الآية ، قال: لما قدم أبو سفيان بالعير إلى مكة أشَّبَ الناس ودعاهم إلى القتال، حتى غزا نبيَّ الله من العام المقبل. وكانت بدر في رمضان يوم الجمعة صبيحة سابع عشرة من شهر رمضان. وكانت أحد في شوال يوم السبت لإحدى عشرة خلت منه في العام الرابع.

وقال السدي (في جماعة منهم أبو سفيان):

تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٥٣١) : حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي قال: قال الله فيما كان المشركون، ومنهم أبو سفيان، يستأجرون الرجال يقاتلون محمدًا بهم: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله"، وهو محمد صلى الله عليه وسلم= "فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة" ، يقول: ندامة يوم القيامة وويلٌ = "ثم يغلبون"

وقال مجاهد (نزلت في أبي سفيان):

تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٥٣١) : حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: "ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله" ، الآية حتى قوله: "أولئك هم الخاسرون" ، قال: في نفقة أبي سفيان على الكفار يوم أحد.

وقال مجاهد أيضاً (نزلت في أبي سفيان):

تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٥٣٢) : حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

وكذلك قال ابن عباس ومجموعة من التابعين منهم، الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ جعلوا أبا سفيان من هؤلاء بقولهم (أبو سفيان منهم):

ففي تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٥٣٢) : حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال، حدثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، ومحمد بن يحي بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، [وغيرهم من علمائنا، كلهم قد حدث بعض الحديث عن يوم أحد. وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت من الحديث عن يوم أحد، قالوا: أو من قاله منهم: لما أصيب] يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القليب ، (٢) ورجع فَلُّهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بعِيره، مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية، في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمدًا قد وَتَرَكم وقتل خيارَكم، فأعينونا بهذا المال على حربه، لعلنا أن ندرك منه ثأرًا بمن أصيب منا! ففعلوا. قال: ففيهم، كما ذكر عن ابن عباس، أنزل الله: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم" إلى قوله: "والذين كفروا إلى جهنم يحشرون"

وقال ابن إسحاق مرسلاً (منهم أبو سفيان):

تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٥٣٣) : حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله"، إلى قوله: "يحشرون" ، يعني النفرَ الذين مشوا إلى أبي سفيان، وإلى من كان له مال من قريش في تلك التجارة، فسألوهم أن يُقَوُّوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففعلوا اهـ (قلت: كان أبو سفيان من كبار من طالب أصحاب الأموال، وقد

سبق رواية ابن إسحاق الإجماع عن علمائه أنه رأسهم، فلا يغتر قاريء هنا باللفظ المذكور، فما هؤلاء الجماعة إلا جنوداً لأبي سفيان).

وقال عطاء بن دينار (نزلت في أبي سفيان):

تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٥٣٣) : حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن عطاء بن دينار في قول الله: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم"، الآية، نزلت في أبي سفيان بن حرب [٢٥٤]اهـــ

وقال مجاهد (أبو سفيان منهم):

تفسير الطبري - (ج ١٤ / ص ١٥٥) حدثنا ابن وكيع وابن بشار حدثنا محمد بن جعفر (غندر) عن شعبة، عن أبي بشر، عن مجاهد:(فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم)، قال: أبو سفيان منهم.

وقال السدي (قريش):

في سير الطبري - (ج ١٤ / ص ١٥٥) حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، حدثنا أسباط، عن السدي:(وإن نكثوا أيمانهم)، إلى:(ينتهون)، هؤلاء قريش. يقول: إن نكثوا عهدهم الذي عاهدوا على الإسلام، وطعنوا فيه، فقاتلهم اهـــ

وقال الضحاك (رؤوس المشركين أهل مكة):

حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد قال، سمعت الضحاك يقول في قوله:(فقاتلوا أئمة الكفر)، يعني رؤوسَ المشركين، أهلَ مكة.

وقال قتادة (أبو سفيان منهم):

حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله:(فقاتلوا أئمة الكفر)، أبو سفيان بن حرب، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وسهيل بن عمرو،

---

[٢٥٤] وقد سرد الشوكاني الأقوال في فتح القدير - (ج ٣ / ص ١٨١) فقال : وأخرج ابن مردويه ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب . وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وأبو الشيخ ، عن مجاهد نحوه . وأخرج هؤلاء وغيرهم عن سعيد بن جبير نحوه . وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، عن الحكم بن عتيبة ، في الآية قال : نزلت في أبي سفيان أنفق على مشركي قريش يوم أحد أربعين أوقية من ذهب ، وكانت الوقية يومئذ اثنين وأربعين مثقالاً من ذهب .اهـــ وهناك قول ضعيف عن الكلبي أنها نزلت في المطعمين يوم بدر — وسرد اسماءهم وهم اثنا عشر- وليس منهم أبو سفيان (في زاد المسير لابن الجوزي) ومنهم من جعلها في بني قريظة والنضير، وآخرون جعلوها في أبي جهل.. والأقوى أسانيد وواقعاً ما تقدم من أنها في أبي سفيان وحزبه...

وهم الذين نكثوا عهد الله، وهمُّوا بإخراج الرسول، وليس والله كما تأوَّله أهل الشبهات والبدع والفِرَى على الله وعلى كتابه

وفي الدر المنثور للسيوطي - (ج ٥ / ص ٢٠) عن مجاهد (عهدهم):

أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه في قوله { وإن نكثوا أيمانهم } قال : عهدهم،

وفيه عن ابن عباس (أئمة الكفر):

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله { وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم } يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : وإن نكثوا العهد الذي بينك وبينهم فقاتلوهم انهم أئمة الكفر .

وفيه عن قتادة (فيهم أبو سفيان):

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة رضي الله عنه في قوله { أئمة الكفر } قال : أبو سفيان بن حرب ، وأمية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وهم الذين نكثوا عهد الله تعالى وهمّوا باخراج الرسول من مكة.

وفيه عن أنس (فيهم أبو سفيان) ومجاهد (أبو سفيان فقط) :

وأخرج ابن عساكر عن مالك بن أنس رضي الله عنه مثله، وأخرج ابن عساكر عن مجاهد رضي الله عنه في قوله { فقاتلوا أئمة الكفر } قال : أبو سفيان.

وفيه عن ابن عباس (رؤوس قريش):

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما { فقاتلوا أئمة الكفر } قال : رؤوس قريش.

وفيه عن ابن عمر (أبو سفيان منهم):

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله { فقاتلوا أئمة الكفر } قال : أبو سفيان بن حرب منهم[٢٥٥].

وفيه عن الحسن البصري (الديلم)!!!:

---

[٢٥٥] وفي تفسير ابن أبي حاتم - (ج ٧ / ص ١٩٣) حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ، ثنا أَبُو دَاوُدَ، ثنا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، سَمِعَ مُجَاهِدًا، يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: " فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ " قَالَ:"أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ مِنْهُمْ"

وأخرج أبو الشيخ عن الحسن البصري { فقاتلوا أئمة الكفر } قال : الديلم! (ينظر الراوي عن الحسن، فقد يكون أموي الهوى، فلذلك صرف الآيات إلى أهل الديلم!)..

وفيه عن حذيفة (ما قوتلوا بعد)!:

وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن حذيفة رضي الله عنه أنهم ذكروا عنده هذه الآية فقال : ما قوتل أهل هذه الآية بعد.

وفيه عن حذيفة (ما بقي منهم إلا ثلاثة، والتلميح لأبي سفيان):

وأخرج ابن أبي شيبة والبخاري وابن مردويه عن زيد بن وهب رضي الله عنه في قوله { فقاتلوا أئمة الكفر } قال : كنا عند حذيفة رضي الله عنه فقال : ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة ولا من المنافقين إلا أربعة، فقال أعرابي : إنكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم تخبروننا بأمور لا ندري ما هي ، فما بال هؤلاء الذين يقرون بيوتنا ويسرقون أعلاقنا؟! قال : أولئك الفساق ، أجل لم يبق منهم إلا أربعة ، أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده.

وفيه عن أبي بكر (وتحريفها للخوارج)!:

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن جبير رضي الله عنه، أنه كان في عهد أبي بكر رضي الله عنه في الناس حين وجههم إلى الشام ، فقال : إنكم ستجدون قوماً محلوقة رؤوسهم فاضربوا مقاعد الشيطان منهم بالسيوف ، فوالله لئن أقتل رجلاً منهم أحب إلي من أن أقتل سبعين من غيرهم ، وذلك بأن الله تعالى يقول { قاتلوا أئمة الكفر }.

وفيه عن حذيفة (لا عهود لهم):

وأخرج أبو الشيخ عن حذيفة رضي الله عنه { لا أيمان لهم } قال : لا عهود لهم.

وفيه عن عمار (لا عهود لهم):

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عمَّار رضي الله عنه { لا أيمان لهم } لا عهود لهم،

وفيه عن علي (ما قوتلوا بعد):

وأخرج ابن مردويه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : والله ما قوتل أهل هذه الآية منذ أنزلت { وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم . . . } الآية،

وفيه عن سعد (خارجي يتهم سعد بأنه منهم):

وأخرج ابن مردويه عن مصعب بن سعد قال : مرَّ سعد رضي الله عنه برجل من الخوارج فقال الخارجي لسعد : هذا من أئمة الكفر . فقال سعد رضي الله عنه : كذبت ، أنا قاتلت أئمته ..الخ، ونحوه في فتح القدير للشوكاني – (ج ٣ / ص ٢٢٨) وكأنه نقله من السيوطي.

جمعهم ثلاثة أمور:

وفي تفسير الرازي – (ج ٧ / ص ٤٦٩) اعلم أنه تعالى ذكر ثلاثة أسباب كل واحد منها يوجب مقاتلتهم لو انفرد ، فكيف بها حال الاجتماع :

أحدها : نكثهم العهد ، وكل المفسرين حمله على نقض العهد/ قال ابن عباس والسدي والكلبي : نزلت في كفار مكة نكثوا أيمانهم بعد عهد الحديبية ، وأعانوا بني بكر على خزاعة وهذه الآية تدل على أن قتال الناكثين أولى من قتال غيرهم من الكفار ليكون ذلك زجراً لغيرهم.

وثانيها : قوله : { وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرسول } فإن هذا من أوكد ما يجب القتال لأجله . واختلفوا فيه فقال بعضهم : المراد إخراجه من مكة حين هاجر، وقال بعضهم : بل المراد من المدينة لما أقدموا عليه من المشورة والاجتماع على قصده بالقتل . وقال آخرون : بل هموا بإخراجه من حيث أقدموا على ما يدعوه إلى الخروج وهو نقض العهد ، وإعانة أعدائه ، فأضيف الإخراج إليهم توسعاً لما وقع منهم من الأمور الداعية إليه . وقوله : { وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرسول } إما بالفعل وإما بالعزم عليه ، وإن لم يوجد ذلك الفعل بتمامه

وثالثها : قوله : { وَهُمْ بَدَءوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ } يعني بالقتال يوم بدر ، لأنهم حين سلم العير قالوا : لا ننصرف حتى نستأصل محمداً ومن معه .والقول الثاني : أراد أنهم قاتلوا حلفاء خزاعة فبدؤوا بنقض العهد ، وهذا قول الأكثرين ، وإنما قال : { بدؤكم } تنبيهاً على أن البادىء أظلم ، ..الخ.

وفي تفسير الرازي – (ج ٧ / ص ٤٧٠) نقل عن ابن عباس أنه قال : قوله تعالى : { أَلاَ تقاتلون قَوْماً } ترغيب في فتح مكة وقوله : { قَوْماً نَّكَثُواْ أيمانهم } أي عهدهم ، يعني قريشاً حين أعانوا بني الديل بن بكر على خزاعة خلفاء الرسول عليه الصلاة والسلام..الخ

المراد إخراج النبي من المدينة وليس من مكة:

وفي التحرير والتنوير لابن عاشور - (ج ٦ / ص ٢٣٥) (أمّا همّهم بإخراج الرسول فظاهره أنّه همٌّ حصل مع نكث أيمانهم وأن المراد إخراج الرسول من المدينة ، أي نفيه عنها لأن إخراجه من مكّة أمر قد مضى منذ سنين ، ولأنّ إلجاءه إلى القتال لا يعرف إطلاق الإخراج عليه فالظاهر أنّ همّهم هذا أضمروه في أنفسهم وعلمه الله تعالى ونبّه المسلمين إليه، وهو أنّهم لّما نكثوا العهد طمعوا في إعادة القتال وتوهّموا أنفسهم منصورين وأنّهم إن انتصروا أخرجوا الرسول عليه الصلاة والسلام من المدينة)

ونرى الحيرة والاضطراب: في قوله (ابن عاشور) بعد أن استعرض الأقوال واستشكلها - التحرير والتنوير - (ج ٦ / ص ٢٣٦)- فالوجه عندي : أنّ المعنيَّ بالذين هَمّوا بإخراج الرسول قبائل كانوا معاهدين للمسلمين ، فنكثوا العهد سنة ثمان ، يوم فتح مكة ، وهمّوا بنجدة أهل مكة يوم الفتح ، والغدر بالنَّبي عليه الصلاة والسلام والمسلمين ، وأن يأتوهم وهم غارون ، فيكونوا هم وقريش ألباً واحداً على المسلمين ، فيُخرجون الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين من مكة ، ولكنّ الله صرفهم عن ذلك بعد أن همّوا ، وفضح دخيلتهم للنبيء صلى الله عليه وسلم وأمره بقتالهم ونبذِ عهدهم في سنة تسع ، ولا ندري أقاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية أم كان إعلان الأمر بقتالهم (وهم يعلمون أنهم المراد بهذا الأمر) سبباً في إسلامهم وتوبة الله عليهم ، تحقيقاً للرجاء الذي في قوله : { لعلهم ينتهون } [التوبة : ١٢] ولعل بعض هؤلاء كانوا قد أعلنوا الحرب على المسلمين يوم الفتح ناكثين العهد ، وأمدّوا قريشاً بالعدد ، فلمّا لم تنشب حرب بين المسلمين والمشركين يومئذٍ أيسوا من نصرهم فرجعوا إلى ديارهم ، وأغضى النبي صلى الله عليه وسلم عنهم ، فلم يؤاخذهم بغدْرهم ، وبقي على مراعاة ذلك العهد ، فاستمرّ إلى وقت نزول هذه الآية ، وذلك قوله : { وهم بدوءكم أول مرة } أي كانوا البادئين بالنكث ، وذلك أنّ قريشاً انتصروا لأحلافهم من كنانة ، فقاتلوا خزاعة أحلاف المسلمين)

ثم قال : التحرير والتنوير - (ج ٦ / ص ٢٣٧) (وعلى كلّ فالمقصود من إخراج الرسول عليه الصلاة والسلام : إمّا إخراجه من مكة منهزماً بعدَ أن دخلها ظافراً ، وإمّا إخراجه من المدينة بعد أن رجع إليها عقب الفتح ، بأن يكونوا قد همّوا بغزو المدينة وإخراج الرسول والمسلمين منها وتشتيت جامعة الإسلام) .

أبو سفيان في سورة البقرة:

قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧) [البقرة/٦، ٧])

هذه تناول أبا سفيان بالأولوية، وإذا استثنى الله أحداً فقد يستثني رعاة الظواهر وصبيان البطاح والمستضعفين .. أما الزعماء المحاربين فإن لم يتناولهم الخطاب فمن يتناول؟ وكيف نستطيع رد الخبر القرآني إلا أن نكفر؟ ومن لم يتأمل في الآيتين أو لم يقتنع بهما فنبشره أنه قد جاء في الآثار ما يدل على هذا، رغم محاولتهم إخراج أبي سفيان بلا سبب موجب، ففي تفسير الطبري – (ج ١ / ص ٢٥٢) حُدِّثت به عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: آيتان في قادةِ الأحزاب:(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)، قال: وهم الذين ذكرهم الله في هذه الآية:(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ) [سورة إبراهيم: ٢٨، ٢٩]، قال: فهم الذين قُتلوا يوم بدر اهـ قلت: السياسة هي من حدد هؤلاء بالمقتولين! مع أن أكثر المقتولين يوم بدر ليسوا في قرب أبي سفيان من النبي (ص) ولا في عداوته، ولا في بلوغه بالحجة ولا في فهمه لها وعناده وكبره وصده عن سبيل الله ..الخ، والآية إن لم تكن في الزعماء المتبوعين فلن تكون في الرعاء التابعين، عدل الله يأبى هذا، ومنهج القرآن يأباه، فالقرآن يتناول الزعماء بالدرجة الأولى لأن لهم تأثيرهم على الأتباع، وكان أبو سفيان من هؤلاء الزعماء بلا شك، بل هو زعيم الحروب ضد النبي (ص) وهو الوحيد الذي حزب الأحزاب، فلم يكن يوم بدر أحزاب، وإنما كانت قريش فقط، ومن هنا يتبين لنا المسلك السياسي (الأموي خاصة) في تخصيص القرآن بما يميت آياته ويحصرها في ما لا فائدة فيه على المستوى الفكري عند المسلمين، إذ لو كانت ثقافة القرآن مستقرة في عقول المسلمين بأن أبا سفيان منهم، فلابد أن يثير هذا الاعتقاد بعض التساؤلات عن أثر أبي سفيان على السياسة العامة للمسلمين، وأثر ابنه معاوية في صرف دلالات القرآن إلى عدو ميت! ليطمئنوا بأن العدو مات! وأن كلام الله ليس على إطلاقه! أو أنه غير صحيح! فالله لم يختم على قلوب رؤوس الكفر من قريش، وأن التاريخ أثبت أن ما يخبر به الله ليس بالضرورة أن يكون صحيحاً ولا مطابقاً، وعلى هذا فالقرآن توقعات محمد فقط! (هذا ما يريد معاوية وأمثاله أن يثبتوه، والسلفية (حليفة معاوية) تدين برأي معاوية، وتستبعد صحة مثل هذه الآيات ولو احتمالاً.. تصوروا ! حتى مجرد الاحتمال أن أبا

سفيان من هؤلاء مستبعد في الفكر السلفي، ليس لأن الله لم يقل ويكرر، ولكن لأن معاوية لم يرد ذلك، وخفاء الدور السياسي على الحمقى، فلا مكر كمكر السلطان، ولا جند كجند الحمقى، فإذا اجتمعا لم يردهما شيء،)!/ وفي تفسير الطبري - (ج ١ / ص ٢٦٧) حدثني المثنى بن إبراهيم، قال: حدثنا إسحاق بن الحجاج، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: هاتان الآيتان إلى(وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) هم(الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) [سورة إبراهيم: ٢٨]، وهمُ الذين قُتلوا يوم بدر، فلم يدخل من القادة أحدٌ في الإسلام إلا رجلان: أبو سفيان بن حَرْب، والحَكَم بن أبي العاص اهـــ / وفي الدر المنثور - (ج ١ / ص ٢٩) أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي العالية .. فذكره اهـــ / وفي تفسير الطبري - (ج ١ / ص ٢٦٧) وحدثت عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، عن الحسن، قال: أما القادةُ فليس فيهم مُجيبٌ ولا ناجٍ ولا مُهْتَدٍ اهـــ /

قلت: إذا كان أبو سفيان من القادة ومن المعنيين بالآية الكريمة، فأعيدوا قراءة الآيتين وانظروا هل من سبيل إلى أن يهتدي؟ أم أن إسلامه سيكون في الظاهر فقط؟

وعلى كل حال: فهذه الآيات صريحة جداً، وهي تتفق مع سورة الكافرون وسورة يس وغيرها من الآيات التي تتحدث عن قريش، وعن زعمائها على وجه الخصوص، والله لا يخشى من الزعماء فيكون خطاب الوعيد يتناولهم بالأولوية، وإنما السلفية فيما بعد حيدت الزعماء من الوعيد وجعلته – أي الوعيد– مبهماً في الهواء لا حقيقة له، وإلا أين حقيقة هاتين الآيتين؟ سيوردونها في الميتين كأبي جهل ؟ نقول: فمن أستثنى أباسفيان ساعة نزول الآيات؟ أأنتم؟ (هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا؟) أم على الله وكتابه ودينه تفترون ؟

ثم يظن السلفيون (الواقعون في المكر الأموي) أن تأخر موت أبي سفيان كان خيراً له، وأن تقدم موت أبي طالب كان شراً له! – لأنهم يروون أنه مات كافراً– بينما الله عز وجل لا يقول هذا وخاصة في مثل أبي سفيان انظروا إلى قوله تعالى : (وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٧٨) [آل عمران/١٧٦-١٧٨])

فهذه الآيات تقول بخلاف ظن السلفية تماماً.. فهم يحسبون أن إملاء الله لهؤلاء خير لهم!

وكذلك قوله تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) [آل عمران/١٢]) هنا وعيدان من الله تحقق أحدهما في الدنيا، والسلفية لا يرون الثاني إلا توقعاً خاطئاً! فمن المخاطبون ساعة نزول الآية؟ أليس قريشاً؟ أليس هذا يتناول زعماء الحرب على الأقل ممن أعرقوا في المحاربة والتحزيب والتصدر والمبالغة في معاداة النبي (ص)؟ هذه الآية وأمثالها عند السلفية راحت هباء منثوراً بإظهار أبي سفيان الإسلام خوفاً من السيف! مع ثبوت بقائه على الكفر في أكثر من مناسبة، كان آخرها في أول خلافة عثمان سنة ٢٥هـ و لم يلبث بعدها إلا سبع سنوات شيخاً عاجزاً ليس له ذكر، لو شرب الماء لا يجد برده!

وانظر قوله تعالى: (لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) [آل عمران/١٩٦، ١٩٧]) فهذه من آيات آل عمران وسيوف قريش طرية من دماء حمزة ومصعب وأمثالهما، والله أصدق القائلين لا يكذب أبداً، وإذا قال شيئاً لا يخلفه، والسلفية يرون أن الله لا يخلف وعيده إذا كان في حق أبي لهب عم النبي (ص) لكنهم يرونه مخلفاً وعيده في من هو شر من أبي لهب وأكثر عداوة وأطول محاربة، بل أبو لهب لم يقتل مسلماً قط، و لم يحزب أحزاباً و لم يحاصر المسلمين في الخندق ولا في الشعب، وإنما كان ذم الله له لإطاعته أبي سفيان وأخته أم جميل، فكيف يصدق وعيد الله في الفرع ولا يصدق في الأصل؟!

وانظر إلى قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩) [النساء]) وهذا صريح أن زعماء الكفر – على الأقل– لن يهديهم الله إلا طريق جهنم، وهي إما الكفر أو النفاق (إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) [النساء])

وانظر إلى قوله : (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧) [الأنفال/٣٤-٣٧])

فهذه الآيات صريحة، بل بعضهم صرح بأنها في أبي سفيان..

وكان الله قد أتاح لهم فرصة أخيرة بعد بدر بقوله تعالى : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ [الأنفال/٣٨]) ولا بد أن يكون النبي (ص) قد أبلغ هذه الرسالة لهم ما بين بدر وأحد، ولذلك لما لم يستجيبوا أعاد الله لهم الجملة يوم أحد ولكن بلا فتح باب التوبة فقال: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) [آل عمران/١٢، ١٣]) فقد انتهت مهلة الوعد بالتوبة، ولم يرد في القرآن الكريم (قل للذين كفروا..) إلا في هذين الموضعين أولاهما في الأنفال (بعد بدر) والثانية في آل عمران (بعد أحد).. وكان الكفار المعادين للنبي (ص) في تلك المدة هم كفار قريش فقطن وهذه ظاهرة لمن تدبر القرآن، ولكنها خافية على الهالكين في المكر الأموي.

انظر إلى قوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣) [العنكبوت/٢٣])

ومن سنة الله أن طول التكذيب تكون عقوبته الصرف عن الهداية (تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) [الأعراف/١٠١]) أي ما كذبوا به من قبل رغم تيقنهم صدقه كيف يؤمنون به فيما بعد؟.

ولا ننسى الحكم التأبيدي : (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦))

ولا ننسى الخاتمة – في آخر الآيات نزولاً- (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨) [المائدة/٦٧، ٦٨] فكان الكفر موجود إلى آخر النبوة في أناس يدعون الإسلام داخل الجزيرة، وإن لم يكن منهم أبوسفيان وحزبه فمن؟..

وفي قوله تعالى : (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ

وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠٩) [النحل/١٠٦-١٠٩])

وقوله عنهم في سورة الأحزاب عن قريش وحلفائهم وأشياعهم: (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) [الأحزاب/٦٤-٦٨])

ومعظم سورة التوبة في أبي سفيان وحزبه من كفار العرب واليهود والمنافقين الجدد..

والخلاصة هنا:

فعدل الله يقضي بأن من ناصر النبي (ص) عشر سنوات كأبي طالب، لن يكون كمن حارب النبي عشرين سنة! وكل خطاب القرآن في الوعيد منصب في أبي سفيان وأمثاله، لكن السلفية جعلوا هذا الوعيد منصب في تهديد الهواء وما لا وجود له! أما ابنه معاوية — المفتخر بالصحبة وليس صحابياً- فالأقرب إليه قوله تعالى : (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨) [آل عمران/١٨٨]) ومعاوية أول من بالغ في الصحبة اليسيرة على غير تأسي ولا اقتداء، بينما قتل ولعن أصحاب الصحبة الكبيرة ذات التأسي والاقتداء! هكذا الدنيا كلها مقلوبة!

ملحق (٣):

تفصيل أقوال المذهبين في مفهوم الصحابة:

في المذهب الأول (مذهب الملازمة) وأبرز القائلين به:

أما المذهب الأول الذي لا يكتفي بالرؤية واللقيا فهم جمهور علماء المسلمين المتقدمين من محدثين وفقهاء على حد سواء، ويتميز هذا المذهب بوجود صحابة أُثرت عنهم أقوال تفيد إخراج بعض من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" من الصحبة كما سيأتي.

ومن أبرز الذاهبين إلى هذا المذهب من الصحابة والعلماء عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأم المؤمنين عائشة وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله والأسود بن يزيد النخعي وسعيد بن المسيب ومعاوية بن قرة وشعبة بن الحجاج وعاصم الأحول والواقدي وأحمد بن حنبل (في قول) والبخاري (في قول) ومسلم وابن مندة ويحيى بن معين وأبو حاتم وأبو زرعة والعجلي وأبو داود والخطيب البغدادي وابن عبد البر والبغوي وابن الجوزي والباقلاني والماوردي وأبو المظفر السمعاني والمازري والعلائي وابن الملقن وابن عماد الحنبلي وغيرهم.

وأصحاب هذا المذهب (وهو مذهب الأصوليين في الجملة) يعتمدون على الشرع والعرف في إثبات الصحبة التي تقتضي عندهم طول الملازمة مع حسن الاتباع وصلاح السيرة في الجملة –وليس جميع هؤلاء العلماء يشترطون هذه الشروط- مع اضطراب عند بعض المتأخرين من هؤلاء، لكن هذا من حيث الجملة.

وهذه أقوال العلماء (علماء هذا المذهب) التي تدل على عدم اكتفائهم بالرؤية واللقيا ؛ ولأن بعض الناس قد يتوهم عنهم خلاف ما قلناه من النقل العام فإننا نذكر هنا نماذج من أقوالهم[٢٥٦] مما له دلالة على ما سبق ذكره:

١. الصحابي أنس بن مالك (ت نحو ٩٢هـ):

خادم النبي "صلى الله عليه وآله وسلم": قال – جواباً على سؤال: هل بقي من أصحاب رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" أحد غيرك؟-: (بقي ناس من الأعراب قد رأوه فأما من صحبه فلا) [٢٥٧]، سنده حسن.

وأنس بن مالك صحابي وكان في أول أمره ضعيفاً أمام السلطة الأموية حتى أنه لا يستطيع أن يذكر أوقات الصلاة! (كما في قصة يزيد بن نعامة الضبي، وهذه للخاصة من طلبة العلم وليست للمقلدين والمتحمسين بجهل، وانظر شرح ابن رجب لصحيح البخاري في مواقيت الصلاة) لكنه في آخر الأمر كانت له شهادات لله في سوء بني أمية وظلمهم حتى أنه قال في حقهم (لا أعرف شيئاً كان على عهد رسول الله إلا لا إله إلا

---

[٢٥٦] أقوال بعضهم كعمر وعلي وعائشة رضي الله عنهم ستأتي في أثناء استعراض النصوص من الآثار الصحابية.

[٢٥٧] (مقدمة ابن الصلاح ص٤٨٩)، ذكر هذا القول بالإسناد الإمام المزي في ترجمة أنس في تهذيب الكمال وكذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧٩/١٥).

الله – كمل في صحيح البخاري) وشهد بأنه حتى الصلاة كان بنو أمية قد غيروها كثيراً، وهو من أصحاب الصحبة الشرعية لطول الملازمة مع أنه كان صغيراً أيام هجرة النبي (ص) و لم يؤثر عنه مشاركة في الغزوات، لكنه كان خادماً للنبي (ص) وأخذ عنه وأكثر ملازمته، وأنس نموذج جيد للدراسة لطول عمره وكثرة أحاديثه ووفرة أخباره ومعاصرته كثيراً من الأحداث التي أثرت عليه سلباً أو إيجاباً، وبعضهم يتهمه في قصة حديث العرنيين بأنه وضعه لبني أمية، فالله أعلم بحقيقة الحال، وإن ثبت هذا فيكون في أول أمره فقد كان يعمل لهم ويخالطهم وغفر الله له، فالركون إلى الذين ظلموا لا يدع صاحبه إلا ألحقه الضرر في دينه، ولو لم يكن في الركون من فتنة إلا أن يقال : قد عمل لهم فلان .. لكفى بذلك ضرراً وفتنة، وهل افتتن الغلاة إلا بمثل هذه الاحتجاجات؟.

٢. الصحابي جابر بن عبد الله (ت٨٧هـــ):

فيما أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٦٩/٢٣) عن عمر بن عبد الرحمن بن جرهد قال: سمعت رجلاً يقول لجابر بن عبد الله: من بقي معك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: بقي معي أنس بن مالك وسلمة بن الأكوع. فقال رجل: أما سلمة فقد ارتد عن هجرته فقال جابر: لا تقل ذلك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأسلم – يقصد قبيلة أسلم التي منها سلمة –: (أبدو يا أسلم). قالوا: يا رسول الله وإنا نخاف أن نرتد بعد هجرتنا فقال: (إنكم مهاجرون حيث كنتم)، وسيأتي التعليق على هذين القولين عند الكلام على الآثار الصحابية في بيان الصحبة الشرعية.

وجابر بن عبد الله الأنصاري من صالحي الصحابة وعلمائهم ومحدثيهم وقد لقي من بني أمية أذى كثيراً حتى أن الحجاج ختم في عنقه بالرصاص عبارة (عتيق الحجاج) وكذا فعل الحجاج مع سهل بن سعد وأبي سعيد الخدري وأنس بن مالك يريد بذلك إذلالهم ولئلا يسمع الناس منهم (كما ذكر الذهبي) ولذلك فهذه الطريقة البشعة لا يتذكرها ولا يعرفها هؤلاء المدافعون عن الطلقاء وأبنائهم، فهم منشغلون بالدفاع عن معاوية وابنه وزياد وابنه وليسوا فارغين للدفاع عن أهل بدر والرضوان!.

٣. الإمام سعيد بن المسيب (ت٩٢هـــ):

قال: (الصحابة لا نعدهم إلا من أقام مع رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" سنة أو سنتين وغزا غزوة أو غزوتين)[٢٥٨].

قال السيوطي في تعليل تعريف ابن المسيب: (ووجهه أن لصحبته "صلى الله عليه وآله وسلم" شرفاً عظيماً فلا تنال إلا باجتماع طويل يظهر فيها الخلق المطبوع عليه الشخص، كالغزو المشتمل على السفر الذي هو قطعة من العذاب، والسنة المشتملة على الفصول الأربعة التي يختلف بها المزاج)[٢٥٩].

وسعيد بن المسيب من كبار التابعين، ولبعض الشيعة طعن فيه لا يلتئم، وهو من كبار رواة فضائل علي بن أبي طالب، وكان صهر أبي هريرة، وكان يذم معاوية ويصفه بالسوء، وأما السيوطي فمتأخر (٩١١هـــ) من أغزر الفقهاء في التأليف في معظم الفنون، وهو جامع أكثر منه محققاً ويتساهل في التصحيح، وقد حفظ لنا كثيراً من التراث الحديثي واللغوي والفقهي.

٤. معاوية بن قرة المزني (ت١١٣هـــ):

قال: جاء أبي إلى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وهو غلام صغير فمسح رأسه واستغفر له.

قال شعبة: فقلنا: له صحبة؟

قال: لا، ولكنه كان على عهده قد حلب وصرَّ[٢٦٠].

ومعاوية بن قرة مزني بصري معتدل في الجملة.

٥. عاصم الأحول (ثقة من رجال الجماعة) (ت نحو ١٤٠هـــ):

---

(٢٥٨) الكفاية في علم الرواية للخطيب ص٩٩ من طريق الواقدي عن طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده سعيد بن المسيب ومقدمة ابن الصلاح ص٤٨٧، وهذا يتفق –إلى حد كبير– مع الصحبة الشرعية، لكن الإسناد إلى سعيد بن المسيب ضعيف كما ذكر الشيخ عبد الله السعد، والأصوليون وبعض أهل الحديث يتسامحون في الاحتجاج بالأسانيد إذا كان لمتونها قرائن ولم يكن ضعفها شديداً، وهذه منها، فليس في الإسناد متهم، وإنما فيه الواقدي وفيه خلاف والصواب أنه ثقة في الجملة (عندي فيه بحث خاص) وشيخه طلحة بن محمد أكثر عنه الواقدي وهو من شيوخ الواقدي غير المعروفين، والواقدي مكثر، والمكثرون يغربون في الرجال، وإكثار الواقدي عنه دليل توثيق منه، والواقدي من علماء الجرح والتعديل لكن مؤلفاته في علم الحديث ورجاله وعلله ضاعت فيما ضاع من مؤلفاته، وأما بقية رجال الإسناد فثقات .

(٢٥٩) انظر تدريب الراوي (٢/٢١١).

(٢٦٠) الكفاية للخطيب البغدادي ص (١٠٩). قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي أنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبدالله بن أحمد ثنا أبي ثنا حجاج بن محمد عن شعبة عن أبي إياس بن معاوية بن قرة قال...

قال: (قد رأى عبد الله بن سرجس رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" غير أنه لم تكن له صحبة)[٢٦١] هنا العبارة واضحة في نفي صحبة من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم". و لم تكن له صحبة خاصة أو شرعية، وعاصم الأحول من السلفية القديمة وكان هو ويونس بن عبيد وأيوب السختياني وسليمان التيمي وابن عون ويزيد بن زريع من كبار متعصبة البصرة، وهم من أنشئوا المدرسة البصرية القائمة على النصب لمعارضة الكوفة، وهم من هددوا سفيان الثوري (الكوفي) وشعبة (الواسطي) حتى خضعوا لهم،وكان لهم أثرهم على مدرسة بغداد، بل هم أساتذة المدرسة البغدادية، وكانت هذه المدرسة البصرية هي من جمع بين السلفية والنصب من أيام عبد الله بن عامر، وهذه فائدة على الطريق لخواص طلبة العلم، وللتوسع فيها (في كتابي : المدارس البلدانية – لم يكتمل) وجدت فيها أن هذه المدرسة هي أساس المدرسة السلفية فيما بعد، على مستوى الحديث والجرح والتعديل والعقائد.

٦. الإمام شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠هـ):

قال: (كان جندب بن سفيان أتى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وإن شئت قلت له صحبة)[٢٦٢] فشعبة لا يجزم بصحبة من أتى النبي صلى الله عليه وسلم ويجعل لك الخيار في ذلك، وشعبة هو إمام أهل الجرح والتعديل (لكنه ليس مخترع هذا المنهج، وإنما شيخه ومعاصره عبد الغفار بن القاسم بن قيس بن قيس بن قهد الأنصاري، ولي ترجمة مفردة لهذا الإمام، ومن لا يعرفه لم يدقق في مسيرة الجرح والتعديل).

٧. الواقدي : محمد بن عمر(ت٢٠٧هـ):

حكى الواقدي عن أهل العلم أن الصحابي (من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" مسلماً بالغاً عاقلاً)، والبلوغ شرط زائد على مجرد الرؤية واللقاء، والواقدي إمام في المغازي، وهو مختلف فيه والراجح صدقه، وإنما الناس أعداء ما جهلوا وكان يكثر الإغراب على أهل الحديث، وقد وثقه نحو عشرة من أهل الحديث.

٨. يحيى بن معين (ت٢٣٢هـ):

قال في محمد بن حاطب المولود بالحبشة (له رؤية ولا تذكر له صحبة)[٢٦٣]، ويحيى بن معين من كبار الطبقة الثالثة من أهل الجرح والتعديل، وهو بغدادي كأحمد، وكان أبرز في هذا الفن من زميليه ابن المديني وأحمد،

---

[٢٦١] الكفاية ص٩٨ ذكره الخطيب أيضاً من طريق أحمد بن حنبل ثنا بكر بن عيسى ثنا ثابت عن عاصم الأحول..

[٢٦٢] الكفاية ص٩٨.

[٢٦٣] التقييد والإيضاح للعراقي ص٢٧٩.

لكن أحمد له جلالة فوقهما وكان عجباً في الورع والعلم والعلل حتى أتى المتوكل ونصره فتغير وبالغ في الخصومة فتبدلت مواقفه في كثير من الأمور فكان الحنابلة على آخر آرائه، وبقي آخرون على الثناء على سيرته الأولى، ومن هنا افترق الناس فيه، وأما ابن المديني فعلمه بالعلل والعائلات أكمل، إلا أن فيه شيء من شيخه سفيان بن عيينة، ثم هو بصري وتعصبه خفي وكان له أثر كبير على تلميذه البخاري.

٩. الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هــ):

اختلفت الرواية عنه ومن الروايات التي تؤيد حصره الصحبة في الصحبة الشرعية قوله عن مسلمة بن مخلد (ليست لمسلمة صحبة) مع أنه روى عن مسلمة نفسه قوله: (ولدت حين قدم النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" المدينة وقبض النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وأنا ابن عشر سنين)، قال ابن حجر تعليقاً على نفي أحمد لصحبة مسلمة بن مخلد: (فلعله أراد الصحبة الخاصة).

أقول: الصحبة الخاصة مصطلح مرادف للصحبة الشرعية، مع الاختلاف في حد هذه الخصوصية التي أرادها أحمد، ويفترقان في أن الخاص نسبي أما الشرعي فمحدد، فأهل بدر لهم خصوصية صحبة ليست لأهل بيعة الرضوان لكن الصحبة الشرعية لهؤلاء وهؤلاء بمنــزلة واحدة من حيث الشرعية وإن اختلفت المرتبة والفضل.

١٠. الإمام البخاري صاحب الصحيح (ت٢٥٦هــ):

قال في مقدمة التاريخ الأوسط ص٦٨: (كتاب المختصر من تاريخ هجرة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" والمهاجرين والأنصار وطبقات التابعين لهم بإحسان ومن بعدهم...الخ).

أقول: فالبخاري يطلق على من سوى المهاجرين والأنصار (تابعين بإحسان) وهذا من الناحية الشرعية، وللبخاري نفسه تعريف يتفق مع مصطلح المحدثين سيأتي، والبخاري كبير أهل الحديث وفيه انحراف يسير عن أهل البيت وميل واضح لبني أمية (ولي قراءة لصحيحه وتاريخه الصغير وهواه فيهما واضح رغم علمه ومكانته، إلا أنه يميل للتجسيم والنصب، وتحرر من مسألة اللفظ الحنبلية وتابع ابن كلاب والكرابيسي والحزامي وغيرهم فهجره أهل الحديث وبدّعوه، وهو متروك الحديث عند أبي خاتم وأبي زرعة والذهلي كما في ترجمته في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، فأهل الحديث ليسوا على مذهب واحد، بل يبدع بعضهم بعضاً ويضلل بعضهم بعضاً، وكان أكثر أهل الحديث على تبديع البخاري وترك حديثه إلى القرن الرابع و لم

يكثر عنه وينصره من القرن الثالث بعد مسألة اللفظ إلا قلائل من أهل الحديث أمثال الترمذي، وكتاب البخاري: خلق أفعال العباد هو رد على غلاة الحنابلة، لكنهم لا يعرفون ذلك إلى اليوم، كما أن تاريخه الصغير (أو الأوسط) دليل على تأثره بالنصب، وكتاب التوحيد له — ضمن الصحيح- فيه التجسيم والتشبيه وأن الله له دار في الآخرة وأن النبي (ص) في الشفاعة يدخل عليه في داره وغير ذلك من أحاديث التشبيه والتجسيم) .

١١. الإمام مسلم (ت٢٦١هـ):

قال في كتابه الطبقات (١٤١/١): (ذكر تسمية من رووا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الرجال الذين صحبوه ومن رووا عنه ممن رآه و لم يصحبه لصغر سن أو نأي دار..).

أقول: منهج مسلم واضح في إخراج بعض من رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولقيه من مسمى الصحبة، والإمام مسلم أكثر أمانة في النقل من زميله وشيخه البخاري، فمسلم لا يغير ألفاظ الحديث كما يفعل البخاري، وهو ثقة فيمت ينقله، وهو ثالث أصحاب الكتب الستة الذين تثق في نقولاتهم ولا يتصرفون في الأسانيد ولا المتون ومثله الترمذي والنسائي، بعكس البخاري وأبي داود[٢٦٤] فليسا على تمام

[٢٦٤] أما البخاري فتعصبه واضح ويكفي أنه في تاريخه الصغير أنه لا يعترف بخلافة علي تقريباً و لم يذكر ولاته على الكوفة مع تعمد في سرد ولاة الخلفاء قبله وبعده، كما أنه يتعمد الرواية عمن لا يثبت خلافة علي كزياد بن علاقة ونافع مولى ابن عمر، مع تضعيف بعض الصحابة الذين ناصروا علياً أو إهمالهم، والمبالغة في توثيق الطلقاء الذين قاتلوه والثناء عليهم، وقصة البخاري — على مكانته الكبيرة- تفيد أنه كان فيه مجموعة أهواء أخفاها بذكائه وعلمه، لكنها بالاستقراء تظهر جلية، وأما أبو داود فكذلك من حيث إخفاء فضائل علي، فكان الوحيد من أهل الكتب الستة الذي لم يذكر حديث عمار (تقتله الفئة الباغية) إضافة إلى بتره بعض الأحاديث التي لا تتفق مع مذهبه مثل حديث النعمان بن بشير في فضل علي وفاطمة وأنهما أحب إلى رسول الله من أبي بكر وعائشة ففي (سنن أبي داود - (ج ١٤ / ص ٣٣٨): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ أَبِى إِسْحَاقَ عَنْ أَبِى إِسْحَاقَ عَنِ الْعَيْزَارِ بْنِ حُرَيْثٍ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- فَسَمِعَ صَوْتَ عَائِشَةَ عَالِيًا فَلَمَّا دَخَلَ تَنَاوَلَهَا لِيَلْطِمَهَا وَقَالَ لاَ أَرَاكِ تَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَجَعَلَ النَّبِىُّ -صلى الله عليه وسلم) .. الحديث بينما الحديث فيه زيادة في فضل علي وفاطمة بالإسناد نفسه عند شيخه أحمد بن حنبل وغيره، ففي مسند أحمد بن حنبل - (ج ٤ / ص ٢٧٥)

حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو نعيم ثنا يونس ثنا العيزار بن حريث قال قال النعمان بن بشير قال : استأذن أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه و سلم فسمع صوت عائشة عاليا وهى تقول والله لقد عرفت ان عليا أحب إليك من أبي ومنى مرتين أو ثلاثا فاستأذن أبو بكر فدخل فأهوى إليها فقال يا بنت فلانة الا أسمعك ترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه و سلم.. الحديث، وهو عند النسائي بالإسناد نفسه غير مبتور (ففي السنن الكبرى للنسائي - (ج ٥ / ص ١٣٩) : أخبرني عبدة بن عبد الرحيم قال أخبرنا عمرو بن محمد قال أخبرنا يونس بن أبي إسحاق عن العيزار بن حريث عن النعمان بن بشير قال استأذن أبو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم فسمع صوت عائشة عاليا وهي تقول والله لقد علمت أن عليا أحب إليك من أبي فأهوى إليها أبو بكر ليلطمها وقال يا ابنة فلانة أراك ترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه وسلم..) وقد رواه الطحاوي والبزار والطبراني وغيرهم، وكان أبو داود هو الوحيد الذي لم يحتمل ذكر فضيلة علي هنا، ولذلك قال الهيثمي في المجمع (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - (ج ٩ / ص ٢٤) : رواه أبو داود غير ذكر محبة

الثقة في نقل المتون – و لم أدرس ابن ماجه- وهذا التفصيل لا يعرفه أكثر أهل الحديث لا في الماضي ولا اليوم، وإنما يهمس بذلك بعضهم على خوف وترقب! لأن أكثرهم مقلدون وخائفون ومتواطئون على كتم العلم والمحافظة على سمعة المذهب، وإن وجد أحدهم فائدة كتمها ودخلت معه في قبره قبل أن ينطقها، وهذا كتمان للعلم).

١٢. أبو حاتم الرازي (ت ٢٧٥هـ):

قال: (حسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما ليست له صحبة)[٢٦٥].

أقول: ها هو أبو حاتم وهو من داخل البيت الحديثي والسلفي يخرج الحسين بن علي من الصحابة مع أن الحسين سيد شباب أهل الجنة ومن أكثر الناس التصاقاً بالنبي (ص)، لكن جسن الظن بأبي حاتم أنه يريد الصحبة الشرعية المقتضية للنصرة والجهاد- وهذا لا يمنع من أن يكون بعض من بعدهم أفضل من كثير منهم- أو أنه يريد بالصحابي هنا من أثرت عنه رواية فقط! وعلى هذا يكون اصطلاحاً خاصاً يخرج به بعض أصحاب بدر من الصحبة (وهذا ما فعله مع بعض أهل بدر، إذ كان يقول عنهم : أعرابي مجهول)! وهذا يدل عليه عمل بعض أهل الحديث الذين يسردون أسماء الصحابة الذين رووا الحديث فقط قد يهملون بدريين وسابقين إلى الإسلام، ولهم اصطلاحهم الخاص، وهذا اصطلاح غير ذلك الاصطلاح الذي عليه غلاة السلفية فيما بعد، الذين يرتبون على الصحبة الفضل بغض النظر عن ثبوت الرواية عنهم، وعلى هذا لا يجوز أن نزعم أن الصحابة الذين أهملهم أهل الحديث ليسوا صحابة، كما لا يجوز أن ندخل في الصحبة الشرعية كل من أدخلوه في الرواة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إن لم يكن من أصحاب الصحبة ذات الفضل من الهجرة والنصرة والجهاد والإنفاق ونحو ذلك.

إذن فأبو حاتم قد حكم على بعض من له رؤية ولقاء والتصاق بالنبي (ص) وقرب منه بأنه تابعي ومع هذا لم يشنع عليه هؤلاء المتحمسون، وهذا فيه رد على من يرى أن أهل الحديث يثبتون الصحبة لمن حصلت له صحبة يسيرة[٢٦٦].

علي رضي الله عنه)! وكذا قال ابن الأثير في جامع الأصول، فهذا مثال واحد من عشرات الأمثلة يراها الباحثون ويكتمونها ولا يعودون لأسباب هذا الإخفاء حتى لو تكرر كثيراً بينما إن ظفروا بلفظة ناقصة ممن يبغضونه ملأوا بها الدنيا.

[٢٦٥] جامع التحصيل للعلائي (ص٣٩٨).

وأبو حاتم الرازي رغم علمه وفضله كان من غلاة السلفية، وهو ممن هجر البخاري وضعفه لقوله باللفظ، وإذا صحت عنه تلك العقيدة التي نقلها عنه اللالكائي في (شرح أصول الاعتقاد) فهو من غلاة السلفية في طبقتها الثالثة .

١٣. العجلي (ت٢٦١هـ) صاحب الثقات:

كان يشترط البلوغ في الصحبة مع طول الملازمة ، ولذلك أورد في التابعين بعض الصحابة من أصحاب الصحبة العامة لا الشرعية كجارية بن قدامة السعدي وجعدة بن هبيرة المخزومي ومحمود بن لبيد وأبو الطفيل عامر بن واثلة وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ويوسف بن عبد الله بن سلام وزينب بنت أم سلمة (ربيبة رسول الله) وغيرهم وهم صحابة باتفاق من حيث الرؤية والرواية والسماع واللقيا، لكنه كان يقول في كل منهم (تابعي ثقة) ونحو ذلك، بل قال هذا في أحد البدريين وهو أبو صرمة مالك بن قيس، قال عنه (تابعي ثقة)! ولو كان أبو صرمة من الطلقاء لاتهموا العجلي بالرفض! فأعينهم لا يفتحونها إلا بالليل.

والعجلي بصري سكن ليبيا وهو مقل ولا يعرف له إلا كتاب الثقات.

١٤. أبو زرعة الرازي (ت٢٦٢هـ).

١٥. وأبو داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ):

قالا في طارق بن شهاب (له رؤية وليست له صحبة)[٢٦٧] مع أن طارق بن شهاب كان كبيراً وأدرك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رجلاً وغزا في عهد أبي بكر[٢٦٨] .

---

[٢٦٦] قال أبو حاتم أيضاً عن محمود بن الربيع (له رؤية وليست له صحبة)- جامع التحصيل ص٣٣٨- وكذا قال في يوسف بن عبد الله بن سلام- جامع التحصيل ٣٧٦- وقال عن عبد الرحمن بن عثمان (كان صغيراً له رؤية وليس له صحبة)- التقييد والإيضاح ص٢٧٩، وهذا يؤكد أن أبا حاتم لا يكتفي بمجرد الرؤية أو الصحبة اليسيرة وإن لم نعرف له حداً يحد به الصحبة.

[٢٦٧] جامع التحصيل ص٢٤٣، والتقييد والإيضاح للعراقي ص٢٧٩.

[٢٦٨] قال محقق معرفة الثقات للعجلي - (ج ١ / ص ٩٨) : وذهب بعض الاصوليين إلى أنه لا يكفى في كونه صحابيا مجرد الرؤية بل لا يكون صحابيا إلا إن طالت صحبته للنبى صلى الله عليه وسلم، وكثرت مجالسته على طريق التبع إو الاخذ منه، وهذا يعنى أن من رأى النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان بالغا ولم يسمع منه لا يعتبر صحابيا عند هؤلاء، قال السخاوى: وصنيع أبي زرعة الرازي، وأبي داد يشعر بالمشى على هذا المذهب، فانهما قالا في طارق بن شهاب: " له رؤية وليست له صحبة ".قلت (محقق الكتاب): ويبدو من صنيع الامام العجلى أنه أيضا على هذا المذهب، فانه قال في ترجمة طارق بن شهاب الاحمسي: " من أصحاب عبد الله، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم " وطارق هذا رآه صلى الله عليه سو لم وهو رجل، ولكنه لم يسمع منه اهـ / قلت ولكنه قال هذا في من شهد مع النبي (ص) وسمع منه فقال : (معرفة الثقات - (ج ٢ / ص ١٥) : عامر بن واثلة أبو الطفيل مكي ثقة نزل الكوفة مع علي وكان من كبار التابعين وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم سمع من عبد الله يعنى بن مسعود) اهـ وهو آخر الصحابة موتاً.

وأبو زرعة أيضاً من غلاة السلفية — وهو من طبقة البخاري ومسلم- وكان هو والذهلي على رأي متشدد في مسائل السلفية كالصفات والصحابة والرؤية وخلق القرآن ..الخ وهو ممن ضعف البخاري وهجره لقوله باللفظ، وأما أبو داود فقد سبق القول فيه.

١١. أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـــ):

(لا خلاف بين أهل اللغة في أن القول (صحابي) مشتق من الصحبة وأنه ليس بمشتق من قدر مخصوص منها، بل هو جار على كل من صحب غيره، قليلاً كان أو كثيراً، كما أن القول مكلم ومخاطب، وضارب مشتق من المكالمة والمخاطبة والضرب على كل من وقع منه ذلك، قليلاً كان أو كثيراً، وكذلك جميع الأسماء المشتقة من الأفعال، وكذلك يقال صحبت فلاناً حولاً ودهراً وسنةً وشهراً ويوماً وساعةً، فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره، وذلك يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ولو ساعة من نهار، هذا هو الأصل في اشتقاق الاسم، ومع ذلك فقد تقرر للأمة عرف في أنهم لا يستعملون هذه التسمية إلا فيمن كثرت صحبته واتصل لقاؤه، ولا يجرون ذلك على من لقي المرء ساعة ومشى معه خطى وسمع منه حديثاً، فوجب لذلك أن لا يجري هذا الاسم في عرف الاستعمال إلا على من هذه حاله، ومع هذا فإن خبر الثقة الأمين عنه مقبول ومعمول به، وإن لم تطل صحبته ولا سمع منه إلا حديثاً واحداً)[٢٦٩].

والباقلاني ممن ثبت عقيدة الأشاعرة، وكانت فترته هي فترة ذهبية في العلاقة بين الأشاعرة والحنابلة ولذلك دخل فيه من النصب ما دخل، كما دخل في الحنابلة من التنـــزيه ما دخل، فكانت خلطة أشعرية حنبلية رأسها الباقلاني والتميميين من الحنابلة، وكانت هذه الخلطة بسبب التكتل ضد المعتزلة والشيعة بعد أن انتعش هذان المذهبان بسبب فتح البويهيين لحرية الرأي والتمذهب وتقريبهم للطالبيين والأدباء والمعتزلة.

١٢. الماوردي (ت٤٥٠هـــ):

---

[٢٦٩] الكفاية ص١٠٠.

(الصحابي يشترط فيها أن يتخصص بالرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" ويتخصص الرسول به)[٢٧٠].

١٣. الإمام ابن عبد البر (٤٦٣هـ):

كان من المشترطين البلوغ في إثبات الصحبة[٢٧١] ، إضافة إلى أنه كان يذم من ساءت سيرته ممن ترجم له في الصحابة، وقال في ترجمة عبيد بن معمر (ذكر بعضهم أن له صحبة وهو غلط بل له رؤية وهو غلام صغير)[٢٧٢].

وابن عبد البر هو إمام أهل السنة في عصره، وكان من أهل السنة القلائل الذين كانوا منحرفين عن الظالمين من بني أمية، ومن المحبين لأهل البيت من الصحابة كالأربعة (علي وفاطمة وابنيهما)، ومن طبيعة هذا النوع من أهل السنة أن يكونوا قلائل داخل أهل السنة وسبقه على هذا المنهج من أهل السنة النسائي والطبري والحاكم وقبلهم عبيد الله بن موسى العبسي والحسن بن صالح بن حي وأغلب علماء الكوفة من أهل الحديث وبعض أهل البصرة كجعفر بن سليمان الضبعي وبعض أهل اليمن كعبد الرزاق الصنعاني، إلا أن الخط المدعوم من السلطة - المتوجسة من العلويين- كان أشهر وأكثر وفيهم الانحراف عن أهل البيت بنسب مختلفة، وهناك جمع من أهل السنةلا يعرف لهم رأي في الموضوع كمسلم مثلاً فهو راوٍ أكثر منه متكلم في المذهب .

١٣. المازري (ت ٥٣٦هـ):

قال في شرح البرهان: (لسنا نعني بقولنا (الصحابة عدول) كل من رآه النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" يوماً أو زاره عاماً أو اجتمع به لغرض وانصرف وإنما نعني به الذين لازموه وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنـزل معه وأولئك هم المفلحون)[٢٧٣].

وقال: (في الصحابة عدول وغير عدول، ولا نقطع إلا بعدالة الذين لازموه "صلى الله عليه وآله وسلم" ونصروه واتبعوا النور الذي أنـزل معه...).

---

[٢٧٠] تدريب الراوي (٢/٢١٣). وهذا يتفق مع معاني الصحبة الشرعية الممدوحة في الكتاب والسنة.

[٢٧١] راجع التقييد والإيضاح للعراقي ص٢٧٩.

[٢٧٢] المرجع السابق.

[٢٧٣] تدريب الراوي للسيوطي(٢/٢١٥) وتوضيح الأفكار للصنعاني (٢/٤٣٦). وهذا يتفق مع الصحبة الشرعية التي سبق ذكرها في هذا المبحث.

وهذا أيضاً يتفق تماماً مع (الصحبة الشرعية) التي هي موضوع هذا الكتاب، والمازري من علماء الأندلس الكبار، وله كتب في الفقه والمصطلح والحديث، وأرى أنه متأثر بابن عبد البر، ولعله أدركه.

١٤. البغوي (ت ٥١٦ هـ):

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾ : يعني التابعين وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة[٢٧٤]، والبغوي مفسر سني مشهور ويلقب بـ (محيي السنة) ، وتفسيره مطبوع.

١٥. ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ):

قال: (فصل الخطاب في هذا الباب أن الصحبة إذا أطلقت فهي في المتعارف تنقسم إلى قسمين:

أحدهما: أن يكون الصاحب معاشراً مخالصاً كثير الصحبة فيقال: هذا صاحب فلان، كما يقال: خادمه لمن تكررت خدمته لا لمن خدمه يوماً أو ساعة!!

الثاني: أن يكون صاحباً في مجالسة أو مماشاه ولو ساعة، فحقيقة الصحبة موجودة في حقه وإن لم يشتهر بها)[٢٧٥].

أقول: فالقسم الأول هو المعنى العرفي والقسم الثاني هو المعنى اللغوي.

وابن الجوزي تخلص من التجسيم والتشبيه وهو أيضاً معتدل في التاريخ وله كتاب في ذم يزيد بن معاوية، وابن الجوزي غير مرضي عند التيار السلفي المتشدد لأنه أول حنبلي له نقد للمذهب، وكان كتابه في ذم التشبيه وكذا كتابه الآخر في جواز لعن يزيد بن معاوية من الذنوب التي لا تغتفر لابن الجوزي عند غلاة الحنابلة، فلذلك ضلله بعض الحنابلة وغمز من قناته ابن تيمية رغم سرقاته منه ثم حاول بعض المعاصرين أن يثبت كفره في رسالة جامعية إلا أنها لم تطبع! وابن الجوزي رغم نقده للمذهب إلا أنه قد بقي فيه شيء التعصب للمذهب الذي لا يكاد ينجو منه أحد، إلا أنه يشكر له ذمه ليزيد بن معاوية وتشبيه الله بخلقه، فهاتان لم تجتمعا في حنبلي لا قبله ولا بعده! ويعد ابن الجوزي وابن عقيل ثم ابن رجب وابن مفلح وابن قدامة ثم عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ثم عبد العزيز ابن باز من المعاصرين صفوة الحنابلة عبر العصور، وكذا أحمد قبل مجيء المتوكل، والمسائل هنا نسبية، بينما أسوأ الحنابلة وأكثرهم تعصباً كان

---

[٢٧٤] تفسير البغوي، سورة الحشر.

[٢٧٥] نقلاً عن أحمد شاكر، الباعث الحثيث ص٤٩٥ تحقيق علي حسن عبد الحميد.

المروذي والبربهاري وابن تيمية وحامد الفقي عبر العصور أيضاً، إلا أن ابن تيمية زاد على هؤلاء في التحايل والكذب في النقول عند الحاجة لذلك، وهذه الشذرات لخاصة طلبة العلم الذين يرعونها حق رعايتها، وليست لأي أحد، ومن أراد أن يبحث فليفعل

١٦. ابن الملقن (ت٧٢٣هـــ):

نقل قول ابن الصلاح في كتابه المقنع (٢/٤٩٠) ثم قال: (فالمعروف من طريقة أهل الحديث أن "كل مسلم رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وإن لم يصحبه"! وطريقة الأصوليين أنه "من طالت مجالسته على طريق التبع له والأخذ عنه").

أقول: هكذا فرق بين الصحبة والرؤية.

١٧.ابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـــ) : ذهب نحو هذا في شذرات الذهب[٢٧٦]، وابن العماد الحنبلي من منصفي الحنابلة ومن كبار مؤرخيهم، وكتابه (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) تعرف منه وتنكر، فهو يثني على البر والفاجر، له كلام جيد في أهل الفضل لكنه يجعل معاوية ميزان حب الصحابة!

١٨. اللكنوي (ت١٣٠٤هـــ):

(اختلفوا في أن الصحابي يشترط في كونه صحابياً طول المجالسة أم لا؟ فالذي ذهب إليه جمهور الأصوليين وجمع من المحدثين إلى اشتراطه، وأيدوه بالعرف، فإن الصحابي لا يفهم منه أهل العرف إلا من يصحب صحبة معتداً بها، لا من له رؤية لحظة مثلا، وإن لم تقع معها مجالسة ولا مماشاة ولا مكالمة!! ومنهم من اشترط مع ذلك أن يغزو مع النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" غزوة أو غزوتين. ومذهب جمع من المحدثين كأحمد وعلي بن المديني وتلميذه البخاري وغيرهم أنهم يكتفون في كونه صحابياً مجرد الرؤية وهو مؤيد باستعمال أهل اللغة، فالصحابي لغة جار على من صحب غيره قليلاً كان أو كثيراً وهذا المذهب هو الذي عول عليه أكثر المتأخرين. ومنهم من اشترط في كونه صحابياً روايته عن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، حكاه ابن الحاجب وغيره ٠٠٠)[٢٧٧].

---

[٢٧٦] صحابة رسول الله للكبيسي، ص٢٩٧.

[٢٧٧] ظفر الأماني للكنوي ص٤٩٦.

واللكنوي عالم هندي وهو حنفي المذهب، وله مشاركة في المصطلح والفقه، وكان للمرحوم عبد الفتاح أبو غدة الفضل في إخراج تراثه، كالرفع والتكميل وظفر الأماني.

١٩. الدكتور محمد بن سليمان الأشقر (معاصر):

قال : (لم أزل منذ أيام الطلب والدراسة أستشكل ما يقرره المحدثون وأهل مصطلح الحديث، من عدهم كل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" صحابياً، هذا مع القول بأن كل الصحابة عدول.

فقد كان بين الذين رأوا النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" من هو مؤمن ظاهراً وهو في الحقيقة منافق، وقد قال الله تعالى: ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾ وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة قول النبي "صلى الله عليه وآله وسلم": (ليذادن أقوام عن حوضي فأقول يا رب أصحابي أصحابي، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي) وإذا كانت رؤية بعض الأعراب ونحوهم له "صلى الله عليه وآله وسلم" لم تمنعهم من الردة عن الإسلام، فكيف يقال أنها تمنع من الكذب عليه "صلى الله عليه وآله وسلم"؟! ولا شك أن بركة رؤيته "صلى الله عليه وآله وسلم" والاجتماع معه عظيمة، وأن نوره باهر يأخذ بالقلوب، ولكن بعض القلوب أشد من الصخر لا يؤثر فيها شيء، أو لا يؤثر فيها إلا بعد تكرار وطول صحبة.

ثم تبين الأمر والحمد لله بعد الإطلاع على هذه الرسالة، وما ذكر فيها من مذاهب أهل العلم في المسألة، فنأخذ بخلاف ما درج عليه المتأخرون من المحدثين كابن حجر وغيره وهو قولهم إن الصحابي هو كل من رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" مؤمناً، ولو كانت رؤيته له للحظة، ومات على ذلك).

ثم استعرض المذاهب في ذلك فقال:

(الأول: طول الصحبة عرفاً، لأنه لا يقال: "فلان صاحب فلان" في عرف الناس، إلا لمن طالت صحبته له، واختص به.

وهذا الاشتراط هو طريقة الأصوليين. نقله عنهم ابن السمعاني، وبه قال ابن عبد البر في "الاستيعاب" والباقلاني، والغزالي، وبه جزم ابن الصباغ في "العدة" كما في فتح المغيث للحافظ العراقي (٣١/٤) وقال به الصميري الحنفي، وإليكا الطبري، والقشيري، والمازري، وابن الأثير، كما في جامع الأصول (١٣٤/١)

وابن فورك والمعتزلة، كما يذكر في هذه المسألة، وكما في البحر المحيط (٣٠٣/٤) ونقل عن سعيد بن المسيب أنه قال: لا يكون صحابياً إلا من أقام معه سنة أو سنتين أو غزا معه غزوة أو غزوتين.

الثاني: أن لا يعرف عنه نفاق، وأن يكون على الطريقة التي كان عليها النبي "صلى الله عليه وآله وسلم". وقد صرح بهذا الشرط أبو الحسين بن القطان على ما نقله الزركشي في بحره المحيط (٢٩٩/٤).

الثالث: أن لا يكون ممن ارتد عن الإسلام ولو راجع الإسلام، وهذا الشرط لا ينفي أن تكون روايته بعد مراجعته للإسلام متصلة، ويكون حديثه مرفوعاً، ومقبولاً إن كان حسن الإسلام وعرفت عدالته بطريقها.

وهذا القول المختار هو طريقة الأصوليين —لازال الكلام للأشقر– أما الأخرى فهي طريقة المحدثين كما نبه إلى ذلك ابن الصلاح رحمه الله.

ويقول أيضا: وإنما ذهب الأصوليون إلى اشتراط طول الصحبة لاستلزام الصحبة عندهم للعدالة، أما المحدثون فينظرون إلى معرفة اتصال السند، ولذا اصطلحوا على أن اللقي إن ثبت بين الراوي وبين النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" فالسند متصل، وسموا ذلك الراوي صحابياً، وجمعوا أسماء الصحابة على هذا الأساس.

فإذن لا يرد على هذا القول الذي اخترناه ما صنعه كثير ممن جمع أسماء الصحابة رضي الله عنهم. فإنهم قصدوا الاستيعاب والاستيفاء للذين وردت أسماؤهم في كتب الحديث والسير والتاريخ أنهم التقوا بالنبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ، أو لهم ذكر في شيء من الأخبار التي لها تعلق بالنبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بقطع النظر عن ثبوت ذلك أو عدم ثبوته، وليس مقصودهم أن كل من يذكر في تلك الكتب فهو صحابي عدلٌ. بل هذا من باب الجمع الكامل المستوعب ثم إذا أراد أحد أن يثبت الصحبة لأحد ممن ذكر في تلك الكتب فعليه أن يتحقق من ذلك بطريقته.

ثم من تحققت فيه شروط الصحبة فهو عدل، نظيره قول المحدثين: "إذا جمعت فقمش ثم إذا رويت ففتش" أي إذا أخذت الأحاديث عن الشيوخ فخذ كل ما تسمع، لكن لا ترو لأحد من تلاميذك إلا بعد التفتيش والتحقيق).

وقال أيضاً: (ثم جاء بعض المصنفين، فنقلوا حكم الصحابي في اصطلاح الأصوليين إلى الصحابي في اصطلاح المحدثين، وما كان لهم أن يفعلوا ذلك، فإن الصحبة إن طالت اقتضت التأثير في الأخلاق والاعتقاد والعمل وخاصة من صحب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" في الشدة والرخاء وجاهد معه وصبر واقتدى بأقواله

وأفعاله "صلى الله عليه وآله وسلم" أما الرؤية العابرة، واللقاء القليل، واستماع الكلمة، فقد يؤثر وقد لا يؤثر، ولذا ارتد كثير من الأعراب بعد وفاته "صلى الله عليه وآله وسلم" ممن قال الله تعالى فيهم ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ لم تمنعهم تلك الرؤية وذلك الاستماع، من الردة، وثبت آخرون على الإسلام، فلا يكون ذلك اللقاء العابر مقتضياً للعدالة يقيناً بل قد يقتضيها وقد لا يقتضيها. والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم)[٢٧٨].

قلت : انتهى كلام الدكتور الأشقر وهو نفيس، وهذه الحرية في الطرح هو ما نريد من أبناء التيار السلفي خاصة، لأن الجمود على المذهب نوع من عبادته، وقد نهى الله عن اتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله، أعاذنا الله وإياكم من مراقبة الناس وإهمال مراقبة الله.

٢٠. الدكتور عبد الكريم النملة (معاصر) في كتابه (مخالفة الصحابي)، قال في النتائج ص٢٤٢:

(الصحابي هو: من لقي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واختص به اختصاص المصحوب متبعاً إياه مدة يثبت معها إطلاق "صاحب فلان" عليه عرفاً بلا تحديد لمقدار تلك الصحبة سواءً روى عنه أو لا، تعلم منه أو لا، وقد اخترت هذا المذهب في المراد بالصحابي بعد مناقشتي للمذاهب الأخرى في ذلك).

وكان الدكتور النملة قد قسم مذاهب العلماء في تعريف الصحابي إلى سبعة مذاهب ثم ذهب إلى تعريف الأصوليين الذي سبق ذكره وعلل سبب اختياره لهذا المذهب بقوله: لأن جمهور الأصوليين لما عرفوا الصحابي (نظروا إلى أمور مهمة ودقيقة؛ فقد نظروا إلى الصحابي الذي شاهد التنـــزيل وحضره، واطلع على أكثر أسباب نزول الآيات، وقول أكثر الأحاديث وسمع الشرع من في رسول الله، وبذلك عرف التأويل ومقاصد الشرع،

وقد نظروا إلى الصحابي الذي يكون كلامه أولى من كلام التابعين ومن جاء بعدهم،

وقد نظروا إلى الصحابي الذي احتج جمهور العلماء بكلامه وفعله وقوله وجعلوا ذلك دليلاً من أدلة الشرع في إثبات بعض القواعد الأصولية، وبعض الأحكام الفرعية،

وقد نظروا إلى الغرض والفائدة من إثبات أن هذا صحابي أم لا، فتجد أن نظرة جمهور الأصوليين نظرة دقيقة.

[٢٧٨] مقدمة التحقيق لكتاب: تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شرف الصحبة، للعلائي، تحقيق الدكتور محمد بن سليمان الأشقر، ص١٧-٢٠.

بخلاف نظرة أصحاب المذهب الأول وهم جمهور المحدثين وبعض الأصوليين، فهم نظروا للوضع اللغوي للصحابي، وهذا معروف أنه شامل وعام ينطلق على كل من صحب غيره صحبة طويلة أو قصيرة، لذا يكون مذهب جمهور الأصوليين هو الراجح)[٢٧٩].

وقد ذكر الدكتور النملة للأصوليين ثلاثة أدلة هي:

(الدليل الأول: أن الصاحب في العرف إنما يطلق على المكاثر الملازم ومنه يقال: "أصحاب الكهف" حيث لازموا الكهف ويقال: "أصحاب الحديث" حيث لازموا دراسة الحديث وما يتعلق به دون غيره، ولهذا قيل: "المزني صاحب الشافعي" و "أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة" ولا يصح أن يقال لمن رآهما —أعني الشافعي وأبا حنيفة —صاحبا، فثبت أنه لا يقال: "إن فلاناً صاحبُ فلان" إلا لمن طالت صحبته له، ولو كان مجرد الرؤية مع الاجتماع يطلق على ذلك صحبة للزم من ذلك أن أكثر الناس بعضهم أصحاب بعض إذ أكثرهم يحصل بينهم ذلك!.

الدليل الثاني: أنه يصح نفي الصحبة عن الذي لاقى غيره دون طول مدة فيقال مثلاً: "فلان لم يصحب فلانا لكنه وفد عليه أو رآه أو عامله" والأصل في النفي أن يكون محمولاً على الحقيقة.

الدليل الثالث: من الواقع حيث أن الواقع أن الناس لا يطلقون هذا الاسم إلا على من اختص بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمنع من إطلاقه على من لم يختص به وإن كان قد رآه وسمع منه مثل: من ورد عليه من الوفود والرسل ومن يجري مجراهم فإن كان كذلك: وجب أن يكون هذا الاسم جارياً على من اختص بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الاختصاص الذي ذكرناه.

–ونقل عن أبي يعلى قوله– يبين صحة ذلك أن العالم إذا كان له أصحاب يصحبونه ويلازمونه كانوا هم أصحابه وإن كان في البلد من يلقاه ويستفتيه فلا يكون من أصحابه، كذلك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأصحابه من صحبه دون من لقيه مرة)[٢٨٠].

---

(٢٧٩) مخالفة الصحابي ص٦٩.

(٢٨٠) مخالفة الصحابي ص٥٩،٥٨.

وقد ذكر الدكتور النملة بعض الجوابات على الأدلة السابقة، و لم يأخذ بها، وإنما توصل إلى قوله (فإن الصاحب يطلق على الملازم المكثر من ذلك فالذين يلازمون عالماً يسمون أصحابه، كذلك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أصحابه هم الذين لازموه في أحيان كثيرة دون من لقيه مرة أو وفد عليه مرة)[٢٨١].

ثم ذكر الدكتور النملة ثمرة هذا التعريف وما يترتب عليه من أمور كعدالة الصحابي وفضله وفسق سابه وقبول مراسيله وحجة أقواله وأفعاله عند بعض العلماء واعتبار مخالفته للحديث عند بعضهم أيضاً[٢٨٢].

استطراد في القائلين بهذا المذهب:

ثم وجدت أقوالاً أخرى لبعض الصحابة والتابعين والعلماء تصب في هذا المذهب الذي لا يكتفي بمجرد اللقاء أو الرؤية وأصحابها هم:

١ – سلمان الفارسي (٣٦هـ):

سلمان الفارسي، أو المحمدي، من علماء الصحابة الكبار، وله اختصاص بالنبي (ص)، وهو غني عن التعريف، توفي بداية سنة ٣٦هـ على المشهور، وكان له مذهب دقيق في تعريف الصحبة، سنعرضه ثم ندرس الإسناد، فقد أخرج ابن عساكر في تاريخه بإسناده عن أبي البختري، قال : جاء الأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله البجلي على سلمان، فدخلا عليه في خص في ناحية المدائن فأتياه فسلما عليه وحيياه ثم قالا : أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا أدري! فارتابا وقالا : لعله ليس الذي نريد ! فقال لهما : أنا صاحبكما الذي تريدان، قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجالسته وإنما صاحبه من دخل معه الجنة!..(ثم ذكر قصتهما ومجيئهما من عند أبي الدرداء الحديث)).

قلت:

وإسناده صحيح لولا إرسال أبي البختري، وإسناده في الأصل تاريخ دمشق [جزء ٢١ – صفحة ٤٤١] هو: أنبأنا أبو علي الحداد (ثقة من شيوخ ابن عساكر) أنا أبو نعيم (هو الأصبهاني ثقة مصنف ٤٣٠هـ نا سليمان بن أحمد (هو الطبراني ثقة معروف) ٣٦٠هـ نا محمد بن عبد الله الحضرمي (هو مطين ثقة مشهور) ٢٩٧هـ نا يحيى بن إبراهيم بن محمد بن أبي عبيدة بن معن (هو ابن عبد الرحمن بن

---

[٢٨١] مخالفة الصحابي ص٦٨.

[٢٨٢] انظر: مخالفة الصحابي ص٧٦.

عبد الله بن مسعود، ثقة من رجال التقريب)حدثني أبي (إبراهيم بن محمد: لم يترجموه لكنه مذكور بالرواية عن أبيه) عن أبيه (محمد بن أبي عبيدة ثقة = تقريب، توفي ٢٠٥هـــ) عن الأعمش (ثقة مشهور ١٤٨هـــ) عن أبي البختري (سعيد بن فيروز، ثقة من كبار التابعين مات سنة ٨٣هـــ في ثورة ابن الأشعث) كثير الارسال... لم يدرك علياً... فعلى هذا الأثر مرسل إلا إذا رواه عن جرير أو الأشعث .

التعليق:

هذا التعريف من أدق وأبلغ تعريف للصحبة الشرعية، وهو أضيق التعريفات، كما أنه أوسعها أيضاً ، وهو من أقدم التعاريف المأثور من صالحي الصحابة ، وفيه أكثر من فائدة: منها اعتراف جرير والأشعث بالصحبة الخاصة وسؤالهما عن (صاحب رسول الله) وهذا إخراج منهما لأنفسهما من الصحبة، وإلا لقالا: هل أنت سلمان؟ فهما يخرجان أنفسهما من تلك الصحبة الشرعية، لأنهما لم يسلما إلا في آخر النبوة، فلم يعتدا بتلك الصحبة، فهنا ثلاثة سلمان وجرير بن عبد الله والأشعث بن قيس) على اختلاف مذاهبهم (فسلمان علوي، وهما أمويان) يتفقون على أن الصحبة لها صفات خاصة لليس منها مجرد الرؤية ولا اللقاء.

٢ عبد الله بن معقل (تابعي من رجال الجماعة مات سنة ٨٨هـــ) :

ففي مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٧ / ص ٣٨٤): حدثنا وكيع قال حدثنا إسماعيل عن الشعبي عن عبد الله بن معقل قال : ما رأيت قضاء بعد قضاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن من قضاء قضى به معاوية في أهل الكتاب ، قال : نرثهم ولا يرثوننا كما يحل لنا النكاح فيهم ولا يحل لهم النكاح فينا اهـــ [٢٨٣]

التعليق: فهذا عبد الله بن معقل بن مقرن المزني الكوفي (٨٨هـــ) وهو من رجال الجماعة وتابعي مشهور، يخرج معاوية من الصحابة رغم شهرة معاوية يومئذ ورغم إعجابه بقضائه البدعة.

٣ الأعرج عبد الرحمن بن هرمز (١١٧هـــ) وهو راوية أبي هريرة:

نقل عنه العلائي في كتابه جامع التحصيل [جزء ١ - صفحة ٢٢٧] في ترجمة عبد

[٢٨٣] وهو في سنن سعيد بن منصور - (ج ١ / ص ٦٧): سعيد قال : حدثنا هشيم قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال : لما قضى معاوية بما قضى به من ذلك فقال عبد الله بن معقل : ما أحدث في الإسلام قضاء بعد قضاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم هو أعجب إلي من قضاء معاوية إنا نرثهم ولا يرثونا كما أن النكاح يحل لنا فيهم ولا يحل لهم فينا اهـــ و عند البلاذري في أنساب الأشراف (٢/ ١٥٣) من طريق مجالد عن الشعبي.

الرحمن بن يزيد بن جارية – وهو صحابي على التعريف الواسع [٢٨٤]– قوله في عبد الرحمن هذا: (ما رأيت رجلا بعد الصحابة أفضل منه) قال العلائي : وهذا يقتضي أنه تابعي وكذلك قال ابن سعد وغيره والله أعلم اهـــ قلت: بل الأعرج لا يرى صحبة كل من جالس ولقي ورأى وروى.

٤ الشيخ سعد الدين التفتازاني[٢٨٥] (٧١٢- ٧٩٢هــ) في كتابه شرح المقاصد:

قال : (أن ما وقع بين الصحابة من المحاربات والمشاجرات على الوجه المسطور في كتب التواريخ والمذكور على السنة الثقات يدل بظاهره على أن بعضهم قد حاد عن طريق الحق وبلغ حد الظلم والفسق وكان الباعث عليه الحقد والعناد والحسد واللداد وطلب الملك و الرياسات والميل إلى اللذات والشهوات إذ ليس كل صحابي معصوما ولا كل من لقي النبي بالخير موسوما إلا أن العلماء لحسن ظنهم بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ذكروا لها محامل وتأويلات بها يليق وذهبوا إلى أنهم محفوظون عما يوجب التضليل والتفسيق صونا لعقائد المسلمين من الزيغ والضلالة في حق كبار الصحابة سيما المهاجرين منهم والأنصار المبشرين بالثواب في دار القرار ..الخ ثم يقول:

وأما ما جرى بعدهم من الظلم على أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فمن الظهور بحيث لا مجال للاخفاء ومن الشناعة بحيث لا اشتباه على الآراء ، ويكاد يشهد به الجماد العجماء ، و يبكى له من في

---

[٢٨٤] الإصابة في معرفة الصحابة - (ج ٢ / ص ٣٤٨) عبد الرحمن بن يزيد بن جارية: بالجيم بن عامر الأنصاري يكنى أبا محمد وأمه بنت ثابت بن أبي الأفلح، قال إبراهيم بن المنذر وابن حبان والعسكري وغير واحد ولد في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجاء عنه حديث في قصة خنساء بنت خدام، والصحيح أنه رواه عنها وهو في الصحيح.

وقال ابن السكن ليست له صحبة غير أنه أدرك أبا بكر وعمر وعثمان وصلى خلفهم وكان إمام قومه، وأخرج له الطبراني في المعجم الكبير حديثين، أحدهما من طريق الزهري عن عبد الله بن عبد الله بن ثعلبة عن عبد الرحمن بن يزيد بن جارية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى الفجر فغلس بها ثم صلاها بعدما أسفر ثم قال " ما بينهما وقت " اهـــ ومادام أنه صلى خلف أبي بكر فهو على تعريفهم صحابي، ولعله في سن النعمان بن بشير وابن الزبير.

والثاني سبق ذكره في ترجمة عبد الرحمن بن جارية في القسم الأول وأمه جميلة بنت ثابت بن أبي الأفلح تزوجها أبوه بعد أن اختلعت من ثابت بن قيس بن شماس كما سيأتي في ترجمة جميلة.

[٢٨٥] الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة - (ج ٢ / ص ١٣٩) : مسعود بن عمر التفتازاني العلامة الكبير صاحب شرحي التلخيص وشرح العقائد في أصول الدين وشرح الشمسية في المنطق وشرح التصريف العزي ويقال أنه أول تصانيفه والإرشاد في النحو اختصر فيه الحاجبية والمقاصد في أصول الدين وشرحها والتلويح في أصول فقه الحنفية عمله حاشية على توضيح صدر الشريعة وحاشية شرح المختصر للقاضي عضد الدين وحاشية الكشاف والذي تحرر منها من أول القرآن إلى أثناء سورة يونس ومن سورة الفتح وله غير ذلك من التصانيف في أنواع العلوم الذي تنافس الأئمة في تحصيلها والاعتناء بها وكان قد انتهت إليه معرفة علوم البلاغة والمعقول بالمشرق بل بسائر الأمصار لم يكن له نظير في معرفة هذه العلوم مات في صفر سنة ٧٩٢ و لم يخلف بعده مثل وكان مولده سنة ٧١٢ على ما وجد بخط ابن الجزري وذكر لي شهاب الدين ابن عربشاه الدمشقي الحنفي أن الشيخ علاء الدين كان يذكر أن الشيخ سعد الدين توفي سنة ٧٩١ عن نحو ثمانين سنة.اهـــ

الأرض والسماء وتنهد منه الجبال ، وتنشق منه الصخور ، ويبقى سوء عمله على كر الشهور والدهور ،
فلعنة الله على من باشر أو رضى أو سعى ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى انتهى |

المذهب الثاني (أصحاب الرؤية واللقاء) وأبرز القائلين به:

ويطلق أصحابه الصحبة على كل من لقي النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أو رآه مؤمناً به ومات مسلماً...

وأبرز القائلين هذا المذهب:

ابن الصلاح، والبخاري في قول (وهو الأشهر عنه)، وأحمد في قول (وهو الأشهر عنه)، والحاكم، وابن تيمية، وابن كثير، وابن الحاجب، وابن حجر العسقلاني، وابن الوزير، والأمير الصنعاني، ويعتمد هذا المذهب على القليل أو الحد الأدنى من الصحبة كالرؤية أو اللقيا أو الصحبة اليسيرة ولكن هذا المذهب يريد به أصحابه اصطلاحاً خاصاً بأهل الحديث ولا مشاحة في الاصطلاح إضافة إلى أنهم لا يمنعون من ذم الصحابي على تعريفهم إذا ارتكب ما يوجب ذلك – على تفاوت بينهم - أعني أنهم لا ينهون عن وصفه بالفسق أو الظلم أو سوء السيرة إذا تحققوا من صحة الأسانيد بذلك كما فعلوا مع الوليد بن عقبة وبسر بن أبي أرطأة وأبي الغادية وحرقوص بن زهير وغيرهم (كما سيأتي مفصلاً).

وهذه نماذج من أقوالهم في الاكتفاء بمجرد الرؤية أو اللقيا:

١. البخاري (٢٥٦هـ) صاحب الصحيح (في قول):

يقول في تعريف الصحابي: (من صحب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه)[٢٨٦]، ومع ذلك أورد البخاري مجموعة من الصحابة في كتابه (الضعفاء)، والغريب أنه لم يضعف أحداً من أهل الظلم والسوء، وإنما ضعف فضلاء من الصحابة وبعض التابعين أيضاً (ولي دراسة للتاريخ الصغير له – وطبع باسم التاريخ الأوسط- وهو كاشف لمذهب البخاري في الصحابة، وقد اعتذر الذهبي في أول كتابه الميزان، بأنه سيحذف الصحابة الذين أوردهم البخاري وابن أبي حاتم في كتبهم عن الضعفاء)! مما يدل على أن البخاري وطبقته ممن يشنعون على من ذم أحداً من الصحابة لم يكن على إطلاقه أو كان المراد به الشيعة لا النواصب، ومازال هذا التناقض فاعلاً إلى اليوم، فهم عندما يتحدثون عن الطعن في الصحابة يهملون النواصب ممن كانوا يصرحون بلعن الإمام علي على المنابر ويتنبهون لصغار الشيعة الذين لهم قول هنا أو هناك! وهذا معروف في الاتجاهات المذهبية والحزبية

[٢٨٦] انظر كتاب المناقب في صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٢/٧ –طبعة دار المعرفة –ومقدمة ابن الصلاح ص٤٨٦ والخطيب في الكفاية٩٩.

المعاصرة، يضع الحزب أو المذهب قاعدة يستهدف بها الآخرين لا نفسه ولا أعضاء حزبه، فضاعت الشهادة لله وانتعشت الشهادة لغير الله من شيخ أو مذهب أو حزب أو وطن..الخ، وهذه من أكبر أسباب الضعف الأخلاقي عند المسلمين.

وعلى كل حال: هذا مصطلح خاص بأهل الحديث أو أكثرهم وهدفهم في هذا معرفة اتصال الإسناد، لكن ما لبث هذا المذهب أن انتشر حتى ظنه البعض إجماعا؛ وعمموه في الحديث والفقه والفضل والمنـــزلة والخصائص... وعبارة البخاري هنا تدل على أنه أراد اصطلاحاً خاصاً بالمحدثين فلذلك قال: (من صحب أو رأى) ففيه تفريق ظاهر بين الصحبة والرؤية ؛ لكن هذا التفريق لا يضر عند المحدثين لدورانه في الرواية على الرؤية واللقيا والسماع.

٢. الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، -في قول آخر له-:

قال في تعريف الصحابي: (وأفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" القرن الذين بعث فيهم، كل من صحبه سنةً أو شهراً أو يوماً أو ساعةً أو رآه فهو من أصحابه له من الصحبة على قدر ما صحبه وكانت سابقته معه وسمع منه ونظر إليه)[٢٨٧].

لكن الإمام أحمد يقول عن عامر بن مسعود القرشي: (لا أدري "هل له صحبة أم لا" قد روى عن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" الكفاية ص٩٨. فهنا توقف أحمد في رجل قد روى عن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" فإن كان يجزم بسماعه من النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وتوقف في صحبته فهو يتفق مع المذهب الآخر الذي لا يكتفي بالرؤية واللقاء ويصبح هذا مذهبا ثانيا لأحمد في تعريف الصحابي.

٣. أبو عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ):

عدد طبقات الصحابة في كتابه (معرفة علوم الحديث) وعد من هؤلاء مسلمة الفتح ولكنه شك في صحة إسلام بعضهم بقوله: (منهم من أسلم طائعاً ومنهم من اتقى السيف ثم تغير والله أعلم بما أضمروا واعتقدوا)![٢٨٨] وقد جعل مسلمة الفتح في الطبقة الحادية عشرة ليس بعدهم إلا أطفال الطلقاء وأهل الطائف ونحوهم من الذين رأوا النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" يوم فتح مكة أو في حجة الوداع.

---

[٢٨٧] الكفاية ص٩٩. وهذا يخالف مذهبه المتقدم.

[٢٨٨] (انظر: معرفة علوم الحديث ص٢٤).

والحاكم من علماء السنة والحديث بنيسابور إلا أنه كان يعاني من سلفية عصره، وتعرض للضرب ليفتري أحاديث في فضل معاوية فقال (لا يأتي من قلبي، أو لا يطاوعني قلبي) فاهم بالتشيع من ذلك اليوم!

٤. ابن الصلاح (ت٦٤٣هـــ):

قال: (المعروف من طريقة أهل الحديث أن كل مسلم رأى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" فهو من الصحابة)[٢٨٩] وكلام ابن الصلاح واضح في كونه مصطلحاً خاصاً بأهل الحديث لأن (طريقتهم) في الرواية تقتضي ذكر كل من له سماع من النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ولذلك اعترف ابن الصلاح بأن (أهل العلم اختلفوا في أن الصحابي من؟!) ص٤٨٦.

وابن الصلاح عليه المعول عند المتأخرين في مصطلح الحديث، مع أن كتاب الكفاية للخطيب البغدادي أفضل، وكلما كان مؤلف المصطلح متأخراً كان التقليد عليه أغلب وتمسكاه بالمذهب أكبر، ولذلك لم تكن (عدالة الصحابة) موجودة عند الصحابة بالمعنى الشائع في المصطلح أو عند أهل الحديث، لكن مع تأخر النقد وتراكم الثناء على هذا الفن (علم الحديث ورجاله) يصبح من الصعب جداً اختراق هذا الجدار.

٦. ابن الحاجب (ت٦٤٦هـــ):

الصحابي من رآه رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"[٢٩٠] وله قول أخر: (من روى عن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وطالت صحبته) وهذا التعريف الأخير يتفق مع المذهب الأول وهو مذهب أكثر الأصوليين[٢٩١].

فائدة: هذا الاضطراب في تعريفهم للصحابي حتى أن لكل منهم رأيين أو ثلاثة دليل على أن تحديد المصطلح لم يكن هاجساً حاسماً لديهم وأهم غير مطمئنين إلى تعريف محدد واضح الضوابط.

٥. ابن كثير (ت٧٧٤هـــ):

---

[٢٨٩] مقدمة ابن الصلاح- تحقيق بنت الشاطئ ص٤٧٦.

[٢٩٠] الباعث الحثيث ص٤٩١ مرجع سابق.

[٢٩١] الباعث الحثيث ص٤٩١ مرجع سابق، وهذا الاختلاف في تعريف الصحبة عند ابن الحاجب وغيره يفيدنا أن هناك اضطراباً في تعريف مفهوم الصحابي لدى المتقدمين والمتأخرين، المحدّثين والفقهاء، فلكثير منهم رأيان أو أكثر وهذا يدل على أن تحديد المصطلح لم يكن عندهم هاجساً حاسماً وأهم غير مطمئنين لتعريف محدد أو مفهوم واضح المعالم دقيق الضوابط والمعايير.

الصحابي: من رأى رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" في حال إسلام الرائي وإن لم تطل صحبته له وإن لم يرو عنه شيئاً. وزاد: هذا قول جمهور العلماء خلفاً وسلفاً[٢٩٢].

وابن كثير من تلاميذ ابن تيمية والمتأثرين به، ولي قراءة لكتابه (البداية والنهاية) يتبين فيها أنه أموي الهوى كشيخه ابن تيمية ومنه أخذ المذهب إلا أنه أتقى وأورع في النقل، وقد ينقل عن ابن تيمية بعض الأفكار ولا يشير على ذلك، والذهبي أقوى منه وبينهما ابن القيم.

٧. الإمام ابن الوزير (٨٤٢هـ)

يستثني من الصحابة من ظهر منه فسق أو ظلم لأنه يرى أن هذا الظالم أو الفاسق يسيء إلى صحبة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" فقال: (استثنى من الصحابة من ذكر بالفسق الصريح كالوليد بن عقبة)[٢٩٣].

ويقول: (ومن مهمات هذا الباب القول بعدالة الصحابة كلهم في الظاهر، إلا من قام الدليل على أنه فاسقُ تصريحٍ، ولا بد من هذا الاستثناء على جميع المذاهب، وأهل الحديث وإن أطلقوا القول بعدالة الصحابة كلهم، فإنهم يستثنون من هذه صفته، وإنما لم يذكروه لندوره، فإنهم قد بينوا ذلك في كتب معرفة الصحابة، وقد فعلوا مثل هذا في قولهم إن المراسيل لا تقبل على الإطلاق من غير استثناء، مع أنهم يقبلون مراسيل الصحابة، وبعضهم يقبل ما علقه البخاري بصيغة الجزم، وما حكم بعض الحفاظ بصحة إسناده، وإن لم يبين إسناده ونحو ذلك من المسائل، وأنا أنقل نصوصهم على ذلك لتعرف صحة ما ذكرته من الإجماع على صحة هذا الاستثناء، فمن ذكروه بالفسق الوليد بن عقبة، فإنه ثبت في صحيح مسلم وغيره أنه شرب الخمر، وقامت عليه البينة، وأمر عثمان بجلده وحده على شربها، وذكره بشرب الخمر الذهبي، وابن عبد البر، وغيرهما، قال ابن عبد البر في الاستيعاب: (له أخبار فيها نكارة وشناعة تقطع على سوء حاله وقبح فعاله).

وحكى ابن عبد البر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى والأصمعي وابن الكلبي وغيرهم أنهم كانوا يقولون إنه كان فاسقاً يشرب الخمر، قال أبو عمر ابن عبد البر: وأخباره في شرب الخمر ومنادمته أهلها مشهورة يسمج بنا ذكرها، وقال أحمد بن حنبل في الحديث الذي فيه أن رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" لم يمسه و لم يدع له: إن الوليد مُنع بركة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" لسابق علمه فيه، هذا كلام

---

[٢٩٢] ابن كثير: الباعث الحثيث ص٤٩١.

[٢٩٣] توضيح الأفكار (٢/٤٣٧) وابن الوزير كأنه يريد الصحبة الشرعية فهي تستلزم حسن السيرة في الصاحب حتى لا يسيء لسمعة المصحوب.

إمام أهل الحديث والسنة... فهذا أوضح دليل على ظهور الأمر عند أهل السنة في جرح الوليد وفسقه...) أهـ كلام ابن الوزير.

وابن الوزير من علماء الحديث وهو أول من انفتح على أهل الحديث ودافع عنهم بغلو بين الزيدية، وإنما قلت بغلو لأنه ينقل محاسنهم ويسكت عن تعصباتهم، وكنت قديماً معجباً به على غلو أيضاً، ثم ارى أني معتدل فيه الآن، وهو بليغ وشاعر وسني معتدل لا يبغض أهل البيت ولا يثني على من ظهر ظلمه وفسقه من بني أمية كما تفعل السلفية، والغريب أن كتابه (الروض الباسم) طبعته الرئاسة العامة للإفتاء، ليمثل (كاسحة ألغام) في أوساط الزيدية في اليمن وجنوب المملكة وأتوا بعده بمنهاج السنة وكتابات محب الدين الخطيب! وهذه السياسة لا تليق، فهم يطبعون الكتاب وكأنه موجه للآخرين فقط ولا يستفيدون منه، بينما لو كانت سنتنا في نجد كانت في اعتدال ابن الوزير والأمير الصنعاني لانتهى الخلاف السني السني في المملكة، إما أن يجبروننا على متابعة التشنيع على من لعن معاوية أو فضل علياً أو حزن على الحسين مع الثناء على من لعن علياً وقاتله وغير السنن وأظهر البدع والمعاندة للنصوص فهذه كبيرة من الكبائر لا يغسلها ماء البحار.

٨. الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ):

يرى أن (الصحابي: من لقي النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" مؤمناً به ومات على الإسلام وإن تخلل ذلك ردة) [٢٩٤]. لكنه لم يلتزم بهذا التعريف في بعض تطبيقاته في الإصابة؛ يراجع على سبيل المثال كتاب الإصابة – طبعة دار الكتب العلمية- (١/٥٩٠،٤٧٨)، (٤/٣٦٨، ٤٦٥)، (٦/٢٨٣،٢٥٨،٢٠٣)، (٧/٢٨٢) وقد سبق نقد الحافظ ابن حجر في عمله في الإصابة والكمال عزيز.

٩ـ الصنعاني (ت١١٨٧هـ) في شرحه لمصطلح ابن الوزير (ت٨٤٢هـ):

---

[٢٩٤] نخبة الفكر لابن حجر، وانظر تعريف الحافظ في الإصابة (١/٤٥٥) مشروحاً وانظر شرحه لقول البخاري في فتح الباري (٣/٥-٧) مشروحاً مطولاً.

هنا ذكرهما معاً لكون محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني شرح كلام السيد محمد ابن إبراهيم الوزير في كتابه توضيح الأفكار – الشرح للصنعاني والمتن لابن الوزير- فاختلط كلامهما؛ فعند حديث: (أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...) قال ابن الوزير: (قلت: فيه دليل على أنه أراد بأصحابه أهل زمانه من المسلمين لقوله: (ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فتأمله!!) اهـــ كلامه.

قال ابن الأمير الصنعاني – شارحاً -: (وذلك لأن قوله: (ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) عام لكل فرد من الأزمنة التي بعد القرن الأول فيكون كذلك في القرن الأول وأنه سمى كل من عاصره "صلى الله عليه وآله وسلم" صحابيا وإن كان مسلما)[٢٩٥].

أقول: وقد يكون المراد بـــ (أصحابي) هنا المهاجرين والأنصار فقد جاءت الوصية بهم ثم الوصية بالذين يلونهم ممن حسن إسلامه من أهل مكة والوفود والأعراب.

ملحق (٤): السابقون عند الذهبي

سير أعلام النبلاء – (ج ١ / ص ١٤٤) قال:

السابقون الاولون هم:

١ -خديجة بنت خويلد،

٢ -وعلي بن أبي طالب،

٣ -وأبو بكر الصديق،

٤ -وزيد ابن حارثة النبوي،

٥ -ثم عثمان،

---

[٢٩٥] توضيح الأفكار (ص٤٣٥- ٤٣٩). تنقيح الأنظار مع شرحه (٢/٤٦٦). وهذا أوسع تعريف للصحابي، واللغة تحتمله مجازا والاثنان- ابن الأمير وابن الوزير- يخرجان من الصحبة من ظهر فسقه أي يخرجون من الصحبة الشرعية المستحقة للمدح لا من مطلق الصحبة، والأمير الصنعاني هو صاحب سبل السلام وكان يناصر التوحيد دون تكفير المتوسلين أو المتبركين بالقبور، وله قصيدة في مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلا أنه تراجع عنها عندما علم مراد الشيخ من (الشرك والمشركين) وإنزاله التكفير في حق المسلمين، فرجع الأمير عن قصيدته الأولى بعد رحلة مربد بن أحمد التميمي إليه، وقصيدته في ديوانه، وكذلك كان يلعن معاوية ويقول عنه (إنه والله عندي لفسيق وشيطان مريد، وملعون بما كسبت يداه .. كذلك نجله الطاغي يزيد) وهذه القصيدة في ديوانه أيضاً، ووهابية اليمن كسائر السلفيات يتمحلون الأعذار ويتكلفون نفي ثبوت ذلك عنه لأن ابنه هو من أخرج ديوانه، ولو سرنا على منهجهم لكانت كتب أحمد وابن تيمية وابن باز والوهابية وغيرهم لا تصح لأنه نشرها أبناؤهم وأهل مذهبهم، لكنهم يعطون لأنفسهم ما لا يعطونه لغيرهم، مع أنهم يثبتون تلك الكتب الأخرى كسبل السلام وتوضيح الأفكار مع أنه أخرجها أهلوهم وتلاميذهم أيضاً، إنه الشلل السلفي.

٦ –والزبير،

٧ –وسعد بن أبي وقاص،

٨ –وطلحة بن عبيد الله،

٩ –و عبد الرحمن بن عوف،

١٠ –ثم أبو عبيدة بن الجراح،

١١ –وأبو سلمة بن عبد الاسد،

١٢ –والارقم بن أبي الارقم بن أسد بن عبد الله بن عمر، المخزوميان،

١٣ –وعثمان بن مظعون الجمحي،

١٤ –وعبيدة بن الحارث بن المطلب المطلبي،

١٥ –وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي،

١٦ –وأسماء بنت الصديق،

١٧ –وخباب بن الأرت الخزاعي (كذا!)، حليف بني زهرة،

١٨ –وعمير بن أبي وقاص، أخو سعد،

١٩ –وعبد الله بن مسعود الهذلي، من حلفاء بني زهرة،

٢٠ –ومسعود بن ربيعة القارئ من البدريين،

٢١ –وسليط بن عمرو بن عبد شمس العامري،

٢٢ –وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي،

٢٣ –وامرأته أسماء بنت سلامة التميمية،

٢٤ –وخنيس بن حذافة السهمي،

٢٥ –وعامر بن ربيعة العنزي، حليف آل الخطاب،

٢٦ –و عبد الله بن جحش ابن رئاب الاسدي، حليف بني أمية،

٢٧ –وجعفر بن أبي طالب الهاشمي،

٢٨ -وامرأته أسماء بنت عميس،

٢٩ -وحاطب بن الحارث الجمحي،

٣٠ -وامرأته فاطمة بنت المجلل العامرية،

٣١ -وأخوه خطاب،

٣٢ -وامرأته فكيهة بنت يسار،

٣٣ -وأخوهما معمر ابن الحارث،

٣٤ -والسائب ولد عثمان بن مظعون،

٣٥ -والمطلب بن أزهر بن عبد عوف الزهري،

٣٦ -وامرأته رملة بنت أبي عوف السهمية،

٣٧ -والنحام نعيم بن عبد الله العدوي،

٣٨ -وعامر بن فهيرة، مولى الصديق،

٣٩ -وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية،

٤٠ -وامرأته أميمة بنت خلف الخزاعية،

٤١ -وحاطب بن عمرو العامري،

٤٢ -وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة العبشمي،

٤٣ -وواقد بن عبد الله بن عبد مناف التميمي اليربوعي، حليف بني عدي،

٤٤ -وخالد،

٤٥ -وعامر،

٤٦ -وعاقل،

٤٧ -وإياس، بنو البكير بن عبد يا ليل الليثي، حلفاء بني عدي،

٤٨ -وعمار بن ياسر بن عامر العنسي بنون ، حليف بني مخزوم،

٤٩ -وصهيب بن سنان بن مالك النمري، الرومي المنشأ، وولاؤه لعبد الله بن جدعان،

٥٠ -وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري،

٥١ -وأبو نجيح عمرو بن عبسة السلمي البجلي، لكنهما رجعا إلى بلادهما،

فهؤلاء الخمسون من السابقين الاولين، وبعدهم أسلم: أسد الله حمزة ابن عبد المطلب، والفاروق عمر بن الخطاب، عز الدين، رضي الله عنهم أجمعين اهـ كلام الذهبي

التعليق:

أحسن الذهبي في هذا السرد، إذ أنه على الأقل حفظ بعض أسماء هؤلاء السابقين، إلا أن في هذا السرد نقصاً وأوهاماً، ليس هنا مجال بيانها، ومن أنصافه أنه أخرج عمر بن الخطاب من السابقين، فهذه جرأة من أحد غلاة السلفية، لكن المعلومة ألجأته لهذا.

وأما قصوره فمن باب أن السابقين من المكيين الذي أسلموا قبل عمر كانوا أكثر من ٢٠٠ بين رجل وامرأة ومولى، ولا يغرنك قولهم أنه أسلم تمام أربعين رجلاً، فهؤلاء كانوا أصحاب دار الأرقم فقط ساعة إسلامه، وفي الحبشة أضعافهم قبل أن يسلم، فمجموع الصحابة المكيين كانوا في حدود الـــــــ(٢٨٠) هكذا بلغوا عندي في (معجم الصحابة المكيين) وأكثر هؤلاء أسلموا قبل عمر، فهم من السابقين، وكان الأولى بالذهبي سردهم إلا أنه ذكر الأشهر، فهو لا يجهل أكثرهم، وخاصة عندما يذكر من له علاقة كعمار بن ياسر مثلاً فهو يعرف أن والده ووالدته (آل ياسر) كانوا معه وهم ثلاثتهم من السابقين، فذكره عمار بن ياسر وتركه ذكر أبويه ما أراه إلا انتقاء، نعم لو أهمل عبد الله بن ياسر أخا عمار فربما نقول عن جهل، لكن مَن مِن عوام المسلمين فضلاً عن علمائهم ومؤرخيهم من لا يعرف سمية بنت خياط أم عمار، أول شهيدة في الإسلام، وكذلك ياسر العنسي والده؟

البعض قد يقول: كأنك حريص على تأخر إسلام عمر رضي الله عنه..

قلت: كلا.. لكن لا يعجبني التدليس على الناس.. فكم المعلومات التي أهملناها مجاملة لفلان فلان.. فالعهد النبوي المكي كله يكاد أن يكون في خانة المجهول! لأجل خاطر معاوية وأسرته.. أنتم لا تعرفون ماذا عملت فينا السياسة.

فإذا كنا حريصين على الصحابة وسيرهم فلا يجوز إهمال السابقين أو الاكتفاء بنماذج منهم، حتى نتفرغ للطلقاء !

كلا.. لا يجوز الاهتمام بالطلقاء حتى نعرف كل من سبقهم..

عندئذ سنصدق بأن هؤلاء الغلاة يحبون الصحابة لأجل محمد (ص)، ولا يحبون الصحابة لأجل معاوية.

ملحق (٥): سرد صحابة العهد المكي (من معجم الصحابة في العهد المكي)

مع تراجم لبعضهم كنماذج وستأتي تراجمهم كاملة ومفصلة في (معجم الصحابة في العهد المكي)، ونهدف في هذا الملحق إلى إبلاغ الشباب الغض الغر بأن هؤلاء الغلاة يخدعونهم بدعوى حب الصحابة، فلو كانوا صادقين في حبهم ما انشغلوا عنهم بطلقاء القوم وأعرابهم وفساقهم.. وأوصي الشباب بأن يحرصوا على الوعي التاريخي حتى لا يستجيبون لزمجرة هؤلاء الغلاة، الذين ما يهمهم إلا حب مثل معاوية والوليد وبسر وسمرة..

كما أن الهدف إبلاغ شباب الشيعة بأن من حق الصحابة السابقين على المسلمين معرفتهم ومعرفة فضلهم وجهادهم فهم أنصار محمد صلوات الله عليه وآله، وهم أنصار أهل البيت أيضاً، فما ذنب هؤلاء السابقين حتى يتم إهمالهم ؟ هل لأن السلفية إذا غلوا في بعضهم يكون عذراً في ترك أكثرهم؟

هؤلاء الصحابة الذين اسلموا في مكة لا يكاد يعرفهم أحد وهم نحو الثلاثمائة..

وهم مظلومون مهملون من السنة والشيعة .. هذا ما أراه في كتب الفريقين..

وهذا نموذج من تراجمهم والتحقيق فيما قيل من المعلومات عنهم مع محاولة تجنب الوقوع في شرك الأثر السياسي، الذي يحب الغلو في صحابة والتقليل من شأن آخرين.. وسأقسم مسلمي الفترة المكية إلى طبقات ..فأقول مستعيناً بالله..

الطبقة الأولى من الصحابة : طبقة أوائل المسلمين بمكة

وهي (الأولى في المرحلة السرية = أو الدعوة الخاصة): وهم أول من أسلم ويمكن أن أطلق على هؤلاء (طبقة أوائل المسلمين) وهؤلاء أفراد نحو العشرة وأبرز هؤلاء آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم كزوجته خديجة وبناته الأربع وربيبه علي ومواليه كزيد بن حارثة وأم أيمن وغيرهم من المبادرين كأبي بكر وخالد بن سعيد وسعد بن أبي وقاص وهذه أسماء رجال ونساء هذه الطبقة مرتبتين حسب سبق الإسلام – مع الإشارة للخلاف عند الحاجة ودون توسع.

(١) خديجة بنت خويلد (١٠ للبعثة): أول من آمن بالنبوة على المشهور[٢٩٦]، وهي زوج النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وكان لها أثر عظيم في الدعم المعنوي والمادي للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي أفضل زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يبلغ فضلها واحدة منهن لا عائشة ولا أم سلمة ولا غيرهما رضي الله عنهن أجمعين، وهي أكبر من بذل الأموال في نصرة الإسلام، وقد أنفقت تجارتها في هذا الشأن، وماتت في نهاية حصار الشعب أو بعد رفع الحصار مباشرة، وقد رزق منها أبناء وبنات، والمعلومات عن الأبناء شحيحة جداً وبعضها متناقض[٢٩٧]، فالمقل يقول هم اثنان والمكثر يجعلهم أحد عشر من البنين والبنات، وأشهرهم القاسم

---

[٢٩٦] وهناك رأي آخر لي بأن أول من آمن بالنبوة مطلقاً هو علي بن أبي طالب، وأنه كان على تربية النبي (ص) يؤمنان بالله قبل الوحي، وأنه صلى مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين (جاء ذلك في أحاديث كثيرة جداً عن الإمام علي)، وهذه السبع إما أن تكون قبل الوحي، أو بعد الوحي، أو تكون مقسمة قبل الوحي وبعده، وأقرب هذه الأمور أن تكون قبل الوحي، فقد كانا يتعبدان على ملة إبراهيم عليه السلام، وباعتراف الجميع أنه كان في مكة أحناف من اتباع الحنيفية وهي ملة إبراهيم، ولا ريب أن النبي (ص) كان أكمل الناس عقلاً وقلباً وأن هذا يعني أنه أولى الناس بها ويدل على ذلك تعبده في غار حراء قبل بدء الوحي، وكان الإمام علي يتبع الرسول (ص) اتباعاً كاملاً في كل شئونه، ثم بعد نزول الوحي بقي الثلاثة : النبي (ص) وعلي بن أبي طالب وخديجة يعبدون الله مدة قبل أن يسلم أحد كما في حديث عفيف الكندي وغيره.

[٢٩٧] ولعل أفضل من توسع في أولاد النبي (ص) هو الصالحي الدمشقي صاحب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد – (ج ١١ / ص ١٦) فعقد باباً بعنوان : الباب الثالث في عدد أولاده – صلى الله عليه وسلم – ومواليدهم، وما اتفق عليه منهم وما اختلف، قال فيه ما نصه: (جملة ما اتفق عليه ستة: اثنان ذكور: القاسم وابراهيم، وأربع بنات زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة – رضي الله تعالى عنهم – وكلهن أدركن الاسلام وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم واختلف فيما سواهن، فقيل: لم يولد له صلى الله عليه وسلم سواهم والمشهور خلافه (قلت: علماً بأن إبراهيم ليس من خديجة وإنما من مارية القبطية) / قال ابن إسحاق: وكان له الطيب والطاهر أيضا، فيكون على هذا جملتهم أربعة ذكور وأربع إناث/ وقال الزبير بن بكار: وفيما رواه عن الطبراني عنه برجال ثقات كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم غير إبراهيم القاسم وعبد الله وهو قول أكثر [أهل] النسب/ وقال الدارقطني: وهو الأثبت وصححه الحافظ عبد الغني المقدسي: ويسمى بالطيب والطاهر، لأنه ولد بعد النبوة وقيل: الطاهر والطيب غير عبد الله، فيكون على هذا جملتهم خمسة ذكور وقيل: كان له صلى الله عليه وسلم الطيب والمطيب ولدا في بطن، والطاهر والمطهر ولدا في بطن، فيكون على هذا جملتهم أحد عشر/ قال ابن إسحاق: ولد أولاده كلهم غير إبراهيم صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام، ومات البنون قبل الاسلام وهم يرضعون، وتقدم في قول غيره أن عبد الله ولد بعد النبوة، فلذلك سمي بالطيب والطاهر، فتحصل لنا من مجموع الأقوال سبعة ذكور اثنان متفق عليهما القاسم وإبراهيم وخمسة مختلف فيهم عبد الله والطيب والمطيب والطاهر والمطهر، والأصح قول الجمهور أنهم ثلاثة ذكور القاسم وعبد الله وإبراهيم (و) الأربع البنات متفق عليهن وكلهن من خديجة بنت خويلد إلا إبراهيم فمن مارية القبطية/ قال محمد بن عمر (هو الواقدي): وكانت سلمى مولاة صفية بنت عبد المطلب تقبل خديجة في ولادها وكانت تعق عن كل غلام بشاتين وعن الجارية بشاة، وكان بين كل ولدين لها سنة، وكانت تسترضع لهم وتعد ذلك قبل ولادها/ وأكبر بناته صلى الله عليه وسلم زينب – عليها السلام – كما ذكره الجمهور، وقال الزبير بن بكار وغيره رقية – عليها السلام – والأول أصح/ وقال الزبير أيضا فيما نقله أبو عمرو عنه – رحمهما الله تعالى – ولد له صلى الله عليه وسلم القاسم وهو أكبر ولده ثم زينب ثم عبد الله، وكان يقال له: الطيب، ويقال له: الطاهر ولد بعد النبوة، ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية هكذا الاول، فالأول ثم مات القاسم بمكة وهو أول ميت مات من ولد، رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم مات عبد الله بمكة أيضا/ وقال ابن إسحاق: ولدت للنبي صلى الله عليه وسلم من خديجة – رضي الله تعالى عنها – زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة والقاسم وبه كان يكنى والطاهر والطيب، وأما القاسم والطيب والطاهر، فماتوا في الجاهلية، وأما بناته فكلهن أدركن الاسلام وأسلمن وهاجرن معه.

قال أبو عمرو: قال علي بن عبد العزيز الجرجاني: أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم، وهو أكبر ولده [ثم زينب] / وقال ابن الكلبي: زينب ثم القاسم، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية ثم عبد الله، وكان يقال له: الطيب والطاهر، هذا ذكرهم على سبيل الاجمال وسيأتي ذكرهم على سبيل التفصيل في

أبواب ذكرهم، وقال بعضهم (فذكر لهذا البعض شعراً في تسمية أبناء النبي (ص) على الترتيب وهم: القاسم ثم زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم ثم عبد الله ثم الأخير إبراهيم من مارية) ثم قال:

تنبيهات الأول: نقل ابن الجوزي في " التحقيق " عن أبي بكر بن البرقي قال: جميع أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة سبعة ويقال ثمانية: القاسم، والطاهر، والطيب، وإبراهيم، وزينب ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة / قال في " العيون ": لولا أنه قال إنهم سبعة أو ثمانية لقلت: إن ذلك من النساخ، وهذا شئ عجيب وهو وهم إما من البرقي، وإما من غيره فإن قيل: لعله أراد آخر من خديجة يقال له: إبراهيم/ فالجواب: أن هذا لا يعرف، ويدفع هذا قوله: جميع أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة ولا مرية أن إبراهيم من مارية القبطية/ الثاني: روى الهيثم بن عدي عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ولدت خديجة - رضي الله تعالى عنها - للنبي صلى الله عليه وسلم عبد العزى وعبد مناف والقاسم، قال الهيثم، قلت لهشام: فأين الطيب والطاهر ؟ قال: هذا ما وصفتم أنتم يأهل العراق، فأما أشياخنا فقالوا: عبد العزى وعبد مناف/ قال الذهبي في " الميزان " والحافظ في " اللسان " هذا من افتراء الهيثم على هشام/ وقال أبو الفرج: الهيثم كذا لا يلتفت إلى قوله، وقال لنا شيخنا ابن ناصر: لم يسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد مناف ولا عبد العزى قط، والهيثم كذبه البخاري وأبو داود والعجلي والساجي، وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار، وذكره ابن السكن وابن شاهين وابن الجارود والدارقطني وغيرهم في الضعفاء، وقال في " المورد ": لا يجوز لاحد أن يقول: إن هذه التسمية وقعت من النبي صلى الله عليه وسلم ولئن قيل: إن هذه التسمية وقعت فتكون من غير النبي صلى الله عليه وسلم، ويحتمل أن يكون ولد هذا الولد والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بعبادة ربه أو لغير ذلك فلما جاء سماه بعض أهل خديجة بهذا الاسم من غير أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم اطلع على تسميته، وأن الولد المذكور لم تطل له حياة فتوفي ذلك الولد ولم يسمه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، ويكون أحد من شياطين الانس والجن اختلق ذلك لما ولد أحد أولاد النبي صلى الله عليه وسلم المذكورين ليدخل في ذلك لبس في قلب ضعيف الايمان، ويكون النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك غيره أو غير ذلك مما علمه الله - تعالى - انتهى/ ورد الطحاوي في " مشكل الحديث " والبيهقي في السنن وأبو سعيد النقاش والجوزقاني فيما صنع من الموضوعات وغيرهم ما نقله الهيثم عن هشام بن عروة، ولم ينقل أحد من الثقات ما نقله الهيثم عن هشام/ الثالث: قال الامام العلامة شيخ الاطباء ابن النفيس - رحمه الله تعالى -: لما كان صلى الله عليه وسلم مزاجه شديد الاعتدال لم يكن أولاده صلى الله عليه وسلم إناثا فقط، لان ذلك إنما يكون لبرد المزاج، ولا ذكورا فقط، لان ذلك إنما يكون لحرارة المزاج، فلما كان مزاج النبي صلى الله عليه وسلم معتدلا فيجب أن يكون له بنون وبنات وبنوه يجب أن لا يطول أعمارهم، لان أعمارهم إذا طالت بلغوا إلى سن النبوة وحينئذ فلا يخلو إما أن يكونوا أنبياء أولا لا يكونوا كذلك، ولا يجوز أن يكونوا أنبياء، وإلا لما كان هو خاتم النبيين، ولا يجوز أن يكونوا غير أنبياء وإلا لكان ذلك نقصا في حقه صلى الله عليه وسلم وانحطاطا عن درجة كثير من الأنبياء، فإن كثيرا من الأنبياء أولادهم أيضا أنبياء، وأما بنات هذا النبي صلى الله عليه وسلم فيجوز أن تطول أعمارهن، إذ النساء لسن بأهل للنبوة/ الرابع: روى ابن الاعرابي في معجمه عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أسقطت من النبي صلى الله عليه وسلم جنينا يسمى عبد الله كانت تكنى به ومدار سنده على داود بن المحبر وهو متروك واتهمه جماعة بالوضع، ويرده ما رواه أبو داود وفي سننه عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: " تكني بابن أختك عبد الله بن الزبير ويروى بابنك عبد الله بن الزبير، لأنها كانت استوهبته من أبويه، فكان في حجرها يدعوها / أما ذكره ابن إسحاق: المطهر - بضم الميم وفتح الطاء المهملة والهاء المشددة، والمطيب مثله .

الباب الرابع في ذكر سيدنا القاسم ابن سيدنا ومولانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان القاسم أكبر أولاد النبي صلى الله عليه وسلم وبه كان يكنى فهو أول أولاده، وأول من مات منهم، ولد بمكة قبل النبوة ومات صغيرا، وقيل: بعد أن بلغ سن التميز، قال الزبير بن بكار وحدثني محمد بن نضلة عن بعض المشايخ قال: عاش القاسم حتى مشى، وقال مجاهد: عاش القاسم سبع ليال وخطأه الملا في ذلك، وروى (ابن سعد) عن محمد بن جبير بن مطعم، قال: مات القاسم، وله سنتان، وروي أيضا عن قتادة نحوه، وعن مجاهد: أنه عاش سبعة أيام، قال المفضل بن غسان: هذا خطأ والصواب أنه عاش سبعة عشر شهرا، وقال السهيلي: بلغ المشي غير أن رضاعته لم تكمل/

واختلفوا هل أدرك زمن النبوة، فروى يونس بن بكير في زيادات المغازي عن أبي عبد الله الجعفي وهو جابر عن محمد بن علي بن الحسين - رضي الله تعالى عنه - قال: كان القاسم بلغ أن يركب الدابة، ويسير على النجيدة، فلما قبض، قال العاص بن وائل: لقد أصبح محمد أبتر فنزلت " إنا أعطيناك الكوثر " عن مصيبتك يا محمد بالقاسم فهذا يدل على أن القاسم مات بعد البعثة/ وروي الطيالسي، وابن ماجه عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها قال: لما هلك القاسم قالت خديجة: يا رسول الله، درت لبينة القاسم، فلو كان الله أبقاه حتى يتم رضاعه قال: إن إتمام رضاعته في الجنة، زاد ابن ماجه (فقالت): لو أعلم ذلك يا رسول الله ليهون علي، فقال: إن شئت دعوت الله تعالى، فأسمعك صوته فقالت: بل أصدق الله تعالى ورسوله، قال الحافظ: وهذا ظاهر جدا في أنه مات في

ثم عبد الله، ثم هناك أسماء أو ألقاب مثل الطيب والمطيب والطاهر والمطهر، ولا يصح عبد مناف ولا عبد الكعبة، أما البنات فمشهورات.

(٢) علي بن أبي طالب (٤٠هـــ): ربيب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"[٢٩٨] وكان له أثر عظيم في الإسلام فقد كان من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمنـــزلة الإبن أو الأخ المخلص (كمنـــزلة هارون وموسى) وكان بطل الحروب النبوية بلا منازع مع ما آتاه الله من العلم والفقه وطول الملازمة والشجاعة والقرابة والفصاحة والبيت الشريف وكان رأس بني هاشم بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٣) زيد بن حارثة الكلبي (٨هـــ): مولى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وكان له الأثر العظيم أيضا وقد كان فائد السرايا في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بلا منازع واستشهد في غزوة مؤتة، وفي قصته عجائب من اختياره النبي (ص) على أبيه وأهل بيته، بعد أن خيره النبي (ص)، وفي اختياره النبي (ص) دليل على عظمة هذا النبي صلوات الله وسلامه عليه، لأن زيد بن حارثة كان كبيراً يوم التحق بالنبي (ص) وله أشعار في ذكر شوقه لوطنه وأهله، إلا أن جاذبية النبي (ص) وخلقه جعلت زيد بن حارثة يفضل البقاء خادماً على أن يعود حراً طليقاً، وقد قدر له النبي (ص) هذا الأمر، فتبناه (قبل تحريم التبني) وزوجه من زينب بنت جحش ثم بمولاته أم أيمن.

وكذلك عد بعضهم في هذه الطبقة بقية أبناء النبي "صلى الله عليه وآله وسلم":

الاسلام، ولكن في السند ضعف/ وروى البخاري في تاريخه " الاوسط " من طريق سليمان بن بلال عن هشام بن عروة – رضي الله تعالى عنه – أن القاسم مات قبل الاسلام/ وروي ابن أبي عاصم وأبو نعيم: ما أعفى أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد، قيل ولا القاسم قال: ولا القاسم ولا إبراهيم، وكان إبراهيم أصغرهما، قال الحافظ: هذا وأثر فاطمة بنت الحسين يدل على خلاف رواية هشام بن عروة (قلت: لكن هذه الأحاديث في ضغطة القبر منكرة ولا سيما في حق الأطفال، لأن الله لا يظلم الناس مثقال ذرة) / تنبيه: اختلف في القائل لما مات القاسم: إن محمدا أبتر فقيل: العاص بن وائل السهمي كما سبق، وجزم به خلائق، وقيل: أبو جهل، وقيل: كعب بن الأشرف، فإن قلنا: إنه العاص بن وائل فالعاص له عقب وهو عمرو، وهشام، فكيف يثبت له البتر، وانقطاع الولد ؟ والجواب: أن العاص وإن كان ذا ولد، فقد انقطعت بينه وبينهم، فليسوا بأتباع له، لان الإسلام قد حجزهم عنه فلا يرثهم ولا يرثونه اهـــ ثم لم يترجم لبقية أبنائه إلا إبراهيم، وترجمة القاسم في الإصابة في معرفة الصحابة – (ج ٢ / ص ٤٨٢) ..وفيه بعض الزيادات منها (وأما قول أبي نعيم لا أعلم أحداً من متقدمينا ذكره في الصحابة فقد ذكر البخاري في التاريخ الأوسط من طريق سليمان بن بلال عن هشام بن عروة أن القاسم مات قبل الإسلام اهـــ .

[٢٩٨] بعضهم يرى أن علياً كان يتبع النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" في اتباع الملة الحنيفية قبل النبوة وأنه كان يتعبد معه على دين إبراهيم ويستدلون بقول الإمام علي: (أسلمت قبل الناس بسبع سنين) وإن صحَّ هذا فيحتمل بالإسلام هنا ملة إبراهيم عليه السلام التي كان عليها النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" قبل البعثة، –وهذا يحتاج لبحث–.

(٤) زينب (٩هـــ): وكان زوجها أبو العاص بن الربيع العبشمي، ولها منه ابنة اسمها (أمامة) وأمامة هذه تزوجها الإمام علي بعد موت فاطمة عليها السلام، وقد وجدت زينب عنتاً من قريش قبل هجرتها، وقد قيل أنها ربيبة النبي (ص) ولذلك ذكرها المقريزي في كتابه (الإمتاع) مرتين، مرة في بنات النبي (ص) ومرة في ربائبه.

(٥) ورقية (٢هـــ): وكانت عند أحد ابني أبي لهب ثم بعد طلاقها منه تزوجها عثمان بن عفان وماتت بعد بدر، وقد قيل أنها من ربائبه لا بناته.

(٦) وأم كلثوم (٦هـــ):: وكانت عند أحد ابني أبي لهب أيضاً وتزوجها عثمان بعد وفاة أختها، وهؤلاء البنات الثلاث عند بعض الشيعة خاصة إنما هنّ ربائب النبي (ص) ولسن بناته، وقد تحمس لهذا الموضوع السيد مرتضى العاملي، فصنف في الموضوع عدة كتب، وهذا يحتاج إلى بحث[٢٩٩].

(٧) وفاطمة الزهراء (١١هـــ): — وكانت صغيرة- وعند الشيعة أنها لم تولد إلا بعد النبوة، وهي بنت النبي (ص) باتفاق الشيعة والسنة والنواصب، بينما خالف بعض الشيعة — كما أسلفنا- في البنات الأخريات وعدّوهن من ربائبه لا من بناته، و على كل حال: ففاطمة هي أفضل نساء هذه الأمة، وفي قليل ما روى عنها أهل السنة دلائل علم بالقرآن الكريم وقوة احتجاج، وهي مظلومة داخل التيار السلفي المغالي كعادتهم مع أهل البيت، وبالغ بعض الشيعة في فضائلها لدرجة أنك لا تحب أن تسمع بعض ذلك الغلو، لكنها ابنة نبينا (ص) وأفضل نساء هذه الأمة وسيدة نساء أهل الجنة وأم الذرية الطاهرة وزوج أمير المؤمنين وهذا يكفي.

(٨) أم أيمن (نحو ٣٠هـــ)- وكانت زوجة لزيد بن حارثة وهو من موالي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً- ولها فضل عظيم، وهي التي أرجعت النبي (ص) إلى مكة بعد أن ماتت أمه بالأبواء بين المدينة ومكة، وهي أم أسامة بن زيد، وكان لها عند النبي (ص) مكانة خاصة، ولو لم يكن من فضلها إلا أنها هي التي أعادت النبي (ص) من الأبواءِ وعمره ست سنوات بعد أن ماتت أمه أمنة بنت وهب هناك لكفى بذلك فضلاً.. .

(٩) أبو بكر : عبد الله (أو عتيق) ابن أبي قحافة التيمي القرشي (١٣هـــ): المشهور بالصديق، رضي الله عنه، وهو من أوائل من أسلموا (وبالغت البكرية فزعمت أنه أول من أسلم، وهذا غير صحيح عند التحقيق بل أسلم

[٢٩٩] ولا يصح هذا إلا إذا سلمنا بأن خديجة كان عمرها يوم تزوجها النبي (ص) أربعين سنة، فإذا كان عمرها أربعون سنة فكيف كانت رقية وزينب وأم كلثوم متزوجات قبل النبوة؟ فالنبي (ص) بعث على رأس الأربعين، وزواجه من خديجة لم يمضِ عليه سوى (١٥) سنة، ولا يمكن إلا أن يكون قد زوجهنّ وهن صغيرات، أو أنهن توأم ثلاثي! فكيف مع إضافة القاسم وفاطمة (فهذين عند أهل السنة مولودان قبل النبوة أيضاً، إذ لم يولد في الإسلام إلا عبد الله الطيب الطاهر)، وهناك غموض وتشويش وخلط كبير في السيرة المكية ومن باب أولى السيرة قبل بدء الوحي.

بعد مجموعة أشهرهم أهل بيت النبي (ص))، ولكن كان من السابقين بإجماع أهل السير ، وكان له الأثر العظيم في العهد المكي إذ اشترى مجموعة من العبيد المعذبين وأعتقهم وأسلم على يديه مجموعة من الصحابة الكبار على ما ذكره بعضهم، وكان من المنفقين للأموال في سبيل الله، وقد زوّج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ابنته عائشة بعد أن فسخ خطوبتها من جبير بن مطعم.[٣٠٠] وكان صاحبه في الهجرة وثاني اثنين إذ هما في الغار (وهناك روايات على أنه تأخر إسلامه، وأنه أسلم قبله أبو ذر وبريدة بن الحصيب وخالد بن سعيد وغيرهم[٣٠١]، بل هناك روايات تقول أنه لم يسلم إلا بعد خمسين رجلاً، وهذا محتمل لأننا نكتشف الغلو في أبي بكر رضي الله عنه يوماً بعد يوم، ومن عرف السلطة الأموية وأثرها وأهدافها عرف إمكانية وضع كثير من هذه الأحاديث والفضائل للتشويش والمزاحمة والكيد، لكن بعضها صحيح، وتواتر سبقه وجهاده وإنفاقه لا ينكره منصف، إلا أنه يجب التنبه للأحاديث والروايات الموضوعة في فضائل أبي بكر وعمر من باب الرد على الشيعة، وهذه لا يتنبه لها أهل السنة من قديم، أعني لا يتنبهون للآثار المذهبية على وضع الحديث أو الزيادة فيه أو النقص، وأنا عشت دهراً ولم أكن أنتبه إلا للأحاديث الضعيفة في فضل علي بن أبي طالب، بينما الموضوع في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان عند أهل السنة لا يقل خطورة ووجوداً عن الفضائل الموضوعة في أهل البيت في التراث الشيعي).

ولكن على كل حال فهؤلاء الأربعة (خديجة وعلي وزيد بن حارثة وأبو بكر) كانوا على المشهور أول من أسلم على الترتيب المذكور سابقاً على المشهور والأقوى من الروايات، وقد ذكر بعضهم في هذه الطبقة:

(١٠) ورقة بن نوفل الأسدي القرشي (أول البعثة)، وهذا – إن صح ما قيل فيه من روايات- فهو سابق إلى الإسلام على الجميع حتى خديجة لأنه الذي طمأنها بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نبي حق لكن لم يذكره أكثرهم في أول من أسلم ويبدو أن عذر من تَرَك ذكره إما أنه كان كبيراً في السن فلم يلازم النبي (ص) ولم يسلم على يديه وإنما عرف صدق نبوته ثم مات مبكراً في تلك الأيام وخمل ذكره قبل بدء النبي (ص) بالدعوة، وإما قد يصدق ما يذكره بعض الشيعة من أن دوره مضخم لسبب سياسي زبيري (لأنهم جميعاً من

[٣٠٠] على ما ذكره ابن سعد في الطبقات في ترجمة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها.

[٣٠١] السيرة النبوية لابن إسحاق – (ج ١ / ص ٤٤) : يونس عن يوسف بن صهيب عن عبد الله بن بريدة قال: أول الرجال إسلاماً علي بن أبي طالب ثم الرهط الثلاثة: أبو ذر، وبريدة، وابن عم لأبي ذر اهـ.

أسد قريش)، فيرون أن تضخيم دور ورقة بن نوفل جاء من بني أسد كعروة بن الزبير ويتيم عروة وغيرهم، وأنه لا يصح أكثر ما روي في هذا الباب من أنه هو الذي أخبر النبي (ص) بأنه نبي! وأنه آمن بنبوة النبي (ص) قبل إيمان النبي (ص) بها)! ولا ريب أن هذا الرأي وجيه، وأن هذه مبالغة ظاهرة في ورقة بن نوفل، فلعل الأمر اقتصر على سؤال خديجة له وإقراره لها بنبوة النبي (ص)، وأما كون النبي (ص) لبث شاكاً في نبوته حتى آمن بها ورقة بن نوفل قبله فهذا منكر من القول والاعتقاد.

(١١) خالد بن سعيد بن العاص الأموي (نحو ١٥هـ): كان من أوائل المسلمين، وقيل أنه أسلم قبل أبي بكر الصديق، ذكر ذلك بعضهم في ترجمته كابن عساكر، وهذا يدل على قدم إسلامه على الأقل ؛ وهو من كبار الصحابة وقد هاجر الهجرتين، وقد هضمه أهل التواريخ رغم أنه أسبق إسلاماً من أبي بكر وعمر وعثمان على الراجح، وهذا الظلم في محوه من الذاكرة المسلمة سببه تشيعه للإمام علي بن أبي طالب واختياره ولايته بعد النبي (ص)، وآل أبي أحيحه الأربعة على نهج سابقهم خالد بن سعيد هذا .

(١٢) أبو طالب بن عبد المطلب: عم النبي (ص) وكافله ومؤويه وحاميه.. وهو من أعظم الصحابة المكيين عند ترك التعصب والنزوع إلى الإنصاف، وهذا الصحابي الكبير لم يشأ بنو أمية أن يموت على الإسلام، فدبجوا ما دبجوه من الروايات والأحاديث التي تقول إنه مات على الشرك وأنه سيغلي دماغه وأن هذا أخف ما يعذب به! مع أن له الدور المكي كله تقريباً.. وبقية الصحابة لهم الدور المدني.. وقد أفردته بكتاب منفرد وتبين لي أن الرجل مسلم، نعم كان يكتم إيمانه، وهذا أدعى في النصرة والحماية، وكان يجيب الجميع بأنه على ملة عبد المطلب، وعبد المطلب لم يكن مشركاً، بل كان حنيفياً على ملة إبراهيم، وقد بالغت السلفية في إحاطة النبي (ص) بالنار، فحكمت على أبوي النبي (ص) بالنار وعلى عمه وعلى جده .. بينما أحاطت معاوية بالجنة، فبشرته بأنه هو وأبوه أبو سفيان وأمه هندبنت عتبة و ابنه يزيد في الجنة وتفصيل هذه الإحاطة بالنار للنبي (ص) وبالجنة لمعاوية ليس في هذا المكان ..

(١٣) سعد بن أبي وقاص الزهري (٥٧هـ): ورد ما يدل على أنه أسلم قبل أبي بكر أيضاً، فإن صح فهذا دليل على أنه من أوائل المسلمين خاصة وأنه قد ورد بسند قوي أنه أسلم ثالث ثلاثة، فهذا كله يدل على أنه من هذه الطبقة، وقد كان سعد من الصحابة الكبار ومن أهل بدر وسائر المشاهد، ومع تأخر وفاته إلى عام ٥٧هـ وهو تاريخ وفاة أبي هريرة إلا أنه لم يروَ عنه إلا النزر اليسير قياساً بما روي عن أبي هريرة، رغم أنه من السابقين الأولين وأبو هريرة من المتأخرين فلم يسلم إلا عام خيبر، وسعد بن أبي وقاص وإن كان قد خذل الحق في عهد أمير المؤمنين إلا أنه لم ينصر الباطل، وقد ندم على اعتزاله (

وحققت ذلك في بحث صغير) وكان يبث فضائل علي ويرد على معاوية سبه للإمام علي، وسعد بن أبي وقاص هو من أشهر رواة حديث المنزلة، وكان يفهم منه ملا يفهمه غلاة السلفية الذين يدّعون أنهم على فهم السلف الصالح[٣٠٢]، وقد دفع سعد بن أبي وقاص ثمن هذه الحقائق التي بثها في زمن معاوية، فقام معاوية بدس السم له ومات شهيداً رضي الله عنه[٣٠٣].

وقد وردت أسماء تدل على أنهم في هذه الطبقة لكن الصواب غير ذلك كأبي ذر[(٣٠٤)] وبريدة بن الحصيب، وعمرو بن عبسة السلمي[(٣٠٥)] ونحوهم .

وينبغي التنبيه إلى أنه كثيراً ما يرد الاضطراب والتناقض في تواريخ إسلام بعض المسلمين المكيين نتيجة لغموض الفترة المكية المذكور سابقاً ولطبيعة المرحلة السرية التي قيل إنها استمرت ثلاث سنوات إضافة لفترة

---

[٣٠٢] وللمتمسكين بما يسمونه (فهم السلف الصالح) نقول لهم هذا فهم سعد بن أبي وقاص وسعيد بن المسيب على تعظيم هذا الحديث، وهما من كبار السلف الصالح، وليس كما يظهره النواصب كابن تيمية بأنه حديث عادي جداً وأنه لا خصوصية فيه لعلي، وأن المسألأة تقتصر على توليته على المدينة، ... إلخ تلك الشنشنات، بينما نجد أن سعيد بن المسيب يستعظم هذا الحديث عندما سمعه من عامر بن سعد عن أبيه، فذهب إلى سعد بن أبي وقاص ليستفهم منه ويسمع منه نص الحديث، فالحديث عظيم ، هذا هو فهم السلف الصالح والحديث في الصحيحين، ففي جامع الأصول من أحاديث الرسول - (ج ١ / ص ٦٥٧٤): (خ م ت) سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - :« أَنَّ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- خَلَّفَ عليَّ بنَ أبي طالب في غزوة تبوك ، فقال : يا رسولَ الله، تُخَلِّفُني في النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكونَ مني بمنزلة هارون من موسى ، غيرَ أنه لا نبيَّ بعدي؟ »... أخرجه البخاري ومسلم، ولمسلم : أَنَّ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- قال لعليّ : « أَنتَ مني بمنزلة هارون من موسى، إِلا أَنه لا نبيَّ بعدي».قال ابن المسيب : أَخبرني بهذا عامر بن سعد عن أبيه ، فأَحْبَبْتُ أَنْ أُشَافِهَ به سعدا ، فلقيتُه ، فقلتُ : أنتَ سمعتَه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ؟ فوضع إصبعيه على أُذُنَيْه، فقال: نعم، وإلا فاسْتَكّتا. اهـــ فانظر تعظيم السلف لهذا الحديث ودلالته، وقد رواه أحمد مطولاً وفيه سياقه ما يؤكد على هذا حتى أن سعيد بن المسيب هاب أن يسأل سعداً عن هذا الحديث، ففي مسند أحمد بن حنبل - (ج ١ / ص ١٧٣) : ثنا عفان ثنا حماد يعني بن سلمة أنبأنا على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال : قلت لسعد بن مالك انى أريد ان أسألك عن حديث وأنا أهابك ان أسألك عنه فقال لا تفعل يا بن أخي إذا علمت أن عندي علما فسلني عنه ولا تهبني قال فقلت قول رسول الله صلى الله عليه و سلم لعلي رضي الله عنه حين خلفه بالمدينة في غزوة تبوك! فقال سعد رضي الله عنه : خلف النبي صلى الله عليه و سلم عليا رضي الله عنه بالمدينة في غزوة تبوك فقال يا رسول الله أتخلفني في الخالفة في النساء والصبيان فقال أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى قال بلى يا رسول الله قال فأدبر علي مسرعا كأني أنظر إلى غبار قدميه يسطع وقد قال حماد فرجع على مسرعا اهـــ تعليق شعيب الأرنؤوط : صحيح، قلت: والسياقات الدالة على أن الحديث بفهم السلف الصالح كسعد بن أبي وقاص وسعيد بن المسيب غير ذلك الفهم المستهتر الذي تبناه ابن تيمية ونقله إلى متعصبي شيعته الذين لا يحترمون ما يؤمنون بصحته إذا كان يخالف ما هم عليه من عقائد وأهواء، ولأحمد بن حنبل في فهم الحديث مذهب مقارب لمذهب السلف.

[٣٠٣] ولن نذكر المصادر في هذا لأن هؤلاء لا يؤمنون بأي شيء إذا خالف ما هم عليه، فلماذا التعب؟ فليبحثوا إن أرادوا.

[(٣٠٤)] ويبدو والله أعلم أنه من الطبقة الثالثة حتى وإن روي أنه خامس خمسة وقد ذكر هذا الاحتمال ابن حجر في قصة إسلام أبي ذر في شرحه للبخاري.

[(٣٠٥)] ويبدو أن إسلامه تأخر لفترة العرض على القبائل حتى وإن روي أنه ثالث ثلاثة بعد أبي بكر وبلال لأن بلالاً نفسه لم يسلم إلا بعد أكثر من خمسين.

انقطاع الوحي، فكان الشخص يسلم وهو يظن أنه الأول أو الثالث أو الخامس... أو تكون هناك عبارة موهمة[٣٠٦] وهكذا فلذلك يأتي الاختلاف في ترتيبهم حسب السبق إلى الإسلام.

الطبقة الثانية من صحابة العهد المكي: طبقة السابقين إلى الإسلام قبل دخول دار الأرقم.

وهي (الثانية في المرحلة السرية أو الدعوة الخاصة): وهي طبقة أوائل المسلمين، وهم المسلمون قبل دخول النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" دار الأرقم بن أبي الأرقم ومن أبرز العوائل الداخلة في هذه الطبقة آل ياسر وآل مظعون وبقية العشرة وآل وقاص وآل مسعود وآل جحش وآل البكير وعدد من الموالي المعذبين وغيرهم، وهذه أسماء رجال ونساء هذه الطبقة مرتبين حسب الحروف الهجائية:

(١٤) الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي (نحو ٥٥هـ): (واسمه عبد مناف بن أبي جندب)، أسلم سابع سبعة وقيل عاشر عشرة قبل دخول داره ويبدو أنه أسلم بعد الزبير بن العوام وعامر بن فهيرة، وقد بقي مجهولاً بعد وفاة النبي (ص) فاختفى ذكره في خلافة الثلاثة ثم عاد ذكره في عهد الإمام علي وشهد معه صفين، ويظهر أن السبب في هذا لأنه كان من شيعة علي عليه السلام، والسلفية الأولى تهمل الاهتمام بمن شهد مع علي حروبه حتى ولو كان بيته هو المدرسة الإسلامية الأولى، والشيعة الأولى من كبار الصحابة الذين كانوا في صف الإمام علي من بعد السقيفة اختفى ذكرهم في عهد الثلاثة، مع أن ذنبهم يكمن في تفضيلهم قرابة النبي (ص) على قرابتهم، كالأرقم بن أبي الأرقم وأبي أيوب الأنصاري وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وقيس بن سعد بن عبادة وأبي عمرة الأنصاري وأبي فضالة الأنصاري وأمثالهم ممن لم يكن لهم حضور إلا في عهد النبي (ص) وعهد الإمام علي، وهؤلاء هم أكثر السابقين من المهاجرين والأنصار، و لم يكن مع الثلاثة إلا القليل من السابقين وهذا مما يجب أن نعترف به كأهل سنة، فليست السنة أن نهضم قربى النبي (ص) وإنما السنة أن ننصفهم، وقد أحصيت أكثر من سبعين بدرياً شهدوا مع علي صفين، وهذا ما لم يحدث في أي معركة من معارك الفتوح لا اليرموك ولا القادسية، وهذا يدل على الفهم السلفي العتيق لحق أمير المؤمنين

---

[٣٠٦] كرواية بعضهم أن عمر أسلم تمام الأربعين! وهذا خطأ إنما المراد بالأربعين هنا الذين كانوا في دار الأرقم الذين خرجوا مع عمر إلى البيت لأن عمر لم يسلم إلا بعد مهاجرة الحبشة وكانوا وحدهم أكثر من مئة من الرجال والنساء! ومن الروايات الموهمة ظن عمرو بن عبسة أن قول النبي: حر وعبد أنه لم يسلم يومئذ إلا هما! وهذا خطأ فقد يكون المراد أنه ليس معه في ذلك الوقت ساعة إسلام ابن عبسة في الطائف إلا أبو بكر لأن الإجماع منعقد على أن خديجة وعلي وزيد بن حارثة أسلموا قبل بلال و لم يكن النبي ليقتصر على قوله: (حر وعبد) وينسى نصيره الأول خديجة وربيبه علي ومولاه زيد وأمثالهم من السابقين على أبي بكر فضلاً عن بلال؛ ولعل هذه الرواية وهي شامية من غلو أهل الشام في الصحابة الذين نزلوا الشام كعمرو بن عبسة كما فعلوا أيضاً مع أبي عنبة الخولاني والضحاك بن قيس ومعن بن يزيد وثمامة بن عدي فزعموا أنهم بدريون! وهذا غير صحيح على الإطلاق! فهم بين تابعي ومجهول وصحبة عامة ، وهذا موضوع آخر لي فيه بحث مختصر، سببه أنه لفت نظري أن هناك تابعون هم عند أهل الشام بدريون أو صحابة كبار لنـــزولهم عندهم!

علي بن أبي طالب، وبسبب هذا الإهمال للسابقين ومواقفهم ظن الشيعة أن أكثر الصحابة من المهاجرين والأنصار كانوا ضد أهل البيت وهذا ظلم مبني على ظن باطل من كون هؤلاء السابقين مالوا إلى العصبية والدنيا والمظاهرة على أهل البيت، وهذا غير صحيح، إلا أن هؤلاء السابقين كانوا قلة، وكانت العصبية العشائرية هي الكثرة، فما نسبة ألف صحابي إلى عشرات الآلاف من أصحاب الصحبة العامة؟ لا سيما وأن هؤلاء الآلاف معهم أفراد من السابقين ؟ من هنا يجب إعادة تقييم مواقف المهاجرين والأنصار، وسنجد أن الأغلبية من هؤلاء السابقين كانوا بين مؤيد للإمام علي أو ساخط أو يائس، ولذلك لا نجد تفسيراً لإهمال مثل أبي أيوب الأنصاري في عهد الثلاثة إلا موقفه المؤيد للإمام علي، فكيف إذا علمنا شهرته في عهد الإمام علي وكأنه عاد للحياة من بعد موته؟! وكذلك خزيمة بن ثابت وقيس بن سعد وأبي عمرة وأبو قتادة وسهل بن حنيف وخباب بن الأرت وأسيد بن ثعلبة الأنصاري وأبو اليسر كعب بن عمرو ومدلاج بن عمرو السلمي وغيرهم كثير جداً من سابقي المهاجرين والأنصار الذين اختفى ذكرهم في عهد الثلاثة، وليس لهم ذكر إلا في عهد النبي (ص) وعهد علي بن أبي طالب، فالتاريخ يغمض عينيه على أمور عظام، وآن للتاريخ أن يصحو، فهذا الرجل – أعني الأرقم بن أبي الأرقم – مخزومي وهي من أشد قبائل قريش كبراً وعتواً، ومع ذلك تبع (محمداً) في أول عمره، و (آل محمد) في آخر عمره، فلم تحتمل له (أمة محمد) الجمع بين هذين الولاءين! وهذه عادة قريش، فهي لا تسمح للمؤمن أن يكون إيمانه أكمل من إيمانها! فما أن يجمع المؤمن بين محبة النبي (ص) ومحبة آله حتى يُهمل ويُعزل إن كان من الصحابة، أو يُتّهم بالغلو والبدعة والضلالة إن كان ممن بعدهم، وهذه أول قضمة قضمتها قريش من دين الله، وما زلنا نلوكها إلى اليوم، وهي أساس اختلاف الأمة، وبذرة العصبيات، فورثنا عن قريش وطلقائها العصبية على لا شيء! (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) [الزخرف) فالأرقم بن أبي الأرقم لأنه جمع بين الفضيلتين كان جزاؤه الإهمال، وحل مكانه في التاريخ والذاكرة مثل خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل، وثلاثتهم من بني مخزوم، لكن هناك فرقاً كبيراً بينه وبينهما سابقة وإيماناً وفضلاً، مع أنهما ليسا بأسوأ أصحاب الصحبة العامة، وليسا بخيارهم، لكن هذا الاختلال من إشهار المتأخرين وإغمار السابقين من القبيلة نفسها؛ لهو دليل على قوة التأثر بالسلطة وقلة التأثر بالملة، فلا يجوز أن نتبع السلطة في التقليل والإهمال لكل من يحب ويناصر علياً فإنه لا يحب علياً إلا مؤمن، لأن حب علي هو المفتاح لحب النبي (ص) (من أحبك فقد أحبني) كما أن حب

النبي (ص) هو المفتاح لحب الله عز وجل (ومن أحبني فقد أحب الله) وعلى هذا فمن زعم أنه يحب النبي (ص) بلا محبة الإمام علي، فهو كمن يزعم محبة الله بلا محبة النبي (ص) فالدوائر الثلاث مترابطة، ولو كان حب الله ورسوله يكفي، لكان حب الله وحده يكفي، لكن الله يمحص قلوبنا ويبتلينا ببشر مثلنا، كما ابتلى إبليس بآدم، فلم تنفع إبليس دعوى حب الله بعد رفض أمره، كذلك لن تنفعنا دعوى حب النبي (ص) إذا أبغضنا من أَمَرنا بحبه والصلاة عليه معه[٣٠٧]، ومن صعب عليه التصريح بنفاقه ضد النبي (ص) سهل عليه التصريح بذلك في أقرب وأحب الناس إليه، وهذا أمر ملحوظ، ولأجل هذا صح عن بعض فضلاء الصحابة قولهم: (ما كنا نعرف منافقينا إلا ببغضهم علياً) روي ذلك من طرق متعددة عن أبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وأبي ذر وغيرهم[٣٠٨]، وحاضن هذه الأحاديث حديث زر بن حبيش عن علي في صحيح مسلم، وحديث راية خيبر وهو متواتر، والأحاديث في هذا الباب متواترة المعنى، لا يشك في ذلك سني ولا شيعي.

---

[٣٠٧] المستدرك على الصحيحين للحاكم - (ج ٣ / ص ١٤١) : أخبرني أحمد بن عثمان بن يحيى المقري ببغداد ثنا أبو بكر بن أبي العوام الرياحي ثنا أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري ثنا عوف بن أبي عثمان النهدي قال : قال رجل لسلمان ما أشد حبك لعلي؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : (من أحب عليا فقد أحبني و من أبغض عليا فقد أبغضني) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه / تعليق الحافظ الذهبي في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم / وفي مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . محقق - (ج ٩ / ص ٣٢): وعن أم سلمة قالت: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله".رواه الطبراني وإسناده حسن، قلت: وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، وجزم به ابن عبد البر في الاستيعاب، وصححه السيوطي في تاريخ الخلفاء، والحديث حق، فالذي يتيقن صدور هذه الفضائل ثم يأباها فهو يتهم الله ورسوله في عدلهما وكأنهما هازلان يدللان علياً دون أن يستحق هذا الفضل، وهذا مثل عمل إبليس تماماً الذي احتج على أمر الله له بالسجود لآدم فلم ينكسر كبره بل حمي، وأبى الانصياع ، بل جاء النص بمثل هذا، من أن الذي يبغض علياً فهو كاذب في دعواه محبة النبي (ص)، وهذا النص أتى من طريق سلفي حنبلي ففي الشريعة للآجري - (ج ٤ / ص ١٩٧) : حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال : حدثنا هشام بن يونس اللؤلؤي قال : حدثنا الحسين بن سليمان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : « يا علي ، من زعم أنه يحبني ويبغضك فقد كذب »/ ولهذا الحديث شواهد كثيرة منها حديث بريدة الذي رواه أحمد وغيره، ففي مسند أحمد بن حنبل - (ج ٥ / ص ٣٥٠) حدثنا يحيى بن سعيد ثنا عبد الجليل قال انتهيت إلى حلقة فيها أبو مجلز وبن بريدة فقال عبد الله بن بريدة حدثني أبي بريدة قال : - فذكر حديثاً طويلاً فيه- : وقال (النبي ص): أتبغض علياً؟ قال : قلت نعم! قال فلا تبغضه وان كنت تحبه فازدد له حباً! .. قال (بريدة): فما كان من الناس أحد بعد قول رسول الله صلى الله عليه و سلم أحب إلي من علي .. اهـ باختصار / تعليق شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح وهذا إسناد حسن من أجل عبد الجليل، قلت: وله شواهد عن بريدة، ومن شواهده حديث مسلم (لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق) والعصبية القبلية أو المذهبية إذا عارضت النصوص ففيها نوع من النفاق بلا شك، فالدين التسليم، وهذا هو الابتلاء، ثم الشاهد الأهم هو حديث الصحيحين المتواتر في فضل علي أنه: (... يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)، وهذه شهادة لم ينلها أحد من الصحابة غير علي، وهي محل اطمئنان بأن محبته تجري في محبة الله ورسوله، وقد جرى التشويش على هذا الحديث مرة بحديث (من أحب العرب فقد أحبني) ومرة (من أحب قريشاً فقد أحبني) وثالثة (من أحب عمر فقد أحبني) وكلها أحاديث مكذوبة تم وضعها للتشويش فقط، ومع أن حب الصالحين من العرب أو قريش أو الصحابة واجب، إلا أن حب علي له خصوصيته، وهو محل الابتلاء وبداية دخول البيت المريح من باب السور الخارجي، وليس لرجل أن يدخل البيت من أعلاه إلا سارقاً أو هازلاً.

[٣٠٨] فروي عن جابر بن عبد الله من ثلاث طرق، الأول في المعجم الأوسط للطبراني هو حنبلي - (ج ٩ / ص ٣٥٤) : حدثنا علي بن سعيد الرازي قال : نا محمد بن حسان الخزاز ، بالري قال : نا عمرو بن ثابت ، عن عمران بن سليمان ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، عن جابر بن عبد الله قال : « والله ما

كنا نعرف منافقينا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ببغضهم عليا » « و الثاني في المعجم الأوسط للطبراني الحنبلي – (ج ٥ / ص ١٦٩) : حدثنا أحمد بن زهير قال : نا إسماعيل بن أبي الحارث قال : نا محمد بن القاسم الأسدي قال : نا زهير بن معاوية ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : « ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغضهم عليا رضي الله عنه » وهو في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي – (ج ٦ / ص ٢٢٣) بلفظ: أنا محمد بن عثمان بن محمد ، قال : نا أحمد بن الجراح ، قال : نا إسماعيل بن أبي الحارث ، قال : نا محمد بن القاسم ، قال : نا زهير ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : (كنا نعرف نفاق الرجل ببغضه لعلي) وله لفظ آخر في فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل – (ج ٣ / ص ١٢٤) : حدثنا الهيثم بن خلف قثنا عبد الملك بن عبد ربه أبو إسحاق الطائي ، نا معاوية بن عمار ، عن أبي الزبير قال : قلت لجابر : كيف كان علي فيكم ؟ قال : ذلك من خير البشر ، ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغضهم إياه / وهو في فوائد أبي علي الصواف – (ج ١ / ص ٣٤) : ثنا أحمد بن محمد بن الجعد ، ثنا عبد الملك بن عبد ربه ، ثنا عمار بن معاوية الدهني ، ثني أبو الزبير قال : قلت لجابر : كيف كان علي فيكم ؟ قال : « ذاك من خير البشر ، ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغضهم عليا » وجزم به ابن عبد البر في الاستذكار عن جابر، ورواه مع اختصار الإسناد في الإستيعاب في معرفة الأصحاب – (ج ١ / ص ٣٤٢) فقال: وروى عمار الدهني. عن أبي الزبير عن جابر قال: ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغض علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ورواه الذهبي في تذكرة الحفاظ بإسناده من طريق آخر عن معاوية بن عمار به وذكر ابن عساكر طرقاً أخرى منها زهير بن خيثمة عن أبي الزبير عن جابر به، وعن ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر به/ والثالث في الشريعة للآجري السلفي الحنبلي– (ج ٤ / ص ١٩٢): حدثنا أبو محمد جعفر بن أحمد بن عاصم الدمشقي قال : حدثنا محمد بن مصفى قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن محمد بن علي ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر قال : « ما كنا نعرف منافقينا معشر الأنصار إلا ببغضهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه » وهو عند عبد الله بن أحمد في زوائده على فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، وعند اللالكائي السلفي من الطريق نفسه / وأما حديث أبي ذر في المستدرك على الصحيحين للحاكم وهو سلفي محدث – (ج ١٠ / ص ٤٤٨): حدثنا أبو جعفر أحمد بن عبيد الحافظ ، بهمدان ، ثنا الحسن بن علي الفسوي ، ثنا إسحاق بن بشر الكاهلي ، ثنا شريك ، عن قيس بن مسلم ، عن أبي عبد الله الجدلي ، عن أبي ذر رضي الله عنه قال : « ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله ، والتخلف عن الصلوات ، والبغض لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه » « هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه » وأما حديث أبي سعيد ففي معجم ابن الأعرابي – (ج ٥ / ص ١٦٧) : نا علي ، نا أبو غسان النهدي ، نا إسرائيل ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد قال : ما كنا نعرف منافقي الأنصار إلا ببغضهم علي بن أبي طالب/ وفي مجموع أجزاء حديثية – (ج ١ / ص ١٧٣) جزء أبي بكر الصولي – وهو محدث سلفي – قال: حدثنا هشام بن علي العطار: حدثنا عبد العزيز بن الخطاب: أخبرنا يعقوب بن عبد الله القمي: حدثنا الأعمش، عن السلمي، عن أبي سعيد الخدري: ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغضهم علي بن أبي طالب عليه السلام. / وله طريق آخر عن أبي سعيد في جزء علي بن محمد الحميري السلفي– (ج ١ / ص ٣٩): حدثنا علي ، حدثنا هارون بن إسحاق ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن يزيد بن خصيفة ، عن بسر بن سعيد ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : « ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ببغض علي » وفي تاريخ دمشق – (ج ٤٢ / ص ٢٨٥) من طريق ابن عقدة: .. أبو العباس بن عقدة نا أحمد بن الحسين بن عبد الملك نا إسحاق بن يزيد نا فضيل بن يسار وإسماعيل بن زياد ويونس بن أرقم وجعفر بن زياد وعلي بن داود وربعي الأشجعي عن أبي هارون عن أبي سعيد قال: ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلا ببغضهم علياً اهـ وذكر طرقاً أخرى عن أبي هارون عن أبي سعيد به/ وأما حديث ابن مسعود وابن عباس : فرواه الخطيب بلفظ مطول، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق – (ج ٤٢ / ص ٢٨٤): ..أبو بكر الخطيب حدثني عبد العزيز بن أحمد بن علي الكتاني أنا علي بن بشرى بن عبد الله العطار أنا أبو علي محمد بن هارون بن شعيب الأنصاري حدثني أبو محمد عبد الرحمن بن إسحاق بن إبراهيم الصامدي من كتابه نا مروان بن موسى البغدادي نا حفص بن سليمان عن أبي إسحاق السبيعي عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود وابن عباس .. وفيه (كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ببغضهم علي بن أبي طالب، وهناك آثار في هذا الباب عن عبادة بن الصامت والأنصار وأنس، ومعظم هذه الآثار أخرجها ابن عساكر والخطيب البغدادي كلاهما في ترجمة علي بن أبي طالب / وقد رواه أهل السنة حتى النواصب منهم دون نكير إلا من أشدهم نصباً أعني ابن تيمية وله في رد أحاديث علي منهج معروف، ولكن هذا تلميذه الذهبي يقول في (تاريخ الإسلام للذهبي – (ج ١ / ص ٤٨٥) : وقال الأعمش، عن عدي بن ثابت، عن زر، عن علي قال: إنه لعهد النبي صلى الله عليه وسلم إلي أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق " . أخرجه مسلم، والترمذي وصححه، وقال أبو صالح السمان، وغيره، عن أبي سعيد قال: إن كنا لنعرف المنافقين ببغضهم علياً، وقال أبو الزبير، عن جابر قال: ما كنا نعرف منافقي هذه الأمة إلا ببغضهم علياً) اهـ وهكذا يورد هذه الآثار في سياق الإثبات دون نكير / وقال الألوسي في تفسير قوله تعالى (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم) قال في تفسيره المسمى : تفسير الألوسي – (ج ١٩ / ص ١٦٢) : (..وذكروا من علامات النفاق بغض علي

(١٥) أسماء بنت سلامة (ويقال: بنت مخربة) التميمية: (أسلمت مع زوجها عياش بن أبي ربيعة)،وسيأتي.

(١٦) أسماء بنت عميس الخثعمية (بعد ٤٠هـــ) : (زوجة جعفر بن أبي طالب)، وهذه المرأة من فضليات النساء ولها نبأ عظيم لا يعرفه أكثر الناس، وهي من أوائل من أسلم وكانت امرأة لجعفر بن أبي طالب وهاجرت معه إلى الحبشة بعد أن هاجرت للمدينة مدة وحضرت زفاف فاطمة وعائشة قبل بدر وبعده ثم التحقت بزوجها – على الراجح عندي[٣٠٩]– ثم قتل عنها جعفر يوم مؤتة (٨هـــ)، ولها منه أبناء، فتزوجها أبو بكر بعده وولدت له محمد بن أبي بكر في حجة الوداع، وتزوجها علي بعد أبي بكر وولدت له عوناً ويحيى، ولأسماء بنت عميس مكانة كبيرة ومحبة لأهل البيت، فهي التي شاركت علياً في غسل فاطمة وتشييعها بل كانت قامت على تمريض فاطمة قبل موتها، رغم أن فاطمة هجرت أبا بكر (وكان زوج أسماء هذه، فيبحث هل حضرت بإذن أبي بكر أو ماذا؟) وليبحث أيضاً سبب قربها من أهل البيت، وروايتها في فضائل علي وفاطمة مع أنها لم ترو في فضل أبي بكر عن النبي (ص) شيئاً، بينما هي من رواة حديث المنزلة حديث رد الشمس (رغم ضعفه عندي إلا أنه قد يكون له أصل ما) وحديث المؤاخاة، وبسبب قربها من أهل البيت وتشيعها لآل محمد حاول بعض السلفية الأولى تضعيفها فيما يظهر، ولذلك هي مترجمة في لسان الميزان لابن حجر؛ وهذا غريب جداً! لأن الكتاب مخصص في الضعفاء، ولأنه انتقد الذهبي بسبب ذكره أسماء بعض الصحابة في الميزان[٣١٠]، فلماذا ذكر أسماء بنت عميس؟ مع أنه لم يذكر في

كرم الله تعالى وجهه، فقد أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال : ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ببغضهم علي بن أبي طالب، وأخرج هو وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري ما يؤيده ، وعندي أن بغضه رضي الله تعالى عنه من أقوى علامات النفاق فإن آمنت بذلك فيا ليت شعري ماذا تقول في يزيد الطريد أكان يحب علياً كرم الله تعالى وجهه أم كان يبغضه؟! ولا أظنك في مرية من أنه عليه اللعنة كان يبغضه رضي الله تعالى عنه أشد البغض، وكذا يبغض ولديه الحسن والحسين على جدهما وأبويهما وعليهما الصلاة والسلام كما تدل على ذلك الآثار المتواترة معنى ، وحينئذٍ لا مجال لك من القول بأن اللعين كان منافقاً) اهـــ قلت/ وكذلك أبوه معاوية، فلم يرث يزيد هذا النفاق إلا من أبيه ولبئس المعلم والتلميذ، وأما ما ذكره من حديث أبي سعيد الذي يؤيد حديث ابن مسعود فهو ما ذكره السيوطي في تفسيره الدر المنثور – (ج ٧ / ص ٥٠٤) بقوله: (وأخرج ابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قوله ولتعرفنهم في لحن القول قال : ببغضهم علي بن أبي طالب) / واثبت هذا الحديث من هذا الطريق الآجري السلفي الحنبلي في كتابه الشريعة.

[٣٠٩] ويظهر أنها كانت ضمن وفد، ورئيس ذلك الوفد فيما أرجح محمية بن جزء الزبيدي (حليف بني هاشم، وكان على الأخماس يوم بدر)، فقد شهد بدراً ثم ذهب للحبشة وعاد مع جعفر، فكانت أسماء بنت عميس في هذا الوفد، وقد صحت الروايات أنها شهدت زواج فاطمة، وهذا يدل على أنها لم تهاجر مع زوجها جعفر وإنما التحقت به.

[٣١٠] والذهبي انتقد البخاري وابن أبي حاتم على تضعيف بعض الصحابة في كتبهم! وهما من رؤوس من يقول بعدالة الصحابة! لأنهم ورثوها فقط، مع أن الواقع السلفي القديم كان على تضعيف من حارب مع علي ولو كان بدرياً وتوثيق من حارب مع معاوية ولو كان أعرابياً، هذا هو الأصل السياسي الأول الذي ثبته معاوية، ثم بدأ يتخلخل شيئاً فشيئاً، ولكن مثل البخاري وابن أبي حاتم ورثا بعض ذلك التراث الأموي فبقي في كتبهم تضعيف صحابة من شيعة علي، وليس في كتبهما تضعيف طليق ولا أعرابي من أصحاب معاوية، وما زال التطهير جارياً إلى اليوم، حتى في نسخ (لسان الميزان) القديمة والمتعددة نجد

ترجمتها إلا كل فضل، لكن لماذا ورد اسمها في كتاب مخصص في الضعفاء؟ هل وقف ابن حجر على مصادر قديمة كانت تضعف أسماء بنت عميس؟ ثم ترجم لها ترجمة حسنة مختصرة و لم يوافق تلك المصادر أم ماذا؟ لا نستغرب هذا فقد طهروا المصادر الرجالية الأولى من تضعيفها لبعض الصحابة الكبار من أهل بدر وغيرهم (وسيكون لي بحث في هذا الموضوع بإذن الله، وقد ألمحت في ثنايا هذا الكتاب لبعض ذلك مما كنت أجهله أيام الطبعة الأولى، و لم أشأ أن أثقل الطبعة الثانية بكثير من هذه الفوائد حتى لا يظهر وكأنه كتاب آخر).

(١٧) أمينة بنت خلف الخزاعية: (أسلمت مع زوجها خالد بن سعيد بن العاص)، وخالد بن سعيد بن العاص من أوائل من أسلم بل قيل أنه أسلم قبل أبي بكر وهذا محتمل، لكن تشيعه للإمام علي جعله مغموراً رغم أنه أموي النسب، فمحبة الغلاة لبني أمية ليست على إطلاقها، فمن خرج من حزب بني أمية إلى حزب آل محمد أهملوه ولو كان أسبق إسلاماً من أبي بكر، ولذلك فالسلفية اليوم يعرفون معاوية ويحبونه أكثر من معرفتهم خالد بن سعيد بن العاص إن كانوا يعرفونه أصلاً! أما محبتهم لخالد هذا فلا أظن غلاة السلفية يحبونه اللهم إلا ادعاءً، نعم قد لا يبغضونه إلا إذا اكتشفوا أنه كان يفضل علياً وولايته على أبي بكر، وأبو بكر أهل لكل ثناء، إلا أن السلفية يغلون فيه كثيراً ويقبلون الموضوعات في فضله من قديم.

آل البكير الليثيون[311]:

(١٨) إياس بن البكير الليثي (٣٤هـ) : و لم يرووا عنه – ولا عن إخوته – حديثاً واحداً رغم تأخر وفاة بعضهم! وليث من بني بكر بن كنانة، حالف جدهم عبد ياليل جد عمر بن الخطاب نفيل بن عبد العزى،

اسم (اسماء بنت عميس) إلا أنه في الطبعة الأخيرة التي حققها الشيخ عبد الفتاحة أبو غدة تم حذف اسم أسماء بنت عميس (و لم ينبه على ذلك في الهامش وإنما هكذا..! ولا أدري أو سقط أم مماشاة لمنهج إخفاء الفضائح، ونحن نتعاطف مع الشيخ أبو غدة رحمه الله لأن السلفية ظلمته كثيراً، وقد لقيته وأخذت عنه القليل المبارك في بداية الطلب، لكن هذه الملحوظة لابد من قولها للأمانة، وعلى كل حال فالقول بعدالة الصحابة إنما كانت نشأته سياسية أموية، وكان يراد بهذه القاعدة حماية صحابة بني أمية فقط، ولذلك لم تأبه السلفية الأولى بتضعيف صحابة من غير بني أمية وحزبهم، فقد وصل التضعيف لبعض أهل بدر كما سبق أن ذكرنا، بل في كتاب الذهبي (الميزان) عشرات، حذفهم ابن حجر وبقي عنده شيء منهم أيضاً، والتطهير مستمر، والسلفية المتأخرة مع الزمن ستكتشف صدق كلامي هذا، وهذا الخلل وإن أخذت تسده مع كل مؤلف جديد! لتستقيم نظريتهم وتبدو أكثر مصداقية إلا أن الاعتراف بأصل المشكلة أسهل وأكثر علماً.

[311] ويقال لهم (آل أبي البكير) أيضاً، فنسبتهم إلى البكير أو أبي البكير كلاهما شائعان في تراجمهم، وهم من البيوت التي دخلت في الإسلام وهاجرت وجاهدت ولا يكاد يعرفهم أحد كسائر البيوت التي قاومت مشركي قريش، فقد ثأرت منهم دولة طلقاء قريش بعد وصولها للحكم، إما بالإهمال أو المحاربة، وفي الطبقات الكبرى لابن سعد – (ج ٣ / ص ٩٠) : أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: كان ممن خرج في الهجرة إلى المدينة فأوعبوا، رجالهم ونساؤهم، وغلقوا دورهم فلم يبق منهم أحد إلا خرج مهاجرا، دار بني غنم بن دودان (وهم بنو أسد بن خزيمة) ودار أبي البكير ودار بني مظعون اهـ.

وهو أحد الأخوة الأربعة البدريين المغمورين والباقون هم (عامر وعاقل وخالد، سيأتون)، وهم بدريون، ولا يكاد يعرفهم هؤلاء، مع أنهم أسلموا قبل عمر بن الخطاب بسنوات (كانوا أول من اسلم بدار الأرقم وكان عمر آخر من اسلم فيه بعد ثلاث سنوات أو أكثر)، وهذا الغمر لهم ربما لأنهم ليسوا من قريش، وربما لأن واحداً منهم على الأقل (عامر) كان ضد عثمان ومن الثوار عليه، وشهد مع علي حروبه، فتسبب هذا في السخط الأموي على آل البكير ، قال الحافظ في الإصابة في معرفة الصحابة - (ج ١ / ص ٥٥): إياس بن البكير: ويقال: ابن أبي البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن الكنانة الليثي حليف بني عدي، قال البخاري في صحيحه: قال الليث: حدثني الزهري عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان أن محمد بن إياس بن البكير حدثه وكان أبوه شهد بدراً ووصله في تاريخه، وقال أبي إسحاق (كذا! ولعله : ابن إسحاق): لا نعلم أربعة إخوة شهدوا بدراً غير إياس وإخوته عاقل وخالد وعامر وذكر أنهم هاجروا جميعاً فنزلوا على رفاعة عبد المنذر، وقال ابن يونس: شهد إياس فتح مصر وتوفي سنة أربع وثلاثين واستشهد أخوه عاقل يوم بدر وأخوه خالد يوم الرجيع وأخوه عامر باليمامة) اهـــ قلت: بقي أحد الأربعة إلى أيام الثورة على عثمان وشارك فيها على الراجح، وابنه تميم بن إياس له صحبة أيضاً مات في مصر سنة ٢٠هـــ[٣١٢]، وابنه الآخر محمد بن إياس تابعي (رثى زيد بن عمر بن الخطاب في فتنة بني عدي، وأمه الربيع بنت معوذ) وابنته مريم صحابية لها حديث ورواية، وأخو إياس بالمؤاخاة هو الحارث بن خزمة الأنصاري بدري[٣١٣].

(١٩) خالد بن البكير الليثي (شهيد الرجيع): كان قارئاً للقرآن إذ أنه ممن بعثه النبي (ص) في القراء الذين استشهدوا بالرجيع[٣١٤] ، قال ابن عبد البر في الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (ج ١ / ص ١٢٦) : خالد

---

[٣١٢] وفي فتوح مصر وأخبارها - (ج ١ / ص ١٢٧): واختط إياس بن البكير وابنه تميم بن إياس الدار التي عند دار ابن أبرهة الدار التي فيها أصحاب الأوتاد النافذة إلى السوق وهو إياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة حلفاء بني عدي بن كعب اهـــ

[٣١٣] ستأتي معلومات شاملة عن آل البكير بعد قليل.

[٣١٤] المستدرك على الصحيحين للحاكم - (ج ١١ / ص ٣٢٤) من طريق محمد بن إسحاق في مغازيه قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن ناسا من عضل والقارة ، وهما حيان من جديلة أتوا النبي صلى الله عليه وسلم بعد أحد ، فقالوا : إن بأرضنا إسلاما ، فابعث معنا نفرا من أصحابك يقرئوننا القرآن ويفقهوننا في الإسلام ، « فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ستة نفر منهم : مرثد بن أبي مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب وهو أميرهم ، وخالد بن البكير الليثي حليف بني عدي ، وعبد الله بن طارق الظفري ، وزيد بن الدثنة ، وخبيب بن عدي ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح » ، فخرجوا وأميرهم مرثد بن أبي مرثد حتى إذا كانوا بالرجيع أتتهم هذيل ، فلم يرع القوم في رحالهم (١) إلا الرجال في أيديهم السيوف قد غشوهم بها ، فأخذ القوم أسيافهم

بن البكير بن عبد يا ليل بن عبد ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث الليثي أخو إياس بن البكير وعاقل بن البكير وعامر بن البكير وكان عبد يا ليل قد حالف في الجاهلية نفيل بن عبد العزي جد عمر بن الخطاب فهو وولده حلفاء بني عدي شهد هو وإخوته بدراً ولا أعلم له رواية وقتل خالد بن البكير يوم الرجيع في صفر سنة أربع من الهجرة، وكان يوم قتل ابن أربع وثلاثين سنة وكانت سرية يوم الرجيع مع عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ومرثد بن أبي مرثد الغنوي قاتلوا هذيلاً ورهطاً من عضل والقارة حتى قتلوا ومن معهم وأخذ خبيب بن عدي ثم صلب وله يقول حسان بن ثابت:

ألا ليتني فيها شهدت ابن طارق ... وزيداً وما تغني الأماني ومرثدا

فدافعت عن حبي خبيب وعاصم ... وكان شفاء تداركت خالدا .

(٢٠) وأخوهم الثالث: عاقل بن البكير (٢هـ أو ٣٤هـ): والذي قال بوفاته سنة ٣٤هـ هو الواقدي، وترجمته في الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (ج ١ / ص ٣٨٣) : عاقل بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، حليف بني عدي بن كعب بن لؤي. شهد بدراً هو وإخوته: عامر وإياس وخالد: بنو البكير حلفاء بني عدي، قتل عاقل ببدر شهيداً، قتله مالك بن زهير الخطمي، وهو ابن أربع وثلاثين سنة، وكان اسمه غافلاً فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عاقلاً. وكان من أول من أسلم وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم اهـ ومن طريق الواقدي ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء - (ج ١ / ص ١٨٥) : أنبأنا محمد بن عمر، حدثنا محمد بن صالح، عن يزيد بن رومان قال: أسلم غافل، وعامر، وإياس، وخالد، بنو أبي البكير جميعا، وهم أول من بايع في دار الارقم ، وأنبأنا محمد بن عمر، حدثنا عبد الجبار بن عمارة، عن عبد الله بن أبي بكر قال: خرج بنو أبي البكير مهاجرين فأوعبوا، رجالهم ونساؤهم، حتى غلقت أبوابهم، فنزلوا على رفاعة بن عبد المنذر بالمدينة، ثم قال: وقالوا: وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عاقل وبين مبشر بن عبد المنذر، فقتلا معا ببدر اهـ

(٢١) وأخوهم الرابع: عامر بن البكير (١٢هـ أو بعد ٣٥هـ): توفي ١٢هـ باليمامة على المشهور، والأرجح أنه تأخر إلى أيام الثورة على عثمان (وعلى هذا ربما مات ما بين ٣٥- ٤٠هـ)، وقد اعتدنا من

ليقاتلوا فقالوا : اللهم ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب من أهل مكة ، فلكم عهد الله وميثاقه ، فأما عاصم ومرثد وخالد فقاتلوا حتى قتلوا ، وقالوا : والله ما نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا اهـ

الروايات الرسمية المتأثرة ببني أمية تعجيلهم بموت من شهد مع علي بن أبي طالب حروبه، فيعجلون موتهم قبل ذلك، بأن يزعمون أنهم ماتوا زمن عمر أو زمن عثمان، حتى يقللوا عدد الصحابة الذين شهدوا مع علي بن أبي طالب مشاهده، فعلوا ذلك مع كثير من أهل بدر الذين شهدوا مع علي كخزيمة بن ثابت والطفيل بن الحارث وحصين بن الحارث وأبي الهيثم بن التيهان وغيرهم، إلا ما لا يجدون من ذكره بداً كعمار بن ياسر (سبق التعريف بآل البكير)

ومن المعلومات الجامعة لآل البكير :

ولأن آل البكير هؤلاء مظلومون في الذاكرة الإسلامية رغم أنهم هاجروا بأجمعهم وتركوا أبواب بيوتهم تخفق بمكة، فلا بد من بعض المعلومات عنهم، في أنساب الأشراف - (ج ٣ / ص ٤٨٣) وهو يتحدث والدتهم عفراء بنت عبيد والدة آل عفراء قال: (وكانت عفراء بنت عبيد بن ثعلبة من بني النجار من الخزرج عند الحارث بن رفاعة بن الحارث أحد بني غنم بن مالك بن النجار من الخزرج، فولدت له: معاذاً. ومعوذاً، ثم طلقها فقدمت مكة حاجة فتزوجها البكير بن عبد ياليل (وهو ليثي من كنانة)، فولدت له: عاقلاً. وإياساً. وعامراً. وخالداً. ثم رجعت إلى المدينة وهي فارغة فراجعها الحارث بن رفاعة، فولدت له: عوفاً فقتل معاذ ومعوذ ببدر شهيدين، وقتل خالد بن البكير يوم الرجيع شهيداً، وقتل عامر بن البكير يوم بئر معونة شهيداً، ويقال إنه لم يقتل، وشهد يوم الدار، دار عثمان، واستشهد إياس بن البكير يوم اليمامة، وتوفي عاقل في سنة أربع وثمانين (كذا قال وأظنه تصحيف وأن صوابه : أربع وثلاثين)، ولما هاجر بنو البكير إلى المدينة أغلقوا أبوابهم لأنهم لم يخلفوا بمكة شيئاً اهـــ.

وقال ابن سعد في الطبقات الكبرى [جزء ٣ – صفحة ٣٨٨] : قال أخبرنا محمد بن عمر قال أخبرنا محمد بن صالح عن يزيد بن رومان قال أسلم عاقل وعامر وإياس وخالد بنو أبي البكير بن عبد ياليل جميعا في دار الأرقم وهم أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها اهـــ

وقال ابن عبد البر: الاستيعاب [جزء ١ – صفحة ٣٩]

(وكان إسلامه وإسلام أخيه عامر في دار الأرقم وكانوا أربعة أخوة إياس وخالد وعامر وعاقل بنو البكير كلهم شهد بدرا وسنذكر كل واحد منهم في بابه إن شاء الله تعالى اهـــ وقال في ترجمة عامر – الاستيعاب [جزء ١ – صفحة ٢٣٨] شهد بدرا هو وإخوته إياس بن البكير وعاقل بن البكير وخالد بن البكير كلهم

شهدوا بدرا وما بعدها من المشاهد وأسلموا في دار الأرقم وهم حلفاء بني عدي بن كعب ولا أعلم لهم رواية أهـــ..) اهـــ وفي كتابي : قائمة قتلى بدر من المسلمين — لم يطبع - (ج ١ / ص ٩):

ويختلط هؤلاء بـــ (عاصم بن العكير) وهو أنصاري بالحلف ومن مزينة لا من بني بكر بن كنانة.. .. ومنهم الحافظ الإصابة في تمييز الصحابة [جزء ٣ - صفحة ٥٩١] : عامر بن البكير الأنصاري (!!) قال المستغفري شهد بدرا أخرجه أبو موسى قلت والمعروف عاصم بن البكير (!) كما تقدم ولولا احتمال أن يكون أخاه لذكرته في القسم الرابع لكن الذي شهد بدرا هو عاصم بن العكير والله أعلم..اهـــ قلت: وليس فيهم عاصم وإنما هم (عاقل وعامر وخالد وإياس).

وفي الإكمال [جزء ٦ - صفحة ٢٤٨]: أما عكير : بضم العين وفتح الكاف فهو عاصم بن العكير حليف الأنصار من مزينة شهد بدرا وأحدا ذكره الطبرى اهـــ..

وبعضهم يذكر (عمالة بن البكير) مكان خالد!

وزاد ابن الكلبي (قيس بن البكير) وجعله في أهل بدر ورد عليه الحافظ بأن المشهور الأربعة وذكرهم (عاقل وإياس وخالد وعامر) ونسي أنه جعل فيهم (عاصم) أيضاً[٣١٥]!

وذكروا (كليب بن البكير) الذي قتله أبو لؤلؤة فيمن قتل يوم مقتل عمر اهـــ

وفي معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني - (ج ١٦ / ص ٣٥): عاقل بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن عنزة بن سعد بن ليث ، أخو ياسر وخالد وعاصم! ، حلفاء بني عدي بن كعب اه فهنا زاد (ياسر)ـــ

وفي تاريخ وفاة عاقل بن البكير قول آخر ففي تاريخ الإسلام للذهبي - (ج ١ / ص ٤٣٨) وفيها — أي سنة ٣٤هـــ- توفي إياس بن أبي البكير بن عبد يا ليل الكناني حليف بني عدي، كان من المهاجرين. شهد بدراً هو وإخوته خالد، وعاقل، وعامر، ولم يشهد بدراً إخوة أربعة سواهم، وقد شهد إياس فتح مصر،

---

[٣١٥] وهذا الاضطراب في (آل البكير) فرع من الإهمال، وإهمال السابقين فرع من التأثر بالسياسة الأموية التي أشغلت الناس بإسرائيليات كعب الأحبار ووهب بن منبه ونقاض جرير والأخطل والحان الغريض ومعبد، وأنساب ابن شرية ودغفل ، وعصبيات قيس ويمن، كل هذا لمزاحمة ومحاربة أخبار السيرة النبوية وأعلامها، حتى نسي الناس وجوب البسملة وصفة الصلاة والتلبية في الحج، بل لم ينته الربع الثالث من القرن الأول حتى تم القضاء على الإسلام كله، ففي صحيح البخاري - (ج ١ / ص ١٩٧) عن أنس قال : ما أعرف شيئا مما كان على عهد النبي صلى الله عليه و سلم . قيل الصلاة ؟ قال أليس ضعيتم ما ضعيتم فيها؟!) نعم ربما بقي الإسلام عند قلة من المخلصين، أما الدولة ومن جرى في فلكها من جيوش وأئمة ومؤذنين ودعاة وفقهاء وأهل حديث فهم من عناهم أنس بن مالك، وكان قد قال هذا القول أيام عبد الملك بن مروان.

وفيها توفي أخوه عاقل بن البكير ويقال: ابن أبي البكير، كأنه كان يسمى باسمه. قال ابن سعد: كان اسم عاقل غافلاً فغيره النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أبو معشر والواقدي يقولان: ابن أبي البكير، وكان موسى بن عقبة، وابن إسحاق، وابن الكلبي يقولون: ابن البكير، وعن يزيد بن رومان أن الإخوة الأربعة أسلموا في دار الأرقم اهـ

(٢٢) بلال بن رباح الحبشي (نحو سنة ٢٠هـ) : المؤذن المشهور، وهو من السابقين وشهد المشاهد كلها، واختلف مع أبي بكر بعد وفاة النبي (ص) فلم يؤ١ن له و لم يعمل له، وذهب إلى الشام مجاهداً، وخالف عمر في قسمة الأراضي المفتوحة حتى دعا عليه عمر وعلى آله وأصحابه قائلاً: : (اللهم اكفني بلالا وذويه! قال فما حال الحول ومنهم عين تطرف)، وممن روى الحديث أحمد بن حنبل ففي فضائل الصحابة - (ج ١ / ص ٢٨٩) بسنده عن جرير بن حازم قال سمعت نافعا مولى عبد الله بن عمر يقول : أصاب الناس فتحا بالشام فيهم بلال وأظنه ذكر معاذ بن جبل فكتبوا إلى عمر بن الخطاب إن هذا الفيء الذي أصبنا لك خمسه ولنا ما بقي ليس لأحد فيه شيء كما صنع رسول الله صلى الله عليه و سلم بخيبر فكتب عمر أنه ليس على ما قلتم ولكني أقفها للمسلمين فراجعوه الكتاب وراجعهم يأبون ويأبى فلما أبوا قام عمر فدعا عليهم فقال اللهم اكفني بلالا وأصحاب بلال فما حال الحول عليهم حتى ماتوا جميعا رضي الله عنهم اهـ والحديث انظر: المغني لابد قدامة (٢/ ٥٧٥) وتاريخ دمشق - (ج ٢ / ص ١٩٧)، وكتب الأموال، وقد ذكروا مع بلال آخرين كالزبير بن العوام ومعاذ بن جبل وسلمان الفارسي ففي السنن الكبرى للبيهقي - (ج ٦ / ص ٣١٨) : ..وقد خالف الزبير بن العوام وبلال وأصحابه ومعاذ على الشك اهـ) وبلال عند الشيعة من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وممن أنكر يوم السقيفة، وهذا يحتاج لبحث.

(٢٣) جعفر بن أبي طالب الهاشمي (٨هـ): مشهور جداً، كان من أوائل من أسلم، ولكن اليعقوبي ذكر أنه أسلم أيام دعوة العشيرة الأقربين (وهذه متأخرة نسبياً على خلاف في تحديد زمن الإنذار) ثم هاجر إلى الحبشة وهو رئيس المسلمين ولسانهم بالحبشة عند النجاشي، وعاد يوم خيبر وشهد عمرة القضاء ثم غزوة مؤتة وبها قتل سنة ٨هـ، وهو زوج أسماء بنت عميس، وله أبناء أشهرهم محمد وعبد الله شهدا مع علي صفين، واستشهد محمد بها وعُمّر عبد الله إلى بعد الثمانين.

(٢٤) حطاب بن الحارث بن معمر بن حبيب الجمحي (نحو ١٠ للبعثة، لم يعرفه أبو حاتم[٣١٦]) : ويقال (خطاب) وهو أخو حاطب؛ وامرأته فكيهة بنت يسار مهاجرة أيضاً، أسلم قبل دخول دار الأرقم، وهو من مهاجرة الحبشة الهجرة الثانية، مات في الطريق ذاهباً وقيل راجعاً، وقدمت فكيهة في السفينتين، وبعضهم يقول (خطاب)، منهم ابن سعد وأبو نعيم وابن حجر وغيرهم، يقول الحافظ في (الإصابة في معرفة الصحابة - (ج ١ / ص ٣٢٧): خطاب بن الحارث الجمحي ذكره بن منده في الخاء المعجمة فصحفه وإنما هو بالحاء المهملة) اهـــ والتصحيف شائع جداً لا يختص بابن مندة، وبعضهم يقول : أبو حاطب.

(٢٥) حاطب بن الحارث بن معمر الجمحي (نحو ١٠ للبعثة) : (من مهاجرة الحبشة، مات بالحبشة، وزوجته فاطمة بنت المجلل مهاجرة أيضاً، وهذا نسبه وترجمته عند ابن عبد البر في (الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (ج ١ / ص ٩٢) : حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي مات بأرض الحبشة وكان خرج إليها مع امرأته فاطمة بنت المجلل بن عبد الله بن أبي قيس القرشية العامرية وولدت له هناك ابنيه محمد بن حاطب والحارث بن حاطب وأتى بهما من هناك غلامين) اهـــ قلت: وعمه سفيان بن معمر (من مهاجرة الحبشة) وجميل بن معمر (صاحب عمر)[٣١٧].. وأما ابنه محمد فقد انتقل إلى الكوفة أيام عمر أو عثمان [٣١٨]، ثم شهد مع علي بن أبي طالب وشهد معه مشاهده[٣١٩] وكان صاحب كتابه إلى قومه بالبصرة[٣٢٠]، وعداده في الكوفيين ولم يرو إلا عن النبي (ص) وعلي بن أبي

[٣١٦] الجرح والتعديل - (ج ٣ / ص ٣١٤) حطاب بن الحارث اخو حاطب ممن هلك بأرض الحبشة سمعت أبي يقول: لا أعرفه! اهـــ ولو كان من الطلقاء أو من أنصار معاوية فلن يجهله أبو حاتم! فالعيون السلفية المنافحة عن الصحابة لا تعرف كثيراً من صالحيهم ولا تقصدهم بالدفاع أصلاً، إنما تعرف العشرة والطلقاء وبقايا من المتأخرين في إسلامهم كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وإلى اليوم لن نجد اسم شارع ولا اسم مدرسة باسم هذا الصحابي ولا أمثاله من المجهولين عند غلاة السلفية.

[٣١٧] أنساب الأشراف - (ج ٣ / ص ٣٧٧) أما حاطب بن الحارث فهاجر إلى الحبشة في المرة الثانية وبها مات، وولد له بها: محمد بن حاطب، وأرضعته أسماء بنت عميس، وهي أم عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وأرضعت أمه عبد الله بن جعفر، فهما أخوان من الرضاع، فكانا يتواصلان على ذلك، وكان محمد بن حاطب يكنى أبا إبراهيم، وشهد مع علي مشاهده، ومات بالكوفة في ولاية بشر بن مروان أيام عبد الملك، وحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رقاه حين احترقت يده وكان مع حاطب بأرض الحبشة ابنه الحارث فقدم في إحدى السفينتين مع جعفر بن أبي طالب ومعه أخوه محمد اهـــ.

[٣١٨] مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٨ / ص ٣٥) : حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا عبد الله بن الوليد عن عمر بن محمد بن حاطب قال : سمعت جدي محمد بن حاطب قال : ضرب علينا بعث إلى اصطخر ، فجعل الفارس للقاعد ثلاثا اهـــ

[٣١٩] أنساب الأشراف - (ج ٢ / ص ٢٥٦): وحدثني عمرو الناقد عن عمرو بن عاصم عن جعفر بن أبي وحشية أبي بشر عن يوسف سعيد مولى حاطب عن محمد بن حاطب، وكان قدم البصرة مع علي... الحديث/ وفي تهذيب الأسماء للنووي - (ج ١ / ص ٩٩) : (شهد مع على، رضى الله عنه، الجمل، وصفين، والنهروان، اهـــ المراد.

[٣٢٠] في حديث عاصم بن كليب الجرمي الذي رواه ابن أبي شيبة وغيره، ففي مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٨ / ص ٧٠٥).. قال : ثم التفت (علي) إلى محمد بن حاطب وكان في ناحية القوم ، قال : فقال : أما انطلقت إلى قومك بالبصرة فأبلغهم كتبي وقولي؟.. الحديث فهذا ظاهره أنه قبل الجمل، وفي

طالب، ولكن لا يصح له سماع من النبي (ص)، ومات هو وابن عمر في عام واحد (٧٤هـــ)، وأرضعته أسماء بنت عميس فكان أخا عبد الله بن جعفر تواصلا حتى مات، (و لم أجد أحداً ولدته أسماء بنت عميس أو أرضعته إلا كان متشيعاً صالحاً) وهو أول من سمي محمد في الإسلام، ودعا له **النبي** (ص) بالبركة ورقاه من حرق كان بيده نتيجة انكفاء قدر عليه وهم في عودتهم إلى المدينة[٣٢١]، وله أخ اسمه الحارث بن حاطب كان أميراً على مكة ومنه أتى ذم ابن الزبير في حرصه على الإمارة من أيام أبي بكر في طلبه التأمير على قتل من سرق أربع مرات).

(٢٦) أخوهما الثالث: معمر بن الحارث الجمحي: أخو حاطب وحطاب، أسلم قبل دخول النبي دار الأرقم / وفي أنساب الأشراف - (ج ٣ / ص ٣٧٨) وأما معمر بن الحارث، أخو حاطب، وحطاب، فإنه قديم الإسلام، أسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم المخزومي، وشهد بدراً وجميع المشاهد، وتوفي في أيام عمر، ونزل في قبر عثمان بن مظعون).

(٢٧) فكيهة بنت يسار الأزدية : امرأة حطاب بن الحارث سبق التعريف به، وأما فكيهة فلم أجد لها خبراً إلا هذا وقدومها في السفينة – يعني مع جعفر بن أبي طالب أيام خيبر–)[٣٢٢] وذكر نسبتها في الأزد ابن سعد في الطبقات، وقال هي (أخت تجرأة)، ووالدها يسار يكنى بها فيقال (أبو فكيهة) وتجراة ويسار أخوان[٣٢٣].

حديث عند الحاكم من طريق آخر أن هذا بعد وقعة الجمل وأنه أرسله إلى المدينة، فقال في عثمان ما قال (انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم - (ج ١٠ / ص ٣٥٦) : وفيه شاهد لقول علي (استأثر فأساء الأثرة وجزعتم فأسأتم الجزع)،

[٣٢١] وعده ابن حبيب (من أجواد الإسلام) ومن (الحمقى المنجبين) كما ذكر الزركلي، ومن عادة بني أمية اتهام المتشيعين للإمام علي بالجنون والحمق حتى يهجرهم الناس (ولي في هذا بحث لطيف)!

[٣٢٢] قال أبو نعيم في كتابه معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني - (ج ٧ / ص ٢٤٢) : خطاب بن الحارث بن معمر بن خبيب بن وهب بن حذافة بن جمح أخو حاطب بن الحارث ، والد محمد بن حاطب من مهاجرة « الحبشة » ، وبها توفي مسلما ، وله عقب ، امرأته : فكيهة بنت يسار ، قدمت في السفينة . حدثنا فاروق الخطابي ، ثنا زياد بن الخليل ، ثنا إبراهيم بن المنذر ، ثنا محمد بن فليح ، عن موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب ، في « تسمية من هاجر إلى أرض » الحبشة « : الخطاب بن الحارث ، وامرأته : فكيهة بنت يسار أبي تجزأة ، وهلك الخطاب بالطريق مسلما » . حدثنا حبيب بن الحسن ، ثنا محمد بن يحيى ، ثنا أحمد بن محمد ، ثنا إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، في « تسمية من هاجر إلى أرض » الحبشة « : خطاب بن الحارث أخو حاطب ، معه امرأته : فكيهة بنت يسار ، هلك هنالك مسلما ، له عقب ، قدمت امرأته فكيهة في إحدى السفينتين » اهـــ وقد ذكرنا أن بعضهم يقول (خطاب) لا حطاب، لكن حطاب أشهر.

[٣٢٣] كتاب المنمق في أخبار قريش لمحمد بن حبيب البغدادي - (ج ١ / ص ٢٥٠) ومن أولئك في بني نوفل بن عبد مناف بنو أبي تجزأة وآل [أبي -] (٩) فكيهة وهما أخوان ابنا يسار غلام عمارة بن الوليد بن المغيرة، وهم ينسبون إلى الأشعريين من اليمن، ولأبي تجزأة يقول عمارة بن الوليد: (الطويل) - تزوج أبا تجزاة من يك أهله * بمكة يرحل وهو للظل آلف - وأخوهما لأمهما صياح غلام عمارة بن الوليد الذي قتله عمارة في أمر اليهودي وكانت له قصة وهي هذه: كان عمارة رجلا مترفا جبارا فنزل في بعض أسفاره بمنزل شديد الحر، فقام صياح وذبح شاة وخبز وطبخ ثم ثرد له فلما قدم إليه طعامه قال له

(٢٨) أختها بركة بنت يسار: وهي مولاة لأبي سفيان، أسلمت مبكراً وهاجرت مع زوجها قيس بن عبد الله الأسدي من اسد خزيمة، وفي الطبقات الكبرى لابن سعد – (ج ٨ / ص ٢٤٦) : بركة بنت يسار وهي أخت أبي تجراة مولى بني عبد الدار[٣٢٤]، وهم يقولون نحن من أهل اليمن من الأزد حلفاء لبني عبد الدار. أسلمت بركة بمكة قديما وبايعت وهاجرت إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية مع زوجها قيس بن عبد الله الأسدي. وكان يسار يكنى أبا فكيهة، وفي (معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني – (ج ٢٢ / ص ٤٧٨) : (حدثنا فاروق الخطابي ، ثنا زياد بن الخليل ، ثنا إبراهيم بن المنذر ، ثنا محمد بن فليح ، ثنا موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب ، في تسمية من هاجر إلى أرض الحبشة : « بركة بنت يسار ، مولاة أبي سفيان ، وهي امرأة قيس بن عبد الله الأسدي »).

(٢٩) ومن العائلة: برة بنت يسار : قال ابن سعد في الطبقات الكبرى – (ج ٨ / ص ٢٤٦) : برة بنت أبي تجراة بن أبي فكيهة واسمه يسار. ويقولون إنهم من الأزد حلفاء بني عبد الدار ولهم فيهم ولادات. وقد روت برة عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أخبرنا محمد بن عمر، أخبرنا علي بن محمد بن عبيد الله العمري عن منصور بن عبد الرحمن عن أمه عن برة بنت أبي تجراة قالت: إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حين

عمارة: مرق حار وخبز حار في يوم حار ما أردت إلا قتلي، ثم قتله، ولذلك يقول كعب بن سعد الغنوي: (الطويل) – كمنزل صياح ومهلك سالم * ولست لميت هالك بوصيل اهـ

[٣٢٤] أبو تجراة لا أعرف اسم أبيه، وكان يعمل الأصنام لأهل مكة، وهو مولى شيبة بن عثمان الحجبي، ووفد معه إلى معاوية في أمر، كما ذكر ذلك الحافظ في الإصابة، وأصلهم من اليمن قيل من كندة وقيل من الأزد، فالله أعلم، ولكن سيرتهم فيما بعد تدل على حلف راسخ في الحزب القرشي، ففي تاريخ دمشق – (ج ٧ / ص ٢٦٣) من طريق الزبير بن بكار حدثني علي بن صالح حدثني عامر بن صالح عن حسن بن زيد أنه قال يوما : قاتل الله ابن هشام ما كان أجرأه على الله! دخلت عليه مع أبي (زيد بن حسن المثنى) في هذه الدار يعني دار مروان وقد أمره هشام أن يفرض للناس فدخل عليه ابن لعبد الله بن جحش المجدع في الله فانتسب له وسأله الفريضة فلم يجبه بشيء ولو كان أحد يرفع إلى السماء كان ينبغي له أن يرفع ثم دخل عليه ابن أبي تجراة وهم أهل بيت من كندة وقعوا بمكة فقال ابن أبي تجراة صاحب عمك عمارة بن الوليد بن المغيرة في سفره الذي يقول فيه : فروح أبا تجراة من يك أهله * بمكة يرحل وهو للظل الف * فقال له لتعلمن أن مودة أبي فايد قد دفعتك اليوم ففرض له ولأهل بيته اهـ وكان أبو تجراة يصنع الأصنام ويبيعها بمكة كما ذكر الواقدي في مغازي الواقدي – (ج ١ / ص ٨٦٩) في سياق كلامه عن فتح مكة قال: (ثُمّ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمَكّةَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللّهِ وَبِرَسُولِهِ فَلَا يَدَعَن فِي بَيْتِهِ صَنَمًا إلّا كَسَرَهُ . قَالَ فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَكْسِرُونَ تِلْكَ الْأَصْنَامَ وَكَانَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ حِينَ أَسْلَمَ لَا يَسْمَعُ بِصَنَمٍ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ قُرَيْشٍ إلّا مَشَى إلَيْهِ حَتّى يَكْسِرَهُ وَكَانَ أَبُو تِجْرَاةَ يَعْمَلُهَا فِي الْجَاهِلِيّةِ وَيَبِيعُهَا . قَالَ سَعْدُ بْنُ عَمْرٍو : أَخْبَرَنِي أَنّهُ كَانَ يَرَاهُ يَعْمَلُهَا وَيَبِيعُهَا . وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ بِمَكّةَ إلّا وَفِي بَيْتِهِ صَنَمٌ) اهـ كما ورد ما يفيد أنه كان نصرانياً فلعله أصله ففي أنساب الأشراف – (ج ٢ / ص ٢٥١)

وأما المغيرة بن أبي العاص فولد معاوية بن المغيرة، وأمه ابنة صفوان بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، فولد معاوية بن المغيرة عائشة أم عبد الملك بن مروان، وكان معاوية بن المغيرة جدع أنف حمزة بن عبد المطلب، فقتل بأحد بعد انصراف قريش بثلاث، ولا عقب له سوى عائشة، وأم عائشة ابنة عقبة بن أبي معيط.

وكانت لمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص ابنة يقال لها أم جميل، تزوجها سفيان بن عبد الأسد المخزومي، وكانت له ابنة ثالثة يقال لها عمرة تزوجها أبو تجراه النصراني فهم يعابون بذلك اهـ

أراد الله به كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجة أبعد حتى لا يرى بيتا ويفضي إلى الشعاب وبطون الأودية فلا يمر بحجر ولا شجرة إلا قالت: السلام عليك يا رسول الله، فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى شيئا اهـــ.

(٣٠) أختها: حبيبة بنت أبي تجراة : قال ابن سعد في الطبقات الكبرى - (ج ٨ / ص ٢٤٧) وأختها حبيبة بنت أبي تجراة وقد روت عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حديثا، ..الخ وذكره وهو في السعي، وهو مشهور في كتب التفسير والحديث والفقه.

(٣١) فاطمة بنت المجلل العامرية (): (امرأة حاطب بن الحارث سبق التعريف به).

(٣٢) حاطب بن عمرو بن عبد شمس العامري (؟ جهله أبو حاتم![٣٢٥]): أخو السكران بن عمرو (زوج حفصة) وسهيل بن عمرو (صاحب الحديبية)، وسليط بن عمرو (بدري أيضاً عند موسى بن عقبة)، أما حاطب فأخواله بنو هاشم، فأمه أسماء بنت الحارث بن نوفل – ذكر ذلك ابن حبان، ولكن البلاذري يجعلها من أشجع- وقد أسلم قبل دخول دار الأرقم، وكان من مهاجرة الحبشة الهجرتين جميعاً، بل قيل أنه أول من هاجر إلى الحبشة؛ (ذكره الحافظ في الإصابة عن الزهري، والعسكري في الأوائل)، وذكروا أنه هو الذي زوج سودة بنت زمعة من النبي (ص) وهذا يدل على رجوعه إلى مكة قبل هجرة المدينة[٣٢٦]، لأن زواج النبي (ص) من سودة كان بعد موت خديجة، واتفقوا أنه من أهل بدر وقد يكون وهماً لوجود أنصاري بدري بهذا الاسم – و لم أعثر له على وفاة!- إلا أن الواقدي في مغازيه ذكر أنه أحد العشرة الذين زاروا أهليهم بمكة يوم الحديبية، ففي مغازي الواقدي - (ج ١ / ص ٦٠٣) : (.. فَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُبَايِعُ النّاسَ عَلَى بَيْعَةِ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ الّذِينَ دَخَلُوا عَلَى أَهْلِيهِمْ عَشَرَةً مِنْ الْمُهَاجِرِينَ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ الْفِهْرِيّ ، وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَعَيّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَهِشَامُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ ، وَحَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ ، وَأَبُو حَاطِبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الشّمْسِ، وَعَبْدُ اللّهِ بْنِ حُذَافَةَ،

---

[٣٢٥] الجرح والتعديل - (ج ٣ / ص ٣٠٣) حاطب بن عمرو بن عبد شمس من المهاجرين الأولين سمعت أبي يقول: هو مجهول!! اهـــ قلت: لو كان من آباء الطلقاء أو أبنائهم لعرفه أبو حاتم.

[٣٢٦] الطبقات الكبرى لابن سعد - (ج ٨ / ص ٥٣) : أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرني مخرمة بن بكير عن أبيه قال: قدم السكران بن عمرو مكة من أرض الحبشة ومعه امرأته سودة بنت زمعة فتوفي عنها بمكة، فلما حلت أرسل إليها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فخطبها فقالت: أمري إليك يا رسول الله فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: مري رجلا من قومك يزوجك. فأمرت حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود فزوجها فكانت أول امرأة تزوجها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بعد خديجة.

وَأَبُو الرّومِ بْنُ عُمَيْرٍ، وَعُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ الْجُمَحِيّ ، وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي أُمَيّةَ بْنِ وَهْبٍ حَلِيفُ سُهَيْلٍ فِي بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى اهـــ قلت: وقد ذكر في بداية الخبر أنهم ذهبوا بإذن النبي (ص) فالله أعلم، إلا أن ابن عبد البر (في كتابه الدرر) ذكره في العائدين مع جعفر يوم خيبر، وخيبر بعد الحديبية، فالأمر يحتاج لبحث، وحاطب هذا هو مولى سعد بن خولة البائس، وله ابن اسمه عبد الرحمن له صحبة عامة ورواية قليلة) ، وبعضهم يجعل له أخاً من مهاجرة الحبشة اسمه (أبو حاطب بن عمرو) وأراهما — والله أعلم — واحداً مع أن بعضهم قد فرق بينهما[٣٢٧] إلا أن ابن الأثير في أسد الغابة ألمح إلى أن الخلاف في الاسم فقط، ومن دلائل ذلك أنهم يذكرون عن أبي حاطب ما يذكرونه عن حاطب من أنه (أول من هاجر إلى الحبشة)، وذكره الصالحي في كتبة النبي (ص) بقوله (باب استكتابه حاطب بن عمرو بن عبد شمس).

(٣٣) أخوه: سليط بن عمرو العامري : (١٢هـــ) (أخو سهيل بن عمرو، أسلم قبل دار الأرقم)[٣٢٨].

---

[٣٢٧] وفي الطبقات الكبرى لابن سعد – (ج ٣ / ص ٤٠٥) : حاطب بن عمرو أخو سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي وأمه أسماء بنت الحارث بن نوفل من أشجع، وكان لحاطب من الولد عمرو بن حاطب وأمه ريطة بنت علقمة بن عبد الله بن أبي قيس / قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا محمد بن صالح عن يزيد بن رومان قال: أسلم حاطب بن عمرو قبل دخول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، دار الأرقم/ قالوا: وهاجر حاطب بن عمرو إلى أرض الحبشة في الهجرتين جميعا في رواية محمد بن إسحاق ومحمد بن عمر ولم يذكر ذلك موسى بن عقبة وأبو معشر/ قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا سليط بن مسلم العامري عن عبد الرحمن بن إسحاق عن أبيه قال: أول من قدم أرض الحبشة حاطب بن عمرو بن عبد شمس في الهجرة الأولى. قال محمد بن عمر: وهذا الثبت عندنا/ قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا عبد الجبار بن عمارة عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: لما هاجر حاطب بن عمرو من مكة إلى المدينة نزل على رفاعة بن عبد المنذر أخي لبابة بن عبد المنذر / قالوا: وشهد حاطب بن عمرو بدرا في روايتهم جميعا وذكر موسى بن عقبة في كتابه أن أخاه سليط بن عمرو شهد معه بدرا، ولم يذكر ذلك غيره وليس بثبت وشهد حاطب أحدا اهـــ / وفي أنساب الأشراف – (ج ٣ / ص ٤٥٨): وحاطب بن عمرو أخوهم أيضاً رحمه الله، وأمه أسماء بنت الحارث من أشجع، أسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وهاجر إلى أرض الحبشة في المرتين جميعاً، في رواية الواقدي ومحمد بن اسحاق، ولم يذكره موسى بن عقبة وأبو معشر، وقال الواقدي: والثبت أن حاطب بن عمرو كان أول من قدم من الحبشة في المرة الأولى، وشهد بدراً، وأحداً، وهو زوج النبي صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة، وقال محمد بن سعد: وذكر موسى بن عقبة أن سليطاً أخاه شهد معه بدراً، ولم يذكره غيره، وروى بعض الرواة أن حاطباً خرج مع جعفر عليه السلام من أرض الحبشة، والقول الأول أثبت وأصح./ وفي الإستيعاب في معرفة الأصحاب – (ج ١ / ص ٩٢) : حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤي أخو سهيل بن عمرو وسليط بن عمرو والسكران ابن عمرو وذكره ابن عقبة فيمن شهد بدراً من بني عامر بن لؤي، وأسلم حاطب بن عمرو قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً في رواية ابن إسحاق والواقدي. وروى الواقدي عن سليط بن مسلم العامري عن عبد الرحمن بن إسحاق عن أبيه قال أول من قدم أرض الحبشة حاطب بن عمرو بن عبد شمس في الهجرة الأولى، قال الواقدي: وهو الثابت عندنا وذكره ابن إسحاق والواقدي فيمن شهد بدراً اهـــ

[٣٢٨] وهو رسول النبي (ص) إلى هوذة بن علي الحنفي، وهو أبو سليط بن سليط (المهاجر بن المهاجر)، وذكر موسى بن عقبة وحده أنه شهد بدراً — ذكر ذلك البلاذري– وترجمته في عدة مصادر منهم وأوفاهم ابن سعد إذ يقول في الطبقات الكبرى لابن سعد – (ج ٤ / ص ٢٠٣): سليط بن عمرو ابن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وأمه خولة بنت عمرو بن الحارث بن عمرو من عبس من اليمن (قلت: وعبس اليمن في تهامة إلى اليوم) وكان لسليط بن عمرو من الولد سليط بن سليط وأمه قهطم بنت علقمة بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤي. وكان سليط من المهاجرين الأولين قديم الإسلام بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية ومعه امرأته فاطمة بنت علقمة في رواية محمد

(٣٤) وزوجته أم قهطم فاطمة بنت علقمة العامرية: وفي الطبقات الكبرى لابن سعد – (ج ٨ / ص ٢٧٢) فاطمة وهي أم قهطم بنت علقمة بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وأمها عاتكة بنت أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مليح من خزاعة. أسلمت قديما بمكة وبايعت وهاجرت إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية مع زوجها سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي وولدت له سليط بن سليط اهـــ

(٣٥) أخوهم الثالث: السكران بن عمرو العامري (نحو ٩ من البعثة) : قال ابن سعد في الطبقات الكبرى لابن سعد – (ج ٤ / ص ٢٠٤): وكان للسكران بن عمرو من الولد عبد الله وأمه سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر ابن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي. وكان السكران بن عمرو قديم الإسلام بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية ومعه امرأته سودة بنت زمعة. وأجمعوا كلهم في روايتهم على ذلك أن السكران بن عمرو فيمن هاجر إلى أرض الحبشة ومعه امرأته سودة بنت زمعة، قال موسى بن عقبة وأبو معشر: مات السكران بأرض الحبشة، وقال محمد بن إسحاق ومحمد بن عمر: رجع السكران إلى مكة فمات بها قبل الهجرة إلى المدينة. وخلف رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على امرأته سودة بنت زمعة فكانت أول امرأة تزوجها بعد موت خديجة بنت خويلد اهـــ

(٣٦) امرأته سودة بنت زمعة العامرية (٥٥هـــ): وكانت فيما بعد من أمهات المؤمنين وهي أول زوجات النبي (ص) بعد خديجة، ولذلك جاشت فيها العصبية فعاتبت سهيل بن عمرو (أخا زوجها السابق) بما عاتبته به في قصة أسرى بدر، فقال لها النبي (ص) : (أعلى الله ورسوله تحرضين يا سودة؟)[٣٢٩] ، والغريب

بن إسحاق ومحمد بن عمر، ولم يذكره موسى بن عقبة وأبو معشر في الهجرة إلى أرض الحبشة. وشهد سليط أحدا والمشاهد كلها مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وجهه بكتابه إلى هوذة بن علي الحنفي وذلك في محرم سنة سبع من الهجرة. وقتل سليط بن عمرو يوم اليمامة شهيدا سنة اثنتي عشرة في خلافة أبي بكر الصديق/ وفي الإستيعاب في معرفة الأصحاب – (ج ١ / ص ١٩٥) : .. أخو سهيل بن عمرو وكان من المهاجرين الأولين ممن هاجر الهجرتين. وذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدراً ولم يذكره غيره في البدريين وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوذة بن علي الحنفي وإلى ثمامة بن أثال الحنفي وهمارئيسا اليمامة وذلك في سنة ست أو سبع، ذكر الواقدي وابن إسحاق إرساله إلى هوذة. وزاد ابن هشام وثمامة وقتل سنة أربع عشرة اهـــ / أنساب الأشراف – (ج ١ / ص ٩٤): سليط بن عمرو، أخو سهيل أيضاً، هاجر إلى أرض الحبشة في المرة الثانية، ومعه امرأته فاطمة بنت علقمة، وقدم المدينة قبل قدوم جعفر، ويقال: قدم مع جعفر عليه السلام، واستشهد سليط باليمامة سنة اثنتي عشرة، وقال الهيثم بن عدي: كان يكنى أبا الوضاح، وكان إسلام سليط قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم اهـــ

[٣٢٩] تاريخ الطبري – (ج ٢ / ص ١٥٨) : حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن سعد بن زرارة قال قدم بالاسارى حين قدم بهم وسودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء قال – وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب– قال تقول سودة: والله إني لعندهم إذا أتينا فقيل هؤلاء الاسارى قد أتى بهم! قالت فرحت إلى بيتي ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يداه إلى عنقه بحبل قالت: فوالله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا

أن سودة بنت زمعة مع تأخر وفاتها ورغم أنها أسبق أمهات المؤمنين إسلاماً وزاجاً بالنبي (ص) بعد خديجة إلا أنهم لم يرووا عنها إلا ثلاثة أحاديث أو أربعة فقط! بينما عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعن سائر أمهات المؤمنين إنما تزوجت النبي (ص) بعد سودة، وماتت في الزمن نفسه تقريباً والحديث عنها بالآلاف! فهناك سبب سياسي في كثرة رواية هذه وقلة رواية تلك، فسائر أمهات المؤمنين التسع لم يروَ عنهن من الحديث ما روي عن عائشة، ولا أرى هذه إلا سياسة، وإلا فحياة النبي (ص) مع إحداهن هي كحياته مع عائشة، ثم المنكرات في أحاديث عائشة أكثر بكثير من المنكرات في أحاديث غيرها، ولعلنا إلى اليوم نجد الحرج الشديد فيما نسب إلى عائشة من أحاديث كحديث (رضاعة الكبير) مثلاً، ولي ملحوظات على تلامذة عائشة فلا أرى أكثرهم إلا متهماً أو مدّعياً (رغم توثيقهم في الجملة من تيار أهل الحديث، لكن عند قراءة تلك الأحاديث قراءة نقدية لا تثبت للنقد العلمي).

(٣٧) خباب بن الأرت السعدي التميمي (٣٨هـ): وهو مشهور جداً، أسلم قبل اتخاذ دار الأرقم ذكر ذلك ابن سعد بإسناده، وكان من المستضعفين المعذبين وهذا فيه زيادة ميزة وفضيلة، وكان من الذين أهملتهم السلطة في عهد الثلاثة ثم كان من أصحاب أمير المؤمنين وقيل من خاصته مات في عهد علي عام ٣٨هـ وصلى عليه بالكوفة وأثنى عليه خيراً) وابنه عبد الله له صحبة عامة وهو والي علي الذي قتله الخوارج وكان بسبب مقتله معركة النهروان.

(٣٨) خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي (٣هـ): أسلم قبل دخول النبي (ص) دار الأرقم.. وقال الحافظ (الإصابة في معرفة الصحابة – (ج ١ / ص ٣١٧) : (كان من السابقين وهاجر إلى الحبشة ثم رجع فهاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأصابته جراحة يوم أحد فمات منها وكان زوج حفصة بنت عمر فتزوجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعده.) وقيل بل توفي عنها مرجعه من بدر[٣٣٠]، ولم يشهد بدراً من بني سهم غير خنيس بن حذافة (قاله الطبري)، وهو أخو عبد الله بن حذافة الذي أوصل خبر الدعوة العامة

يزيد كذلك أن قلت يا أبا يزيد أعطيتم بأيديكم ألا متم كراما؟! فوالله ما أنبهني إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت : يا سودة أعلى الله وعلى رسوله؟ قالت قلت يا رسول والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه بحبل أن قلت ما قلت اهـ وفي البلاذري أنها قالت: استغفر لي يا رسول الله، فاستغفر لها.

[٣٣٠] الطبقات الكبرى لابن سعد – (ج ٨ / ص ٢١٧) : (ثم تزوج النبي (ص) حفصة بنت عمر بن الخطاب وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي فتوفي عنها مرجعه من بدر ولم تلد له شيئا، فتزوجها رسول الله في شعبان على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة قبل أحد بشهرين) اهـ بل هذا القول هو الأشهر، فليبحث..

إلى أبي سفيان والعباس باليمن، فإن صحت رواية (وهي من طريق حنظلة بن أبي سفيان المقتول ببدر مشركاً) فلعل إسلام عبد الله بن حذافة تأخر إلى الدعوة العامة[٣٣١].

- وأما امرأته : حفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين فيما بعد (نحو ٤٥هـ): فليست من هذه الطبقة، فهي لم تولد إلا قبل النبوة بخمس سنين، فلعل خنيس تزوجها بعد إسلام أبيها عمر بن الخطاب، الذي تأخر إسلامه إلى العام السادس من البعثة وليس من هذه الطبقة، ولذلك لم يذكروها إلا في هجرة المدينة.

(٣٩) الزبير بن العوام الأسدي (٣٦هـ)– من أسد قريش كخديجة وورقة – (كان إسلامه بعد أبي بكر رابعاً أو خامساً ذكره ابن سعد فإن صحَّ هذا فيكون من طبقة أوائل المسلمين) وهو من العشرة ولا يحتاج إلى تعريف لشهرته.

(٤٠) وامرأته أسماء بنت أبي بكر (٧٣هـ) : أسلمت بإسلام أبيها تزوجت الزبير بمكة وولدت عبد الله بن الزبير بالمدينة في العام الأول من الهجرة وهي مشهورة وقد عمرت حتى قتل الحجاج ابنها عبد الله ولها مع الحجاج أخبار تدل على قوة إيمانها ورباطة جأشها وهي صاحبة القول المشهور (أما آن لهذا الفارس أن يترجل)!

(٤١) سالم مولى أبي حذيفة (١٢هـ): (من هذه الطبقة وكذا سيده أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة خال معاوية وسيأتي، وسالم هذا كان يؤم المهاجرين، وللشيعة فيه رأي سيء، وقتل باليمامة).

(٤٢) سعيد بن زيد العدوي (٥١هـ) : (مشهور جداً، وهو زوج فاطمة بنت الخطاب أخت عمر، وبسببه وبسبب أخته أسلم عمر في الرواية المشهورة وفيها كلام، وهو أحد العشرة عند من يثبت الحديث، أسلم قبل دخول دار الأرقم، وانتقل للكوفة وكان في من ينكر على المغيرة وغيره لعن الإمام علي، ثم عاد إلى

---

[٣٣١] وهذه ترجمة من تراجم خنيس بن حذافة، ففي في الطبقات الكبرى لابن سعد – (ج ٣ / ص ٣٩٢): خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم وأمه ضعيفة بنت حذيم بن سعيد بن رئاب بن سهم ويكنى خنيس أبا حذافة، قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا محمد بن صالح عن يزيد بن رومان قال: أسلم خنيس بن حذافة قبل دخول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، دار الأرقم، قالوا: وهاجر خنيس إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية في رواية محمد بن إسحاق ومحمد بن عمر الواقدي، ولم يذكر ذلك موسى بن عقبة وأبو معشر، وكان خنيس بن حذافة زوج حفصة بنت عمر بن الخطاب قبل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا عبد الجبار بن عمارة عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: لما هاجر خنيس بن حذافة من مكة إلى المدينة نزل على رفاعة بن عبد المنذر، قالوا: وآخى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بين خنيس بن حذافة وأبي عبس بن جبر، وشهد خنيس بدرا ومات على رأس خمسة وعشرين شهرا من مهاجر النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة وصلى عليه رسول الله ودفنه بالبقيع إلى جانب قبر عثمان بن مظعون..) اهـ

المدينة بعد فساد العراق على أيدي ولاة معاوية، فعاد إلى المدينة في عهد معاوية، وبقي إلى نحو الخمسين للهجرة وله ثلاث وتسعون سنة، وتم اغتياله في عهد معاوية على الراجح ولي في هذا بحث).

(٤٣) فاطمة بنت الخطاب العدوية (امرأة سعيد بن زيد السابق ذكره وأخت عمر، وقصة عمر معها ومع زوجها ثم إسلامه بعدها مشهورة).

(٤٤) سفيان بن معمر بن حبيب (نحو ٢٠هـ): وهو زوج حسنة والدة شرحبيل بن حسنة، لكنه من أب آخر كندي، وأصل سفيان من الأنصار على ما قيل وإنما تبناه معمر بن حبيب الجمحي، وفي أنساب الأشراف - (ج ٣ / ص ٣٧٨) : هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، ومات في أيام عمر، ويقال في أول أيام عثمان، وكان معه بالحبشة ابناه: جنادة، وجابر، وأمهما حسنة أم شرحبيل بن حسنة، وكان قدومه المدينة بعد الهجرة، وقبل قدوم جعفر بن أبي طالب، وقال الحافظ في الإصابة في تمييز الصحابة - (ج ٣ / ص ١٢٩) : سفيان بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي ذكره بن إسحاق وموسى بن عقبة عن بن شهاب في مهاجرة الحبشة وكانت معه امرأته حسنة وهي والدة شرحبيل وقال الزبير بن بكار هو أخ جميل بن معمر وذكر بن إسحاق أن معمر تبنى سفيان وكان أصله من الأنصار من بني زريق فحالف معمر فتبناه فنسب إليه قالوا وهلك سفيان هذا وولداه جابر وجنادة في خلافة عمر)، وقال أبو حاتم: لا يروى عنه! قلت: مع تأخر وفاته نسبياً وقدم إسلامه مطلقاً.

(٤٥) امرأته حسنة: وهي أم شرحبيل بن حسنة على المشهور وفي ذلك بعض خلاف[٣٣٢]، ولها ابنان من مهاجرة الحبشة هما:

---

[٣٣٢] والتفصيل وجدته عند ابن سعد، فهو يقول في الطبقات الكبرى - (ج ٤ / ص ١٢٧): شرحبيل بن حسنة، وهى أمه وهى عدوية، وهو ابن عبد الله بن المطاع بن عمرو بن كندة حليف لبني زهرة ويكنى أبا عبد الله، وهو من مهاجرة الحبشة في الهجرة الثانية. وكان محمد بن إسحاق يقول: كانت حسنة أم شرحبيل امرأة سفيان بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، وكان له منها من الولد خالد وجنادة ابنا سفيان فهاجر سفيان بن معمر إلى أرض الحبشة فخرج بامرأته حسنة معه وخرج بولده خالد وجنادة معه، وأخرج معهم أخاهم لأمهم شرحبيل بن حسنة في الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة. وكان محمد بن عمر يقول: بل كان سفيان بن معمر بن حبيب الجمحي أخا شرحبيل بن حسنة لأمه، وكانت أم سفيان لم تكن امرأته، وهاجر إلى أرض الحبشة ومعه أخوه شرحبيل ومعه أمه حسنة ومعه ابناه جنادة وخالد. وكان أبو معشر يذكر شرحبيل بن حسنة وأمه فيمن هاجر من بني جمح إلى أرض الحبشة، ولا يذكر سفيان بن معمر ولا أحدا من ولده. ولم يذكر موسى بن عقبة أحدا منهم ولا ذكر شرحبيل في روايته فيمن هاجر إلى أرض الحبشة، قال محمد بن عمر: حلف شرحبيل وأبيه لبني زهرة وإنما ذكر في بني جمح لسبب سفيان بن معمر الجمحي، وكان شرحبيل من علية أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وغزا معه غزوات، وهو أحد الأمراء الذين عقد لهم أبو بكر الصديق بالشأم. ومات شرحبيل بن حسنة في طاعون عمواس بالشأم سنة ثماني عشرة في خلافة عمر بن الخطاب وهو ابن سبع وستين سنة اهـ.

(٤٦) جابر بن سفيان بن معمر بن حبيب الجمحي: مات في عهد عمر كوالده..

(٤٧) جنادة بن سفيان بن معمر بن حبيب الجمحي: مات في عهد عمر أيضاً..

(٤٨) شرحبيل بن حسنة (١٨هـ بعمواس): وهو مشهور[٣٣٣]، وهو الذي أرسله النبي (ص) إلى النجاشي في زواج أم حبيبة، كما أنه اشتهر لكونه أحد قواد الجيوش الأربعة الذين بعثهم أبو بكر لفتح الشام، وكان على الأرباع الأخرى أبو عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، وقد عزله عمر عندما وصل إلى الخلافة كما فعل مع ولاة أبي بكر خالد بن الوليد وأنس بن مالك وغيرهم[٣٣٤]، وشرحبيل بن حسنة دخل بعض أبنائه مصر وكان من سلالته الفقيه جعفر بن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة (مات سنة ١٣٣هـ) بعد دخول العباسيين مصر.

(٤٩) سهلة بنت سهيل بن عمرو العامرية: أخت أبي جندل (زوجة أبي حذيفة الآتي، وهي التي روت عائشة أنها أرضعت سالم مولى أبي حذيفة، وحديث عائشة هذا منكر مخالف لما هو أوثق منه بل للقرآن الكريم، وهذا الحديث هو الحجة الوحيدة للقائلين برضاعة الكبير).

---

[٣٣٣] الإصابة في معرفة الصحابة - (ج ٢ / ص ١٠): شرحبيل بن حسنة: وهي أمه على ما جزم به غير واحد. وقال أبو عمر: بل تبنته. وأبوه عبد الله بن المطاع بن عبد الله الغطريف بن عبد العزى بن جثامة بن مالك الكندي. ويقال التميمي ويقال: إنه من ولد الغوث بن مر أخي تميم بن مر فقيل له التميمي لذلك، كانت أمه مولاة لمعمر بن حبيب الجمحي فكان جنادة وجابر ابنا سفيان بن معمر بن حبيب أخويه لأمه ويقال: إن معمراً زوج حسنة لرجل من الأنصار من بني زريق يقال له سفيان وكان معمر قد تبناه فنسب إليه فولدت له جابراً وجنادة فأسلم جابر وأخوه وأخوهما لأمهما شرحبيل قديماً وهاجروا إلى الحبشة ثم إلى المدينة ونزلوا في بني زريق ثم هلك سفيان وابناه في خلافة عمر فحالف شرحبيل بني زهرة، وكان شرحبيل ممن سيره أبو بكر في فتوح الشام ويكنى شرحبيل أبا عبد الله ويقال أبا عبد الرحمن ويقال أبا وائلة، وله رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن ماجه وعن عبادة بن الصامت. روى عنه ابناه: ربيعة وعبد الرحمن بن غنم وأبو عبد الله الأشعري، قال ابن البرقي: ولاه عمر على ربع من أرباع الشام ويقال: إنه طعن هو وأبو عبيدة في يوم واحد ومات في طاعون عمواس وهو ابن سبع وستين. وحديثه في الطاعون ومنازعته لعمرو بن العاص في ذلك مشهورة أخرجه أحمد وغيره.

وقال ابن زبر: إنه الذي افتتح طبرية. وقال ابن يونس: أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصر فمات شرحبيل بها اهـ و وكان شرحبيل بن حسنة ينتسب إلى سفيان بن معمر هذا إلى أن جرت قصة ذكرها ابن حبيب في المنمق في أخبار قريش - (ج ١ / ص ٩٤): (لحزامي عن عبد الله بن إبراهيم بن قدامة الجمحي قال حدثني أبي عن أبيه: أن شرحبيل بن حسنة كان ينسب إلى سفيان بن معمر بن حبيب إلى أن حدث لولده ميراث بمصر فقال لهم الحارث بن حاطب بن معمر: إنه قد حدث ما ترون، فان كان نسبكم إلينا على ما تدعون فالأمر بيننا وبين هذا المال وإلا برئتم من نسبنا فان شئتم شركناكم فيه، فاختاروا المال وانقطعوا وتركوا ذلك النسب، فأقاموا حتى كان وسط الزمان، قال: فلقي جماعة منهم قدامة بن إبراهيم بن محمد بن حاطب فذكروا له النسب الذي كانوا عليه وسألوه الرجوع فقال: مرحباً بكم ما أعرفني بما ذكرتم ولي في هذا الأمر شريك لا أقطع أمراً دونه - يريد أخاه عثمان بن إبراهيم وهو يومئذ بالكوفة وكان يسكنها، فقال قدامة: أنا كاتب إليه وذاكر أمركم له، فكتب وانصرف القوم وفشا الخبر في بني أخوالهم فقالوا: ما كفاكم ما صنعتم، كل يوم نحن منكم في نبوة وتنقل، فكفوا عن طلب ذلك، ورجع الكتاب من عثمان بن إبراهيم إلى أخيه قدامة: قد قرأت كتابك وفهمت ما فيه وليس إلى الرجوع في شيء خرج منه عمك الحارث بن حاطب سبيل قال عنه، فهذا كان آخر ما كان من أمرهم اهـ.

[٣٣٤] التاريخ الصغير - (ج ١ / ص ٧٧) : ..عن الزهري عن سالم عن أبيه قال لما قدم عمر إلى الجابية نزع خالد بن الوليد وأمر أبا عبيدة بن الجراح وعزل شرحبيل بن حسنة اهـ

(٥٠) سهيل بن بيضاء الفهري (٩هـ) وقيل بعد ذلك: (نسب إلى أمه، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة الفهري، أسلم قبل ابن مسعود، وتوفي في عهد النبي (ص) سنة ٩هـ، وله أخ اسمه سهل ليس بشهرته رغم تقدم إسلامه، وكذا صفوان بن بيضاء بدري و لم يهاجر إلى الحبشة (مات سنة ٣٨هـ في قول)، وآل البيضاء هم كآل البكير وآل جحش لا يكاد يعرفهم أحد)[٣٣٥].

(٥١) طلحة بن عبيد الله التيمي (٣٦هـ) (أسلم قبل دخول الدار أيضاً، ظاهر من سياق قصة إسلامه، وهو أحد العشرة، و لم يشهد بدراً، وهو من قبيلة تيم - قبيلة أبي بكر- وكان رأس الثورة على عثمان، قتله مروان بن الحكم يوم الجمل سنة ٣٦هـ وكان في جيشه، وكان مروان صاحب فتنة وكان عثمانياً بالعصبية).

(٥٢) عامر بن ربيعة العنــزي حليف الخطاب (٣٦هـ) (أسلم قبل دخول دار الأرقم / وفي أنساب الأشراف - (ج ١ / ص ٩٤): عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر بن ربيعة بن حجر بن سلامان بن مالك بن ربيعة بن رفيدة بن عنز بن وائل بن قاسط هاجر إلى الحبشة في المرتين جميعا، ومعه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج، ثم هاجر إلى المدينة، ومات بعد مقتل عثمان بأيام. وكان لازماً لمنزله، فلم يشعر الناس إلا وجنازته قد أخرجت. وكان يكنى أبا عبد الله. وكان الخطاب بن نفيل لما حالفه عامر بن ربيعة العنزي، تبناه فكان يقال له عامر بن الخطاب، حتى نزل: " ادعوهم لآبائهم " . وأسلم قديما قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وروي عنه أنه قال: ما دخل المدينة في الهجرة أحد بعد أبي سلمة بن عبد الأسد قبلي، ولا قدمتها ظعينة قبل ليلى بنت أبي حثمة.. الخ).

(٥٣) ليلى بنت أبي خثمة العدوية (امرأة عامر بن ربيعة).

---

(٣٣٥) ذكر ذلك ابن سعد في ترجمة أخيه سهل، ورد على من روى قصة خروجه يوم بدر مع المشركين مكرهاً؛ وذكر أن سهيلاً أشهر من سهل وأنه هاجر وأسلم قبل ابن مسعود وشهد بدراً ؛ وأما الخارج مكرهاً يوم بدر فهو سهل الذي يعد في عموم المكيين لا سهيل ، انظر : ابن سعد في الطبقات (٢١٣/٤).. / وفي الآحاد والمثاني - (ج ٢ / ص ١٣٤) : سهيل بن بيضاء وهو سهيل بن عمرو بن وهب بن ربيعة بن هلال بن وهيب بن ضبة بن الحرث بن فهر ويكنى أبا يزيد وأمه البيضاء بنت بخدم بن مطرف بن الحارث بن فهر توفي في طاعون عمواس ويقال إن أخاه صفوان بن بيضاء توفي فيها ويكنى أبا عمرو وقد شهد بدرا اهـ / وفي الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (ج ١ / ص ٢١٨) : أما سهل بن بيضاء فشهد مع المشركين بدراً في قصة سنذكرها ثم أسلم بعد، وأما سهيل وصفوان فشهدا جميعاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً وقتل صفوان يومئذ ببدر شهيداً قتله طعيمة بن عدي فيما قال ابن إسحاق، وقد قيل: إنه لم يقتل ببدر وإنه مات في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين. ويقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين صفوان بن بيضاء ورافع ابن عجلان وقتلا جميعاً ببدر اهـ قلت: إذا لم يصح حديث عائشة فيبحث متى مات؟ .

(٥٤) عامر بن فهيرة الأزدي (بئر معونة) (أسلم قبل دخول الدار، وكان من المستضعفين المعذبين، فإن أسلم بإسلام سيده فالراجح أنه من طبقة أوائل المسلمين، وكانت له مشاركة في هجرة النبي (ص) وكان رابع القوم بعد الثلاثة (النبي وأبي بكر وعبد الله بن أريقط) وشهد بدراً، وأغلظ له طلحة يوماً فدفع عنه النبي (ص) بأنه شهد بدراً وأوصى طلحة بمواليهم خيراً (هذا عند الحاكم)، وهو مولى أبي بكر، وقيل مولى عبد الله بن الطفيل بن سخبرة أخي عائشة، وقد استشهد ببئر معونة، وظهرت له كرامات).

(٥٥) عامر بن أبي وقاص الزهري (نحو ١٧هـ)[٣٣٦] (أخو سعد قيل أسلم بعد عشرة وكان الحادي عشر فلقي من أمه أذىً شديداً حتى هاجر إلى الحبشة، فإن صحَّ فيكون من طبقة أوائل المسلمين، هاجر للحبشة الهجرة الثانية، وتزوج أم عامر بنت أبي قحافة أخت أبي بكر، وهو الذي بعثه عمر بعزل خالد (قاله ابن عساكر) ومات بالشام في عهد عمر (قيل باليرموك وقيل بعمواس وقيل بإجنادين)، ولكن ذكر ابن شبة أن داره بالمدينة، ولهما أخ ثالث وهو عمير بن أبي وقاص استشهد ببدر وكان أصغر القوم، وشهد أحداً قاله ابن سعد - وهو أوسع من ترجم له بعد ابن عساكر- ، وتزوج عمر ابن سعد بن أبي وقاص – صاحب الحسين- ابنته مريم).

(٥٦) عبد الرحمن بن عوف الزهري (٣٢هـ) : مشهور جداً، أسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم دار الأرقم ذكره ابن سعد بإسناده وهاجر الهجرتين، واشتهر بأمور منها رده على خالد يوم بني جذيمة، وتوليه بيعة عثمان، مات سنة ٣٢هـ).

آل جحش[٣٣٧]:

(٣٣٦) ذكر منهم ابن سيد الناس (عمير بن أبي وقاص) وهذا وهم والصواب أخوه عامر، لأن عميراً كان عند بدء الإسلام صغيراً له سنتان أو ثلاث فقط، فقد استشهد ببدر صغيراً.

٣٣٧ أنساب الأشراف - (ج ١ / ص ٨٥) ومن حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف عبد الله، ويكنى أبا محمد؛ وعبد، ويكنى أبا أحمد، وعبيد الله، ويكنى أبا جحش، بنو جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن كبير بن مرة بن غنم بن دودان بن أسد، وهم إخوة زينب بنت جحش، وأمهم أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، فأما عبد الله، فهاجر في المرة الثانية، وقدم فشهد بدراً مع النبي صلى الله عليه وسلم، واستشهد يوم أحد، ودفن مع حمزة رضي الله عنهما في قبر واحد، وأما أبو أحمد، وهو عبد، فكف بصره ومات بالمدينة، ولم يهاجر إلى الحبشة قط. ومن قال انه هاجر، فقد أبطل، وأما عبيد الله، فهاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، فتنصر ومات على النصرانية، فيقال انه غرق في البحر وهو سكران، ويقال غرق من الخمر، وكانت معه امرأته، رملة بنت أبي سفيان بن حرب، فولدت له جارية سمتها حبيبة. فقيل أم حبيبة، فأقامت على الإسلام، فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذلك أنه وجه عمرو بن أمية الضمري إلى أصحمة النجاشي بكتاب منه، يدعوه فيه إلى الإسلام؛ وأمره أن يخطب عليه أم حبيبة، فوكلت خالد بن سعيد بن العاص بتزويجها، وكان وأخوه أقرب من بالحبشة إليها، فزوجها إياه. وكان عبيد الله يقول: فقحنا وصأصأتم، أي أبصرنا ولم يبصر المسلمون. وهذا مثل. وأصله ان الجرو إذا فتح

٥٧) عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي (٣هـــ بأحد) : — أمه أميمة بنت عبد المطلب، وكذلك هي أم سائر أخوته أبي أحمد وعبيد الله وزينب أم المؤمنين، أسلم عبد الله بن جحش قبل دخول النبي (ص) دار الأرقم بن أبي الأرقم، وهو من أسد خزيمة، وهو رأس آل جحش بن رئاب وأفضلهم، وهو المجدع في الله، الباحث عن الشهادة القرآنية، وهو أخو أم المؤمنين زينب بنت جحش، هاجر للحبشة ثم عاد وهاجر للمدينة، هو صاحب سرية نخلة قبل بدر، وشهد بدراً واستشهد بأحد بعد أن دعا بدعوات، ودفن مع حمزة في قبر واحد وكان حمزة خاله، فأمه أميمة بنت عبد المطلب كما تقدم، وأسرة آل جحش هاجروا بأجمعهم كآل أبي البكير)[٣٣٨].

- ابنه محمد بن عبد الله بن جحش: ذكره ابن إسحاق في جملة بني أسد المهاجرين إلى المدينة، وهذا يعني أنه من المهاجرين الأولين، وأنه كان كبير نسبياً، لا سيما وأنه ذكره مع مجموعة من بني أسد منفرداً عن أبيه وإلا لما ذكره لعادقم على عدم ذكر الأطفال منفردين عن أهليهم، ولكنه ليس من هذه الطبقة، فقد يكون

عينه، قيل: فقح، وإذا فتح ثم غمض من الضعف لصغره، قيل: صأصأ، وأبو أحمد بن جحش، الذي جعل يوم فتح مكة يمر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة، وهو يقول:

يا حبذا مكة من وادي ... أرض بها أهلي وعوّادي ..اهـــ

/ وفي الطبقات الكبرى لابن سعد – (ج ٣ / ص ٩٠) : أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: كان ممن خرج في الهجرة إلى المدينة فأوعبوا، رجالهم ونساؤهم، وغلقوا دورهم فلم يبق منهم أحد إلا خرج مهاجرا، دار بني غنم بن دودان (وهم بنو أسد بن خزيمة ومنهم آل جحش) ودار أبي البكير ودار بني مظعون اهـــ.

[٣٣٨] وأخباره كثيرة، وتدل أخباره على أنه من أقوى المؤمنين إيماناً، ففي الطبقات الكبرى – (ج ٣ / ص ٨٩) : عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ويكنى أبا محمد وأمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي قال أخبرنا محمد بن عمر قال أخبرنا محمد بن صالح عن يزيد بن رومان قال أسلم عبد الله وعبيد الله وأبو أحمد بنو جحش قبل دخول رسول الله صلى الله عليه و سلم دار الأرقم قالوا وهاجر عبد الله وعبيد الله ابنا جحش إلى أرض الحبشة في المرة الثانية وكانت مع عبيد الله زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فتنصر عبيد الله بأرض الحبشة ومات بها ورجع عبد الله إلى مكة... — ثم قال– قال أخبرنا محمد بن عمر قال أخبرنا نجيح أبو معشر المدني قال في هذه السرية تسمى عبد الله بن جحش أمير المؤمنين قال أخبرنا عفان بن مسلم وموسى بن إسماعيل قالا أخبرنا حماد بن سلمة قال أخبرنا علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أن رجلا سمع عبد الله بن جحش يقول قبل يوم أحد بيوم اللهم إذا لاقوا هؤلاء غدا أقسم عليك لما يقتلوني ويبقروا بطني ويجدعوني فإذا قلت لي لم فعل بك هذا فأقول اللهم فيك فلما التقوا فعلوا ذلك به وقال الرجل الذي سمعه أما هذا فقد استجيب له وأعطاه الله ما سأل في جسده في الدنيا وأنا أرجو أن يعطى ما سأل في الآخرة ، قال أخبرنا عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي البصري قال حدثني كثير بن زيد حدثني المطلب بن عبد الله بن حنطب أن رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم خرج إلى أحد نزل عند الشيخين فأصبح هناك فجاءته أم سلمة بكتف مشوية فأكلها ثم جاءته بنبيذ فشرب ثم أخذه رجل من القوم فشرب منه ثم أخذه عبد الله بن جحش فعب فيه فقال له رجل بعض شرابك أتدري أين تغدو؟ قال نعم ألقى الله وأنا ريان أحب إلي من أن ألقاه وأنا ظمآن اللهم إني أسألك أن أستشهد وأن يمثل بي فتقول فيم صنع بك هذا فأقول فيك وفي رسولك قال عمر فقتل عبد الله بن جحش يوم أحد شهيدا قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريف الثقفي ودفن عبد الله بن جحش وحمزة بن عبد المطلب وهو خاله في قبر واحد وكان عبد الله يوم قتل بن بضع وأربعين سنة وكان رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير كثير الشعر وولي تركته رسول الله صلى الله عليه و سلم فاشترى لابنه مالا بخيبر اهـــ

يومئذ في الرابعة عشرة (الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (ج ١ / ص ٤٢٨) : محمد بن عبد الله بن جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وهو من حلفاء بني عبد شمس. وقيل: حلفاء حرب بن أمية يكنى أبا عبد الله، كان قد هاجر مع أبيه وعميه إلى أرض الحبشة ثم هاجر من مكة إلى المدينة مع أبيه. له صحبة ورواية، وقد ذكرنا أباه وعمه وعماته كلهم في مواضعهم من هذا الكتاب والحمد لله، وكان عبد الله بن جحش قد أوصى بابنه محمد هذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشترى له مالاً بخيبر وأقطعه داراً بسوق الرقيق بالمدينة. وكان مولده قبل الهجرة بخمس سنين ذكره محمد بن عمر ..) اهـــ فذكر هجرته مع أبيه إلى الحبشة يدل على أنه أسن مما ذكر الواقدي، ومما يدل على أنه كان كبيراً نسبياً أن أحد مواليه كان من الصحابة وهو أبو العلاء، وأيضاً ابنه إبراهيم كان من الرواة عن عمر فهذه من القرائن، وجرأته على عتاب عمر بن الخطاب في التفاضل في العطاء دليل على أن سنه أول عهد عمر كان كبيراً نسبياً (ففي الطبقات الكبرى لابن سعد - (ج ٣ / ص ٢٩٧) : قال محمد بن عبد الله بن جحش: لم تفضل عمر علينا فقد هاجر آباؤنا وشهدوا؟ فقال عمر: أفضله لمكانه من النبي، صلى الله عليه وسلم، فليأت الذي يستعتب بأم مثل أم سلمة أعتبه... الخ)[٣٣٩].

- أبو العلاء مولى محمد بن عبد الله بن جحش: الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (ج ٢ / ص ٥١) بو العلاء مولى محمد بن عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي قال خليفة بن خياط: وممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم من بني أسد بن خزيمة محمد بن عبد الله بن جحش ومولاه أبو العلاء اهـــ.

-

(٥٨) فاطمة بنت أبي حبيش بن الطلب بن أسد (من أسد قريش) : امرأة عبد الله بن جحش وأم محمد بن عبد الله بن جحش، فهذه حكمها حكم زوجها عبد الله بن جحش في قدم الإسلام والهجرة، وفي الطبقات

---

[٣٣٩] ومن عجائب ابن حجر رحمه الله قوله في التهذيب (تهذيب التهذيب - (ج ٩ / ص ٢٢٣) : محمد بن عبد الله بن جحش بن رياب الأسدي أمه فاطمة بنت أبي حبيش مختلف في صحبته ..الخ) فكيف يقول هذا مع توسعه في الصحبة، فهل يجرؤ أن يقول هذا عن عبد الله بن الزبير والنعمان بن بشير وغيرهم ممن ولد بعد هجرة محمد بن عبد الله بن جحش الهجرتين معاً! إذن فهذا كما قلنا من ىثار السياسة الأموية، لأنهم أخملوا آل جحش لأنهم كانوا بيت صلاح وسابقة، وكان الولى بالحافظ أن يثبت له الصحبة على منهجه، نعم قال في التقريب (صحابي صغير) ولكن هذه أيضاً لا يقولها في من ولد بعد هجرته الهجرتين! وأصحابنا أهل السنة فيهم ذهول عن الآثار السياسية لبني أمية، ولو انتبهوا لتلك الآثار لكانوا أوسط الأمم والمذاهب بحق، لأنه سيفتح لهم كل شيء.

الكبرى لابن سعد - (ج ٨ / ص ٢٤٥) فاطمة بنت أبي حبيش بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي. تزوجها عبد الله بن جحش بن رئاب فولدت له محمد بن عبد الله بن جحش.. اهــ.

(٥٩) أبو أحمد بن جحش الأسدي: مشهور بكنيته، وهو أخو عبدالله وعبيد الله وزينب وحمنة (أسلم قبل دار الأرقم، وكان أعمى، وهاجر معهم إلى المدينة و لم يهاجر إلى الحبشة، وقد شهد فتح مكة).

- عبيد الله بن جحش الأسدي (بالحبشة) (أسلم قبل دخول دار الأرقم لكنه تنصر بالحبشة وكان زوج أم حبيبة، هاجر إلى الحبشة، وبردته خرج من الصحبة الشرعية، وقد مات بالحبشة).

(٦٠) أختهم : زينب بنت جحش (٢٠هــ): أم المؤمنين فيما بعد (مشهورة)، تزوجت زيد بن حارثة ثم طلقها، فزوجها الله لنبيه (ص) في القرآن الكريم، وهي من أفاضل أمهات المؤمنين، توفيت زمن عمر ونزل في قبرها مجموعة منهم ابن أخيها محمد بن عبد الله بن جحش وابن أختها حمنة، محمد بن طلحة بن عبيد الله.

(٦١) حمنة بنت جحش: **في** الطبقات الكبرى لابن سعد - (ج ٨ / ص ٢٤٣): أخبرنا محمد بن عمر، أخبرنا عمر بن عثمان الجحشي عن أبيه قال: كان بنو غنم بن دودان بن أسد وهم حلفاء حرب بن أمية أهل إسلام، أسلموا بمكة وأوعبوا في الهجرة رجالهم ونساءهم حتى غلقت أبوابهم، فخرج من النساء في الهجرة زينب وحبيبة وحمنة بنات جحش وجذامة بنت جندل وأم قيس بنت محصن وآمنة بنت رقيش وأم حبيب بنت نباتة اهــ.

(٦٢) حبيبة بنت جحش: النص السابق.. وسيأتي بقية أسماء نساء بني أسد بن غنم بن ددوان.

(٦٣) أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الأموي: كانت امرأة عبيد الله بن جحش، فلما تنصر زوجها أو مات أرسل النبي (ص) شرحبيل بن حسنة وقيل عمرو بن أمية الضمري وطلب من النجاشي خطبتها له، فوكلت خالد بن سعيد بن العاص – وكان أقرب الناس لها هناك- فزوجها أياه، وفصّل في ذلك البلاذري في (أنساب الأشراف - (ج ١ / ص ٨٥): إذ قال: (فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذلك أنه وجه عمرو بن أمية الضمري إلى أصحمة النجاشي بكتاب منه، يدعوه فيه إلى الإسلام؛ وأمره أن يخطب عليه أم حبيبة، فوكلت خالد بن سعيد بن العاص بتزويجها، وكان وأخوه أقرب من بالحبشة إليها، فزوجها

إياه)[٣٤٠] اهـــ فالحمد لله الذي لم يجعل لأبي سفيان منة على رسول الله، وأخرجه وذويه من أصهار رسول الله (ص) لأن هذا تم بلا إذن منهم ولا رضىً ولا عقد، كما أن حيي بن أخطب والد صفية خرج من أصهار رسول الله لأن النبي (ص) تزوج ابنته بلا رضى منه ولا أذن ولا عقد، (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطركم تطهيراً) ورسول الله (ص) رأس أهل البيت، وعلى هذا فليس أبو سفيان ولا معاوية ولا ذلك البيت من أصهار رسول الله، فلا يدخلون في أصحابه ولا أهل بيته ولا أصهاره، بل لو شئت أن أقول : ولا قريش لقلت! و على كل حال فأم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان قدموا بها على النبي (ص) قبيل خيبر، فكانت من أمهات المؤمنين[٣٤١] ومن دلائل فضلها ثبوتها على الإسلام رغم ردة زوجها، إلا أنها أيام أخيها معاوية كان لها مخالفات وأخطاء وتشفي من مقتل محمد بن أبي بكر إذ أرسلت شواء إلى عائشة وقالت لها: هكذا احترق أخوك! فحزنت عائشة وحلفت ألا تأكل شواءً قط (روايات الخبر في فتوح مصر ولاتها لابن عبد الحكم[٣٤٢]).

---

[٣٤٠] أنساب الأشراف – (ج ١ / ص ١٩٣) : .. قالوا: فكتب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في سنة سبع، هو الثبت – ويقال في سنة ست – كتابين إلى أصحمة النجاشي، يدعوه في أحدهما إلى الإسلام؛ ويأمره في الثاني أن يخطب عليه أم بحيبة، وأن يبعث من قبله من المسلمين، جعفراً وأصحابه، إلى المدينة مع عمرو بن أمية الضمري. وهو كان رسوله بالكتابين. فأسلم النجاشي لما عرف من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفه وأوان مبعثه؛ ووجه إلى أم حبيبة، وقد وصف له عمرو موضعها وأمرها، جارية له يقال لها " أبرهة " ، لتُعلمها ذلك وتبشرّها به. فوهبت لها أم حبيبة حلياً كان عليها، وكستها. ثم وكلت أم حبيبة خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، وهو ابن عم أبيها، بتزويجها. فخطبها عمرو إليه، فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومهرها عنه النجاشي أربع مائة دينار. فلما بعث إليها بالدنانير، وهبت منها لأبرهة خمسين مثقالاً، فلم تقبلها، وردت ما كان أعطتها أولاً. وذلك لأن النجاشي أمرها بردّه. وهيأ النجاشي طعاماً، أطعمه من حضره من المسلمين، جعفراً وغيره. وأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كسوة جامعة. فلما تقدم عمرو بن أمية بأم حبيبة المدينة، ابتنى بها جميعاً في سفينتين أعدّهما لهم النجاشي، فوافوا في أيام خيبر. وذلك الثبت اهـــ.

[٣٤١] الطبقات الكبرى لابن سعد – (ج ١ / ص ٢٠٨): (... فزوجه النجاشي إياها وأصدق عنه أربعمائة دينار، وكان الذي ولي تزويجها خالد بن سعيد بن العاص، وكتب إليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن يبعث إليه من بقي عنده من أصحابه ويحملهم، ففعل وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية الضمري، فأرسلوا بهم إلى ساحل بولا وهو الجار، ثم تكاروا الظهر حتى قدموا المدينة فيجدون رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بخيبر، فشخصوا إليه فوجدوه قد فتح خيبر اهـــ

[٣٤٢] ولاة مصر – (ج ١ / ص ٨): حدثني أبو سلمة أسامة التجيبي قال: حدثني زيد بن أبي زيد، عن أحمد بن يحيى بن وزير، عن إسحاق بن الفرات، عن يحيى بن أيوب، عن يزيد بن أبي حبيب قال: " بعث معاوية بن حديج بسليم مولاه إلى المدينة، بشيراً بقتل محمد بن أبي بكر، ومعه قميص ابن أبي بكر. فدخل به دار عثمان، واجتمع آل عثمان من رجال ونساء وأظهروا السرور بقتله. وأمرت أم حبيبة ابنة أبي سفيان بكبش فشوي، وبعثت به إلى عائشة فقالت: هكذا شوي أخوك. قال: فلن تأكل عائشة شواء حتى لحقت بالله " اهـــ وللخبر شواهد، وجماعتنا أهل السنة يروون قصة عائشة مع الشواء، كما في (الكامل في التاريخ – (ج ٢ / ص ٩٠): (فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً وقنتت في دبر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو وأخذت عيال محمد إليها، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عيالهم، ولم تأكل من ذلك الوقت شواء حتى توفيت.) / لكنهم لا يذكرون سبب ذلك ، باستثناء قليل منهم كابن الجوزي فهو يقول في المنتظم – (ج ٢ / ص ١٢٤) : (... وأمرت أم حبيبة بنت أبي سفيان بكبش يشوى، وبعثت بذلك إلى عائشة وقالت: هكذا شوي أخوك، فلم تأكل عائشة شواء حتى لحقت بالله عز وجل)! وهذا الإخفاء والبتر عند جماعتنا أهل السنة سببها نظرية عدالة الصحابة التي وطئت بكلكلها على أكبر أسرار التاريخ حفظاً للحزب الأموي، أو إمعاناً في التجهيل بما حدث في التاريخ، وبقي أن نقول إن أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين

(٦٤) أم حبيب (حبيبة) بنت نباتة الأسدية: من أسد خزيمة، والأقرب أنها أخت منقذ بن نباتة الأسدي، وهو مختلف في اسمها، بين أم حبيب وأم حبيبة، ذكرها ابن إسحاق في المهاجرات قديماً مع قومها بني أسد بن خزيمة، الطبقات الكبرى لابن سعد – (ج ٨ / ص ٢٤٤) أم حبيبة بنت نباتة الأسدية. أسلمت وبايعت رسول الله وهاجرت إلى المدينة مع من هاجر من قومها اهـــ / وفي المحبر لابن حبيب – (ج ١ / ص ٤٠٨): ومن حلفائهم (زينب) بنت جحش، و (ام حبيبة) بنت جحش، و (حمنة) بنت جحش، و (جدامة) بنت جندل الاسدية، و (ام قيس) بنت محصن، اخت عكاشة بن محصن وابى سنان بن محصن الاسدي، و (ام حبيبة) بنت نباتة، اسدية، و (امية) بنت رقيش اخت يزيد بن رقيش، اسدية اهـــ.

(٦٥) حليفهم : قيس بن عبد الله بن رئاب الأسدي[٣٤٣]: أسلم قديماً بإسلام آل جحش وهاجر إلى الحبشة، نسبه في ترجمة ابنته آمنة، وهو ابن عمهم، وكان ظئراً [٣٤٤]لعبيد الله بن جحش وأم حبيبة، فأسلم معه وهاجر معه إلى الحبشة، ففي الطبقات الكبرى – (ج ٤ / ص ١٠٤) قيس بن عبد الله من بني أسد بن خزيمة وهو قديم الإسلام بمكة وهاجر الى أرض الحبشة في الهجرة الثانية ومعه امرأته بركة بنت يسار الأزدي وهي أخت أبي تجراه وكان قيس بن عبد الله ظئرا لعبيد الله بن جحش فهاجر معه إلى أرض الحبشة فتنصر عبيد الله بن جحش ومات هناك بأرض الحبشة وثبت قيس بن عبد الله على الإسلام اهـــ وسيأتي ترجمة امرأته بركة بنت يسار في آل فكيهة وهي مولاة لأبي سفيان بن حرب – وستأتي- (ففي معرفة الصحابة لأبي نعيم

أم حبيبة كلتاهما من أمهات المؤمنين اللاتي لهن كل التقدير والحفظ والدعاء، لكنهن غير معصومات من الخطأ والإثم، وقد خالفتا أمير المؤمنين بلا حق، رغم أنهما من حزبين اثنين؛ الحزب التيمي والحزب الأموي – وبين الحزبين شر عظيم- لكن كلا الحزبين ضد الحزب العلوي، فالحزب العلوي تحمل خصومة الأحزاب كلها البكرية والعمرية والعثمانية والأموية والزبيرية والعباسية والخارجية، وأحزاب الأموال والمصالح، وأحزاب التعصب والخذلان، لأن هذا الحزب كان الأقدم معارضة والألصق برسول الله (ص) والأمثل تطبيقاً للشريعة الأولى، التي لا امتيازات فيها ولا مصالح ولا مراعاة لأحد على حساب العدالة، ومن يقرأ التاريخ يجد هذه الأحزاب كلها قد تجتمع ضد الحزب العلوي إن ظهرت قوته وأتيحت له الفرصة، وإلا كيف يجتمع قتلة عثمان يوم الجمل على الطلب بدم عثمان؟ وكيف يرفع دعاة النار كتاب الله على أسنة الرماح مطالبين بتحكيمه؟ هذه وتلك من عجائب الزمان.

[٣٤٣] ورئاب هذا هو والد جحش بن رئاب والد آل جحش، مما يدل على أن آل جحش هم أعمام قيس هذا، (الإكمال – (ج ٤ / ص ٤) : وزينب أم المؤمنين وأخواها عبد الله وعبيد الله وأختهم حمنة بنو جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر) اهـــ

[٣٤٤] الظئر هو الابن من الرضاعة، ويطلق على المرضع أيضاً، فيقال حليمة السعدية ظئر رسول الله، ويقال للأخ من الرضاعة ظئر أيضاً، وفي القاموس المحيط – (ج ١ / ص ٤٥٥) : الظِّئْرُ، بالكسر العاطفةُ على ولَد غيرِها، المُرْضِعةُ له في الناسِ وغيرِهم، للذَّكَرِ والأُنْثى ج أظْؤُرٌ وأظْآرٌ وظُؤُورٌ وظُؤُورَةٌ وظُؤَارٌ وظُؤْرَةٌ، وظَأَرَها، كمنع، ظَأْراً وظِئَاراً، وأظْأَرَها وظَاءَرَها فَظَأَرَتْ واظَّأَرَتْ، وهي الظُّؤُورَةُ. وبينَهُما مُظَاءَرَةٌ، أي كلٌّ منهما ظِئْرُ صاحِبِهِ. وظَأَرَتْ اتَّخذَتْ ولَدَاً تُرْضِعُه. واظَّأَر لِوَلَدِه ظِئْراً اتَّخَذَها / اهـــ وفي الحديث عن إبراهيم ابن النبي (ص): (إن له ظئراً في الجنة) أي مرضعة، وكذلك قيل عن سيف القين ظئر إبراهيم أي زوج مرضعته، ويقال (اتخذت المرأة ظئراً لابنها، أي أرضعت آخر ليكون أخاً لابنها) ولعله من هذا الباب كانت ظؤارة قيس بن عبد الله لأم حبيبة وعبيد الله بن جحش .

الأصبهاني – (ج ١٦ / ص ٣٠٧): قيس بن عبد الله من بني أسد بن خزيمة ، أبو آمنة بنت قيس ، هاجر إلى أرض الحبشة مع امرأته بركة مولاة أبي سفيان بن حرب) وذكر ابن عبد البر أنه ظئر لعبيد الله بن جحش وأم حبيبة لكن ابن حجر فصّل بقوله في الإصابة في معرفة الصحابة – (ج ٢ / ص ٤٧٤): قيس بن عبد الله الأسدي: ذكره موسى بن عقبة فيمن هاجر إلى الحبشة وكانت ابنته آمنة ظئر أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان هو ظئر عبيد الله بن جحش زوج أم حبيبة الذي تنصر في الحبشة، وقال ابن سعد كان قديم الإسلام بمكة وهاجر في الثانية إلى الحبشة ومعه امرأته بركة بنت يسار ولا أعلم له رواية وكذا قال بن هشام عن بن إسحاق، وذكر البلاذري أن بعضهم سماه رقيشاً بزيادة راء أوله وبعجمة الشين قال وهو غلط اهـــ، قلت: وقد ورد (رقيش) هذا كثيراً، مما يدل على أن له أصلاً، بل تحرف قيس عن (رقيش) أولى من تحرف (رقيش) عن قيس، لأن (قيس) هو الجادة في الأسماء[٣٤٥]، ومع ذلك فقد قال البلاذري (أنساب الأشراف – (ج ١ / ص ٨٦) : قيس بن عبد الله، ظئر عبيد الله بن جحش، وهو من بني أسد أيضاً. هاجر في المرة الثانية، ومعه امرأته بركة بنت يسار الأزدي، أخت أبي تجراة. وبعضهم يقول: رقيش الأزدي، وذلك غلط، والأزدي الذي وهل إليه يزيد بن رقيش، وليس يزيد بن رقيش من مهاجرة الحبشة، ولكنه بدري) اهـــ والعبارة مضطربة.

(٦٦) يزيد بن رقيش الأسدي (١٢هـــ) (بدري استشهد باليمامة) هو من هذا البيت. فقال في الطبقات الكبرى – (ج ٣ / ص ٩١) : يزيد بن رقيش ابن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن

---

[٣٤٥] وهناك أسديون من أسد خزيمة، يحتمل أنهم قرابة هذا الصحابي، وهم من آل رقيش، فشهرة رقيش أشهر من قيس، لاسيما مع الاتفاق في النسب والجد والهجرة والدار المكية وشهود الغزوات الأولى، ففي الإستيعاب في معرفة الأصحاب – (ج ١ / ص ٢٥١) عبد الرحمن بن رقيش بن رئاب بن يعمر الأسدي. شهد أحداً هو أخو يزيد(زيد) بن رقيش اهـــ وعلى هذا فقد يكون عبد الرحمن هذا وأخوه يزيد (وهو بدري) من أبناء قيس بن عبد الله ويكون قد سقط اسم عبد الله ونسب إلى جده، وهذا شائع في التراجم / وأما أخوه يزيد فهو بدري ففي الإستيعاب في معرفة الأصحاب – (ج ١ / ص ٤٩٩) يزيد بن رقيش بن رياب بن يعمر الأسدي من بني أسد بن خزيمة شهد بدراً ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق وغيرهما ومن قال فيه: أربد ابن رقيش فليس بشيء. قلت: وهذا قصور في الترجمة، فعند ابن سعد زيادات مهمة في كنيته ووفاته كما في ترجمته. / وسعيد بن رقيش في الأصل/ وأختهم آمنة ففي الطبقات الكبرى لابن سعد – (ج ٨ / ص ٢٤٣): آمنة بنت رقيش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد، وهي أخت يزيد بن رقيش من أهل بدر. أسلمت قديما بمكة وهاجرت إلى المدينة مع أهل بيتها اهـــ وقال الواقدي فيما نقله ابن سعد في الطبقات الكبرى – (ج ٣ / ص ٨٩): أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني عمر بن عثمان الجحشي عن أبيه قال: كان بنو غنم بن دودان أهل إسلام قد أوعبوا في الهجرة إلى المدينة رجالهم ونساؤهم فخرجوا جميعا وتركوا دورهم مغلقة، فخرج عبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد بن جحش، واسمه عبد، وعكاشة بن محصن وأبو سنان بن محصن وسنان بن أبي سنان وشجاع بن وهب وأخوه عقبة بن وهب وأربد بن حميرة ومعبد بن نباتة وسعيد بن رقيش ويزيد بن رقيش ومحرز بن نضلة وقيس بن جابر وعمرو بن محصن بن مالك ومالك بن عمرو وصفوان بن عمرو وثقاف بن عمرو وربيعة بن أكثم وزبير بن عبيد، فنزلوا جميعا على مبشر بن عبد المنذر أهـــ.

دودان بن أسد بن خزيمة، ويكنى أبا خالد. شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقتل يوم اليمامة شهيدا سنة اثنتي عشرة اهـــ لم يذكروا زمن إسلامه لكني ذكرته لاحتمال تقدم إسلامه مع عائلته..

(٦٧) سعيد بن رقيس (رقيش) الأسدي : (مهاجر، هاجر مع عائلته وشهد أحداً) ذكرته لاحتمال تقدم إسلامه مع عائلته: **وفي** الإستيعاب في معرفة الأصحاب – (ج ١ / ص ١٨٥) **سعيد بن رقيش** من المهاجرين الأولين، لا أعلم له رواية ولا خبراً **اهـــ** وفي أسد الغابة – (ج ١ / ص ٤٤٨) : سعيد بن رقيش بن ثابت بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة يجتمع هو وبنو جحش في يعمر وهو أخو يزيد بن رقيش هاجر مع أهله إلى المدينة فهو من الأولين في الهجرة قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق : ثم تتابع المهاجرون يقدمون أرسالا فكان بنو غنم بن دودان أهل إسلام قد أوعبوا إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه و سلم رجالهم ونساؤهم منهم : سعيد بن رقيش، أخرجه أبو نعيم وأبو عمر وأبو موسى وقال أبو نعيم : ذكره بعض المتأخرين يعني ابن منده فقال : سعيد بن وقش الأنصاري من بني غنم بن دودان . ووهم لأن بني غنم من بني أسد بن خزيمة لا من الأنصار اهـــ

(٦٨) عبد الرحمن بن رقيش الأسدي: (من العائلة، شهد أحداً وما بعدها) ذكرته لاحتمال تقدم إسلامه مع عائلته.

(٦٩) قيس بن جابر الأسدي: لم يزد ابن حجر على أن قال (الإصابة في معرفة الصحابة – (ج ٢ / ص ٤٦٦) : قيس بن جابر الأسدي من بني أسد بن خزيمة، ذكره ابن إسحاق في المهاجرين الأولين اهـــ

(٧٠) أربد بن حميرة الأسدي: قال ابن سعد في الطبقات الكبرى – (ج ٣ / ص ٩٧) : أربد بن حميرة ويكنى أبا مخشي وهو من بني أسد بن خزيمة من أنفسهم وكذلك قال محمد بن إسحاق و لم يشك فيه قاله محمد بن عمر عن عبد الله بن جعفر الزهري/ قال وأخبرنا محمد بن عمر عن بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين قالا هو سويد بن مخشي وهو من طيء حليف لبني عبد شمس / قال وأخبرنا الحسين بن محمد عن أبي معشر قال هو أبو مخشي واسمه سويد بن عدي قال أخبرنا عبد الله بن محمد بن عمارة الأنصاري قال هما اثنان أربد بن حميرة شهد بدرا لا شك فيه وسويد بن مخشي شهد أحدا و لم يشهد بدرا اهـــ

(٧١) سويد بن مخشي : سبق في أربد بن حميرة ، وهناك زيادة عند الواقدي – وهو مقدم في هذا العلم– أثناء سرده لأهل بدر، يقول : (مغازي الواقدي – (ج ١ / ص ١٥٤) : وَمِنْ حُلَفَائِهِمْ (أي حلفاء بني عبد

شمس) مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ مَالِكُ بْنُ عَمْرٍو ; وَمِدْلَاجُ بْنُ عَمْرٍو ; وَثَقّافُ بْنُ عَمْرٍو ; وَحَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ طَيّئٍ سُوَيْدُ بْنُ مَخْشِيّ .حَدّثَنِي بِهِ أَبُو مَعْشَرٍ . وَابْنُ أَبِي حَبِيبَةَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ . قَالَ وَزَعَمَ لِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الزّهْرِيّ أَنّهُ أَرْبَدُ بْنُ حُمَيْرَةَ وَأَنّهُ يُكَنّى أَبَا مَخْشِيّ وَأَنّهُ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ .)

(٧٢) منقذ (وقيل معبد) بن نباتة الأسدي: قال أبو نعيم في معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني – (ج ١٧ / ص ٤١٨): معبد بن نباتة الأسدي ذكره بعض المتأخرين ، وإنما هو منقذ بن نباتة ، وأخرج له هذا ، عن ابن إسحاق: حدثنا حبيب بن الحسن ، ثنا محمد بن يحيى ، ثنا أحمد بن محمد ، ثنا إبراهيم بن سعد ، عن ابن إسحاق ، قال : « تتابع المهاجرون يقدمون المدينة أرسالا، فكانوا بنو غنم بن ذودان ، أهل إسلام ، منهم : منقذ بن نباتة »/ وهو منقذ بن نباتة عند ابن حجر، ففي الإصابة في معرفة الصحابة – (ج ٣ / ص ١٢٥): منقذ بن نباتة الأسدي، ذكره بن إسحاق فيمن هاجر إلى المدينة من بني أسد بن خزيمة وذكره بن منده فيمن اسمه معبد. والمعروف منقذ وصحف أبو عمر أباه فقال لبابة اهـــ وكذلك هو منقذ بن نباتة عند ابن كثير في تاريخه، والأقرب أنه أخو أم حبيبة بنت نباتة الأسدية.

(٧٣) محرز بن نضلة الأسدي (٦هـــ): هو من المهاجرين وشهد بدراً وأحداً والخندق وقتل يوم الغابة سنة ٦هـــ، وكان قد رأى رؤا عرضها على أبي بكر، ونسبه في الطبقات الكبرى – (ج ٣ / ص ٩٥) : محرز بن نضلة بن عبد الله بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ويكنى أبا نضلة وكان أبيض حسن الوجه وكان يلقب فهيرة ...الخ[٣٤٦])

(٧٤) عمرو بن محصن الأسدي: أخو عكاشة (ففي الإصابة في معرفة الصحابة – (ج ٢ / ص ٣٠٥) عمرو بن محصن بن حرثان بضم المهملة وسكون الراء بعدها مثلثة الأسدي أخو عكاشة، تقدم نسبه في ترجمة أخيه قال ابن إسحاق في ذكر الهجرة وتتابع المهاجرون أرسالا فكان بنو غنم بن دودان أهل الإسلام قد

---

[٣٤٦] تكملة الكلام في الطبقات الكبرى – (ج ٣ / ص ٩٦) : (وبنو عبد الأشهل يدعون أنه حليفهم قال محمد بن عمر سمعت إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة يقول ذلك ويقول ما خرج يوم السرح إلا محرز بن نضلة من دار بني عبد الأشهل على فرس لمحمد بن مسلمة يقال له ذو اللمة قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال آخى رسول الله صلى الله عليه و سلم بين محرز بن نضلة وعمارة بن حزم قال محمد بن عمر وشهد بدرا وأحدا والخندق قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن صالح بن كسيان قال قال محرز بن نضلة رأيت سماء الدنيا أفرجت لي حتى دخلتها حتى انتهيت إلى السماء السابعة ثم انتهيت إلى سدرة المنتهى فقيل لي هذا منزلك فعرضتها على أبي بكر الصديق وكان أعبر الناس فقال أبشر بالشهادة فقتل بعد ذلك بيوم خرج مع رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى غزوة الغابة يوم السرح وهي غزوة ذي قرد سنة ست فقتله مسعدة بن حكمة قال أخبرنا محمد بن عمر قال أخبرنا عمر بن عثمان الجحشي عن آبائه أن محرز بن نضلة شهد بدرا وهو بن إحدى أو اثنتين وثلاثين سنة وكان يوم قتل بن سبع وثلاثين سنة أو ثمان وثلاثين سنة أو نحو ذلك قليلا اهـــ

أوعبوا إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرة منهم عمرو بن محصن وقال ابن شاهين وأبو عمر: شهد أحدا اهـــ. / وفي أنساب الأشراف – (ج ٤ / ص ١٢) : وذكر بعضهم أن عمرو بن محصن كان مهاجراً وهو أخو عكاشة بن محصن اهـــ

(٧٥) مالك بن عمرو السلمي الأسدي بالحلف (١٢هـــ) : أخو مدلاج وثقف وصفوان أولاد عمرو بن سميط ، كلهم مهاجرون بدريون، ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى – (ج ٣ / ص ٩٧) في حلفاء بني عبد شمس من بني سليم بن منصور فقال: مالك بن عمرو شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه و سلم وقتل باليمامة سنة اثنتي عشرة ذكروه جميعا واجمعوا عليه اهـــ والصواب أنهم من حلفاء بني أسد، لكن لأن بني اسد هم حلفاء بني عبد شمس فقد ذكروهم في حلفاء الأقوى.

(٧٦) صفوان بن عمرو السلمي الأسدي بالحلف: حليف بني اسد، ولعله أخو مدلاج بن عمرو وثقف بن عمرو وغيرهم، وفي (الطبقات الكبرى – (ج ٤ / ص ١٠٤) : صفوان بن عمرو وهو من بني سليم بن منصور من قيس عيلان حلفاء بني كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حلفاء بني عبد شمس شهد أحدا وهو أخو مالك ومدلاج وثقف بني عمرو الذين شهدوا بدرا)

(٧٧) ثقاف (ثقف) بن عمرو السلمي الأسدي بالحلف (٧هـــ بخيبر) : وهو مهاجري بدري، كأن إسلام هؤلاء الأخوة الثلاثة (مالك وثقف ومدلاج) كان بإسلام حلفائهم من آل جحش الأسديين، الطبقات الكبرى – (ج ٣ / ص ٩٨): ثقف بن عمرو بن سميط وهو أخو مالك ومدلاج قال محمد بن إسحاق ومحمد بن عمر وهو ثقف بن عمرو وقال أبو معشر ثقاف بن عمرو و لم يذكره موسى بن عقبة وذلك وهم منه أو ممن روي عنه وشهد ثقف بدرا وأحدا والخندق والحديبية وخيبر وقتل بخيبر شهيدا سنة سبع من الهجرة قتله أسير اليهودي ستة عشر رجلا اهـــ

(٧٨) مدلاج بن عمرو السلمي الأسدي بالحلف (٥١هـــ) : الطبقات الكبرى – (ج ٣ / ص ٩٨) : مدلاج بن عمرو شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها ذكره محمد بن إسحاق وأبو معشر ومحمد بن عمر و لم يذكره موسى بن عقبة ومات سنة خمسين وذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان اهـــ وقد ترجمت له في (المظلومين من أهل بدر) بسبب قول أبي حاتم (أعرابي مجهول)! وبينت أن هذه الجهالة له من أهل الحديث هو الخضوع للثقافة الأموية، لأن مدلاج بن عمرو هذا كان من أنصار علي بن أبي طالب وشهد معه حروبه.

(٧٩) أخوهم: كثير بن عمرو السلمي الأسدي بالحلف: جاء ذكره في الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (ج ١ / ص ١٤٥) قال ابن إسحاق شهد بدراً من بني أسد بن خزيمة اثنا عشر رجلاً عبد الله بن جحش وعكاشة بن محصن وأخوه أبو سنان بن محصن وشجاع بن وهب وأخوه عقبة بن وهب ويزيد بن قيس وسنان بن أبي سنان ومحرز بن نضلة وربيعة بن أكثم ومن حلفائهم كثير بن عمرو وأخواه مالك بن عمرو ومدلج بن عمرو.ومن حديثه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستاك عرضاً، ويشرب مصاً، ويقول: " هو أهنأ وأمرأ " اهـــ .

(٨٠) الزبير بن عبيد الأسدي: في سيرة ابن هشام - (ج ١ / ص ٤٧١) في سرده مهاجرة بني أسد إلى المدينة: (.. وَرَبِيعَةُ بْنُ أَكْثَمَ وَالزّبَيْرُ بْنُ عُبَيْدٍ ، وَتَمّامُ بْنُ عُبَيْدَةَ وَسَخْبَرَةُ بْنُ عُبَيْدَةَ وَمُحَمّدُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ جَحْشٍ) / وفي في سرد ابن سعد في الطبقات الكبرى لمهاجرة بني أسد ذكر (زبير) ففي الطبقات- (ج ٣ / ص ٩٠) : (... وربيعة بن أكثم وزبير بن عبيد، فنزلوا جميعا على مبشر بن عبد المنذر) اهـــ، وفي مختصر تاريخ دمشق (زبير) وفي تاريخ ابن كثير (السيرة النبوية لابن كثير - (ج ٢ / ص ٢١٨) النص نفسه بذكر (زبير بن عبيدة) وفيه زيادات: (..وربيعة بن أكثم، والزبير بن عبيدة، وتمام بن عبيدة، وسخبرة بن عبيدة، ومحمد بن عبدالله بن جحش) اهـــ / وكذلك في جوامع السيرة - (ج ١ / ص ٨٧) (.. وربيعة بن أكثم، والزبير بن عبيدة، وتمام بن عبيدة، وسخبرة بن عبيدة، ومحمد بن عبد الله بن جحش؛ وهؤلاء كلهم من بني أسد بن خزيمة) اهـــ / والنص كذلك في الروض الأنف - (ج ٢ / ص ٢٩١): (وَرَبِيعَةُ بْنُ أَكْثَمَ وَالزّبَيْرُ بْنُ عُبَيْدٍ ، وَتَمّامُ بْنُ عُبَيْدَةَ وَسَخْبَرَةُ بْنُ عُبَيْدَةَ وَمُحَمّدُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ جَحْشٍ) اهـــ / وفي الجرح والتعديل - (ج ٣ / ص ٥٧٨) الزبير بن عبيد من المهاجرين الاولين لم يرو عنه العلم سمعت ابى يقول ذلك اهـــ / وفي الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (ج ١ / ص ١٥١): الزبير بن عبيدة الأسدي، من المهاجرين الأولين، لم يرو عنه العلم قال أبو عمر: ذكر محمد بن إسحاق فيمن هاجر إلى المدينة من بني غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة - الزبير بن عبيدة وتمام بن عبيدة وسخبرة بن عبيدة.. اهـــ/ وفي الإصابة في معرفة الصحابة - (ج ١ / ص ٣٧٨) الزبير بن عبيدة الأسدي من بني أسد بن خزيمة، ذكره بن إسحاق فيمن هاجر إلى المدينة من بني أسد هو وأخوه تمام بن

عبيدة اهـــ / وفي أسد الغابة - (ج ١ / ص ٣٧٧) : (قال أبو عمر : ممن هاجر إلى المدينة مع رسول الله : الزبير بن عبيدة وأخواه تمام وسخبرة ابنا عبيدة) اهـــ

(٨١) تمام بن عبيدة الأسدي: من المهاجرين الأولين، تقدم في ترجمة أخيه الزبير.. و لم أجد له غير هذا.

(٨٢) سخبرة بن عبيدة الأسدي: من المهاجرين الأولين، تقدم في ترجمة أخيه الزبير.. و لم أجد له غير هذا.

(٨٣) ربيعة بن أكثم الأسدي (٧هـ بخيبر) : قال ابن سعد في الطبقات الكبرى - (ج ٣ / ص ٩٥): ربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة هكذا نسبه محمد بن إسحاق قال أخبرنا محمد بن عمر أخبرنا عمر بن عثمان الجحشي عن آبائه أن ربيعة بن أكثم كان يكنى أبا يزيد و كان قصيرا دحداحا شهد بدرا وهو بن ثلاثين سنة وشهد أحدا والخندق والحديبية وقتل بخيبر شهيدا سنة سبع وهو بن سبع وثلاثين سنة قتله الحارث اليهودي بالنطاة اهـ

(٨٤) عكاشة بن محصن الأسدي (١٢هـ): مشهور، وفيه الحديث (سبقك بها عكاشة)، استشهد ببزاخة قتله طليحة بن خويلد الأسدي.

(٨٥) عمرو بن محصن الأسدي: أخو عكاشة، ففي الطبقات الكبرى - (ج ٤ / ص ١٠٤) عمرو بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة شهد أحدا وهو أخو عكاشة بن محصن الذي شهد بدرا اهـ

(٨٦) أخوه: أبو سنان بن محصن الأسدي (٥ هـ): الطبقات الكبرى - (ج ٣ / ص ٩٣) : أبو سنان بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة شهد بدرا وأحدا والخندق وتوفي والنبي صلى الله عليه و سلم محاصر بني قريظة [٣٤٧].

(٨٧) وابنه: سنان بن أبي سنان الأسدي (٣٢هـ): وهو أول من بايه بيعة الرضوان، وقد شهد بدراً والمشاهد، قال ابن سعد في الطبقات الكبرى - (ج ٣ / ص ٩٤) : سنان بن أبي سنان بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة كان بينه وبين أبيه في السن عشرون سنة وشهد بدرا وأحدا والخندق والحديبية وهو أول من بايع النبي صلى الله عليه و سلم بيعة الرضوان وتوفي سنة اثنتين وثلاثين.

---

[٣٤٧] ثم أورد ابن سعد رد الواقدي على إسماعيل بن أبي خالد في زعمه تأخر وفاة ابي سنان، فقال بعد الكلام السابق: (قال أخبرنا وكيع بن الجراح قال أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن عامر قال أول من بايع النبي صلى الله عليه و سلم بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي قال محمد بن عمر هذا الحديث وهل أبو سنان توفي والنبي صلى الله عليه و سلم محاصر بني قريظة سنة خمس من الهجرة ودفن في مقبرة بني قريظة اليوم وتوفي وهو بن أربعين سنة وكان أسن من عكاشة بسنتين ولكن الذي بايع رسول الله صلى الله عليه و سلم في بيعة الرضوان يوم الحديبية سنة ست سنان بن أبي سنان بن محصن وكان قد شهد بدرا مع أبيه وشهد أحدا والخندق والمشاهد اهـ

(٨٨) شجاع بن وهب الأسدي (١٢هـــ) : من أسد خزيمة، أسلم قديماً وهاجر للحبشة ثم للمدينة وشهد بدراً والمشاهد وقتل باليمامة سنة ١٢هـــ [٣٤٨].

(٨٩) أخوه : عقبة بن وهب الأسدي: قال ابن سعد في الطبقات الكبرى – (ج ٣ / ص ٩٥) : وأخوه عقبة بن وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد (وقد ذكر البلاذري أنه شهد مع أخيه بدراً لا اليمامة، رداً على من ذكره في اليمامة).

(٩٠) آمنة بنت قيس بن عبد الله الأسدي: الإصابة في معرفة الصحابة – (ج ٣ / ص ٤٣١) : آمنة بنت قيس بن عبد الله بن رئاب بن يعمر بنت عم أم المؤمنين زينب بنت جحش الأسدية من بني غنم بن دودان، ذكر ابن إسحاق أنها كانت هي وأبوها بالحبشة مع أم حبيبة بنت أبي سفيان وكان مع أبيها امرأته بركة بنت يسار وكانا ظئرى عبد الله بن جحش وذكرها بن إسحاق في السيرة النبوية وأخرجها المستغفري من طريقه. استدركها أبو موسى وقال ابن سعد: أسلمت قديماً بمكة وهاجرت مع أهل بيتها إلى المدينة اهـــ وقيل اسمها أميمة، ففي (الإصابة في معرفة الصحابة – (ج ٣ / ص ٤٤٤) أميمة بنت قيس بن عبد الله الأسدية، ذكرها في " التجريد " وهي التي كانت مع أم حبيبة بأرض الحبشة وكان أبواها ظئر بن لأم حبيبة وبنو أسد كانوا حلفاء بني أمية في الجاهلية)، وقد كرر ذكرها في القسم الرابع لوهم حصل لبعضهم.

(٩١) ومن العائلة : جذامة بنت جندل الأسدية: يحتمل أنها من السابقين إلى الإسلام فهي من بني غنم بن دودان الذين هاجروا بأجمعهم إلى المدينة ففي **وفي** الطبقات الكبرى لابن سعد – (ج ٨ / ص ٢٤٣): أخبرنا محمد بن عمر، أخبرنا عمر بن عثمان الجحشي عن أبيه قال: كان بنو غنم بن دودان بن أسد وهم حلفاء حرب بن أمية أهل إسلام، أسلموا بمكة وأوعبوا في الهجرة رجالهم ونساءهم حتى غلقت أبوابهم، فخرج من النساء في الهجرة زينب وحبيبة (وفي المحبر: أم حبيبة) وحمنة بنات جحش وجذامة بنت جندل وأم قيس بنت محصن وآمنة بنت رقيش وأم حبيب بنت نباتة اهـــ.

(٩٢) أم قيس بن محصن الأسدية : وهي أخت عكاشة، قاله ابن حبيب في المحبر (وأنظر جذامة بنت جندل)

---

[٣٤٨] ترجمته في الطبقات الكبرى – (ج ٣ / ص ٩٤): شجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عمر بن عثمان الجحشي قال كان شجاع بن وهب يكنى أبا وهب وكان رجلا نحيفا طوالا أجنأ وكان من مهاجرة الحبشة في الهجرة الثانية وآخى رسول الله صلى الله عليه و سلم بينه وبين أوس بن خولي .. وشهد شجاع بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه و سلم وقتل يوم اليمامة شهيدا سنة اثنتي عشرة وهو بن بضع وأربعين سنة اهـــ باختصار.

(٩٣) عبد الله بن مسعود الهذلي (٣٢هـــ) (مشهور جداً لا يحتاج لتعريف، وذكر ابن سعد بإسناده أنه أسلم قبل دخول دار الأرقم، وكان بالكوفة وتخرج على يديه كوكبة من فقهاء الكوفة، وابتلي بوالي عثمان الوليد بن عقبة الفاسق فعزله عن بيت المال واستولى عليه، فقدم المدينة ومات سنة ٣٢هـــ وأوصى إلى الزبير، وكان عثمان قد منع عطاءه لأنه كان رأس المعارضة الكوفية، وقد تعرض لضرب من مروان وحاشية عثمان، وقام الزبير على تمريضه واستعداد عطاءه لأبنائه بعد وفاته).

(٩٤) عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي (٢هـــ ببدر) (نص ابن سعد أنه أسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم دار الأرقم، استشهد ببدر جرحه عتبة بن ربيعة أبو هند العبشمي فمات من جرحه، وذكر اليعقوبي أن إسلامه كان يوم الإنذار وإن صح هذا فهو متأخر نسبياً عن هذه الطبقة، وهو من بني المطلب حلفاء بني هاشم في الشعب، وله أخوان بدريان الطفيل والحصين شهدا صفين مع علي وهما مغموران ربما لتشيعهما فلم يذكروا عنهما إلا أنهما بدريان وكانا مع علي فقط! لا حديث و لا رواية ولا خبر، بل نجاتهما من التضعيف مكسب كبير لآل محمد).

(٩٥) وأخوه: الطفيل بن الحارث المطلبي(بعد ٣٧هـــ): وليست له رواية عندهم، وهو بدري باتفاق، قال ابن سعد في الطبقات الكبرى لابن سعد – (ج ٣ / ص ٥٢): الطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، وأمه سخيلة بنت خزاعي الثقفية وهي أم عبيدة بن الحارث، وكان للطفيل من الولد عامر بن الطفيل. وآخى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بين الطفيل بن الحارث والمنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح، هذا في رواية محمد بن عمر، وأما في رواية محمد بن إسحاق فإنه آخى بين الطفيل بن الحارث وسفيان بن نسر بن عمرو بن الحارث بن كعب بن زيد بن الحارث الأنصاري. قال محمد بن عمر: وشهد الطفيل بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وتوفي في سنة اثنتين وثلاثين وهو بن سبعين سنة اهـــ قلت: بل بقي إلى أن شهد صفين مع علي.

(٩٦) وأخوهم الثالث: حصين بن الحارث (بعد ٣٧هـــ): قال ابن سعد في الطبقات الكبرى لابن سعد – (ج ٣ / ص ٥٢) الحصين بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، وأمه سخيلة بنت خزاعي الثقفية، وهي أم عبيدة والطفيل ابني الحارث، وكان للحصين من الولد عبد الله الشاعر وأمه أم عبد الله بنت عدي بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وآخى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بين الحصين بن الحارث ورافع بن عنجدة، هذا في رواية محمد بن عمر، وأما في رواية محمد بن إسحاق فإنه آخى بين

الحصين وعبد الله بن جبير أخي خوات بن جبير. قال محمد بن عمر: وشهد الحصين بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وتوفي بعد الطفيل بن الحارث بأشهر في سنة اثنتين وثلاثين اهـــ قلت: بل بقي إلى أن شهد مع علي صفين سنة ٣٧هـــ.

(٩٧) ابن عمهم: مسطح بن اثاثة المطلبي (بعد ٣٧هـــ) : قال ابن سعد في الطبقات الكبرى لابن سعد – (ج ٣ / ص ٥٣) : مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، ويكنى أبا عباد، وأمه أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، وكانت من المبايعات وآخى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بين مسطح بن أثاثة وزيد بن المزيد، هذا في رواية محمد بن إسحاق. قال محمد بن عمر: وشهد مسطح بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأطعمه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وابن إلياس بخيبر خمسين وسقا، وتوفي سنة أربع وثلاثين وهو يومئذ بن ست وخمسين سنة اهـــ والصواب أنه بقي إلى أن شهد مع علي صفين.

آل مظعون[٣٤٩]:

(٩٨) عثمان بن مظعون الجمحي (أسلم قبل دخول دار الأرقم، وقيل أسلم بعد ١٣ رجلاً وأسلم معه في تلك الساعة أبوعبيدة وأبوسلمة وعبيدة بن الحارث وعبد الرحمن بن عوف فإن صحَّ فيحتمل أنه من الطبقة السابقة، طبقة أوائل المسلمين لكن ذكره مع من بعده يخالف القول بأنه أسلم بعد ١٣ رجلاً، وباسمه سمى علي ابنه عثمان، وكان عثمان بن مظعون من صالحي السابقين المظلومين، فلا يوجد في الذاكرة الشعبية لا السنية ولا الشيعية، وأخوه قدامة بن مظعون أقل فضلاً)

(٩٩) وأخوهم الآخر: قدامة بن مظعون الجمحي (أسلم قبل دخول دار الأرقم، ولي لعمر على البحرين وشرب الخمر متأولاً فجلده عمر وعزله وهو خال عبد الله بن عمر).

(١٠٠) وأخوهم الثالث: عبد الله بن مظعون الجمحي (٣٠هـــ) (أسلم قبل دخول الدار، وهاجر للحبشة وشهد بدراً هو وأخوته : عثمان وقدامة والسائب (ذكر ذلك ابن عبد البر)، والصواب أن السائب هو ابن

[٣٤٩] الطبقات الكبرى لابن سعد – (ج ٣ / ص ٩٠) : أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: كان ممن خرج في الهجرة إلى المدينة فأوعبوا، رجالهم ونساؤهم، وغلقوا دورهم فلم يبق منهم أحد إلا خرج مهاجرا، دار بني غنم بن دودان (وهم بنو أسد بن خزيمة) ودار أبي البكير ودار بني مظعون اهـــ.

عثمان بن مظعون، (قال الواقدي : مات سنة ٣٠هـــ وهو ابن ستين سنة)! وقال ابن عبد البر إنه لا يعرف لهم رواية إلا قدامة صهر عمر بن الخطاب، وآل مظعون فضلاء مجهولون عند الغلاة).

(١٠١) السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي (١٢هـــ): (لم أجده مذكوراً فيهم لكنه لن يخالف أباه وأعمامه قدامة وعبد الله فيما يظهر وكان ثلاثتهم من هذه الطبقة كما سيأتي، وقد كان السائب من السابقين والمهاجرين إلى الحبشة)[٣٥٠].

(١٠٢) عثمان بن عفان الأموي : (مشهور جداً، أسلم قبل دخول دار الأرقم، ومنهم من يجعل إسلامه بعد ذلك، لا يحتاج إلى تعريف، والصحابة من أصحاب الصحبة الشرعية أغلبهم كانوا ضده في أيام الثورة عليه، وكان معظم أنصاره من الطلقاء، وبسببهم قتل، ومن هنا جاء إهمال أهل بدر والثناء على الطلقاء، ولي بحث موسع في فتنة عثمان، واستقصاء لروايات فتنة عثمان (وهي تقترب من الألف رواية) وفيها العجب من الصورة المعاكسة لما يعتقده غلاة السلفية، ويكفي أني لم أجد صحابياً يومئذ إلا ثائراً عليه أو راضياً بالثورة أو مقرّاً بأخطائه في السياسة والإدارة والأموال، ويكفي أن رموز الساخطين عليه كانوا أهل الشورى، طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وعلي بن أبي طالب – ولم يتبين لي موقف سعيد بن زيد– وكذا أكثر أمهات المؤمنين وخاصة عائشة وأم سلمة، وكذا كبار السابقين كأبي ذر وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وعبادة بن الصامت، ..الخ، نعم ناصره بعض صغار الصحابة كزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير، وكان المتصدرون في الدفاع عنه من الطلقاء وأبناء الطلقاء كمروان بن الحكم وأخيه الحارث والوليد بن عقبة وخالد بن عقبة والمغيرة بن الأخنس بن شريق..الخ وهم من فصلوه عن الصحابة، وهو كما قال الإمام علي: (استأثر فأساء الأثرة، وجزعوا فأساءوا الجزع، ولله حكم في المستأثر والجازع) رضي الله عنه ورحمه وسامحه) .

---

[٣٥٠] الطبقات الكبرى – (ج ٣ / ص ٤٠١) : السائب بن عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح وأمه خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية وأمها ضعيفة بنت العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وهاجر السائب بن عثمان إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية في روايتهم جميعا وآخى رسول الله صلى الله عليه و سلم بين السائب بن عثمان وبين حارثة بن سراقة الأنصاري وقتل حارثة ببدر شهيدا وكان السائب بن عثمان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم وشهد السائب بن عثمان بدرا في رواية محمد بن إسحاق وأبي معشر ومحمد بن عمر و لم يذكره موسى بن عقبة فيمن شهد عنده بدرا وكان هشام بن محمد بن السائب الكلبي يقول الذي شهد بدرا هو السائب بن مظعون أخو عثمان بن مظعون لأبيه وأمه قال محمد بن سعد وذلك عندنا منه وهل لأن أصحاب السيرة ومن يعلم المغازي يثبتون السائب بن عثمان بن مظعون فيمن شهدا بدرا وشهد أحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه و سلم وشهد يوم اليمامة وأصابه يومئذ سهم وكانت اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق سنة اثنتي عشرة فمات السائب بعد ذلك من ذلك السهم وهو ابن بضع وثلاثين سنة اهـــ

(١٠٣) عياش بن أبي ربيعة المخزومي (أسلم قبل دخول دار الأرقم، ثم فتن فارتد – فيما ذكره البلاذري[٣٥١]– ثم عاد للإسلام، وهاجر إلى المدينة، وكان عياش هذا من رأي قريش كعمر، أعني مائلاً مع قريش ضد بني هاشم، وهو من أكثر المتحمسين لعزل أسامة بن زيد عن الجيش الذي كان النبي (ص) قد وجه ببعثه قبيل وفاته).

(١٠٤) مسعود بن ربيعة القاري: (أسلم قبل دخول دار الأرقم،واسمه عند ابن سعد : مسعود بن الربيع وهو خطأ، وقال أبو حاتم : أعرابي مجهول! ولو كان من الطلقاء ما جهله أبو حاتم).

- نعيم بن عبد الله النحام العدوي (قيل أسلم بعد عشرة لكنه لم يهاجر وقد سبق ذكره في الأدلة، وهو سبب إسلام عمر على المشهور فإن صحَّ أنه أسلم بعد عشرة يكون من طبقة أوائل المسلمين، لكنه ليس من أصحاب الصحبة الشرعية لأنه لم يهاجر مع قدرته على الهجرة، و لم يكن من الذين توفوا قبل الهجرة كخديجة، فكان من أصحاب الصحبة العامة ومن صالحيهم).

(١٠٥) واقد بن عبد الله التميمي (أسلم قبل دخول دار الأرقم، وهذا لا يعرفه محمد بن عبد الوهاب التميمي كما يعرف معاوية! ألا ترون كيف استطاع معاوية أن يطمس الصحبة الشرعية بصحبة الطلقاء؟).

(١٠٦) أبو حذيفة بنت عتبة العبشمي (نص ابن سعد على إسلامه قبل دخول دار الأرقم، وهو زوج سهلة بنت سهيل بن عمرو، وسيد سالم مولى أبي حذيفة، وهو أخو هند بنت عتبة، ووالده وعمه وأخوه هم المبارزون من المشركين يوم بدر).

(١٠٧) أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي (أسلم قبل دخول دار الأرقم، وقد حماه أبو طالب في الشعب من قبيلته مخزوم، وهي من أقوى قبائل قريش، وقال أبو طالب كلمته : أحمي ابن أختي مما أحمي منه ابن أخي! والابتلاء يعرف في إسلام مثل أبي سلمة، فانتقل من الرخاء إلى الشدة، ومن العزة الدنيوية إلى الذلة، وتنقل بين هجرة إلى الحبشة وطلب حماية خاله، وكان أول مهاجر إلى المدينة، وهذا الرجل بمثله يباهي الله ملائكته).

---

[٣٥١] أنساب الأشراف – (ج ١ / ص ٨٤) قال الكلبي: .... وكان قوم من الأشراف قد أسلموا، ثم فتنوا. منهم سلمة بن هشام بن المغيرة، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص السهمي.

(١٠٨) أم سلمة بنت أبي أمية المخزومية: (أسلمت بإسلام زوجها أبي سلمة قبل دخول دار الأرقم، ، واستشهد أبو سلمة بعد أحد وتزوجها النبي (ص) بعده، فكانت من أمهات المؤمنين، ولها اختصاص بأهل البيت، وأرسلت ابنها عمر بن أبي سلمة في نصرة علي ونهت عائشة عن الخروج، ورثت الحسين وأنكرت على معاوية لعن علي، ولها فضائل جمة وعقل راجح، ولا يعرف قدرها أكثر هؤلاء الغلاة تبعاً منهم للمنهج الأموي في التقليل من المختصين بأهل البيت، وأم سلمة كأسماء بنت عميس لها مواقف خاصة وولاء خاص لآل محمد).

الطبقة الثالثة من صحابة العهد المكي: طبقة مسلمي دار الأرقم (المرحلة السرية)

وهي الثالثة في المرحلة السرية (الدعوة الخاصة) وهي طبقة مسلمي دار الأرقم بعد أن أسلم الأرقم بن أبي الأرقم بمدة غير معروفة – لكن أرجح أنها في السنة الثانية أو الثالثة من البعثة– اتخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم منــــزله داراً لاجتماع المسلمين وقراءة ما نزل من القرآن وتدارس أمر الدعوة لدين الله ، فأسلم في هذه الدار كثير من الناس الذين أصبحوا فيما بعد من مهاجرة الحبشة وكانت الدعوة السرية (الخاصة) قد امتدت ثلاث سنوات على المشهور من بداية الدعوة إلى السنة الثالثة، ومن أبرز العوائل والأفراد الداخلون في هذه الطبقة آل البكير وآل ياسر وآل أبي ذر والمقداد ومصعب بن عمير وصهيب وغيرهم. إذن فمن المرجح أنه أسلم في هذه الفترة الآتية أسماؤهم — مرتبين على الحروف-:

(١٠٩) أبو ذر الغفاري (مشهور جداً وله اختصاص بأهل البيت، روي أنه أسلم خامس خمسة فلو صحَّ لكان من طبقة أوائل المسلمين، مات سنة ٣٢هـــ منفياً من السلطة بالربذة)

(١١٠) أنيس الغفاري (أخو أبي ذر) أسلم بعده بقليل.

(١١١) أم أبي ذر (أسلمت بعد إسلامه بقليل)[٣٥٢].

(١١٢) صهيب بن سنان النمري (مشهور، حليف آل جدعان، أسلم مع عمار).

(١١٣) عبد الله بن ياسر، أخو عمار (عند البلاذري وغيره)

(١١٤) عتبة بن مسعود الهذلي (أخو عبدالله)

(١١٥) الحارث بن أبي هالة[٣٥٣](أول شهيد).

---

[٣٥٢] وآل أبي ذر هؤلاء قد قيل أنهم اسلموا قبل إسلام أبي بكر، فإن صح هذا فيكون غسلام أبي بكر قد تأخر إلى أيام الدعوة الجهرية، وإن القول بسبق إسلامه كان بأثر سياسي.

(١١٦) سمية بنت خياط (والدة عمار بن ياسر، أول شهيدة في الإسلام بمكة)

(١١٧) حمامة أم بلال (ذكرها صاحب السيرة الحلبية، كأنها من الطبقة السابقة إن كانت اسلمت بإسلام بلال)[٣٥٤]

(١١٨) لبينة جارية بني المؤمل (المستضعفة المعذبة) [٣٥٥]

(١١٩) زنيرة إحدى الموالي (اشتراها أبو بكر وأعتقها وكان عمر يعذبها قبل إسلامه)[٣٥٦]

(١٢٠) مصعب بن عمير العبدري (مشهور استشهد بأحد)

(١٢١) المطلب بن أزهر بن عبد عوف الزهري

(١٢٢) المقداد بن عمرو البهراني نسباً ثم الكندي بالحلف، بدري مشهور وله اختصاص بأهل البيت

(١٢٣) ياسر العنسي والد عمار (استشهد بمكة من التعذيب)

(١٢٤) أبو عبيس (زوج أم عبيس، وكلاهما من الموالي، و لم أجده إلا في المحبر لابن حبيب)

---

[٣٥٣] أول شهيد من المسلمين في العهد المكي، جاء ما يفيد أنه قتل والنبي (ص) في دار الأرقم بن أبي الأرقم، قال الحافظ في الإصابة في معرفة الصحابة – (ج ١ / ص ١٩٨): الحارث بن أبي هالة أخو هند بن أبي هالة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم يأتي نسبه في ترجمة أخيه، ذكر ابن الكلبي وابن حزم أنه أول من قتل في سبيل الله تحت الركن اليماني، وقال العسكري في " الأوائل " : لما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما أمره قام في المسجد الحرام فقال " قولوا لا إله إلا الله تفلحوا " . فقاموا إليه فأتى الصريخ أهله فأدركه الحارث بن أبي هالة فضرب فيهم فعطفوا عليه فقتل فكان أول من استشهد، وفي الفتوح لسيف عن سهل بن يوسف عن أبيه قال عثمان بن مظعون أول وصية أوصانا بها النبي صلى الله عليه وسلم لما قتل الحارث بن أبي هالة ونحن أربعون رجلاً بمكة أحد على مثل ما نحن عليه فذكر الحديث. اهـ قلت: العمدة في ذلك هو قول الكلبي وليس رواية سيف بن عمر.

[٣٥٤] وفي الإصابة في تمييز الصحابة – (ج ٧ / ص ٥٨٥) : حمامة ذكرها أبو عمر فيمن كان يعذب في الله فاشتراها أبو بكر فأعتقها و لم يفرد لها ترجمة في الاستيعاب واستدركها بن الدباغ قلت واستدركها أيضا أبو علي الغساني وقال إنها أم بلال المؤذن وإن أبا عمر ذكرها في كتاب الدرر في المغازي والسير اهـ

[٣٥٥] أنساب الأشراف – (ج ١ / ص ٨٤) : جارية بني المؤمل بن حبيب بن تميم بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب، وكان يقال لها فيما ذكر أبو البختري لبينة، أسلمت قبل إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان عمر يعذبها حتى تفتر (أو يفتر)، فيدعها، ثم يقول: أما إني أعتذر إليك بأني لم أدعك إلا عدامة. فتقول: كذلك يعذبك الله إن لم تسلم، وقال الواقدي في إسناده: إن حسان بن ثابت قال: قدمت مكة معتمراً، والنبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس، وأصحابه يؤذون ويعذبون، فوقفت على عمر، وهو مؤتزر يخنق جارية بني عمرو بن المؤمل حتى تسترخي في يديه. فأقول: قد ماتت، ثم يخلي عنها، ثم يثب على زنيرة، فيفعل بها مثل ذلك اهـ، وآل المؤمل هؤلاء فرع مغمور من فروع بني عدي، كان منهم قضاة في دمشق والأردن أيام الرشيد.

[٣٥٦] أنساب الأشراف – (ج ١ / ص ٨٤) زنيرة: قالوا: وكان أبو جهل يقول: ألا تعجبون لهؤلاء واتباعهم محمداً ؟ فلو كان أمر محمد خيراً وحقاً ما سبقونا إليه؟ أفسبقتنا زنيرة إلى رشد، وهي من ترون ؟ وكانت زنيرة قد عذبت حتى عميت. فقال لها أبو جهل: إن اللات والعزى فعلتا بك ما ترين، فقالت، وهي لا تبصره : وما تدري اللات والعزى، من يعبدهما ممن لا يعبدهما؟ ولكن هذا أمر من السماء، وربي قادر على أن يرد بصري، فأصبحت من تلك الليلة وقد رد الله عليها بصرها، فقالت قريش: هذا من سحر محمد، فاشترى أبو بكر رضي الله عنه جارية بني المؤمل وزنيرة، وأعتقهما، ويقال: إن زنيرة لغير بني عدي. وقال الكلبي: هي لبني مخزوم. وكان أبو جهل يعذبها اهـ وقد ورد في ترجمة جارية بني المؤمل أن عمر هو الذي كان يعذبها أيضاً، وهو أولى لأنها مولاة لبني عدي لا بني مخزوم .

(١٢٥) أبو فكيهة واسمه أفلح (كان مولى لصفوان بن أمية، أسلم يوم أسلم بلال ذكره البلاذري)[٣٥٧]، وهو غير يسار أبي فكيهة، فهؤلاء من اليمن قيل من الأزد وقيل من كندة.

(١٢٦) أم عبيس (أمة لبني زهرة، كان الأسود صاحب المقداد يعذبها)[٣٥٨]

(١٢٧) النهدية (من المعذبين)[٣٥٩]

(١٢٨) ابنة النهدية (السابقة) (مولاة من المعذبين)

(١٢٩) أخت لعامر بن فهيرة (مولاة من المعذبين).

ثم كانت الدعوة العامة التي يسموها الدعوة الجهرية –ويقصدون بها توجيه الدعوة لكل الناس من فوق جبل الصفا بمكة في قصة معروفة– إذن فقد استمرت دار الأرقم في أداء رسالتها بعد الدعوة العامة ثلاث سنوات أخرى حتى أسلم بها حمزة في السنة الثالثة تقريباً ثم عمر في آخر سنة ست من البعثة.

الطبقة الرابعة من صحابة العهد المكي: طبقة مسلمي دار الأرقم (المرحلة الجهرية الأولى)

وبداية هذه المرحلة غير واضحة الزمن تماماً والفرق بين الدعوة السرية والدعوة الجهرية أن السرية كانت تقتصر على دعوة الفرد والفردين أما الدعوة الجهرية فتم فيها توجيه الدعوة عامة في حادثتين مشهورتين، الأولى إلى بني هاشم والثانية إلى كل قريش، أما المرة الأولى فقد جمع النبي بني هاشم

---

[٣٥٧] أنساب الأشراف – (ج ١ / ص ٨٣) : أبو فكيهة، واسمه أفلح. ويقال: يسار. قالوا: كان أبو فكيهة عبدا لصفوان ابن أمية الجمحي. فأسلم حين أسلم بلال، فمر به أبو بكر رضي الله تعالى عنه، وقد أخذه أمية بن خلف فربط في رجله حبلا وأمر به فجر، ثم ألقاه في الرمضاء. ومر به جعل، فقال: أليس هذا ربك ؟ فقال: الله ربي خلقني وخلقك وخلق هذا الجعل. فغلظ عليه وجعل يخنقه، ومعه أخوه أبي بن خلف، يقول: زده عذاباً حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره. و لم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه قد مات، ثم أفاق. فمر به أبو بكر، فاشتراه واعتقه. ويقال: إن بني عبد الدار كانوا يعذبونه، فإنه إنما كان لهم، فأخرجوه يوما مقيداً نصف النهار إلى الرمضاء، ووضعوا على صدره صخرة حتى دلع لسانه، وقيل: قد مات. ثم أفاق، قال ابن سعد: وذكر الهيثم بن عدي: أنه مات قبل يوم بدر اهـ.

[٣٥٨] أنساب الأشراف – (ج ١ / ص ٨٤) : أم عبيس، وبعضهم يقول أم عنيس، أمة لبني زهرة، فكان الأسود بن عبد يغوث يعذبها، فابتاعها أبو بكر رضي الله تعالى عنه وأعتقها، وأخبرت عن المسيبي أنه قال: إنها أم عبيس بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس. والله أعلم، حدثنا محمد بن سعد، عن الواقدي، عن ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، عن أبي غطفان عن ابن عباس: أنه قال لها: هل كان المشركون يبلغون من المسلمين في العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قالت: نعم، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه ويضربونه، حتى ما يقدر على أن يقعد، فيعطيهم ما سألوا من الفتنة. ويقولون له: اللات والعزى آلهتك من دون الله ؟ فيقول: نعم، وحتى إن الجعل ليمر، فيقولون له: أهذا الجعل إلهك من دون الله ؟ فيقول: نعم، افتداء مما يبلغون من جهده، فإذا أفاق، رجع إلى التوحيد، وقال الكلبي: عذب قوم لا عشائر لهم ولا مانع، فبعضهم ارتد، وبعضهم أقام على الإسلام، وبعضهم أعطى ما أريد منه من غير اعتقاد منه للكفر. وكان قوم من الأشراف قد أسلموا، فم فتنوا. منهم سلمة بن هشام بن المغيرة، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص السهمي.

[٣٥٩] أنساب الأشراف – (ج ١ / ص ٨٤) النهدية: مولدة لبني نهد بن زيد. فصارت لامرأة من بني عبد الدار. فأسلمت. فكانت تعذبها وتقول: والله لا أقلعت عنك أو يعتقك بعض من صبأبك. فابتاعها أبو بكر أيضاً، فأعتقها وكان معها طحين ويقال: نوى لمولاتها يوم أعتقها أبو بكر رضي الله تعالى عنه. فردت ذلك عليها.

ودعاهم إلى الإسلام فلم يجبه إلا من كان مؤمناً به من قبل (وعند اليعقوبي أسلم يومئذ حمزة وجعفر وعبيدة بن الحارث ..)، ولم يجبه على النصرة والقيام بهذا الأمر إلا علي بن أبي طالب (وهذه إجابة خاصة على أمرين لا مجرد الإسلام، وقد توسعت في حديث المؤاخاة هذا في كتابي: المؤآخاة الكبرى، وهو عندي متواتر)، وأما المرة الثانية من الدعوة العامة فقد دعا قريشاً كلها (في أنديتهم ومجالسهم وفي البطحاء وبجوار البيت وعند الصفا ...) فلم يجيبوه أيضاً.

وقد استمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعوة الناس إلى الإسلام والاجتماع مع من أسلم منهم في دار الأرقم بن أبي الأرقم وكان الاقتصار – غالباً– على قراءة القرآن الكريم زتدبره وزاد الداخلون في الإسلام رغم مقاومة مشركي قريش لهذا الدين الجديدواضطهاد المستضعفين من المسلمين، ولم تمضِ خمس سنوات حتى أسلم عدد لا يستهان به من قريش وغيرها من القبائل المجاورة كهذيل وغفار وكنانة، فلذلك كان مهاجرو الحبشة في الهجرتين الأولى والثانية من خريجي دار الأرقم بن أبي الأرقم سواءً من أسلم منهم في المرحلة السرية أو المرحلة الجهرية وكان عدد المسلمين المهاجرين إلى الحبشة أكثر من (٨٠) رجلاً وإحدى عشرة امرأة وقد استعرض ابن إسحاق والبلاذري وغيرهما أسماءهم.

ومهاجرة الحبشة نرجح أن أكثرهم من مسلمي دار الأرقم وقد وجدنا فيهم ممن لم يسبق ذكره ممن نرجح أنه أسلم في هذا الوقت جماعة كبيرة وهم الآتية أسماؤهم – ممن نذكر له رقماً–[٣٦٠] وقدنحذف الأسماء المكررة أو نشير إلى التكرار على الأقل، لأن الهدف معرفة قدر ما يمكننا من عدد المسلمين الأوائل أصحاب الصحبة الشرعية الذين انشغل الناس عنهم بمعرفة أعداد يسيرة نصفهم من الطلقاء، فهؤلاء الصحابة مما لم يذكروا سابقاً من هذه الطبقة هم:

(١٣٠) الأسود بن نوفل بن خويلد الأسدي (من مهاجرة الحبشة ووالده نوفل هو أخو خديجة وكان من شياطين قريش قتله علي ببدر، ومن نسل هذا الصحابي يتيم عروة)

(١٣١) بركة بنت يسار الأسدي (زوجة قيس بن عبد الله الأسدي، كلاهما من مهاجرة الحبشة)

(١٣٢) بشر بن الحارث بن قيس السهمي (من مهاجرة الحبشة وكذا أخوته الستة وأبوه؛ وسيأتون)

(١٣٣) تميم بن الحارث بن قيس السهمي (من مهاجرة الحبشة أخو السابق)

---

[٣٦٠] لن يتم ترقيم من سبق ذكره للحصول على الرقم النهائي تقريباً لمسلمي الفترة المكية.

(١٣٤) جابر بن سفيان بن معمر الأنصاري (حليف بني جمح، من مهاجرة الحبشة)

(١٣٥) جنادة بن سفيان (أخو جابر بن سفيان، كلاهما لهما حكم مهاجرة الحبشة وكانا غلامين)

(١٣٦) جهم بن قيس بن عبد شرحبيل العبدري (أخو الحارث الآتي، من مهاجرة الحبشة)

(١٣٧) الحارث بن الحارث بن قيس السهمي (سيأتي والده، وقد سبق أخواه بشر وتميم وكلهم من مهاجرة الحبشة)

(١٣٨) الحارث بن خالد بن صخر التيمي (من مهاجرة الحبشة، هاجر بزوجته ريطة وستأتي)

(١٣٩) الحارث بن الحارث بن عبد قيس بن لقيط الحارثي (مشكوك في هجرته، لكنه من أهل هذه الطبقة)

(١٤٠) الحارث بن قيس السهمي (هو وأبناؤه الستة؛

(١٤١) الحارث

(١٤٢) وتميم

(١٤٣) وبشر

(١٤٤) والسائب

(١٤٥) وسعيد

(١٤٦) وعبد الله، كلهم من مهاجرة الحبشة)

(١٤٧) أم حبيب بنت سعيد بن يربوع (زوجة شماس بن عثمان بن الشريد، ذكرها البلاذري)

(١٤٨) الحجاج بن الحارث بن قيس السهمي (مختلف في هجرته، وقد سبق أبوه وثلاثة من أخوته)

(١٤٩) أم حرملة بنت عبد الأسود الخزاعية (زوجة الجهم بن قيس)

(١٥٠) حسنة (امرأة سفيان بن معمر، وأم شرحبيل بن حسنة أحد القواد الأربعة يوم اليرموك وهو من هذه الطبقة وسيأتي، هاجرت مع زوجها وابناها: جابر وجنادة)

(١٥١) خالد بن حزام بن خويلد الأسدي (أخو حكيم وعمته خديجة، وهو من مهاجرة الحبشة عند البلاذري)

(١٥٢) خزيمة بن جهم بن قيس (من مهاجرة الحبشة وقد سبق أبوه)

(١٥٣) خولي بن أبي خولي (مشكوك في هجرته، لكنه من أصحاب هذه الطبقة)

(١٥٤) رملة بنت أبي عوف السهمي (من مهاجرة الحبشة)

(١٥٥) أبو الروم بن عمير بن هاشم العبدري (أخو مصعب مشكوك في هجرته للحبشة لكنه من أصحاب

هذه الطبقة على الأقل

(١٥٦) ريطة بنت الحارث (امرأة الحارث بن خالد بن صخر)

(١٥٧) السائب بن الحارث بن قيس السهمي (من مهاجرة الحبشة)

(١٥٨) أبو سبرة ابن أبي رهم العامري (من أوائل المهاجرين إلى الحبشة)

(١٥٩) سعد بن خولة (من مهاجرة الحبشة،حليف بني عامر وقيل مولاهم وقيل أنه من اليمن وهو الذي كان النبي يرثي له لما حبسه المشركون بعد هجرة المدينة)

(١٦٠) سعد بن عبد قيس بن لقيط الحارثي (من مهاجرة الحبشة؛ وعند البلاذري: سعيد)

(١٦١) سعيد بن الحارث بن قيس السهمي (من مهاجرة الحبشة،عند البلاذري)

(١٦٢) سعيد بن عمرو التميمي (من مهاجرة الحبشة عند ابن هشام)

(١٦٣) سفيان بن معمر بن حبيب الجمحي (زوج حسنة والدة شرحبيل المشهور، سبقت)

(١٦٤) السكران بن عمرو بن عبد شمس العامري (من مهاجرة الحبشة كان زوجاً لسودة بنت زمعة أم المؤمنين تزوجها النبي (صلى الله عليه وآله) بعد وفاته بمكة)

(١٦٥) سلمة بن هشام بن المغيرة المخزومي (أخو أبي جهل، من مهاجرة الحبشة).

(١٦٦) سودة بنت زمعة (امرأة السكران بن عمرو، مات عنها فتزوجها النبي)

(١٦٧) سويبط بن سعد بن حرملة العبدري (من مهاجرة الحبشة)

(١٦٨) شجاع بن وهب بن ربيعة بن غنم الأسدي (عند البلاذري)

(١٦٩) شماس بن عثمان بن الشريد المخزومي (من مهاجرة الحبشة؛ وشماس لقبه واسمه: عثمان بن عثمان، وللقبه قصة)

(١٧٠) طليب بن أزهر بن عبد عوف الزهري (من مهاجرة الحبشة)

(١٧١) عبد الله بن الحارث بن قيس السهمي (مات بالحبشة، هاجر مع أبيه وستة من أخوته سبقوا)

(١٧٢) عبدالله بن حذافة السهمي (من مهاجرة الحبشة وقد سبق أخوه خنيس)

(١٧٣) عبدالله بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي (من مهاجرة الحبشة)

(١٧٤) عبدالله بن سهيل بن عمرو العامري (من مهاجرة الحبشة)

(١٧٥) عبد الله بن شهاب بن الحارث الزهري (من مهاجرة الحبشة؛ مات بعد عودته بمكة قبل الهجرة)

(١٧٦) عبدالله بن مخرمة بن عبد العزى العامري (من مهاجرة الحبشة)

(١٧٧) عتبة ابن غزوان بن جابر المازني (من مهاجرة الحبشة)

(١٧٨) عثمان بن ربيعة بن أهبان الجمحي (من مهاجرة الحبشة؛ عند ابن هشام)

(١٧٩) عثمان بن عبد غنم بن زهير الحارثي (من مهاجرة الحبشة، عند ابن هشام)

(١٨٠) عدي بن نضلة العدوي (من مهاجرة الحبشة)

(١٨١) عروة بن عبد العزى العدوي (من مهاجرة الحبشة، عند ابن هشام)

(١٨٢) عمر بن أبي سرح بن ربيعة العامري (من مهاجرة الحبشة،وعند البلاذري عمرو)

(١٨٣) عمرة بنت السعدي العامري (وقيل عميرة، زوجة مالك بن زمعة)

(١٨٤) عمرو بن أمية بن الحارث العبشمي (مات بالحبشة)

(١٨٥) عمرو بن جهم بن قيس (وقد سبق أبوه)

(١٨٦) عمرو بن الحارث بن زهير الحارثي (من مهاجرة الحبشة)

(١٨٧) عمرو بن سعيد بن العاص الأموي (أخو خالد، من مهاجرة الحبشة)/

(١٨٨) عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب التيمي (من مهاجرة الحبشة)

(١٨٩) عمير بن رئاب السهمي (من مهاجرة الحبشة)

(١٩٠) عياض بن زهير بن أبي شداد الحارثي (من مهاجرة الحبشة)

(١٩١) فاطمة بنت المجلل (سبقت)

(١٩٢) فاطمة بنت صفوان بن أمية الجمحية (زوجة عمرو بن سعيد بن العاص)

(١٩٣) فراس بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري (من مهاجرة الحبشة)

(١٩٤) أبو قيس بن الحارث السهمي (عند البلاذري وهو مشكوك في قدومه مع جعفر)

(١٩٥) قيس بن حذافة السهمي (مختلف في هجرته لكنه من أهل هذه الطبقة وأظنه أخاً لخنيس وعبد الله)

(١٩٦) قيس بن عبد الله الأسدي (من مهاجرة الحبشة)

(١٩٧) أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو العامرية (زوجة أبو سبرة ابن أبي رهم)

(١٩٨) مالك بن زمعة بن قيس بن عبد شمس (أخو سودة ، من مهاجرة الحبشة)

(١٩٩) معبد بن الحارث بن قيس (من مهاجرة الحبشة لعله السابع من آل الحارث بن قيس السهميين)

(٢٠٠) محمد بن حاطب بن الحارث الجمحي (له حكم مهاجرة الحبشة وكان صغيراً)

(٢٠١) محمية بن جزء بن عبد غوث الزبيدي (وقيل اسمه حمية قيل شهد بدراً ثم عاد للحبشة ثم عاد مع

جعفر !)

(٢٠٢) المطلب بن أزهر بن عبد عوف الزهري (مات بالحبشة)

(٢٠٣) معتب بن عوف الخزاعي (حليف بني مخزوم، من مهاجرة الحبشة)

(٢٠٤) معمر بن عبد الله بن نضلة العدوي (من مهاجرة الحبشة)

(٢٠٥) معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي (حليف آل العاصي، مشكوك في هجرته، لكنه من أصحاب هذه الطبقة)

(٢٠٦) النعمان بن عدي بن نضلة العدوي (من مهاجرة الحبشة)

(٢٠٧) نبيه بن عثمان بن ربيعة الجمحي (عند البلاذري، مات أثناء عودته مع جعفر)

(٢٠٨) النضير بن الحارث بن علقمة بن كلدة (أخو النضر بن الحارث المشرك المقتول ببجر، ذكره البلاذري في مهاجرة الحبشة، وهو مشكوك في هجرته، لكنه من أصحاب هذه الطبقة وقد ارتد فيما قيل ثم كان من الطلقاء، وهو الذي كشف مؤامرة قريش مه هوازن يوم حنين)

(٢٠٩) هبار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي (من مهاجرة الحبشة)

(٢١٠) هبار بن وهب بن حذيفة (ذكره البلاذري في مهاجرة الحبشة)

(٢١١) هشام بن أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي (من مهاجرة الحبشة وقيل اسمه هاشم)

(٢١٢) هشام بن العاص بن وائل السهمي (أخو عمرو، من مهاجرة الحبشة)

(٢١٣) وهب بن أبي السرح بن ربيعة بن هلال (ذكره البلاذري في مهاجرة الحبشة، وهو مشكوك في هجرته، وهو من أهل هذه الطبقة)

(٢١٤) يزيد بن زمعة بن الأسود الأسدي (أخو سودة أم المؤمنين من مهاجرة الحبشة) [٣٦١].

الطبقة الخامسة من الصحابة:

طبقة مسلمي دار الأرقم، الفترة الجهرية الثانية، طبقة حمزة بن عبد المطلب

وهي الثانية في الجهرية من مسلمي دار الأرقم بعد طبقة عمار وأصحابه وبعد أغلب مهاجرة الحبشة

---

[٣٦١] لا يسعني في مبحث المهاجرين إلى الحبشة إلا أن أشيد ببحث الدكتور محمد فارس الجميل (الهجرة إلى الحبشة) فهو أفضل بحث وجدته في هذا الموضوع ، ويبقى عليه ملحوظات يسيرة من أبرزها أنه عد في المهاجرين أبا وقاص والد سعد بن أبي وقاص وهذا وهم جاء من تعريف ابن إسحاق لوالد عامر بن أبي وقاص ،فقال ابن إسحاق: وأبو وقاص مالك بن أهيب! يريد التعريف باسم صاحب الكنية، ولا يقصد أنه من المهاجرين ، فهو مات قبل البعثة فيما يبدو، فوهم الدكتور وجعله من مهاجرة الحبشة، لكن الكتاب بشكل عام ممتع وغزير الفوائد، وقد قام بعض الوعاظ من أهل القصيم! بسرقة كتاب الدكتور الجميل ونشره بعنوان آخر! وأوصى بمنع الكتاب الأصلي!! لأن هذا الواعظ كان في (المحكمين)!.

التي كانت قبل هذه الطبقة، لكن بعض مهاجرة الحبشة المتأخرين ربما كانوا من هذه الطبقة كطليب بن عمير (ويقال: طليب بن عمرو)، فهم من طبقة حمزة وإن كان إسلام حمزة فيما يبدو كان في السنة الثالثة، وأبرز هذه الطبقة:

(٢١٥) حمزة بن عبد المطلب كان من أعز شباب قريش وأشدهم شكيمة وقد أسلم حمزة في السنة الثالثة من البعثة على الراجح، وقيل قبل عمر بقليل، لكن الظاهر أنه قبله بفترة كبيرة لأدلة قوية في أوائل المرحلة الجهرية أو أواخر السرية، ومن تلك الأدلة أن طليب بن عمير أحد مهاجرة الحبشة أسلم بعد إسلام حمزة وكذلك أروى بنت عبد المطلب أخت حمزة، وكذلك يعد في هذه الطبقة:

(٢١٦) طليب بن عمير بن وهب بن عبد بن قصي (وهو المعروف الوحيد تقريباً من بيت (عبد بن قصي) أقل بيوت قصي عدداً وأخملهم ذكراً، وقد اسلم في دار الأرقم وهاجر إلى الحبشة فكان من آخر المهاجرين إليها، وله قصة في شج أبي جهل- وقد تكون منسوبة إلى سعد بن ابي وقاص لشهرته- وسنذكرها في ترجمة أمه أروى بنت غبد المطلب، وفي حديثه أن المسلمين بمكة كانوا يصلون صلاتين، الضحى فلا تنكرها قريش، أما العصر فتنكرها فلذلك كانهوا يخرجون إلى شعاب مكة فيصلون خفية).

(٢١٧) أمه: أروى بنت عبد المطلب (عمة النبي (ص) وأخت حمزة وأبي طالب)[٣٦٢]، فهي من المسلمات

---

[٣٦٢] في كتاب سبل الهدى والرشاد للصالحي- (ج ١١ / ص ٨٧) : قال محمد بن عمر (يعني الواقدي): إن طليبا أسلم في دار الارقم، ثم خرج فدخل على أمه أروي، فقال: تبعت محمدا صلى الله عليه وسلم وأسلمت لله – عز وجل – فقالت: إن أحق ما وازرت وعضدت ابن خالك والله، لو كنا على قدر ما تقدر عليه الرجال لمنعناه، وذبينا عنه، قال لها طليب: ما منعك أن تسلمي وتتبعيه، وقد أسلم أخوك حمزة ؟ فقالت: أنظر ما يصنع أخواتي ثم أكون من إحداهن، قلت: فإني أسألك بالله إلا أتيته، فسلمت عليه وصدقته وشهدت أن لا إله إلا الله، فقالت: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ثم كانت بعد تعضد النبي صلى الله عليه وسلم بلسانها وتحض على نصرته والقيام بأمره ..الخ، اهـــ فهذه الرواية تبين إسلامهما في دار الأرقم في زمن واحد تقريباً، إلا أن هناك رواية تدل على أن أروى أسلمت قبل ذلك وكانت تخفي إسلامها، ففي المستدرك على الصحيحين للحاكم – (ج ١٦ / ص ١٤٤) – وهو في الطبقات وأنساب الأشراف- : .. ، ثنا محمد بن عمر (وهو الواقدي) ، حدثني سلمة بن بخت ، عن عميرة بنت عبيد الله بن كعب ، عن أم درة ، عن برة بنت أبي تجراة ، – وعند البلاذري : عزيزة بنت أبي تجراة – قالت : كانت قريش لا تنكر صلاة الضحى إنما تنكر الوقت « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاء وقت العصر تفرقوا إلى الشعاب فصلوا فرادى ومثنى » ، فمشى طليب بن عمير وحاطب بن عبد شمس يصلون بشعب أجياد بعضهم ينظر إلى البعض ، إذ هجم عليهم ابن الأصيدي وابن القبطية (الغيطلة)، وكانا فاحشين (زاد البلاذري: أنساب الأشراف – (ج ١ / ص ٥٤) قال الواقدي: كانوا يصلون الضحى والعصر، ثم نزلت الصلوات الخمس قبل الهجرة. وكانت الصلاة ركعتين ركعتين، ثم نزل إتمامها بالمدينة للمقيم، وبقيت صلاة المسافر ركعتين ركعتين.) فرموهم بالحجارة ساعة حتى خرجا وانصرفا وهما يشتدان ، وأتيا أبا جهل وأبا لهب وعقبة بن أبي معيط ، فذكروا لهم الخبر ، فانطلقوا لهم في الصبح وكانوا يخرجون في غلس الصبح ، فيتوضئون ويصلون ، فبينما هم في شعب إذ هجم عليهم أبو جهل وعقبة وأبو لهب وعدة من سفهائهم، فبطشوا بهم ، فنالوا منهم وأظهر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام وتكلموا به ونادوهم وذبوا عن أنفسهم ، وتعمد طليب بن عمير إلى أبي جهل ، فضربه فشجه ، فأخذوه وأوثقوه ، فقام دونه أبو لهب حتى حله ، وكان ابن أخيه فقيل لأروى بنت عبد المطلب : ألا ترين إلى ابنك طليب قد اتبع محمدا وصار عرضا له ، وكانت أروى قد أسلمت ، فقالت : خير أيام طليب يوم يذب عن ابن خاله وقد جاء بالحق من عند الله تعالى فقالوا : وقد اتبعت محمدا ؟ قالت : نعم ، فخرج بعضهم إلى أبي لهب فأخبره ، فأقبل حتى دخل عليها ، فقال : عجبا لك ولاتباعك محمدا وتركت دين عبد

قديماً، ولكن الزبيريين أرادوا حصر الإسلام في أم الزبير صفية بنت عبد المطلب فقط، ففي (المستدرك على الصحيحين للحاكم - (ج ١٦ / ص ١٥٧): حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الأصبهاني ، ثنا الحسن بن الجهم بن مصقلة الأصبهاني ، ثنا الحسين بن الفرج ، ثنا محمد بن عمر ، قال : كانت أروى بنت عبد المطلب قد أسلمت . فحدثني سلمة بن بخت ، عن عميرة بنت عبيد الله بن كعب ، عن أم درة ، عن برة بنت أبي تجراة ، قالت : « كانت قريش لا تنكر أن تصلي الضحى إنما تنكر الوقت » « قلت : الحديث كما مر ذكره فلا نعيدها هنا فتأمل ، قال الحاكم : هذا حديث رواه المدنيون بهذا الإسناد ، والواقدي مقدم في هذا العلم قد حكم به وقد أنكر هشام بن عروة أن يكون قد أسلم من بنات عبد المطلب غير صفية أم الزبير والله أعلم »).

(٢١٨) صفية بنت عبد المطلب : مشهورة جداً وهي أم الزبير بن العوام، ولها قصة يوم أحد في حادثة مقتل أخيها حمزة، ويحتمل أن إسلامها كان مبكراً ايام دار الأرقم على الأقل وهي من اصحاب الصحبة الشرعية لأنها هاجرت مع ابنها الزبير، وهو من اصحاب الصحبة الشرعية بلا شك، وقد كانت ميول الزبير بن العوام مع بني هاشم حتى نشوء ابنه عبد الله فأخرجه إلى حلف قريش.

(٢١٩) عاتكة بنت عبد المطلب: في الطبقات الكبرى - (ج ٨ / ص ٤٣) : عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وأمها فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم تزوجها في الجاهلية أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فولدت له عبد الله وزهيرا وقريبة ثم أسلمت عاتكة بنت عبد المطلب بمكة وهاجرت إلى المدينة وكانت قد رأت رؤيا أفزعتها وعظمت في صدرها فأخبرت بها أخاها العباس بن عبد المطلب وقالت أكتم علي ما أحدثك فإني أتخوف أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة وكانت رأت في المنام قبل خروج قريش إلى بدر راكبا أقبل على بعير حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته .. الرواية مشهورة، ولكنها لم تهاجر إلا بعد الحديبية فخرجت من الصحبة الشرعية.

(٢٢٠) زيد بن الخطاب العدوي أخو عمر فإنه أسلم قبل عمر، فيحتمل أن يكون أسلم في هذه الفترة.

المطلب؟ ، قالت : قد كان ذلك فقم دون ابن أخيك فاعضده وامنعه فإن ظهر أمره فأنت بالخيار إن شئت أن تدخل معه أو تكون على دينك ، وإن لم تكن كنت قد أعذرت ابن أخيك ، قال : ولنا طاقة بالعرب قاطبة ، ثم يقولون : إنه جاء بدين محدث ، قال : ثم انصرف أبو لهب اهـ / قلت/ وقد رواه ابن سعد، ورواه الحاكم من غير طريق ابن سعد، فهي متابعة عن الواقدي، وفي الحديث فائدة وهي أننا نجد أن المتحمسين لذم البدع ليس بالضرورة أن يكونوا أقرب إلى الحق! بل على العكس من ذلك فالذي منع قريشاً من إسلامهم هو سلفيتهم وبغضهم للبدع والإحداث وترك ما كان عليه السلف الذي يرونه صالحاً! فلا يغتر الغلاة بحرقتهم في إنكار البدع والخرافات، فربما أنكروا سنة ظنوها بدعة تقليداً، وربما أنكروا حقيقة ظنوها خرافة عصبيةً، وليتواضعوا وليتعلموا.

(٢٢١) ابن أم مكتوم في قصة مشهورة بسببها نزلت أوائل سورة (عبس).

وكذا بقية المهاجرين إلى الحبشة الذين لم نجد تاريخ إسلامهم يحتمل انهم من أهل هذه الطبقة.

الطبقة السادسة من صحابة العهد المكي: طبقة عمر بن الخطاب

(٢٢٢) عمر بن الخطاب

وكان عمر قد أسلم في آخر السنة السادسة من البعثة وقيل أنه أسلم تمام الأربعين رجلاً في دار الأرقم وهؤلاء غير المهاجرين إلى الحبشة (الذين كانوا نحو ١١٠ من الرجال والنساء) لكن المراد أن عمر أسلم يوم أسلم في دار الأرقم والمسلمون في الدار أربعون رجلاً؛ وهذا لا يدخل فيهم من كان غائباً ولا النساء فيكون عمر قد أسلم بعد نحو (٢٠٠) صحابياً وصحابية هم كل مسلمي فترة الدعوة السرية في دار الأرقم وأسماؤهم معروفة عند أهل المغازي والسير، وقد ذكرنا الأسماء التي وجدناها فيما سبق، وقد أسلم ناس عند إسلام عمر أو قبله بقليل أو بعده بقليل، فيدخلون في هذه الطبقة لأنه بعد إسلام عمر روي أن المسلمين خرجوا خلفه وخلف حمزة للطواف بالبيت مظهرين قوهم أمام كفار قريش فأسلم بإسلامهم بعض الناس سماهم الحاكم (مسلمي دار الندوة)[٣٦٣] وأظهر إسلامه من كان يخيفه بالأمس وكان إسلام عمر بن الخطاب من أسباب مقاطعة قريش لبني هاشم في الشعب.

الطبقة السابعة من صحابة العهد المكي: طبقة مسلمي فترة المقاطعة

دخل بنو هاشم شعب أبي طالب في المحرم سنة سبع إذ لم يلبث كفار قريش بعد إسلام عمر ورجوع عمرو بن العاص من الحبشة خائباً إلا قليلاً حتى تظاهروا على مقاطعة بني هاشم أو يسلموا إليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقاطعوهم في شعب أبي طالب وكتبوا الصحيفة المشهورة التي تتضمن تعاقد قريش وتعاهدهم على ألا يبيعوا بني هاشم شيئاً ولا يشتروا منهم ولا يتزوجوا منهم ولا يزوجوهم، واستمرت مقاطعة قريش لبني هاشم ثلاث سنوات كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد انتقل هو وبنو هاشم مسلمهم وكافرهم في شعب أبي طالب وقد أسلم في هذه الفترة قلة من الناس، ومنهم وفد نصارى الحبشة (وعددهم عشرون رجلاً وقيل أربعون وقيل ستون وقيل كانوا سبعين) [٣٦٤] الذين قدموا مكة وأسلموا، وهناك وفد آخر من نجران كان عددهم (أربعون رجلاً)، وقد سمي من وفد الحبشة:

---

[٣٦٣] لم أجد أسماء الذين أسلموا بإسلام عمر وأنا أخشى أن الأمر ليس كما ذكر الحاكم وأنه اختلط على الناس من أظهر الإسلام يومها فظنوهم أسلموا ابتداءً، والله أعلم.

[٣٦٤] راجع الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/١٣٠- تفسير الآيات ٥٢،٥٣،٥٤ من سورة القصص).

(٢٢٣) أبرهة/

(٢٢٤) إدريس /

(٢٢٥) أشرف /

(٢٢٦) أيمن /

(٢٢٧) بحيرا /

(٢٢٨) تمام /

(٢٢٩) تميم /

(٢٣٠) عامر /

(٢٣١) نافع.

الطبقة الثامنة من الصحابة: طبقة مسلمي فترة العرض على القبائل

كان العرض على القبائل في أسواق العرب وفي مكة قد نشط في هذه الفترة لتمنع قريش ولفقدان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكبر المناصرين له بمكة (أبو طالب وخديجة) وارتداد بعض الصحابة فكان لابد للدين من نصير وهذا جزء من إبلاغ الرسالة أيضاً، وليس معنى هذا أنه لم يكن هناك قبل ذلك عرض على القبائل لكن العرض على القبائل كان في هذه الفترة كان أقوى من أي وقت مضى، وفي هذه الفترة وكان العرض على قبائل الطائف في القصة المشهورة و لم يجد منهم إلا السخرية والإيذاء وقد عرض نفسه على قبائل أخرى كبني عامر وكلب وبني حنيفة وغيرهم و لم يجد استجابة، وقد أسلم في هذه الطبقة:

(٢٣٢) إياس بن معاذ بن الصامت الأنصاري (قتل يوم بعاث).

(٢٣٣) جندب بن كعب الأزدي (شهد صفين مع علي في خلافته).

(٢٣٤) حصين الخزاعي (والد عمران بن حصين ويحتمل أن ابنه أسلم بإسلامه).

(٢٣٥) ضماد الأزدي (وقصة وفادته مشهورة في الصحيح، لكن قد يكون ذلك متأخراً لأن في الحديث ذكر لبعض الأحكام التي فرضت متأخرة، وقيل اسمه ضمام بن ثعلبة).

(٢٣٦) الطفيل بن عمرو الدوسي (في قصة مشهورة أيضاً).

(٢٣٧) عداس النصراني (في قصة العرض على قبائل الطائف).

(٢٣٨) عمران بن حصين الخزاعي (وقد سبق ذكر أبيه).

(٢٣٩) عمرو بن عبسة السلمي (الراجح أنه من هذه الطبقة، وأن النبي (صلى الله عليه وآله) عندما عرض عليه الإسلام لم يكن معه إلا أبو بكر وبلال، فلما سأله عمرو بن عنبسة: من معك؟ فقال: حر وعبد) فالتبس هذا على الرواة أو على عمرو نفسه).

(٢٤٠) مخنف بن سليم الأزدي (يحتمل أنه من هذه الطبقة ولكن لأنه كان رأس الأزد بالكوفة ومن شيعة علي فقد خبا ذكره وكان أولاده من سادة العرب بالكوفة)[٣٦٥].

– التسعة من جن نصيبين، (قيل أنهم المشار إليهم في سورة الجن) ومنهم:

حسّا / مسّا/ شاصر/ ناصر/ أبن الأرد/ أينين/ الأحقم[٣٦٦]، وهؤلاء لم أجعل لهم أرقاماً في الصحابة مع إيماني بأن ما ذكره الله حق، لكن هذه الأسماء كأنها مفتعلة.

ومن هذه الطبقة :

ستة من الأنصار أسلموا وكانوا السبب في بيعتي العقبة لأنهم بثوا في الأنصار خبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته، وهم:

(٢٤١) أسعد بن زرارة النجاري الخزرجي

(٢٤٢) جابر بن عبد الله بن رئاب الخزرجي

(٢٤٣) رافع بن مالك بن العجلان الزرقي

(٢٤٤) عقبة بن عامر بن نابي السلمي

(٢٤٥) عوف بن الحارث النجاري (أحد أبناء عفراء)

(٢٤٦) قطبة بن عامر بن حديدة الزرقي.

الطبقة التاسعة: طبقة أصحاب بيعة العقبة الأولى

قدم مكة في العام الحادي عشر من البعثة مجموعة من الأوس والخزرج وبايعوا البيعة الأولى المعروفة ببيعة العقبة وعددهم اثنا عشر رجلاً وامرأتان وهم:

– أسعد بن زرارة* الأنصاري (سبق في الستة قبل قليل).

---

[٣٦٥] ومن عترته أبو مخنف لوط بن يحيى المؤرخ العلامة، كان من العلماء الكبار، ليس في التاريخ فقط وإنما في الحديث والتاريخ والفقه مات سنة ١٥٧هـ وقد ذكره بعض المؤرخين في علماء الوقت أيام المهدي العباسي.

[٣٦٦] ذكرهم الطبري عن ابن إسحاق (٢/٣٤٧)، وعندي شك في أسمائهم.

* ملحوظة: من سبق ذكر اسمه لا نكرر ترقيمه.

(٢٤٧) ذكوان بن عبد قيس الزرقي.

- رافع بن مالك بن العجلان الزرقي؛(سبق).

(٢٤٨) عبادة بن الصامت الخزرجي.

(٢٤٩) العباس بن عبادة بن نضلة.

- عقبة بن عامر بن نابي السلمي(سبق).

- عوف بن عفراء النجاري(سبق)

(٢٥٠) عويم بن ساعدة الأوسي

- قطبة بن عامر بن حديدة الخزرجي،(سبق).

(٢٥١) معاذ بن عفراء (معاذ بن الحارث النجاري).

(٢٥٢) أبو الهيثم مالك بن التيهان الأوسي.

(٢٥٣) يزيد بن ثعلبة البلوي حليف الأنصار.

وقد أرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مصعب بن عمير إلى يثرب ليدعو قبائل الأوس والخزرج إلى الإسلام وقد أسلم بدعوته كثير منهم، وأشهر هؤلاء أصحاب بيعة العقبة الثانية الآتية أسماؤهم في الطبقة التالي وهي:

الطبقة العاشرة : طبقة أصحاب العقبة الثانية

قدم مكة في العام التالي أكثر من ثمانين رجلاً وامرأتان كانوا قد أسلموا بدعوة مصعب بن عمير ومن أسلم معه من الأنصار، أما أصحاب بيعة العقبة الثانية فهم مرتبين على الحروف (مع حذف الستة السابقين):

(٢٥٤) أسيد بن الحضير الأوسي

(٢٥٥) أوس بن ثابت الأنصاري.

(٢٥٦) البراء بن معرور الأنصاري.

(٢٥٧) بشر بن البراء بن معرور الأنصاري.

(٢٥٨) بشير بن سعد الأنصاري.

(٢٥٩) ثابت بن الجذع الأنصاري.

(٢٦٠) ثعلبة بن غنمة الأنصاري.

(٢٦١) جابر بن عبدالله بن رئاب الأنصاري.

(٢٦٢) جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري.

(٢٦٣) جبار بن صخر بن أمية الأنصاري.

(٢٦٤) الحارث بن قيس بن خالد الأنصاري.

(٢٦٥) خارجة بن زيد الأنصاري.

(٢٦٦) خالد بن عمرو بن عدي الأنصاري.

(٢٦٧) خالد بن قيس بن مالك الأنصاري.

(٢٦٨) خديج بن سلامة الأنصاري.

(٢٦٩) خلاد بن سويد الأنصاري.

(٢٧٠) رفاعة بن رافع بن مالك الأنصاري.

(٢٧١) رفاعة بن عبد المنذر الأوسي.

(٢٧٢) رفاعة بن عمرو الأنصاري.

(٢٧٣) زياد بن لبيد الأنصاري.

(٢٧٤) سعد بن زيد بن عامر الأوسي (عند الواقدي وحده).

(٢٧٥) سعد بن خيثمة الأوسي.

(٢٧٦) سعد بن الربيع الأنصاري.

(٢٧٧) سعد بن عبادة الخزرجي.

(٢٧٨) سلمة بن سلامة بن وقش الأوسي.

(٢٧٩) سليم بن عمرو.

(٢٨٠) سنان بن صيفي.

(٢٨١) سهل بن عتيك.

(٢٨٢) صيفي بن سواد.

(٢٨٣) الضحاك بن حارثة.

(٢٨٤) الطفيل بن عمرو الدوسي

(٢٨٥) الطفيل بن مالك.

(٢٨٦) الطفيل بن النعمان.

(٢٨٧) ظهير بن رافع الأوسي.

- عبادة بن الصامت (سبق).

(٢٨٨) عبادة بن قيس.

- العباس بن عبادة بن نضلة (سبق)

(٢٨٩) عبد الله بن أنيس.

(٢٩٠) عبد الله بن جبير الأوسي.

(٢٩١) عبد الله بن رواحة.

(٢٩٢) عبد الله بن زيد.

(٢٩٣) عبد الله بن عمرو بن حرام.

(٢٩٤) عبسة بن عامر.

- عقبة بن عامر بن نابي (سبق).

(٢٩٥) عقبة بن عمرو.

(٢٩٦) عقبة بن وهب.

(٢٩٧) عمارة بن حزم.

(٢٩٨) عمرو بن غزية.

(٢٩٩) عمرو بن الحارث.

(٣٠٠) عمرو بن غنمة.

(٣٠١) عمير بن الحارث.

(٣٠٢) - عوف بن الحارث (ابن عفراء) كان أحد الستة وشهد العقبة (سبق).

- عويم بن ساعدة (سبق).

(٣٠٣) فروة بن عمرو البياضي.

- قطبة بن عامر الزرقي (سبق).

(٣٠٤) قيس بن أبي صعصعة.

(٣٠٥) كعب بن مالك.

(٣٠٦) مسعود بن يزيد.

(٣٠٧) معاذ بن جبل.

– معاذ بن الحارث، (ابن عفراء، سبق).

(٣٠٨) معاذ بن عمرو بن الجموح.

(٣٠٩) معقل بن المنذر.

(٣١٠) معن بن عدي.

(٣١١) معوذ بن الحارث.

(٣١٢) المنذر بن عمرو

(٣١٣) نمير بن الهيثم الأوسي (وقيل اسمه بهيز).

(٣١٤) يزيد بن حرام.

(٣١٥) يزيد بن المنذر.

(٣١٦) يزيد بن ثعلبة (شهد العقبتين).

(٣١٧) أبو أيوب الأنصاري.

(٣١٨) أبو بردة بن نيار القضاعي نسباً والأوسي حلفاً.

(٣١٩) أبو طلحة الأنصاري.

– أبو الهيثم بن التيهان الأوسي (سبق).

(٣٢٠) أبو اليسر كعب بن عمرو.

(٣٢١) أم عمارة نسيبة بنت كعب.

(٣٢٢) أم منيع أسماء بنت عمرو (أم معاذ).

– وممن سبق ذكره : معاذ بن الحارث الأنصاري / رافع بن مالك بن العجلان الأنصاري / ذكوان بن عبد قيس الأنصاري / عبادة بن الصامت الأنصاري / وأبو عبدالرحمن وهو يزيد بن ثعلبة الأنصاري / العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري / عقبة بن عامر بن نابي الأنصاري / قطبة بن عامر بن حديدة الأنصاري / أبو الهيثم بن التيهان الأنصاري / عويم بن ساعدة الأنصاري، كل هؤلاء سبقوا..

الطبقة الحادية عشرة: طبقات المهاجرين الأولين إلى المدينة

تشمل كل من ذكر أنه أسلم بمكة وهاجر بهجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه

ويستدرك في هذه الطبقة من لم يذكر في الطبقات السابقة وقد ذكروا في المهاجرين كثير ممن سبق ذكرهم، وقد تتكرر علينا بعض الأسماء وسنذكر أيضاً من في حكم المهاجرين ولو كان من صغار المهاجرين، فهاهم وبعضهم مكرر :
أربد بن حميرة الأسدي / أمامة بنت رقيش الأسدية/ أم حبيب بنت جحش الأسدية/ أم حبيبة بنت نباتة الأسدية/ أم قيس بنت محصن الأسدية/ أميمة بنت عبد المطلب/ أنسة مولى رسول الله (قدم مع حمزة)/ بريدة بن الحصيب الأسلمي وقد سبق/ تمام بن عبيدة الأسدي/ ثقف بن عمرو الأسدي. سبق / جدامة بنت جندل الأسدية، (أسلمت قديماً بمكة)جعال بن سراقة الضمري/ جندب بن حارث العذري/ حاطب بن أبي بلتعة اللخمي حليف بني أسد/ حفصة بنت عمر بن الخطاب/ حكيم بن أمية السلمي/ حمنة بنت جحش الأسدية/ خباب مولى عتبة بن غزوان/ ذباب بن الحارث المذحجي/ ذو الشمالين عمير بن عبد عمرو الخزاعي/ ربيعة بن أكثم الأسدي/ زبير بن عبيدة الأسدي/ زينب بنت جحش الأسدية/ السائب بن العوام أخو الزبير/ سخبرة بن عبيدة الأسدي/ سخبرة بنت تميم الأسدية (عند ابن سيد الناس في عيون الأثر)/ سعد مولى حاطب بن أبي بلتعة/ سعيد بن رقيش الأسدي/ سنان بن أبي سنان الأسدي/ أبو سنان بن محصن الأسدي/ سهل بن بيضاء (حبسه المشركون فله حكم الهجرة)/ شقران مولى رسول الله (شهد بدراً)/ صبيح مولى أبي أحيحة/ صفوان بن بيضاء/ صفوان بن عمرو الأسدي/ ضمرة بن الحصين البلوي/ عائشة بنت أبي بكر / عبد الله بن أبي بكر الصديق/ عبد الله بن الحارث المطلبي/ عبد الله بن سراقة العدوي/ عبد الله بن سفيان المخزومي/ عبد الله بن شهاب الزهري (الأصغر)/ عبد الله بن عبد نهم المزني/ عبد الله بن عمر بن الخطاب (له حكم المهاجرين، كان صغيراً)/ عبد الله بن مخرمة العامري/ عرباض بن سارية السلمي/ عقبة بن حليس الأشجعي/ عقبة بن عامر الجهني (أسلم في الهجرة)/ عقبة بن وهب الأسدي/ عكاشة بن محصن الأسدي/ عمرو بن الحارث بن زهير الفهري/ عمرو بن الربيع القاري.

عمرو بن سراقة العدوي/ عمرو بن عبد قيس العبدي (أسلم قبل الهجرة، وقيل هو عمرو بن المرحوم العبدي)/ عمرو بن عثمان التيمي/ عمرو بن أبي عمرو الفهري (عند ابن سيد الناس)/ عمرو بن محصن الأسدي (أخو عكاشة)/ عمير بن أبي وقاص الزهري/ عمير بن عوف (مولى سهيل بن عمرو)/ عياض بن زهير الفهري/ فاطمة بنت أسد (أم علي)/ قيس بن جابر الأسدي/ أبو كبشة مولى رسوا الله (قدم مع حمزة)/ مالك بن أبي خولي/ مالك بن عمرو الأسدي/ مالك بن عمرو السلمي/ محرز بن نضلة الأسدي/

محمد بن عبد الله بن جحش/ مدلاج بن عمرو السلمي/ أبو مرثد الغنوي (حليف حمزة)/ مرثد بن أبي مرثد الغنوي (حليف حمزة أيضاً)/ مسطح بن أثاثة المطلبي/ معبد بن نباتة الأسدي/ معمر بن أبي السرح.

معيقيب الدوسي/ منقذ بن نباتة الأسدي/ مهجع بن صالح مولى عمر/ نعيم الغفاري (أسلم بدعوة أبي ذر)/ هاشم بن أبي حذيفة المخزومي/ الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي (عند ابن سيد الناس في عيون الأثر)/ وهب بن عمرو الأسدي / يزيد بن رقيش الأسدي (وعند ابن سيد الناس : زيد)/ يزيد بن قيس/ يسار غلام بريدة بن الحصيب/ أبو مخشي سويد بن مخشي الطائي.

وهذا ما وجدناه من أسماء المسلمين إلى الهجرة، ويحتمل أن هناك نحو المائة من زوجات المهاجرين وأبنائهم لم نذكرهم هنا، ولا بد أن يكون في ماذكرناه أوهام ستتجلى بعد البحث والتدقيق.. فلا يؤخذ الشيء غير المحقق كالمحقق.. فلا يلزمني أحد بما أسرده مما اشتهر من كتب التاريخ.

انتهت الملاحق..